

حِصَّةُ الْبَصْرِ لِلنَّبِيِّ الْجَلِيلِ مُحَمَّدٍ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ
وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ

الرَّسْمُ فَوْقِي مُحَمَّدٌ وَفَوْقِي

ذَاتُ الْإِيمَانِ وَالْحَيَاةِ

محمّدٌ بشَرٌ وليس كالبشرِ بل هو يا قوتتُ والناسُ كأكبر

محمدٌ بشَرٌ وليس كالبشرِ { بل هو يا قوتتُ والناسُ كأكبر

الكتاب	خصائص النبي الخاتم ﷺ
المؤلف	الشيخ فوزي مجد أبوزيد
الطبعة	٢١ شوال ١٤٤٠ هـ، ٢٤ يونيو ٢٠١٩ م
كتاب رقم	المائة والأربعة عشر من المطبوع
سلسلة	الحقيقة المحمدية، الكتاب التاسع
الداخلي	٣٨٤ ص * ٨٠ جم / ١٧ * ٢٤، ١ لون
الغلاف	كوشيه مط * ٣٨٤ جم * ٤ لون، سلفوفان
إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥، المعادي، القاهرة، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠-٢- ٠٠٢٠، ف: ٢٥٢٦١٦١٨-٢-٠٠٢٠

إيداع محلي ٢٠١٩/٩٧٣٤
ترقيم دولي ٩٧٨-٩٧٧-٩٠٦٣-٤٥٤



باركود

طباعة مطابع النوبار بالعبور

مُتَدَلِّمًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اصطفى نبيه العربي الهاشمي سيدنا محمد، وحباه وأدناه ورقاه إلى أعلى مقام لم يصل إليه أحد سواه، قال فيه سبحانه:

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ ﴾ (النجم)

والصلاة والسلام على من شرح الله صدره، ورفع الله قدره، وأعلى عنده شأنه، سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين .. آمين ... وبعد،

لا يستطيع أحد من الأولين والمعاصرين والآخرين أن يوفِّي سيدنا محمد بعض قدره الذي أولاه له ربه ﷻ، سواء في البدء القديم قبل الخلق، أو في يوم ميثاق النبيين، أو يوم أُلست للخلق أجمعين، أو في حياته الدنيا في خصوصياته لنفسه، وفي خصوصياته في الشريعة الخاتمة، أو في خصوصياته التي أعطها الله لأُمَّته أكراماً لحضرتة.

ناهيك عن أفضليته وخصوصيات أُمَّته في الدار الآخرة، وهذا أمر يقف العقل عنده حائراً، والأمر كما قال الإمام أبو العزائم ؓ:

كل الوجود بأسره في دهشة والكل عن درك الحقيقة حائر
عجز الورى عن فهم سر محمد لم يدره إلا الإله القادر

وقد قام الإمام جلال الدين السيوطي بجمع الخصائص الظاهرة والباطنة للرسول ﷺ في كل أطواره الأولية والدينية والأخرية، في مجلدين كبيرين سمَّاهما (الخصائص)، ويستند إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مع أسانيدھا الواردة في ذلك، وقام الإمام عبد الرؤوف المناوي بشرح هذه الخصائص تيسيراً للعلماء وللقرءاء.

وقد رأينا حاجة الأمة الإسلامية إلى معرفة هذه الخصائص النبوية، لإدراك بعض قدر النبي ﷺ ومنزلة أمته بين الأمم، وقمنا باختيار بعضها وشرحها بشرح مبسط وسهل يلائم ثقافة هذا العصر، ومدارك المسلمين المعاصرين، وشرحناها في حلقات متتالية نرجوا من ورائها إتاحة الفرصة للمسلمين للإعزاز بنبيهم وتشريعهم، والتباهي بقدر منزلة الأمة الإسلامية عند الله ﷻ، كما أننا نرجو من وراء ذلك رضا الله ﷻ عنا، وشفاعة نبينا ﷺ لنا.

ونرجو من الله ﷻ أن ينفع به كل من قرأه أو سمعه، وأن يجازي الذين اشتركوا في تسجيله وبنه وكتابته وطباعته ونشره بخير عميم، وكرم عظيم في الدنيا والآخرة، وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد سر الأولية والشفيع الأعظم لجميع الخلائق في الآخرة وآله وصحبه وسلّم

الجميزة - غربية

مساء السبت ٢٢ من شعبان ١٤٤٠هـ، الموافق ٢٨ من أبريل ٢٠١٩م



فوزى مجد أبوزيد

البريد : الجميزة . محافظة الغربية ، جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeit.com

البريد الإلكتروني: fawzy@Fawzyabuzeit.com

fawzyabuzeit@hotmail.com,

fwzyabuzeit@gmail.com,

fawzyabuzeit@yahoo.com

خصائص النبي رحمته الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ونحن في أيام الحبيب المختار، وأيامه رحمته الله منذ بعثته إلى أن يرث الله رحمته الله الأرض ومن عليها، فهذه مدته، وهذا عصره الممتد، وهذه فترة رسالته ونبوته التي آثره الله رحمته الله بها على من سواه.

نريد أن نفرح في أنفسنا لأن الله قال لنا في قرآنه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْتَفَرِّحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ ﴾ وهذه قراءة غير القراءة المشهورة: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨ يونس)، ودائماً، القراءة التي فيها خطاب يكون فيها مواجهة فتكون أجمل وأكرم، فالحق يخاطبنا، ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْتَفَرِّحُوا ﴾ فبماذا نفرح؟ بفضل الله علينا، ورحمة الله بنا.

صحيح أن فضل الله رحمته الله علينا برسول الله لا يستطيع أحد من الأولين ولا الآخرين عدّه ولا ذكره، تفصيلاً ولا إجمالاً:

فإن فضل رسول الله ليس له حدٌ فيُعرب عنه ناطقٌ بفم

ولكن نحاول على قدرنا أن نزيد حبنا للحبيب، وأن نزيد قربنا إلى المولى رحمته الله القريب؛ بذكر بعض الخصوصيات التي خصّ بها الله حبيبنا، وبعض الفضائل والمزايا التي خصّ بها أمة الحبيب ونحن من أمته أجمعين.

وخصائص رسول الله التي خصّه بها مولاه - أي أفرد به - لم يُشرك معه فيها أحدٌ غيره من أنبياء الله ورُسل الله، وهي التي سنحاول التلميح بها وليس توضيحها وشرحها لأن هذا يستغرق وقتاً طويلاً ... فله خصائص خصّه الله رحمته الله بها في الأولوية في مقام الأهمية، وله خصائص خصّه الله رحمته الله بها في حياته الدنيوية، وله خصائص خصّه الله رحمته الله بها في تشريعاته القرآنية دون سائر الأمة، وله خصائص في الدار الآخرة .. وهذه الخصائص بحرٌ عميق ينبغي على من يُريد أن يرتقي إلى مقام الصديق أن يغوص فيها، ليتعرف على بعض فضائل النبي، فيتخذة رفيقاً ونعم الرفيق، ويتخذة شمساً تضيئ له الطريق، حتى يصير من أهل التحقيق، وينال قُرب الله رحمته الله ورضاه، وهذا تقسيمٌ بحسب الترتيب الزمني.

وهناك تقسيمات أخرى منها خصائصه الجسمانية التي خصّه الله بها، وخصائصه القلبية التي أفرده الله تعالى بها، وخصائصه الروحانية التي انفرد بها بين جميع خلق الله علواً وسفلاً، وفضائل نورانية جعلت نوره له خصوصية يتجاوز بها الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، حتى يصل إلى مقام في القرب من ربه لم يصل إليه أحد من الأولين ولا الآخرين، وهناك خصائص أخلاقية خصّه الله ﷻ بها دون الأولين والآخرين، ومجملها يُشير إليه قول الله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤ القلم).

ما هذا الخلق العظيم؟ ينبغي لمن أراد أن يكون قريباً من القريب أن يتدبّره وأن يتخلق به ويتعلق قلبه بواهب الفضل والجود حتى يُكرم بالعطاءات التي بغير حدود، والتي أعطها الله ﷻ للحبيب ﷺ فضلاً بغير مجهود، وإنما من عين الجود الإلهي.

خصائص حضرة النبي لا نستطيع عدّها، ولكن نبدأ بالتسلسل الزمني لها لأنه موثّق بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والنفس ترتاح إذا وجدت التوثيق لما يُخبر به الإنسان عن الحبيب ﷻ، أو عن الله، أو عن دين الله ﷻ.

خصائصه في عالم الأولية

أول هذه الخصائص في عالم الأولية قبل خلق الأجسام، وقبل نزول آدم، لأن آدم لم يكن خلق قبل، وإلى هذا الإشارة بقول الله في (١١ الأعراف):

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾

خلفناكم جميعاً ثم صورناكم جميعاً، فالخلق والتصوير كان قبل خلق آدم، وأول الكائنات التي خلقها الله ﷻ هو سيد الكائنات ﷺ، قال ﷻ:

{ كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ }^٢

ويستحيل عقلاً وعرفاً وشرعاً أن يكون أول النبيين في الخلقة الجسمانية بل هو آخرهم، لكنه أولهم في الحقيقة النورانية الروحانية التي أوجدها رب البرية ﷻ.

ولما ارتاب البعض في هذا الأمر أجاب الله وقال في كتاب الله: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾ (٨١ الزخرف) من أول العابدين؟ إياك أن تقول الملائكة

^٢ مسند الشاميين للطبراني وأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

المقربين، لأن أول العابدين قبل الملائكة، وقبل الجن، وقبل الأنبياء، وقبل الكل، فمن أول العابدين؟ النبي ﷺ، وكلام من هذا؟ كلام الله، أفي الله شك؟! حاشا لله ﷻ، فكلام الله ﷻ صدق: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء: ١٢٢).

فالنبي ﷺ أول العابدين، واصطفاه الله ﷻ بعبادة خاصة مخصوصة دون كل العالمين، فكان بمفرده يعبد ربه ﷻ وهو روح نورانية.

لم يشاركه في هذه العبادة أحد، فقد كان يطوف حول العرش يُسَبِّحُ ويمجِّد ويمجِّد الواحد الأحد، ولم يكن هناك كائنٌ على الإطلاق، وهي العبادة التي خصَّه الله بها في البداية، ولم يشاركه فيها أحد، خصوصية لرسول الله ﷺ.

يُروى أن سيدنا رسول الله ﷺ قال لجبريل ﷺ:

{ يَا جِبْرِيلُ كَمْ عَمَّرْتَ مِنَ السِّنِينَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَسْتُ أَعْلَمُ، غَيْرَ أَنْ فِي الْحِجَابِ الرَّابِعِ نَجْمًا يَطْلُعُ فِي كُلِّ سَبْعِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَرَأَيْتُهُ سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَعِزَّةَ رَبِّي أَنَا ذَلِكَ الْكَوْكَبُ }^٣

وهذه لها الإشارة في الآية القرآنية:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ (النور: ٣٥) وهي شجرة التوحيد للحميد الحميد ﷻ، وهي منزهة عن الشرق والغرب، لأن الله لا تحده الجهات، ولا تحيط به الأماكن، ولا يوصل إليه بالمسافات، لأنه تعالى في غلوه عن جميع الجهات والمسافات والكيانات، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

فكان ﷺ يطوف حول العرش وحده منفرداً بعبادة خاصة لربه ﷻ، وإياك أن تسأل نفسك - لأن هذا السؤال من النفس - عن كيفية هذه العبادة وشأنها، لأن هذا شأن خاص خصَّه به الله ﷻ، لا ينبغي لأحد سواه أن يعرفه:

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ (النجم: ١٠) فكان سرٌّ من سرٍّ، لا يُدَاعِ ولا يُشَاعِ لأنه بين الله ﷻ وحببيه صلوات ربي وتسليماته عليه.

^٣ رواه ابن الجوزي في مولد العروس عن أبي هريرة رضي الله عنه

أولية نبوته

فهو أول النبيين في الخلق الروحاني النوراني الإلهي، وآخرهم في الخلق الجسماني، وفي التكليف بالرسالة، وإبلاغ البعثة الإلهية إلى جميع أهل أمته المباركين؛... أهل الأمة الإسلامية:

{ كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ }^٤

والحديث في ذاته يُثبت حَصِيصَةً أُخْرَى لِلْحَبِيبِ، وهي قوله: (كنتُ أول النبيين) يعني لم يكن رجلاً عادياً، بل كان نبي، فالحديث يُثبت أنه أول الأنبياء.

والنبوة غير الرسالة، فالنبوة هي حالة الوصل بين النبي ومولاه، وليس شرطاً أن يُكَلَّفَ فيها بإبلاغ خلق الله، ولكنها بينه وبين مولاه فقط، وماذا يفعل فيها؟ يحصل فيها علوم من الحي القيوم، ويحصل فيها فهم من الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ويقتبس أنوار تتفجّر في قلبه، ويقتبس أسرار تمنلى بها مُهَجَّتَهُ، ويُترجم فؤاده بلذيد الوصال وجميل المناجاة لله جل في علاه في حالات وجد لا يستطيع أحدٌ وصفها إلا إذا دخل الجنة ووصف أهلها في حال قربهم ومناجاتهم لله رحمته الله، فهذه أطوار النبوة، وهي خصوصية بين الله رحمته الله ونبيه.

أما الرسالة فهي تكليفٌ من الله رحمته الله لعبد بإبلاغ الرسالة إلى غيره من خلق الله، ولذلك جعل الله رحمته الله من علماء الأمة رُسلًا فقال: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ﴾ (الأحزاب) ولكنهم رُسلًا بدون وحي، وإنما معهم الإلهام والتأييد من الله، والمدد من حبيب الله ومصطفاه، قال رحمته الله:

{ عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ }^٥

علماء وليسوا أنبياء، وقال رحمته الله:

{ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ اسْتَدْرَجَ النَّبُوَّةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ }^٦

والوحي يكون عن طريق جبريل أو عن طريق الملك، لكن الإلهام نوعٌ من أنواع

٤ مسند الشاميين للطبراني وأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

٥ الفوائد المجموعة للشوكاني

٦ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

الوحي وهو موجود: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥ الكهف) أما الوحي فقد انتهى، وسيدنا جبريل لم يُعد ينزل إلى الأرض برسالة بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وإن كان ينزل زائراً كل سنة في ليلة القدر.

فأقدم النبيين في النبوة وليس في الرسالة هو سيدنا رسول الله ﷺ، قال ﷺ:

{ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ }^٧

وآدم كان لا يزال طيناً لم تُنفخ فيه الروح من رب العالمين ﷺ، فثبتت نبوته قبل خلق الخلق، فهو نبي الأنبياء، ثم بعد ذلك هو رسول المرسلين ﷺ.

إذا فالنبوة من الأزل القديم، ولكن الرسالة بدأت من سن الأربعين عندما نزل الوحي عليه في غار حراء ومن وقت نزول: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (١١ الملق) وقبل ذلك كانت النبوة بينه وبين الله ﷻ.

وحتى نعلم هذا الأمر جلياً فإنه في كل زمان قبل بعثته كان الأنبياء وكان الرسل، والفرق بين النبي وبين الرسول أن النبي ينزل له تشريع خاص به، ولا يُكلف به غيره، فليس مسؤلاً عن غيره، ولكنه مسئول عن نفسه فقط، أما الرسول فينزل له تشريع يُكلف بإبلاغه إلى غيره، وأنبياء بني إسرائيل كانوا كثيرين، وكل نبي كانت نبوته لنفسه، ولم يكن مكلفاً بتبليغ الرسالة إلى غيره.

فكان ﷺ أول النبيين في النبوة قبل خلق الخلق صلوات ربي وتسليماته عليه وعليهم أجمعين.

بل إن الله ﷻ زاده تفضيلاً، فعندما خلق أرواح النبيين جمعهم في مقام معلوم - ولا أقول مكان - لأن عند الله لا مكان ولا زمان، والمكان والزمان عندنا فقط، بسبب الأرض والشمس ودورة الفلك، ولكن عند الله لا مكان ولا زمان، ونحن كذلك سنكون في الآخرة وفي الجنة لا مكان ولا زمان: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴾ (١١٣ الإنسان) لا يوجد هناك صيفٌ ولا خريفٌ ولا ربيعٌ ولا شتاء ولا شيء من هذا أبداً، فلا زمان ولا مكان وإنما تقديرٌ يُقدره لهم الله كما كانوا يعرفون أيامهم في الدنيا: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (٥ السجدة) يوم مقداره ألف سنة مما تعدوه في الدنيا.

٧ مسند أحمد وابن حبان عن العرياض بن سارية ﷺ

ولكن هناك لا زمان ولا مكان، ولا صبحٌ ولا مساء، ولا أيام، ولا شيء من ذلك، فقد تلاشت الحدود وأصبح الإنسان مع الله ﷻ بلا حدود ولا مسافاتٍ ولا جهاتٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١ الشورى).

ميثاق النبيين

فجمعهم الله ﷻ في مقام - ولا أقول مكان - لا يعلمه إلا هو، وأخذ عليهم العهد جميعاً أن يؤمنوا بهذا النبي ويتبعوه ويُسلموا لرسالته إذا حضره في الدنيا، ويأمروا أتباعهم أن يبايعوه ويتبعوه إذا وصلوا إلى زمان بعثته ورسالته ﷺ، وهذا الكلام وثقه الله في القرآن: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ (٨١ آل عمران) وكلمة (الله) هي الاسم الجامع لجميع الأسماء والصفات، وهذا غير ميثاقنا الذي كنا فيه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ (١٧٢ الأعراف).

وفرق كبير بين (أخذ ربك) وبين (أخذ الله) فالرب هو المرئي الذي يُرى عباده ويتولاهم بتربيته بأرزاقهم وأنوارهم والماء الذي يحتاجونه وكل شيء يحتاجونه في حياتهم وفي دنياهم، فهذا هو المرئي، ولذلك الميثاق هنا لهؤلاء ولهؤلاء، فميثاق بني آدم لكل أولاد آدم، للشقي والسعيد، وللمؤمن والكافر.

لكن ميثاق الأنبياء كان بلفظ (الله) وهو الاسم الجامع لكل الأسماء والصفات، وهو الاسم الوحيد الكامل لأنه حتى لو حذفت أي حرف منه يُعطي معنىً صحيحاً، فلو حذفت الألف فيكون (لله) ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٢٨٤ البقرة) ولو حذفت اللام تكون (له): ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْأَلْبَاءِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١١٣ الأنعام) ولو حذفت اللام الثانية يكون (هو): ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٣ الحديد)، فإذا حذفت أي حرف منه فإن باقي الحروف تدل عليه لأنه الاسم الجامع لجميع الأسماء والصفات، والأسماء والصفات للتخلق، واسم الله للتعلق.

الأسماء والصفات الأخرى قال حضرة النبي لنا في شأنها:

{ إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مِائَةَ خُلُقٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ خُلُقًا، فَمَنْ أَتَى اللَّهَ ﷻ بِخُلُقٍ مِنْهَا وَاحِدٍ، دَخَلَ الْجَنَّةَ }^٨

٨ المطالب العالية لابن حجر وشعب الإيمان للبيهقي عن عثمان بن عفان رضي الله عنهما

وانتبه للحديث، فلم يُقل من تعلق بها، ولكن من أتى بخلق واحدٍ منها دخل الجنة، ما الفائدة لو أمسكت بالمسبحة وكررت (يا لطيف) مائة ألف مرة وأنا فظٌ وغلِيظٌ في تعاملِي مع أهلي ومع الآخرين؟! فهل استفدتُ من ذلك في تعاملِي مع الآخرين؟! لا، لأنها للتخلق... إذاً ماذا أفعل باسم الله اللطيف؟ أتخلق به فأكون لطيف مع أهلي، ولطيف مع الناس أجمعين، ولطيف في معاملاتي، ولطيف في أحوالي، ولطيف في أقوالي، فأكون صورة لاسم الله اللطيف في كل تصرفاتي.

وعندما أقول (يا عفو) مائة ألف مرة، أو كما اختار بعض الصالحين التسبيح بـ (يا غفار) مائة ألف مرة، وأنا يستحيل أن أغفر لإنسان زلّة واحدة، أو خطأ أخطأه نحوي، وأكون شديد المراس في هذا الأمر، فهل أكون قد ذكرتُ الله باسم الله الغفار؟! لا أنا تشدّقت باسم الله الغفار، ومن الجائز أن يكون لي حسنات، ولكن لم أصل للغاية التي حدّدها حضرة النبي وهي التخلق بهذا الخلق الكريم.

أو أقول (يا كريم) مائة ألف مرة، وأنا يدي لا تُفتح بالمرّة، لا للمحتاجين ولا للفقراء ولا للمساكين ولا حتى لأهل بيتي، أشدّد عليهم وأقول لهم: اصبروا، وأنا معي ما أنفقه عليهم، فأين اسم الله الكريم هنا؟!.

فالأسماء الحسنى كلها للتخلق، بعضهم قسّم أسماء الله إلى ثلاثة أقسام: أسماء جمال، وأسماء جلال، وأسماء كمال.

أسماء الجمال سبعين اسماً مثل الغفار، الباسط، الودود، الرحيم، الرزاق.. وهي التي قال فيها الله ﷻ لحضرة النبي: ﴿أَسْتَغْفِرُكُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُكُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ يعني بعدد أسماء الجمال ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (٨٠ التوبة) لأنها الأسماء التي فيها جمال، يعني فيها معاملة كريمة من الله ﷻ لمن تخلق بها.

وأسماء الجلال مثل القهار، الجبار، المنتقم.. فكيف أتخلق بها؟ أتخلق بها على شيئين اثنين، على نفسي أولاً، لأن النفس تحتاج إلى الشدة، وعلى أعداء الله الذين بارزوني وأعلنوا الحرب عليّ، وهي التي قال فيها الله في كتاب الله وفي أصحاب رسول الله ولنا ولمن بعدنا إلى يوم القيامة من أصحاب رسول الله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٢٩ الفتح) أشداء على الكفار وليس على المؤمنين.

ولماذا الشدة على النفس؟

لأنه كما قال الله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (٥٣ يوسف) لم يقل: (آمرة) فتكون مرة واحدة وينتهي الأمر، ولكن قال: (أماره) يعني لا تكبل ولا تمل من الأمر بالسوء إلا من رحم ربي، فماذا أفعل؟ أجاهدها، والجهاد يحتاج إلى الشدة، فلا بد أن أشتد عليها:

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فإثم

إياك أن تترك لها، فمن يركن لها يضيع: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات) فكيف أتهاها عن الهوى إلا بالشدة، لا بد وأن يشتد في أمرها، فيلزمها بشرع الله، والتأسي بحبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

أما أسماء الكمال فهي محاسن الخلال، وأشرف الخصال لمن اختاره الله واجتباها، وأعانه على نفسه وعلى دنياه، وصار قريباً من القريب جل في علاه، فإن الله يتفضل عليه ويكسوه هيبة هذه الأسماء، فيكون وارثاً لسيد الرسل والأنبياء.

إذاً الربُّ للربوبية حتى لا نتعد عن موضوعنا، لكن خطاب الله لحبيبه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ (آل عمران ٨١) من الذي أخذ؟ الله بذاته وبجميع أسمائه وصفاته، وليس الملائكة أو غيرهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ (آل عمران) يعني عهد النبيين.

﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾ (آل عمران) حتى نعرف أن النبوة يكون معها الكتاب والحكمة، وليس الكتاب الذي نزل به النبي، فهذا كتاب آخر فيه الحقائق الإلهية والرفائق الربانية.

ولذلك الخطبة التي خطبها سيدنا عيسى وهو لا يزال طفلاً صغيراً في المههد، عندما اهتموا أمه السيدة مريم ووصفوها بكذا وكذا، فأشارت إليه ليُرَدَّ عنها، فماذا كانت خطبته هو لا يزال في المههد صبياً؟ قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ (٣٠ مريم) وهل أصبح عبداً؟ إنه كان طفلاً، ولكنه كان يتكلم عن منزلته عند الله ﴿ءَاتَنِي الْكِتَابَ﴾ (٣٠ مريم) وهل كان معه كتاب في هذه اللحظة؟ لا، ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم) هذه هي العلوم التي استقاها في عالم النبوة مباشرة من الله ﷻ ...

لأن النبوة أزلية.

متى أخذ الله علي النبيين الميثاق؟

قبل يوم ميثاقنا في يوم (ألستُ بربكم) وكانوا أنبياء من وقتها، ومن وقتها وهو يربهم في حجر الألوهية، ويربهم الله ﷻ بعلمه الوهية واللدنية، وهي تربية خاصة، ومدرسة خاصة لا يدخلها من الأولين ولا الآخرين غيرهم، لأنها تربية خاصة بينهم وبين مولاهم ﷻ.. فالكتاب هنا يعني كتاب الحقائق، الذي فيه الحقائق التي فيها ما كان وما هو كائن وما سيكون: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١١٣ النساء) ... ﴿ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ (٨١ آل عمران) كتاب وحكمة، وهذا مرموز إلهي عالي يلزم كل من أقام نفسه، أو أقامه ربه مقام هؤلاء المبشرين والمنذرين، أن يكون معه هبة أو فتح من علم الكتاب، ومعه الحكمة في تبليغ هذا الكتاب، التي كان عليها النبيين والمرسلون.

فإذا لم تكن معه هذه الحكمة فسيحدث مشاكل لا عد لها ولا حد لها مع خلق الله: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩ آل عمران) ينفضوا من حولك على الفور، لكن الآخر: ﴿ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥ الكهف) الرحمة أولاً، ثم العلم ثانياً... ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ (٨١ آل عمران) لم يقل نبياً، وإنما قال: (رسول) فهنا الرسالة لرسول الله، فيكون هو رسول كل الأنبياء.

﴿ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ (٨١ آل عمران) معه خاتم التصديق، ومعه الشهادة يوم القيامة عليهم بالتصديق، عندما يُعرضوا على الله، قال ﷻ:

{ يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ }^٩

كيف يشهد عليهم من غير أن يرى أحوالهم وأحوال أممهم؟! لا بد وأن يكون قد رأى، فهل رأى بعينه أم بعين الله؟ أعطاه الله عيناً من عينه فرأى ما لم يرى غيره، بسر العين التي وهبت له من ربه ﷻ.

٩ سنن ابن ماجه ومسند احمد عن أبي سعيد الخدري

ولذلك الإمام مالك ﷺ قالوا له: كيف رأى محمد ﷺ ربه؟ فقال ﷺ: ((غاب محمد ﷺ عن حسنه ونفسه، واحتيا بربه، فرأى بما فيه من نور الله الذي قواه به الله ما يستطيع تحمله من أنوار مولاه جل في علاه)) لكن هل العين الطينية ترى بعضاً من غيوب وأنوار الله؟ لا ... الشيخ محي الدين بن عربي كان يتكلم في هذا الموضوع، وأحد الصالحين سأله: كيف تكون الرؤيا؟ وكيف يستطيع الإنسان أن يرى الله ﷻ؟ وصف هذا الأمر كما وصفه الإمام مالك ﷺ وأرضاه:

إذا تجلّى حياً بي بأي عاين أراه
بعينه لا بعيني فما يراه سواه

نرى بعينه هو، والحديث يوضح ذلك:

{ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ
الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ }^{١٠}

فينظر بعين الله، ويسمع بسمع الله، وليس بسمعه وبصره هو، ولكن لا بد أن يكون هذا الجزء الخارجي قد اختفى في هذه الآيات: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ هذا الجبل (الجسم) مع الجبل الآخر: ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ (١١٤٣ الأعراف) انتهت الأحاسيس الظاهرية، وهنا سيدنا موسى رأى بالله ما تمناه من مولاه جل في علاه.

لكن الفرق بينه وبين الحبيب أن موسى رأى ما رأى وهو فوق جبل الطور، والحبيب رأى ما رأى وهو في قاب قوسين على بساط النور، وهذا الفارق بين المنزلتين الكبار ... فكان موسى في سيناء، لكن النبي كان قاب قوسين أو أدنى، وإياك أن تظن أنه مكان، ولكنه مقام، نريد أن نخرج من حيز المكان والزمان، لأن الله ﷻ لا يُجَيِّزُهُ زَمَانٌ وَلَا مَكَانٌ !!! .. فليس معنى هذا أنه رأى الله في قاب قوسين - حاشا لله - وهو في المألى الأعلى، فقربه من العرش كقربه من الفرش، وكما أن الحبيب ﷺ في قاب قوسين ما غاب عنه مولاه طرفة عين، فكان كذلك وهو على بساط الأرض لا يغيب عنه مولاه طرفة عين ولا أقل ... ولكن هذا لإظهار المنزلة والمكانة، لأنها منزلة لم يصل إليها أحد من الأنبياء أو المرسلين أو الملائكة المقربين، حتى أن زعيم الملائكة قال له: إلى هنا ينتهي مقامي ولا أستطيع أن أتجاوزه: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (١٦٤ الصافات):

١٠ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

مقام وليس مكان، لأن كثير من الناس يأخذون هذه الأمور على الأوصاف الحسية فيقولون مكان، لكنه مقام بدون حيز.

﴿ تُمْرَ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّمَّا مَعَكُمْ ﴾ ماذا عليهم؟ ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ﴾ (آل عمران) فلا بد للأنبياء جميعاً أن يؤمنوا به بأنه رسولهم ونبیهم وإمامهم.

﴿ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ (آل عمران) كيف ينصروه وقد جاءوا قبله؟ بأن يجربوا أمهم بأوصافه وصفاته، ويوصونهم بأن كل من حضر زمنه منهم أن يتبعه ويمشي معه ويعينه على إبلاغ رسالات الله، وهل فعلوا ذلك؟ نعم فعلوا ذلك كلهم، سيدنا عيسى بشر، وسيدنا موسى بشر، وسيدنا إبراهيم بشر.

{ فقد سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا بَدَأَ أَمْرِكَ؟ قَالَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عَيْسَى }^{١١}

تجديد البيعة

وحقق الله ﷻ لهم - وهي من أسرار الإسراء - هذه البيعة بعد بعثته الدنيوية تماماً، فأحيا أجسادهم، وجمعهم في بيت المقدس ليُجددوا هذا العهد على حبيب الله ومصطفاه، وصلى بهم إماماً، وهذا دليل على إمامته لهم وزعامته لهم، وكانوا مائة وأربعة وعشرين ألف نبي في سبعة صفوف خلفه يصلون بصلاته، وأمسك جبريل بيمنه وقال: تقدم وصل بهم فأنت إمامهم:

صُفُّوا ورائك إذ أنت الإمام لهم قد با يعوك على صدق المتابعة
أبوهم أنت يا سرَّ الوجود ولا فخر وسرُّهم قبل المعاينة
صلَّيت متوجهاً لله معتصماً بالله حتى بدا نور المفاضلة

فكان تجديد البيعة لهم في هذا اليوم، وناهيك عن إظهار زعامته في الدار الآخرة، وهذه لها موقف آخر سنتحدث عنه لاحقاً إن شاء الله.

لكنه ﷺ بعد أن أخذ الله عليهم الميثاق جاءهم تحذيرٌ شديدٌ من الله ﷻ من عدم الوفاق: ﴿ قَالَ: أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ يعني عهدي؟ ..

١١ مسند أحمد والروايي عن أبي إمامة

﴿ قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا ﴾ وأظهر لهم جماله ليشهدوه ويباعوه: ..
 ﴿ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (آل عمران) ثم انذرهم فقال: ﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران) انظر إلى التهديد والوعيد لأنبياء الله ورسل الله الذين جعلهم الله ﷻ من أمة حبيبه ومصطفاه، قال سيدنا موسى كما روي عنه: (النبي الذي يأتي من بعدي اسمه أحمد أمي أن أحمل حذاه) ... ولما نزلت الألواح وقرأها سيدنا موسى ورأى ما فضل الله به أمة الحبيب ﷺ على سائر الأمم قال:

{ يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً هُمْ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً هُمْ الشَّافِعُونَ الْمَشْفُوعُ لَهُمْ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً هُمْ الْمُسْتَجِيبُونَ وَالْمُسْتَجَابُ لَهُمْ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً أَنَا حِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ يَقْرَءُونَهُ ظَاهِرًا، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً يَأْكُلُونَ الْفَيْءَ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً يَجْعَلُونَ الصَّدَقَةَ فِي بُطُونِهِمْ فَيُوجِرُونَ عَلَيْهَا، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةً، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِسَيِّئَةٍ لَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلْهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةً يُؤْتُونَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ، فَيَفْتُلُونَ قُرُونَ الضَّلَالَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ قَالَ: يَا رَبِّ، اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدُ {^{١٢}

اجعني من هؤلاء لأنال ما نالوا من هذا الفضل فقال له الله:

١٢ دلائل النبوة لأبي نعيم، وابن عساکر عن أبي هريرة ﷺ

{ **اسْتَقْدَمْتُمْ وَاسْتَأْخَرُوا يَا مُوسَى** }^{١٣}

فكلهم تمنوا أن يكونوا من أمته، وبالفعل بعد أن بايعهم الله بيعة الميثاق، جدد العهد لهم في بيت المقدس وصاروا جميعاً من أمته.

وسينزل رجالٌ منهم في آخر الزمان ليس بنبوتهم، ولكن كتابع له ﷺ ومن جملة أمته وهو سيدنا عيسى، قال ﷺ في الحديث الصحيح:

{ **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِزْيِيرَ وَيَضَعُ الْجُرْيَةَ** }^{١٤}

سينزل إماماً من المسلمين، ولذلك في الروايات الصحيحة أنه عندما يذهب إلى بيت المقدس ويكون ذلك في وقت صلاة الظهر أو العصر، وقد أقيمت الصلاة، ويقدموه، فيقول لهم:

{ **إِمَامُكُمْ مِنْكُمْ** }^{١٥}

يقول هذا الكلام لأمة محمد، ويصلي خلف إمام المسلمين، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتمّ السلام، وأدلة نزوله موجودة في القرآن، قال الله في القرآن: .. **﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾** (٤٦ آل عمران) وكهلاً يعني شيخاً، وسيدنا عيسى رفعه الله وعنده ثلاثة وثلاثون سنة: **﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾** (١٥٨ النساء) ... فإذا لا بد أن ينزل حتى يستوفي الكهولة.

البعض فقههم ضئيل في هذا المقام فيقولون: ماذا يفعل في السماء وليس فيها طعام ولا ماء ولا مكان لقضاء الحاجة؟! فقلت له: يا أخي إن هذا شيء ليس بغريب، فأهل الكهف توفاهم الله ثلاثمائة سنة شمسية، أو ثلاثمائة وتسعاً سنة قمرية، كما وضحت الآية، والموت أخو النوم، فالنوم نسميه الموتة الصغرى، فهو نائم إلى أن يُنزله الله، فماذا في ذلك؟! الذي ينام مائة سنة كالعزير كمن ينام ثلاثمائة وتسعاً كأهل الكهف، كمن ينام كل هذه السنين حتى ينزل، وهذه مثل هذه، وكلها مثل بعضها نومة، ولكن سينزل في آخر الزمان لتكون حُجَّةً لأمة النبي العدنان على سائر الأمم.

١٣ حلية الأولياء لأبي نعيم والسنة لابن أبي عاصم عن أنس ﷺ

١٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

١٥ مسند أحمد وشرح السنة عن أبي هريرة ﷺ

جمعه ﷺ لمقامات الأنبياء والمرسلين

فرسول المرسلين، ونبي النبيين سيدنا محمد ﷺ له السبق في جميع المقامات، وانظر إلى المقامات التي تفضل الله ﷻ بها على أنبياء الله ورسل الله، فتجد السبق فيها كلها لحبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

ما من خصوصية أعطاها الله لنبي من الأنبياء إلا وأعطاهها لإمام الرسل والأنبياء وزاده عليها، إذا كان موسى قد جعل الله له العصا ثعباناً، فإن سيدنا رسول الله ﷺ عندما جاءه رجل من أهل حضرموت، وقد أخذ تجارته أبو جهل، والكفار تهكموا قالوا له: اذهب إلى محمد بن عبد الله وهو الذي يحضر لك تجارتك.

فذهب إليه، فمشى النبي معه إلى بيت أبي جهل، فدق النبي الباب، فخرج أبو جهل وعندما رأى النبي ارتعد وارتعش، فقال له النبي:

{ أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ ، فَقَالَ: نَعَمْ، لَا تَبْرَحْ حَتَّى أُعْطِيَهُ الَّذِي لَهُ، قَالَ: فَدَخَلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ أَسْرَعَ الْكُفَّارَ إِلَى أَبِي جَهْلٍ وَسَأَلُوهُ: وَيْلَكَ، مَا لَكَ؟ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَنَعْتَ، فَقَالَ: وَيْحَكُمْ، وَاللَّهِ إِنْ هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ الْبَابَ وَسَمِعْتُ صَوْتَهُ فَمِلْتُ مِنْهُ رُعْبًا فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، وَإِنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ لَفَحْلًا مِنَ الْإِبِلِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ وَلَا قَصْرَتِهِ وَلَا أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطُّ، وَاللَّهِ لَوْ أَبَيْتُ لَأَكَلْتِي ^{١٦}.

هم لم يروا هذه الأمور، ولكن أبو جهل كاشفه الله ﷻ بها.

وعندما تاه قوم موسى في سيناء أربعين سنة، وكان معهم حجر فكان يضرب بعضاه الحجر فيخرج منه اثنتا عشرة عينا من الماء، وهم كانوا اثنتا عشرة عائلة وهم أولاد الأسباط إخوة سيدنا يوسف الإثنا عشر، وكل عائلة عددها خمسون ألفاً، فكانوا ستمائة ألفاً، فكل عائلة تشرب من عين من الحجر.

ولكن الحبيب مرات لا تُعد كانوا يشربون من أصابعه، فما الأقوى في الإعجاز

١٦ دلائل النبوة لأبي نعيم وللبيهقي

الحجر أم الأصابع؟! الأصابع ليس فيها غير الأعصاب والدم، لكن يشرب منها الجيش مثلاً في الحديبية - والأمثلة مليئة بذلك في كتب السيرة، قال جابر بن عبد الله ﷺ:

{ عَطَشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ، فَجَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: مَا لَكُمْ، قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرِّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَتُّورُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ، لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَّانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً }^{١٧}

وضع ﷺ يده في الإناء فتفجرت العيون حتى شرب الجيش كله وتوضئوا، وشرب ما معهم من الإبل والخيول، وملأوا أسقيتهم.

سيدنا موسى ﷺ وقومه لما مشوا في صحراء سيناء، وكان الله يدلهم كثيراً، ولذلك زادوا هم في التدليل!، فقالوا: الجو حار، فأرسل لهم الله سحابة تُظلمهم، فأظل الله موسى بالسحاب في زمن نبوته، لكن الحبيب أظلمه الله به قبل زمان نبوته، وهو ذاهب لتجارة السيدة خديجة، وهو ذاهب مع عمه أبو طالب، كانت السحابة تُظلمه ﷺ.

سيدنا موسى ضرب بعصاه البحر فانفلق، ... وسيدنا رسول الله ﷺ كان على ساحل وادي، والوادي مملوء بالماء ... :

{ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيَنْ تُرِيدُ؟ قَالَ: إِلَى أَهْلِي، قَالَ: هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟ قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ: وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَيَّ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: هَذِهِ السَّلْمَةُ، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُذُ الْأَرْضِ خَدًّا حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا، وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنَّ اتَّبَعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ، فَكُنْتُ مَعَكَ }^{١٨}

١٧ صحيح البخاري ومسنند أحمد عن جابر ﷺ

١٨ سنن الدارمي وابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما

الشجرة خدَّت الأرض، يعني مالت يميناً وشمالاً، ومشيت حتى جاءت إلى حضرته ﷺ!! وكان دائماً وأبداً إذا سافر يُععد عند قضاء حاجته، ولم يكن هناك دورات حديثة، ولكن الحبيب كان نظيفاً فيُعَد عند قضاء الحاجة، ويذهب إلى مكان عال يتوارى خلفه لأنه كان شديد الحياء من ربه ﷻ ومن الخلق، روى ابن عباس ﷺ، قال:

{ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَمَعَنَ فِي السَّيْرِ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتُرُهُ، فَدَعَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: انْطَلِقْ إِلَى تَيْنِكَ الْإِشَاءَتَيْنِ، يَعْنِي النَّخْلَتَيْنِ، فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَقْتَلِعَا بِأُصُولِكُمَا وَعُرُوقِكُمَا حَتَّى تَسْتُرَاهُ، فَاتَّاهُمَا، فَقَالَ لَهُمَا: فَفَعَلْتَا، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَاجَةَ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: انْطَلِقْ إِلَيْهِمَا فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَرْجِعَا مَكَانِكُمَا، فَفَعَلْتَا }^{١٩}.

كل معجزات الأنبياء بلا استثناء أعطها الله لسيدنا رسول الله ﷺ أضعافاً مضاعفة، وفي ذلك لو أردنا أن نُفَصِّل نحتاج إلى وقتٍ طويل، لأن معجزاته التي أثبتتها الكتب حوالي ثلاثة آلاف معجزة، غير القرآن الكريم المعجزة الباقية إلى يوم القيامة.

ظهور نوره للملائكة في آدم

من خصائص حضرة النبي ﷺ العلوية الأولية الذاتية، أن سيدنا آدم عليه وعلى آئنا آدم أفضل الصلاة وأتم السلام، لما أراد الله ﷻ تكوينه وخصمه بخلافته: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة ٣٠)

فأوحى الله ﷻ إلى جبريل أن يأتيه بتراب من الأرض ليُكوِّن منه جسم آدم، فنزل جبريل فاستعادت الأرض بالله منه فرجع، وميكائيل وإسرافيل كذلك، فنزل عزرائيل فقالت له الأرض: أستعيذ بالله منك، فقال:

{ وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ أَنْفِذْ أَمْرَهُ، فَأَخَذَ مِنْ وَجْهِ الْأَرْضِ }^{٢٠}

١٩ رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما

٢٠ الأسماء والصفات للبيهقي وتاريخ الطبري عن عبد الله بن مسعود ﷺ

هذه العينة من موضع الأرض الذي خاطب الحق ﷻ عندما قال الله للأرض وللسموات: ﴿ أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ (١١ فصلت) فنطق موضع من الأرض وموضع من السماء: ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (١١ فصلت) موضع الأرض الذي فيه الكعبة، وموضع السماء الذي فيه البيت المعمور وهو مقابل الكعبة مباشرة.

فصُنعت طينة آدم من موضع البيت الحرام، لأنه الموضع الذي أجاب المولى ﷻ وقال: أتينا طائعين، وحمّر الله ﷻ طينة آدم بماء التسنيم، وكانت الملائكة تمرُّ عليه صاعدة وهابطة ولا تعلم من أمره شيئاً، لأنه غيبٌ من غيوب الله ﷻ.

ثم نفخ فيه الله ﷻ الروح: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُدْ سَاجِدِينَ ﴾ (٢٩ الحجر) وأمرهم أن يسجدوا لهذا النور الذي ظهر في آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، والسجود هنا ليس كسجودنا للصلاة، ولكن السجود هنا التعظيم، يعني عظموا ما عظمه الله.

﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ

السَّاجِدِينَ ﴾ (الحجر) لماذا لم يسجد إبليس؟ بين الله ذلك في القرآن وقال: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ (٥٠ الكهف) كان أصله من الجن، لكنه واصل العبادة، كما ورد في الأثر: (ليس في السماوات السبع موضع أربع أصابع إلا وإبليس فيه سجدة لله تعالى) مشى في جهاد العبادات، لكن الجهاد والعبادات جعلته يغرّ، فأصيب بداء الغرور، فلما أمره الله ﷻ بالسجود، فتارة يقول: ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ (٦١ الإسراء) وتارة يقول: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (٧٦ ص) هذا من طين وأنا من نار، فرأى نفسه أنه أحسن.

وهذه في ذاتها دليلٌ على أن عباداته كلها لم يقبلها الله ﷻ، لأن الله ﷻ لا يريد من العبد في عبادته إلا عبوديته، يعني أن يرى أنه مُقصرٌ، ويرى نفسه مُذنباً، ويرى نفسه لا شيء في حضرة من يقول للشيء كن فيكون.

إذا وصلت العبادة إلى الغرور ضاع المرء، وهي الهفوة التي يسقط فيها كثيرٌ ممن يهتم بأمر العبادات في زماننا هذا ويجعلون عليها المعول، ولا ينظرون إلى فضل الله ورحمته، لقد قال الله تعالى على لسان حبيبه ووصيّه ﷺ:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ ۲١، وفي رواية أخرى:

{ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَقَضَلٍ ۲٢ }

وأشار الله ﷻ إلى الملائكة المكلفين بالسجود فقال ﷻ: ﴿يَتَابِلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (ص٧٥) لأن الإنسان كَرِيمٌ لأنه المخلوق الوحيد الذي خُلق باليدين، فقد خلق الله ﷻ الملكوت بيد قدرته، وقال: ﴿بِيَدِهِ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (١٨٨ المؤمنون) وخلق الملك بيد أخرى: ﴿تَبْرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ (الملك) ولم يخلق أحداً باليدين - يعني فيه الملك والملكوت - إلا الإنسان: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ (ص٧٥).

ظاهرك مُلك، وباطنك ملكوت، ظاهرك عالم الظاهر، وباطنك عالم الباطن، ظاهرك طين، وباطنك نور رب العالمين، ظاهرك شهادة، وباطنك غيب، هل يعرف أحدُ الغيب الذي بداخلك، إن كان الروح أو العقل أو الفؤاد أو غيره؟ لا أحد.

فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي فيه المُلك والملكوت، ولذلك استحق خلافة الحي الذي لا يموت، فالملائكة مع علو قدرهم لكنهم عالم النور فقط، ولذلك يقفون عند مقام محدود، والإنسان فتح الله ﷻ له كل أركان الوجود، وكل خزائن الكرم والجلود، لأنه خليفة عن الله ﷻ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة ٣٠) عن الله ﷻ.

فإبليس قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ (ص٧٦) ولذلك عندنا في عُرف الصالحين: ((من قال أنا فقد نأى)) من يرى نفسه يكون من هذه اللحظة بعيد عن ربه ﷻ، ولو نظرت إلى كلمة (أنا) ونطقت بها أو قرأتها من الخلف، تجدها نأى، ونأى يعني بعد.

ولذلك دائماً يقول لنا السادة الصالحون: من أراد أن يبلغ المراد عليه أن يبعد عن ثلاث حروف في القرآن كلها فيها ياء النسب: لي أو علي أو أنا: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ (٥١ الزخرف) كونه رأى هذه الأشياء ملكاً له ... فقد أضع توحيده لمن يقول للشيء كن فيكون.

٢١ مسند أحمد عن أبي هريرة ؓ

٢٢ معجم الطبراني عن طارق بن شريك ؓ

لكن الإنسان المؤمن يُلغى ياء النسب، فيقول: فعلت كذا بتوفيق الله، بعناية الله، بفضل الله، بإكرام الله.. ينسب الفضل كله لله: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (٥٣ النحل) فلا يقول بسبي أنا، أو بحولي، أو بطولي، ولكن ينسب الفضل كله لله ﷻ، ويجعل الأسباب غير فاعلة بنفسها إلا بسبب مسبب الأسباب ﷻ فيقول: من بركة الله عليّ أن صنع لي كذا، ومن فضل الله عليّ أن أكرمني بكذا، فدائماً ينسب الفضل لله ﷻ، فإبليس نسب الفضل لنفسه، ولذلك أضاع عبادة اثنين وسبعين ألف سنة، لم تنفعه وطُرد من رحمة الله في أقل من سنة، يعني في أقل من طرفة عين، لماذا؟ لأنه رأى نفسه، ونسي فضل الله عليه، وكرم الله له، وحول الله وطول الله له.

ولذلك حفظ الله هذه الأمة، وأمرنا في كل ركعة من ركعات الصلاة أن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة) أنا أعبدك، ولكن بالمعونة التي تأتي منك، ولو لم توجد المعونة من الله فكيف نعبده؟! وهذا فضل الله ﷻ على هذه الأمة.

قال الله تعالى: ﴿يَتَلَبَّسُوا مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (٧٥ ص) والعالين هم نوعٌ من الملائكة لم يؤمروا بالسجود لآدم، فهل استكبرت أم وضعت نفسك مع هؤلاء العالين؟! وهو ليس منهم، فكانت القاسمة له حتى نعرف أنه لا عصمة ولا فضل ولا إكرام إلا لمن وقف على أعتاب العبودية، وجعل الفضل كله لرب البرية ﷻ.

تجلى الله ﷻ في آدم بالنور؛ نور الحبيب ﷺ الذي وُضع في ظهره، والذي وصّى به ابنه شيث، وهو الوحيد الذي أتى وحده، لأن الله رزق آدم من حواء بعشرين بطناً، وكل بطن بها ولد وبنت وكانوا يتزوجون خلف خلاف، وجاء منهم واحدٌ بمفرده وهو شيث، وهو الذي كانت فيه النبوة، فأوصاه آدم وقال له: يا شيث انتقل النور الذي كان في ظهري إلى ظهرك، فتحرّى أكل الحلال، ولا تضعه إلا في أرحام الطاهرات، فسأله: ما هذا النور؟ فقال له: نور مُحمَّد ﷺ، قال: وكيف عرفت مُحمّداً؟ قال: ما نظرتُ إلى شيء في الجنة إلا ووجدتُ اسمه مقروناً باسم الله ﷻ، ومكتوب على نحور الحور العين، ومكتوب على أشجار الجنة، ومكتوب على أبواب الجنة، ومكتوب على كل شيء في الملكوت أو في الجنة: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله).

رأى الملائكة هذا النور فسجدوا، ولم يرى إبليس - لعماه - إلا طينة آدم فلم يسجد لأنه لم يرى النور الذي في ظهر آدم، يقول في ذلك سيدي علي وفا:

لو أبصر الشيطان طلعة نوره في وجه آدم كان أول من سجد
أو رأى الثمروذ بعض جماله عبد الجليل مع الخليل وما جحد
لكن نور الله جلّ فلا يُرى إلا بتخصيص من الله الصمد

من رأى النور سجد للنور الذي رآه، ومن لم ير غير ظلمة الطين فقد حجبته رب العالمين، لأن من حجبته هنا نفسه الإبليسية بما فيها من كبر وغرور، لكي نعرف ونعلم علم اليقين أن ما يحجبنا عن مشاهدة الأنوار هي النفس، فأنت فيك كل الأسرار وفيك الأنوار، ولكن الذي يحجبك نفسك التي بين جنبيك.

نور الله في الإنسان المستخلف عن الله

إذا جاهد الإنسان نفسه تجاوز لبسه، ورأى ما فيه من النور الذي وضعه فيه ربّه ﷻ: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢١ الداريات) ألا ترى النور الذي بداخلك؟! وفي القراءة الأخرى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ألا ترونه بداخلكم؟ من الذي بداخلكم؟ الذي قال فيه الله: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ (١٧ الحجرات) هو الذي بداخلنا، ولذلك آمننا، لماذا نطيع الله؟ ولماذا نمشي على النهج؟ للنور الذي بداخلنا: ﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ (١٠١ آل عمران) بداخلكم نور الرسول ﷺ: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا ﴾ من حضرته، فمن الذي يستطيع أن يهديه من العلماء أو غيرهم؟! ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (٤٠ النور) هذا النور قال فيه ﷻ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَالْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ }^{٢٣}

إن الله خلق الخلق في ظلمة، ثم رشّ عليهم من نور حبيبه ﷻ، فمن أصابه ذلك النور وفق واهتدى، ومن لم يُصبه ذلك النور ضلّ وغوى ... ففضل الله ﷻ علينا أن الله رشّ علينا في الأزل القديم من نور حبيبه ومصطفاه، ولذلك سمعنا خطاب الله، وأجبتنا الله ﷻ بما ذكر الله في كتاب الله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ (١١٧٢ الأعراف) من الذي قال ذلك؟ نحن فقط، وقلنا: (بلى شهدنا) وليس: سمعنا.

٢٣ جامع الترمذی ومسنند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

لكن هؤلاء يشاهدون؟ لا، لأنهم عمي ﴿ وَتَرْتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف ١١٩٨) ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج ٤٦) وقلوبهم قال فيها الله: ﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَأَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ (الأعراف ١١٧٩) هل الآذان الظاهرة؟ لا، لكن الآذان الداخلية، فقلوبهم مظلمة ... هم بلغوا ناطحات السحاب بالعلم الظاهر، لكن علم الباطن لا يوجد عندهم، خربٌ ليس فيه شيء من نور الله، ولا من نور كتاب الله، ولا من هداية الله جل في علاه ... ومهما يصلون في المدينة فهل يصلون إلى ما فعله الشياطين في ملك سليمان؟! لا، ومهما يصلون في دقة النظام في أي مدينة من مدن العالم، فهل يصلون لدقة مملكة النحل؟! أو لشدة تنظيم مملكة النمل؟! النحل والنمل تعلموا بالإلهام، لا معاهد ولا جامعات ولا دكتوراه!!، وهم لن يصلوا إلى ذلك، لكن الهداية عناية من الله ﷻ لمن اختارهم الله ﷻ لعنابته، فأهل الله ﷻ المسلمين المؤمنين أهلهم الله ﷻ منذ الأزل القديم بالنور الذي جعله في قلوبهم من نور سيد الأولين والآخرين ﷺ .. حتى لو أن الإنسان بعد قليلاً هنا أو هناك يكون كما وضَّح النبي، ﷺ فقال:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَدْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ }^{٢٤}

الحجاب هنا بسبب الذنوب، وعندما يتوب ويرجع إلى الله، ويغسل الذنوب بالاستغفار، ويزيل الصدأ بذكر الله:

{ الْقَلْبُ يَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا جِلَاؤُهُ؟ قَالَ: تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى }^{٢٥}

فيغسل القلب بالاستغفار، ويزيل الصدأ بذكر الله، فيرجع إلى الجلاء البصري الذي كان عليه يوم عاهد الله في يوم الميثاق إن شاء الله، فيشهد ما كان شاهده: من ألسنتُ لم ننسَ ما قد شهدنا من جمال الجميل إذ خاطبنا فيشهد الجمال الذي شاهده من قبل، لكن الآخر أعمى البصيرة !!..

^{٢٤} سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

^{٢٥} الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

فماذا يجلي؟! وماذا يفتح؟! الطب الذي بلغوا فيه المدى الآن يستطيع أن يُجري عملية في العين الحسية، لكن هل يستطيع أن يُجري عملية في العين المعنوية لكي يرى بها الأنوار أو يرى فيها النبي المختار؟! لا يستطيع، فهو في عماء إلى يوم الدين، فسيدنا آدم ﷺ عندما ظهر فيه نور الحبيب ﷺ، وأمر الله الملائكة بالسجود، فسجد الملائكة الذين أمروا بالسجود كلهم أجمعون إلا إبليس، لكن عالين وعليين والكروبيين فهؤلاء لم يُؤمروا بالسجود في هذه الآتات المباركات.

آدم والخلافة في الأرض

لَمَّا قَدَّرَ اللهُ ﷻ - وهو قدير - أن يسكن آدم في الجنة، والسكن يعني إلى حين وليس دائماً: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة ٣٥) ولذلك سيدنا الإمام أبو الحسن الشاذلي ﷺ قالوا له: لم يخرج آدم من الجنة؟ قال: آدم خارج من الجنة منذ قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة ٣٠) لم يقل في الجنة، بل في الأرض، ولذلك الجنة كانت لمدة محدّدة، فلم يقل له اسكن أنت وذريتك، لكن أنت وزجك فقط، ولا بد أن ينزل على الأرض لتتم الخلافة عن الله ﷻ.

فكان تقدير الله ﷻ لآدم أن يسكن الجنة، وقدّر القدير ﷻ وهو قدير أن يهبط من الجنة لإتمام الخلافة، ودعك من أقاويل الناقلين عن اليهود، فإن كتب التفسير مليئة بالقدح في هذا الباب من الإسرائيليات التي نقلتها عن اليهود، فليس لنا شأنٌ بها بالمرّة، والآيات القرآنية صريحة وواضحة.... نزل آدم إلى الأرض ليتم الخلافة لله ﷻ، ولكنه استشعر أنه أخطأ، وأنه أذنب، لأنه لماذا لم يمكث في الجنة؟ ولماذا لم يستمر في الجنة؟ وكان طامعاً في أن يبقى في الجنة على الدوام، ونسي أنه لا بد أن ينزل إلى الأرض لتتم له الخلافة ويرجع إلى الجنة، ونسي أنه نزل من الجنة بذنب لتعرف أمته أنه خرج من الجنة بذنب، فكيف يدخلون وهم يرتكبون كل يوم مئات الذنوب؟! فماذا يفعلون؟ يتوبون كما تاب، فعلمه الله التوبة رحمةً بنا، لأنه لم يكن ذنب، فالذنوب لنا نحن، فعلمه الله التوبة، فتاب عليه، وكيف تاب عليه؟ قال ﷻ:

{ لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ، قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا عَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللهُ ﷻ: يَا آدَمُ! وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: لِأَنَّكَ يَا رَبِّ

لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ
الْعَرْشِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَيَّ
اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لِأَحَبُّ
الْخَلْقِ إِلَيَّ وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ { ٢٦

وهذا باب فتحه الله ﷻ لنا، أنا أريد أن أتوب فماذا أفعل؟ قال لنا الله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ ماذا يفعلون؟ ﴿ جَاءُوكَ ﴾ من يظلم نفسه ماذا يفعل؟
يذهب إلى رسول الله، ولم يقل جاءوا للكعبة، بل جاءوك أنت: ﴿ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾
ويوجد شيء آخر؛ لا بد وأن يرفع الطلب رسول الله: ﴿ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ ..
فوراً يجد: ﴿ لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (٦٤ النساء).

فإذا لم أستطع الذهاب إلى هناك، فأعمل مثل آدم، أسأل الله بحقه فإن الله ﷻ
يستجيب لي بفضله، كما استجاب لآدم عندما سأل الله بحقه!! ... فلو وقعت في أي
ذنب، أو وقعت في أي ورطة، أو أحتاج لأي طلب يتحقق، فأتوسل إلى الله بحبيب الله
ومصطفاه وأقول: اللهم بحق محمد إلا غفرت لي، أو اللهم بجاهه عندك افعلي كذا وكذا،
أو اللهم بسره عندك اصنع لي كذا وكذا!! .. ولا تلتفت لمن يقول: إن هذا شرك، فإن
هذا عين التوحيد، لأنني أسأل الله ولا أسأله هو، فأنا لا أقول: يا محمد افعلي كذا،
ولكنني أقول: يا رب بحق هذا الرجل!، والله ﷻ بذاته في قرآنه الكريم أقسم بحضرة
النبي فقال له: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١٧٢ الحجر) لعمرك يعني وحياتك،
وهل أقسم بحياة أحد من الأنبياء غيره؟! لا، أقسم بحياة رسول الله ﷺ لكي نعرف ونعلم
علم اليقين أن معنا سيدنا رسول الله بروحه وريحانه، كما قال الإمام البوصيري رحمه في
بُردته (قصيدته الشهيرة البردة):

ما سامني الدهر يوماً واستجرتُ به إلا وجدتُ جواراً منه لم يُضم
ومن تكن بحبيب الله نُصرتُه إن تلقه الأسد في آجامها تجم

فمن يستغيث برسول الله في أي أمر يتداركه الله ﷻ فوراً، ويغيثه بحضرتة، ويُلبيبه
من أجل استغاثته برسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

الفصل الثاني:

خصائص النبي ﷺ في الكتب السماوية^{٢٧}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله على نعمه، وعميم مزیده، وحزيل مواهبه التي خصنا بها وجعلنا بها من أحبائه، والصلاة والسلام على عروس الحضرة الإلهية، وزينة الأسماء والصفات الربانية، وسرُّ أسرار كل أهل العناية والخصوصية، سيدنا محمد، وآله، وصحبه، والمقتبسين من أنواره، والمنظورين بعين وداده، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين بمنّك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

تُعاود المسيرة مع خصائص النبي ﷺ التي خصَّه الله بها دون سائر النبيين والمرسلين، وكانت المحاضرة الأولى في خصائصة قبل إيجاد الخلق، أول ما خلق الله نور حبيبه ومصطفاه، ثم أخذ البيعة الخاصة للنبيين بالإيمان به وإتباعه وإظهار وبيان خصائصه هو وأمته لأتباعهم، ثم البيعة العامة التي اشترك فيها كل من يظهر على البسيطة ونحن منهم إلى يوم الدين، ثم ما شاهده آدم من علامات خصوصيته في الجنان، ووضوحها وبينهاها.

واليوم نُبين خصائصة التي حُصَّ بها في الكتب السماوية السابقة، وما يليها من أوليات خصَّه الله بها دون سائر النبيين والمرسلين.

فقد جاء وصفه ﷺ في التوراة المنزلة من عند الله وصفاً دقيقاً لم يترك شاردة ولا واردة في شأنه صلوات ربي وتسليماته عليه، وكذلك شأن أصحابه وأمتهم كلها، لعلُّ شأنها ببركة نبينا صلوات ربي وتسليماته عليه.

وحتى في كتبهم المحرّفة التي غيَّروها وبدّلوها والتي تُوجد في عصرنا هذا، فقد وجد الباحثون المُنصفون صفات النبي ﷺ واضحةً جلية، ليس بالإشارة ولكن بأوضح عبارة.

جمع إمام من الأئمة اسمه الشيخ رحمة الله الهندي، ثمانية عشر نصّاً في الكتب الكائنة بيننا الآن لليهود وللنصارى، وكلها تُبين وتُوضِّح بعبارات واضحة أوصاف حضرة النبي ﷺ، وأوصاف أصحابه وأوصاف أمتهم وذلك في كتابه (إظهار الحق).

وأنتم تعلمون أن القرآن ذكر ذلك، فقال الله تعالى في آخر آية في سورة الفتح،

وهذه الآية من الآيات التي يُجاب بها الدعاء، لأن فيها اسم الله الأعظم، لماذا؟ لأنها الآية الوحيدة في القرآن التي فيها كل حروف المعجم، كل حروف ألف باء موجودة في هذه الآية، واسم الله سيكون من هذه الحروف الهجائية، فيكون فيها اسم الله الأعظم.

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ ما سبق هو مثلهم في التوراه.

أما مثلهم في الانجيل فيكون: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعٍ أَخْرَجَ شَطَطَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢٩ الفصح).

وقد تكون الآية: ﴿ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعٍ أَخْرَجَ شَطَطَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾.

البيان الأول خصوصية إلهية للحضرة المحمدية، والمثل في الإثنين فيما جاء بعدها، فهذا يجوز وهذا يجوز، وكل المعاني تسير مع كتاب الله ﷻ.

وذكر الله ﷻ أن هؤلاء القوم البهتُ يعرفونه معرفة كمعرفة الأب لأبنائه: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ (١٤٦ البقرة) وهل يتوه الأب عن معرفة أبنائه؟! لا، إذا هي معرفة واضحة جلية ليس فيها شك.

ومن تمام هذه المعرفة أن الله ﷻ أنبهم وقال لهم موبخاً ومؤنباً وعاتباً: ﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧١ آل عم — ران) لماذا تكتُمون الحق وأنتم تعرفونه معرفة تامة شاملة؟ وظهرت الدلائل بعد ذلك على هذه المعرفة في أحداث كثيرة، ووقائع لا تُعد نكتفي بذكر بعضها، ففي ذلك الغناء.

فإن اليهود الذين يعرفونه ويعرفون أنه يُولد في مكة، ويسكن في طيبة - يهاجر إلى طيبة ويسكن فيها - بعضهم ترك بلاد الشام وجاء إلى طيبة موضع هجرته وسكن هناك انتظاراً لبعثته، وهم ثلاث قبائل: بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النضير، لماذا أتوا إلى هنا؟ لأن التوراة تصف موضع هجرته: (يُولد في مكة، ويهاجر إلى طيبة - وفي رواية طابا - وهي بلدة بين جبلين وذات نخل).

حتى صفة البلد التي يسكن فيها يعرفونها، فسكنوا فيها، لماذا؟ لأن بعضهم تعشّم أن يُبعث هذا النبي من بينهم فيحظوا بهذا الشرف، وبعضهم وهو الذي يعلم تمام العلم الحقيقة، أرادوا أن يكونوا أول المؤمنين به، والمؤيدين له، والقائمين بنصرتة تنفيذاً لوصية نبي الله موسى كليم الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتمّ السلام.

وصية تُبَعِّعُ

وهؤلاء اليهود الذين سكنوا المدينة ظهر منهم ما يدل على تمام معرفتهم، فعندما ذهب تُبَعِّعُ ملك اليمن ليغزو المدينة وكان ذلك قبل ميلاد النبي بثلاثمائة عام، خرج إليه أبحارهم وقالوا له: ارجع فإنك لن تستطيع أن تدخل هذه القرية، قال: ولم؟ قالوا: لأنها مهجر النبي الذي يُبعث في آخر الزمان، فاستشار من معه، وكان يصحب معه أربعمئة عالم، فأشاروا عليه بأن هذا القول صحيح، فبنى هؤلاء العلماء لكل رجل منهم بيتاً من طابق واحد، وبنى لزعيمهم منزلاً من طابقين، وقال له: هذا المنزل تسكن فيه أنت وذريتك حتى مجيء حضرة النبي فيكون هو بيت النبي، ملكاً للنبي ﷺ...

وآمن برسول الله ...

ولذلك تُبَعِّعُ هو أول من آمن بالنبي ﷺ وليس أبي بكر، لأن تُبَعِّعُ آمن بالنبي قبل بعثته بثلاثمائة سنة، أي قبل مولده، وترك رسالة مع كبير العلماء يُسَلِّمُها لابنيه، حتى يُسَلِّمُها من يحضر لديه النبي لحضرته، وكان آخرهم أبو أيوب الأنصاري ﷺ، من ذرية هذا العالم.

والنبي ﷺ كما تعلمون ترك للقصواء الحبل وقال لهم:

{ دَعُوها؛ فَإِنَّها مَأْمُورَةٌ }^{٢٨}

تمشي بخط سير رباني، فجاءت إلى قبالة هذا البيت وتحلحلت وأناخت، ... فجاء أبو أيوب وكان أقرب الناس إلى الناقة وأخذ رحل النبي إلى بيته، وجاء الأنصار يتنافسون ... فقال ﷺ له:

{ إِنَّ الرَّجُلَ مَعَ رَحْلِهِ حَيْثُ كَانَ }^{٢٩}

٢٨ معجم الطبراني ودلائل النبوة للبيهقي عن عبد الله بن الزبير ﷺ

وعندما دخل المنزل واستطاب له المقام، سأل أبا أيوب عن رسالة تُبَع، فجاء بها إلى حضرته، وفيها:

شهدتُ على أحمد أنه رسولٌ من الله باري النسم
فلو مُدَّ عمري إلى عمره لكنتُ نصيراً له وابن عمِّ
وجالدتُ بالسيف أعداءه وفرجتُ عن صدره كل همِّ

استفتاح اليهود به

فكان اليهود يعلمون علماً يقينياً أنه نبيُّ الختام، بل إنهم عندما كانت تحدث حروبٌ بينهم وبين أعداء لهم خارج المدينة كانوا يقولون: (اللهم بحق النبي الذي سيُبعث آخر الزمان انصرنا عليهم) وهذا اسمه استفتاح، كما قال الله: ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١٨٩ البقرة).

ولذلك عندما بُعث النبي ﷺ وهاجر إلى المدينة ما الذي جعل الأوس والخزرج يسارعون إلى الإيمان به وإلى بيعته، وإلى دعوته إلى مدينتهم لئُصرت؟ ما كانوا يسمعون عن حضرته من اليهود، وكانوا يعرفون أن هذا ميعاد هذا النبي، فكان لهم شرف السبق على هؤلاء.

يحكي سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه كان عبداً في المدينة، وكان على قمة نخلة يُهذَّب سعفها، وكان تحت النخلة اثنين من اليهود، وكان ذاك وقت مجيء النبي إلى قُباء، لأن النبي ﷺ أول ما دخل المدينة دخل إلى قُباء، فسمعهما وهما يتحدّثان ويقول أحدهما للآخر: أهو هو؟ فيقول الآخر: نعم، فيقول: أهو النبي المذكور عندنا في التوراة؟ فيقول له: نعم هو بصفاته، فيقول: أتؤمن به؟ فيقول: لا!!.

فنزل سلمان، وكان يبحث عن حضرة النبي، فقال: أهو النبي العربي؟ فلكزه صاحبه وقال له: ما لك وهذا الشأن؟! يعني كان يعرفونه ومرتقين ظهور حضرة النبي ﷺ بالعلامات والصفات والوقت والحين.

إسلام عبد الله بن سلام

كان أكبر علمائهم في المدينة عبد الله بن سلام ﷺ، فذهب إلى النبي ﷺ وقال:
{ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهَتَ مِنْهُمْ بَهْتٌ وَإِنْ عَلِمُوا
بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهْتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتْ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ
الْبَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالُوا: أَعَلَّمْنَا
وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخِيرْنَا وَابْنُ أَخِيرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ
اللَّهِ، قَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: شَرْنَا وَابْنُ شَرْنَا وَوَقَعُوا فِيهِ {^{٣٠}
قومٌ بُهتٌ، يعني يردُّون الحق بعد ظهوره، فالإنسان السوي عندما يظهر الحق
ويؤمن به وينتهي الأمر، لكن هؤلاء يردُّونه رغم شدة ظهوره، فهم قومٌ بُهتٌ، لكن
فضحهم عبد الله بن سلام رضي الله ﷺ عنه.

وأخبار اليهود ما صدَّهم عن الإيمان برسول الله إلا مصالحهم ومنافعهم، فقد كانوا
كُبراء في الدين، ولهم أتباع، وإذا آمنوا سيتجردون من هذه التبعية وهي كارثة بالنسبة
لهم، وكانوا يتكسَّبون من هذه الوظائف الدينية ما لا عد له ولا حصر له من المتع
الدينيوية، وإذا آمنوا فسيُحرَمون من ذلك، وقد كان ذلك أمر القسيسين والرهبان
والأخبار، كلهم الذي منعهم هو هذا الأمر الذي ذكرناه، لكنهم يعرفون ويعلمون علم
اليقين حقيقة رسول الله ﷺ.

إسلام زيد بن سعة

أحد أحبارهم وهو زيد بن سعة ذهب إلى النبي ﷺ وقال: يا مُحَمَّدُ انا أرى كثرةً
ضيفانك، وأريد أن أقرضك تمراً تردُّه بعد حينٍ عندما يتوافر عندك، والنبي رفض، لأنه لم
يكن له حاجة في هذا التمر ولم يطلب منه شيئاً، ولكن زيد ألحَّ لأمر في صدره يُريد أن
يتثبت منه، فاتفق مع النبي ﷺ على أن يردَّ له هذا التمر بعد جني الثمار من النخل،

٣٠ صحيح البخاري ومسنَد أحمد عن أنس ﷺ

وكان أمامها فترة طويلة.

والتمر كان يُعتبر الغذاء الرئيسي لأهل المدينة، ولم تمر إلا أيام قليلة وجاء الرجل والنبي كان يمشي بين أصحابه، فأمسكه من ثوبه وجذبه بشدة، قيل أن الجلباب أثار في رقبته الشريفة من شدة الجذبة، وقال: يا محمد إنكم بني عبد المطلب قومٌ مُطلّ، يعني أناسٌ ماطلين ولا تردون الحقوق إلى أهلها.

فسيدنا عمر - كان شديد الحمية على رسول الله - رفع سيفه وهزّه وقال: يا رسول الله دعني أقطع عنق هذا المنافق، فقال ﷺ:

{ إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّبَاعَةِ، أَذْهَبَ بِهِ يَا عُمَرُ فَأَقْبَضَهُ حَقَّهُ، وَزِدَهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ }^{٣١}

كان وصفه ﷺ - ويا ليتنا نتجمل به - تقول فيه السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ وَمَا أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ }^{٣٢}

كان لا يغضب لنفسه قط، ولا يغضب إلا إذا انتهكت حرمت الله ﷻ.

بعض شباب مكة أخذوا يسبونهم ويشتمونه، وكان بعضهم يسميه مذمم، فلمّا لم يلتفت إليهم جاء أحدهم إليه وأمسكه من كتفه وقال له: ألم تسمع إلى ما قلنا؟ قال: وهل تقولون لي؟! أنتم تقولون لمذمم، وأنا محمد ولست مذمم، قال ﷺ لأصحابه:

{ أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ، وَلَعْنَهُمْ يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ }

انظر إلى الجمال الحمدي!!، فلو مشى الإنسان في طريق وكل كلب نبح عليه التفت إليه وألقمه حجر فلن يمشي، ولكن القافلة تمشي والكلاب تعوي.

٣١ صحيح ابن حبان والحاكم عن عبد الله بن سلام
٣٢ الصحيحين البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

فقال: يا عمر كلانا أولى بغير هذا منك، تأمره بحسن المطالبة، وتأمرني بحسن الأداء، وانظر للأدب النبوي الراقي؛ أمر عمر أن يأخذه ويعطه ما له، ويزيده عشرين صاعاً أو وسقاً، والوسق يعني القفة الكبيرة التي كانوا يزنون بها التمر جزاء ما روعه عمر. فأخذه عمر ليعطيه ما له، فقال الرجل: يا عمر أتدري من أنا؟ قال: لا، قال: أنا زيد بن سعة، قال: الخبر اليهودي؟ قال: نعم، أتدري لم صنعتُ هذا؟ قال: لا، قال: لأني تحققتُ من أوصاف رسول الله في التوراة، ولم يبق إلا وصفين: يسبقُ حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حِلماً - يعني كلما زاد عليه الجهل كلما زاد حِلماً - يا عمر أشهدك أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

يزيد سفاهة وأزيد حِلماً كعود زاده الإحراق طيباً

مخيريقي اليهودي

أيضاً الخبر الثالث، وكان عالماً، ومن أغنى أغنياء اليهود في المدينة، وكان اسمه مخيريقي، عندما خرج النبي إلى غزوة أحد قال كما ورد:

{ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ نَصَرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْكُمْ لِحَقٍّ، قَالُوا: إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ، قَالَ: لَا سَبْتَ بَعْدَ الْيَوْمِ، ثُمَّ أَخَذَ سِلَاحَهُ، وَخَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ بِأَحْدٍ، وَعَهْدَ إِلَى مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ: إِنَّ قَتَلْتُ هَذَا الْيَوْمَ فَمَا لِي لِمُحَمَّدٍ، يَصْنَعُ فِيهِ مَا أَرَاهُ اللَّهُ }^{٣٣}

وأخذ سيفه وذهب مع جيش النبي وأخذ يحارب حتى استشهد في جوار حضرة النبي ﷺ، فأخذ النبي ﷺ أمواله كلها، لماذا؟ لأن الله ﷻ من شأنه اعزاز أنبياءه ورسله، فإذا كلف الله النبي بالنبوة، والرسول بالرسالة يترك كل ما في يده من أعمال الدنيا ليتفرغ لدعوة الحق، ويكفله الحق ﷻ.

لا يصح أن يجمع بين الإثنين، ولكن كيف يكفله؟ فهل يتركه ليطعمه هذا مرة وهذا مرة؟! لا يصح ذلك.

سيدنا موسى عندما قال الله له: ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ (٢٤ طه) ورد أنه قال: يا رب تتركني إلى بني إسرائيل هذا يُطعمني يوماً وهذا يُطعمني يوماً، قال: يا موسى ألا ترضى أن تُدخل كل يوم رجلاً من أجلك الجنة!.

لكن الحبيب أعزّه الله عزّاً ليس فوقه قدرٌ ولا مقدار، فكان يأكل مما أخذ من مال مخيريق اليهودي اعزازاً من الله ﷻ لرسوله وحببيه ومصطفاه ﷺ.

صفة النبي في التوراة

أما النصوص الواضحة في التوراة والتي نكتفي منها بنص واحد عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وتعددت الروايات عن غيره في هذا النص، كان سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قد درس كتب اليهود السابقة، فلما سُئل عن وصف النبي ﷺ في التوراة، فقال ﷺ:

{ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِزْرًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمَتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِقَطْءٍ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَعْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّىٰ يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيَاءَ، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا }^{٣٤}

هذا الوصف هو الوصف الذي يعمل به من يُريد أن يحظى بحب النبي، وأن يكون من المحبوبين لله ﷻ العلي، وجهاد المحبوبين، غير جهاد المحبين، غير جهاد العابدين.

فجهاد العابدين في الاستكثار من الطاعات، والتقلُّل من المباحات، فالأكل مُباح لكنه يصوم، والكلام مباح لكنه يُكثر الصمت، والنوم مباح لكنه يقلل النوم ليقوم بين يدي الله في جُرح الظلام... وهكذا يقلل من هذه المباحات، ويستكثر من الطاعات، ويجتهد في العبادات، ويجعل لنفسه ورداً كبيراً ليكون له مُلكاً كبيراً عند العلي الكبير: ﴿ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ (٢٠ الإنسان) الذي يريد الملك الكبير في الجنة يزيد من الاجتهاد، لكن الذي يريد الملك الكبير عند الكبير، فهذا وضع آخر.

٣٤ صحيح البخاري ومسنَد أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

وجهاد المحبين يكون في نُصرة سيد الأولين والآخرين، ونُصرة شريعته، وإحياء سنته، والعمل النافع لرفعة أمته... جهاد المحبوبين يكون بالتخلق بأخلاق سيد الأولين والآخرين، فمن يُريد أن يكون المحبوبين يدخل الورشة المحمدية، ويُزيل الفظاظ والغلظة والقسوة والخشونة بحب الحبيب، وحب الاقتداء بالحبيب ﷺ، حتى لا يسمح لنفسه أن يغضب ولو مرة واحدة في اليوم، لأن النبي ﷺ كان لا يغضب لنفسه قط إلا إذا انتهكت حُرُمات الله ﷻ.

هو ليس بفظٍ، وفظٌ يعني قاسي في المعاملة، وشديد في الكلام، وكلامه كوقع السهام، يُصيب القلوب في مقتل، يقول كلمة لأحد فيأخذ الرجل هذه الكلمة ولا يستطيع النوم، ويأخذ في تذكُّر هذه الكلمة ويقول: لماذا قال لي هذه الكلمة؟! والآخر ربما يكون نائماً مستريح البال، فهل يصح هذا الكلام في المحبوبين؟! لا.

وليس بغليظ في أي تعامل سواءً مع النساء أو مع الرجال أو مع الصبيان، ولا حتى مع الحيوانات، ولا حتى مع الجمادات، فالجمادات كانت تحنُّ إليه، وكان يذهب إليها ويربت عليها لتسكت، ألم يحنُّ له الجزع، وبكى بصوت أسمع الكل؟ لماذا؟ للحنان الذي كان يراه في سيدنا رسول الله ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (١٥٩ آل عمران) بعد أن يسمع المؤمن هذه الآية هل يتصف بوصف من أوصافها؟ لا أبداً مهما يحدث له،

ولا سخَّاب، وسخَّاب يعني دائماً يتكلم بصوت مرتفع، بعض الأحباب لا يتكلم إلا بصوت مرتفع، فإذا كان في البيت لا بد وأن يسمعه الجيران، وإذا كان في العمل لا بد لكل المكاتب أن تسمعه، وإذا كان في مواصلات عامة لا بد وأن يسمعه كل الركاب، مع أن حضرة النبي لم يكن هكذا، فسيدنا أبو بكر كان يقول:

{ وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَكَلِّمُكَ إِلَّا كَأَنِّي السَّرَّارُ؛

حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ ﷻ }^{٣٥}

يعني كالوشوشة، لأن الأدب المحمدي كان كذلك، فلا أنادي على أحد وأقول له: يا فلان أنا أريد كذا وكذا وأسمع الناس كلهم، ولكن أذهب إلى مكانه وأكلمه بصوت خافت فيما بيني وبينه، وهذا حال المؤمنين الذين يريدون أن يكونوا على نهج سيد الأولين والآخرين ﷺ.

٣٥ الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة ﷺ

جهاد المحبوبين

ففي أي شيء يكون جهاد المحبوبين؟ في ذلك: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ﴾ (١٥٩ آل عمران) في الرحمة، يتخلق بالرحمة وباللين وبالشفقة وبالعطف وبالحنان وبالمودة... لكل خلق الله.

بالله عليكم لو تخلقنا كلنا بهذه الأخلاق فهل يكون بين مسلم ومسلم قضية واحدة؟! لا، فمن أين تأتي القضايا؟ لعدم سيرنا خلفه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٢١ الأحزاب) أين هذه الأسوة؟ تأسينا به في الصلاة فقط، والباقي تركناه!، مع أن الله ﷻ لم يقل: لقد كان لكم في صلاة رسول الله، ولكن قال: ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ كله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١ الأحزاب).

ولذلك الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يتكلم عن الأحاب الذين وصلوا إلى هذا المقام - نسأل الله أن نكون منهم أجمعين - فيقول فيهم: (أهل العزائم أطباء رُحماء، لهم حالٌ مع الله يجذب الكافر والنافر، فما بالك بالمؤمن المطيع!؟).

فنحن كالطبيب الرحيم الشفوق العطوف، هل هذا يكون على الأصحاء أم على المرضى؟! من الذي يذهب إليه في العيادة أو يكشف عليه في المستشفى؟ المريض، فرحمتنا للمرضى والذين هم العصاة والمذنبين والمسرفين على أنفسهم، والمنقطعين عن طريق الله.

هؤلاء من الذي يأخذ بأيديهم؟ فإذا كنا نتأفف منهم، ونشمر ونبعد عنهم، ولا نريد أن نكلهمهم ولا نصاحبهم ولا نقرب منهم، فمن الذي يذهب إليهم؟! لكن يجب علينا أن نعمل كما فعل سيدنا أبو ذرٍّ ﷺ وأرضاه حينما قالوا له: أخوك فلان وقع في الذنب، فهل تتبعد عنه؟ فقال ﷺ: رأيتم لو وقع أحدكم في بئر، ماذا أنتم فاعلين؟ قالوا: نمُدُّ أيدينا لننقذه، قال: كذلك أحاكم إذا وقع في الذنب.

عندما يقع في الذنب يحتاج لمن يمد له يده لينقذه، ولكن بالرحمة واللين والشفقة والعطف والحنان، وهي بضاعة الحبيب المصطفى صلى الله وسلم وبارك عليه، فهل عرفنا طريق المحبوبين؟ نسأل الله ﷻ أن ييسره لنا أجمعين.

أيضاً هناك نفر من أبحار اليهود علموا أن حضرة النبي سيولد في مكة، فذهبوا

وأقاموا في مكة وكانوا فرادى وليسوا عائلات، واحد منهم أقام على عرفات، وواحد أقام في مكة نفسها، منتظرين ظهور رسول الله ﷺ، وكان عندهم من جملة العلامات أن نجم سيظهر في السماء في الليلة التي يُولد فيها أحمد ﷺ، ومن أوصافه كذا وكذا.

فأخبر اليهودي الذي في مكة نظر إلى السماء فرأى نجماً، فقال: وُلد الليلة أحمد فقد ظهر نجمه في السماء، فسأل: من الذين وُلد لهم ولدٌ اليوم في مكة؟ فقالوا: له فلان، فقال: أريد رؤيته، وعندما رأى النبي وكان مع جدّه قال: من يكون هذا منك؟ قال: ابني، قال: لا، عندنا في التوراة أن أباه لا يكون حياً عند مولده، فقال له: أنا جدّه، فقال: احفظه من أعين اليهود فإنهم لو رأوه لقتلوه.

صفة النبي في الإنجيل

وما عند اليهود هو ما عند النصارى: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (٦الصف) سيدنا عيسى بشر بأوصاف رسول الله كاملة، وهرقل الروم عندما جاءته رسالة النبي ﷺ، فقال: هل في بلدنا أحدٌ من بلد هذا النبي؟ فبحثوا فوجدوا أبو سفيان ولم يكن قد أسلم بعد، ومعه مجموعة من قومه فجاءوا به، فقال له: إني سائلك عن أشياء، وقال لمرجمه: قل لمن خلفه إن كذب يكذبوه.

قال أبو سفيان بعد هذه الواقعة: لولا أنني خشيت أن يُفشى بين العرب أنني كذاب لكذبت في هذا اليوم!!.

فأخذ يسأله ومعه الإنجيل يسأل منه وليس من فكره، فقال له: ممن هذا الرجل؟ قال: من أوسطنا نسباً، قال: من الذي يتبعه؟ الفقراء أم الأغنياء؟ قال: الفقراء، قل: هل يزيدون أم ينقصون؟ قال: يزيدون، قال: هل يرجع أحدٌ منهم بعد إيمانه؟ قال: لا، قال: هل قامت بينكم وبينه حروب؟ قال: نعم، قال: ما نتيجتها؟ قال: مرّة ومرّة، ونحن منه اليوم في هُدنة - وكان ذلك أيام صلح الحديبية - وما أدري ما يفعل بنا فيها! وقد قال أبو سفيان فيما بعد أن هذه التي استطعت أن أضعها، مع أنه يعرف أنه أوفى الأوفياء بالوعد، ثم قال له: سألتك عن نسبه؟ فقلت: من أوسطكم نسباً، وهكذا الأنبياء من أوسط أقوامهم نسباً، وسألتك عن أتباعه؟ فقلت: الفقراء، وهكذا الأنبياء لا يتبعهم إلا الفقراء، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلت: يزيدون، وهكذا الإيمان إذ خالطت

الفصل الثاني: خصائص النبي ﷺ في الكتب السماوية

بشاشته القلوب، وسألتك هل يرجع أحدٌ منهم نعمة عليه؟ فقلت: لا، فعلمت أنه الدين الحق، وقال: إن كان هذا الرجل كما تقول فإنه سيملك موضع قدمي هاتين، ولولا خشية الروم لذهبتُ إليه حتى أغسل قدميه.

وهذا كان هرقل الروم وكان من الأخبار، يعني من العلماء في شرع الله وفي دين الله على دين عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

قصة سلمان الفارسي

أما قصة سلمان الفارسي فكانت من العجب العُجاب، وسنحكيها باختصار، لكن ليتكم ترجعون إليها مطولة فإنها تُنلج الصدر.

كان سلمان من بلاد فارس وكان أبوه المتولي إيقاد النار، والنار عندهم كانت لا تنطفئ أبداً، وكان أبوه هو الذي يمدّها بالوقود، يعني هو خازن النار الأول.

وسلمان نشأ مُرفهاً لأن طبقة رجال الدين كانوا أكثر الناس انتفاعاً ممن حولهم بالدينا، فخرج سلمان ذات يوم يتنزه، وكان هناك دير قريب منه فيه رُهبان من النصرى، فسمع نعمة صلواتهم فشقت قلبه ومال إليها، فمكث عندهم فترة وتأخر فبعد أن عاد سأله أبوه: أين كنت؟ فحكى له، فنهاه عن ذلك، وأمره أن لا يذهب إليهم مرةً أخرى، لأنه خائف على دينه لأنه كان مجوسياً من عبّاد النار.

فأرسل إليهم سلمان سراً: أين أساس دينكم هذا؟ قالوا: في بلاد الشام، فقال لهم: إذا خرج وفدٌ لبلاد الشام فأعلموني سراً، فذهب معهم ودار في حوالي ست مُدن، يجلس مع راهب، إلى أن يأتي أجله فيُوصيه أن يذهب لفلان في المكان الفلاني، من الشام، للموصل في بلاد العراق، للحيرة في بلاد العراق، فأخذ يتناوب حتى قال له آخروهم: يا بنيّ لم يعد إلا مجيئ النبي العربي، وعليك أن تذهب إليه، وكان سيدنا سلمان معمرًا فقد عاش حوالي مائتين وخمسين سنة^{٣٦}، لتعلموا كيف سافر في كل هذه البلاد.

٣٦ جاء في السيرة النبوية لابن كثير، وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي الإصابة أنّ سيدنا سلمان ؓ توفي سنة خمس وثلاثين أو أول سنة ست وثلاثين في آخر خلافة سيدنا عثمان ؓ، وقال أهل العلم: بأن سيدنا سلمان ؓ عاش ثلاثمائة وخمسين سنة، فأما المائتان وخمسون فلا يشكون فيها، ففي مجمع البحرين (نقل أنه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة، وفي السيرة الحلبية: (نقل بعضهم الإجماع على أنّ سلمان عاش مائتين وخمسين سنة)، وفي حواشي تلخيص الرجال للميرزا مجد عن تهذيب الأسماء: (إن سلمان عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة. وقيل: إنه أدرك وصي عيسى عليه السلام - انتهى).

علم أن جماعة مسافرين إلى بلاد العرب، وكان يعرف أوصاف المدينة، وكان معه بعض البقر وبعض الغنم، فقال لهم: خذوا بقراي هذه وغنماتي هذه وخذوني معكم إلى أن أصل إلى المدينة التي من صفاتها كذا وكذا، فقالوا له: لا مانع، واستولوا على ما معه وباعوه عبداً!! .. فأخذ ينتقل من مكان إلى مكان، ولأن صلاح النية يبلغ الأمانة، وهو نيته كانت صالحة رغم ما حدث معه، فجاء رجل من يهود المدينة يزور قريباً له، والذي كان سلمان عنده، فقال لهم: أعطوني هذا العبد، فقال له: خذه، فذهب إلى المدينة التي فيها رسول الله ﷺ قبل أن يهاجر النبي إلى المدينة!!، فرأى النخل، ورأى الجبلين، ورأى الأوصاف التي يعرفها عن المدينة فاطمأن.

وبعد ذلك هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، فأراد أن يتأكد من أوصاف النبي، وكان عنده ثلاثة أوصاف لحضرة النبي محققين: لا يأكل الصدقة، ويأكل الهدية، وفي ظهره خاتم النبوة، فجمع بعض التمرات وذهب إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله هذا التمر صدقة، فقبله ﷺ ووزعه على من حوله ولم يأكل منه، لأنه كان يقول:

{ إِنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ }^{٣٧}، حتى أنه حرّمها على آل بيته فقال: { إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَةُ
إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ }^{٣٨}

ولذلك دائماً ننصح الأحباب بأن لا يأخذ أحدكم الصدقة إلا إذا كنت في ضرورة شديدة جداً حتى تظل من الأعرّة، فقال سلمان: هذه واحدة، وبعد عدّة أيام أخذ بعض التمر وقال: يا رسول الله هذا التمر هدية لك، فأكل منه ﷺ وأطعم منه من حوله، فقال سلمان: وهذه الثانية، ثم أراد أن يرى خاتم النبوة، فكلما رأى رسول الله في عمل يستوجب كشف ظهره يخرج وينظر، إلى أن رأى رسول الله ذات مرة يدفن رجلاً فحاول أن ينظر ليراه، فقال له ﷺ: إنه هو يا سلمان!!.. علامات النبي في الإنجيل واضحة، وبعدها أسلم سلمان، وبعد زمن أمره سيدنا رسول الله أن يكتب، يعني يتفق مع صاحبه أن يعتقه ويُعطيه مبلغاً من المال، فذهب سلمان للرجل وكان يهودياً، فقال الرجل: آخذ أربعين أوقية ذهب، وثلاثمائة نخلة مثمرة، والنخلة لتثمر تنمو في حوالي خمس سنوات، وهو يريد ثلاثمائة نخلة مثمرة، فقال حضرة النبي للأنصار: أعيّنوا أحاكم، فأعانوه بالودي الصغير - النخل الصغير - حتى جمعه له، ثم زرعه حضرة النبي كله بيده، ما عدا

٣٧ مسند أحمد والدارمي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما

٣٨ سنن النسائي عن علي بن أبي طالب ﷺ

واحدة، قيل وضعها سلمان، وقيل وضعها سيدنا عمر بن الخطاب، وبعد سنة كبر النخل وأثمر ما عدا النخلة التي لم يزرعها رسول الله ﷺ، فرفعها حضرة النبي وزرعها مرة ثانية فأصبحت كأخواتها، فقال سلمان: يا رسول الله بقي الذهب، فأعطاه النبي قطعة صغيرة من الذهب، فقال سلمان: يا رسول الله إنها صغيرة، وهو يطلب أربعين أوقية!، فقال له النبي:

{ خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ، قَالَ: فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا
وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أَوْقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَعَنْتُ }^{٣٩}

وزن اليهودي من قطعة الذهب الصغيرة أربعين أوقية وبقي منها!، كيف؟!
ببركة حضرة النبي ﷺ.

هذه علامات رسول الله الموجودة في الإنجيل، وأنتم تعلمون أنه عندما ذهب مع عمه أبي طالب إلى بلاد الشام - وكان لا يزال صغيراً - ورآهم صاحب الدير من بعيد، ورأى الغمامة تُظلل رسول الله، فعرف العلامة، فدعاهم وقال لهم: تأتوني جميعاً حتى الأطفال الصغار! فحضرُوا جميعاً وتركوا رسول الله، فسألهم الراهب: هل حضرتم كلكم؟ قالوا: نعم، فقال لهم لا، قالوا: لم يبق إلا طفلٌ صغير، فقال لهم: أنا أريده، فجاء به سيدنا أبو طالب، فسأله: من هذا؟ فقال: هذا ابني، فقال له: عندنا في الإنجيل لا يكون أبوه حياً، فمن أنت؟ قال: أنا عمُّه، فقال له: خُذْه وارجع به، ولا تكمل إلى الشام، فإن اليهود لو رأوه لقتلوه حقداً عليه، ومثله الراهب الآخر، عندما ذهب حضرة النبي بنفسه للتجارة، ورأى هذا الراهب العلامات الكبرى لرسول الله ﷺ، كل هذه العلامات كانت دليلاً قطعياً إلهياً على تأهيل البشر لبعثة سيد البشر؛ سيدنا رسول الله ﷺ.

منع الجن من استراق السمع

نحن نعلم أن الجن كانوا يخترقون السمع، فكان بعضهم تسمح له القدرة بالصعود إلى السماء فيستمعون إلى أخبار الملائكة الموكلين بالأرض فيما يُؤمرون به ...

وسبب هذا فتنة لبعض الناس في الجاهلية، فكان يأتي أحدهم ويتكلم من داخل الصنم أن المطر سينزل يوم كذا، وأن فلان سيموت اليوم أو غداً، وهذا ما جعل الناس

٣٩ مسند أحمد والطبراني عن أنس ﷺ

الفصل الثاني: خصائص النبي ﷺ في الكتب السماوية

لكن عند بداية حمل سيدنا رسول الله ﷺ تم حماية السماء من استراق السمع، ومع الولادة بدأ القاء الشهب من السماء لكل من يحاول أن يستمع: ..

﴿ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحِدَّ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ (الجن) ...

من يحاول استراق السمع يجد على الفور دابة نازلة من السماء تقضي عليه لأنه حاول أن يتسمع إلى أخبار السماء، وهذا كان من ضمن أولويات الحبيب ﷺ.

المعجزات التي حدثت للحبيب قبل التكليف بالنبوة نسميها إرهاصات، والمعجزات التي تؤيده بعد تكليفه بالنبوة نسميها معجزات !!!

وكلمة إرهاص يعني دليل على أن الله اختار هذا الرجل بعنايته، وجعله مصطفى ومجتبى، وسينزل عليه رسالته، وهذا دليل من الله ﷻ.

وكان من جملة هذه الإرهاصات حراسة السماء من استراق السمع عند حمل رسول الله ﷺ، والقائها للشهب بعد ولادته عليه الصلاة وأتم السلام.

اندحار الكهان

الكهان كانوا قد انتشروا في كل أرجاء الجزيرة العربية وما حولها، وبضاعتهم كانوا يأخذونها من كلام الجن

فبعد منع الجن عن استراق السمع ارتبك كل الكهان، فلم يعد في جمعيتهم شيئاً يتحدثون به أو عنه، فمن أين يأتون به؟! مع أن الجني كما قال ﷺ:

{ تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقْرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذِبَةٍ }^{٤٠}

يعني يضع من عنده أيضاً مائة كذبة لكي يُخرجها إخراجاً جيداً، لكن كل هذا بالنسبة للكهان قد انتهى بعد ميلاد رسول الله ﷺ.

٤٠ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

الفصل الثالث

ميلاد النبي ﷺ مع شق صدره

- ❖ ذكرى ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ
- ❖ ميلاده النوراني
- ❖ بين البيعة والميثاق
- ❖ يوم ألت
- ❖ احتفال الملاء الأعلى بظهور نور النبي
- ❖ إشراق النور المحمدي في الأكوان
- ❖ تنويه عن الأحاديث الموضوعية
- ❖ مولد النبي النوراني في قلوب الرجال
- ❖ حكم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف
- ❖ نعمة الله
- ❖ الاحتفال بميلاد النبي ﷺ
- ❖ شق صدره الشريف
- ❖ حكمة شق صدره الشريف
- ❖ العبرة من شق الصدر

الفصل الثالث

ذكرى ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ^{٤١}

الحمد لله الذي افتتح الوجود بكنز البها والنور والجلود، سيدنا محمد الذي هو أغنى عندنا من المال والنفس والآباء والجدود، صلّ اللهم وسلم وبارك على هذا النبي صلاةً تُوصلنا بها إليه، وتؤهلنا بها للفضل الذي بين يديه، وتجعلنا دائماً وأبداً في الدنيا والآخرة متمتعين بالنظر إليه، نحن وإخواننا وأحبابنا والمسلمين أجمعين.... ونحن نحتفي بذكرى ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ؛ وكلمة الميلاد يعني الظهور، يعني بدء ظهور الرسول ﷺ، ولذلك فله ﷺ ميلادات لا تُعد ولا تُحَد، نُشير إلى أغلبها وأعظمها وأجملها.

ميلاد النور عندما خلقه الله ﷻ من نوره، ثم ميلاده الجسماني البشري في الأكوان، ثم ميلاده بصورته النورانية الربانية الروحانية في قلوب الرجال الذين فازوا بالعطاء والنوال، وكل ميلاد من هؤلاء يحتاج إلى عدة أجزاء لتفسير ما فيه من عظمة النبي، ومن بديع لطف الله بهذا النبي، ومن التجليات الإلهية التي لا تُعد ولا تُحَد التي واجه الله ﷻ بها حضرة النبي ﷺ. ميلاده البشري نحتفي به نحن البشر في كل عام في ظهور جسمانيته إلى عالم الأكوان.

ميلاده النوراني

أما ميلاده النوراني فقد احتفى به خالق القوى والقدر، والأرواح اللطيفة النورانية، والحقائق النورانية الملكوتية، لأنه كان نوراً في الإرادة صار نوراً في الختام.

ويوضح رسول الله ﷺ هذه الأولوية على قدر ما تهممه عقولنا الكونية، لكن أوليته النورانية الروحانية الحقيقية لا نستطيع فقهاها ولا ادراكها، ويكفي فيها قول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ (٨١ الزخرف) أول من عبد الله ﷻ من الكائنات العلوية والسفلية، قبل الملائكة، وقبل كل عَمَّار الملكوت الأعلى، وقبل حملة العرش، وقبل الكروبيين، كان نور الحبيب المصطفى ﷺ يطوف حول عرش ربه ﷻ بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

٤١ القاهرة - المقطم - مسجد مجمع الفائزين الخيري ١٤ من ربيع الأول ١٤٤٠ هـ ٢٢/١١/٢٠١٨ م

ولذلك لم ينفرد من الأولين والآخرين بعبادة خاصة بمفرده لا يشاركه فيها سواه لله إلا رسول الله، فنحن نشترك في عبادة الصلاة، والصيام، والحج، حتى السنن والنوافل، فيشترك كثيرٌ منا في قيام الليل، وفي صلاة الضُّحى، وفي تلاوة القرآن، وفي ذكر الله، لكن من الذي عبَدَ الله عبادة خاصة لم يشاركه فيها أحدٌ سواه من خلق الله؟ سيدنا رسول الله: ﴿ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ ﴾ (٨١ الزخرف).

وجاء العابدون من بعده ليتعلموا منه ﷺ، سواء ملائكة أو إنسٌ أو جنٌ، يتعلمون كيف يعبدون رب العالمين، فهو المعلم للجميع ليُعرفهم كيف يعبدون الله ﷻ، ولذلك قال لنا ﷺ:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }^{٤٢}

فلم يُقل: صلوا كما شرحتُ لكم كيفية الصلاة وهيئاتها، وأبواب الصلوات من فرائض وسنن وهيئاتٌ فيها، ولكنه طلب منا أن نقتدي به ﷺ في هيئة صلاته لله ﷻ. ووضح ﷺ أيضاً هذه الأولوية حتى لا يختلط بذهن البعض أنه شاركه فيها بعض الأنبياء والمرسلين السابقين، فقال ﷺ منزهاً ذاته بأمر من رب العالمين:

{ كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ }^{٤٣}

فمن أول نبي خلقه الله؟ سيدنا رسول الله، وربما يتبادر إلى ذهن البعض أنه كان مخلوقاً نورانياً ولكنه لم يؤت النبوة، فقال ﷺ في الحديث الصحيح:

{ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمُنْجِدِلٌ فِي طَيْبَتِهِ }^{٤٤}

يعني آدم لم يكن قد تكوّن ولا أنشئ، وكان ﷺ خاتم النبيين.

وسأله أحد الصحابة المباركين لِيُنَبِّهوا أذهان الحاضرين ويذهبوا عنها التشويش الذي في عقولهم أو في قلوبهم نحو سيد الأولين والآخرين، فقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى جُعِلْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ }^{٤٥}

٤٢ البخاري ومسلم عن مالك بن الحويرث ﷺ

٤٣ مسند الشاميين للطبراني وأبي نعيم عن أبي هريرة ﷺ

٤٤ مسند أحمد وابن حبان عن العرياض بن سارية ﷺ

٤٥ مسند أحمد والحاكم في المستدرک

وهل يوجد إنسان بين الروح والجسد؟! الإنسان إما أن يكون روحاً أو يكون جسداً، أو يكون جسداً حلت فيه الروح، لكن هل يوجد إنسان بين الروح والجسد؟! لا، لكن معناها أنه لم يكن هناك آدم بالكلية عندما كان ﷺ خاتم النبيين وإمام الأولين والآخريين صلوات ربي وتسليماته عليه.

وبعد أن خلق الله ﷺ هذا النور الإلهي، خلق منه أرواح الأنبياء والمرسلين، ثم جمعهم لحضرته، وأخذ عليهم ميثاق النبيين الذي سجّله الله تبارك وتعالى في كتابه المبين؛ القرآن الكريم، ووضح فيه مكانته ومنزلته عند الله، ودرجة قُربه عند مولاه، وفضله على جميع أنبياء الله ورسول الله.

بين البيعة والميثاق

يبلغ الأمر - واعلّو معي بقلبك، ولا تعلو معي بفكرك، فإن الفكر واقف عند ظلمات الطبع لا يفقه هذه الأحاديث النورانية - أن الله بذاته تبارك وتعالى هو الذي يأخذ الميثاق - يعني العهد - على أنبياء الله ورسول الله أجمعين، لحبيبه وحبيبهم وحبیبنا سيدنا محمد ﷺ، فما هذه العظمة؟!.

سيدنا رسول الله كان يُبايع الناس ليدخلهم في دين الله، ومع ذلك يقول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (١٠ الفتح) لم يقل: فكأنما، ولكنه قال: (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) بالتوكيد.

ما اليد التي وُضعت فوق أيديهم، أي هؤلاء الذين كانوا يبايعون رسول الله؟ يد رسول الله، فيقول الله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (١٠ الفتح) سبحان الله!! كلام لا تفقهه العقول ولو طارت في عالم الوهم والخيال، لا يفهمه العبد إلا إذا فكَّ عقل العقل، ونظر بعين الجمال التي جعلها الله في قلبه، وهي من نور الله، ومن نور حبيبه ومصطفاه ﷺ.

ولكن العجب أن الله بذاته يجمع الأنبياء والمرسلين وهم أرواحٌ تقيّة نقيّة، ويأخذ عليهم بذاته وباسمه الجامع الأعظم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ (٨١ آل عمران) واسم الله جامع لكل الأسماء والصفات الإلهية، والعهد لمن؟ للنبيين، فلم يكونوا مرسلين، لأنهم كانوا أرواحاً مجردة، والرسالة لا تكون إلا بعد دخول الأرواح في الأشباح في عالم الدنيا، وتكليفها من

قبل المنعم الفتح بإبلاغ الرسالة لأهل الأرض وأهل السموات على حسب قدر النبي.
﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾
﴿ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ (آل عمران) يعني
أخذ العهد على النبيين والمرسلين جميعاً أن يؤمنوا برسول الله لأنه نبي الأنبياء ورسول
المرسلين.

وأن ينصروه، كيف ينصروه؟ بأن يوضحوا صفاته وأحواله إلى أممهم، ويوضحونهم إذا
حضروا في زمان بعثته أن يؤمنوا به ويعاونوه ويؤازروه وينصروه صلوات ربي وتسليماته
عليه: **﴿ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾** (آل عمران) وإصري أي عهدي،
يعني هل أخذتم العهد؟ **﴿ قَالُوا أَقْرَرْنَا ﴾** (آل عمران) الكل أقر: **﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا
مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾** (آل عمران).

وهنا كما يقول الإمام علي ؑ وكرم الله وجهه: كشف الله لهم الأستار عما
تتحمله أرواحهم من جمال النبي المختار، ليشاهدوه ﷺ على حسب قدرهم، وعلى
حسب ما تتحمله أرواحهم، والله ﷻ هو الذي يعينهم حتى تتم لهم المشاهدة **﴿ وَأَنَا
مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾** (آل عمران).

فهذا بداية الميلاد النوراني والخلق الرباني لسيدنا رسول الله ﷺ، وكان حفل جامع،
جمع فيه كل الأنبياء والمرسلين، وهم أرواح لم يدخلوا إلى عالم الدنيا، ولم يسكنوا عالم
الأجسام ولا عالم الأشباح.

يوم ألت

ثم بعد ذلك خلق الله ﷻ أرواح الخلق جميعاً بدون استثناء، وأشار إلى ذلك في
قوله سبحانه: **﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴾** (الأعراف) يعني جميعاً: **﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾** يعني
أعطى لكل روح صورتها التي تتميز بها في الدنيا والبرزخ وفي الآخرة، وبعد الخلق
والتصوير: **﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾** (الأعراف).

إذاً أرواحنا كذلك مخلوقة قبل خلق آدم، خلقها الله، وأعطاهما صورتها النورانية
والروحانية، ثم جمعنا الله ﷻ أيضاً - ومع حفظ المقام - جمع المرسلين في مقام الألوهية،
ولكنه جمعنا في مقام الربوبية، وفارق كبير جداً بين الألوهية والربوبية:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧٢)

سئل الإمام عليّ ﷺ وكرّم الله وجهه: أتذكر يوم الميثاق؟ قال: ((نعم، وأعلم من كان فيه عن يميني ومن كان فيه عن يساري)) عرف هؤلاء الناس وتعرف عليهم. والحبیب ﷺ أدخلنا جميعاً في هذا المقام، فقال ﷺ:

{ الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُّجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ }^{٤٦}

ما تعارف منها في يوم ألتست ائتلف في الدنيا، وما تناكر منها هناك اختلف هنا، والإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول في ذلك:

من ألتست لم ننس ما قد شهدنا من جمال الجميل إذ خاطبنا
كيف تُنسى يا جميل وأنت عرش مجلى الأسماء نور المعنى

من يوم ألتست لم ننس الجمال والكمال الذي شهدناه في هذا اليوم الكبير، والذي أخذ علينا فيه المربي تبارك وتعالى البيعة والعهد أجمعين، أن نكون في الدنيا له موحدين وذاكرين وشاكرين وحامدين وراضين ولا ننس هذا العهد طرفة عين ولا أقل.

احتفال الملائكة الأعلى بظهور نور النبي

فهذا احتفال الأدميين، أما احتفال الملائكة بميلاد نور سيد الأولين والآخريين، فقد كان بعد ظهور آدم - لنعرف الفارق بين الفريقين - فقد تجلى الله ﷻ بنوره في آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، وأمر الملائكة أجمعين أن يسجدوا للنور الذي ظهر في آدم في هذا الوقت والحين: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿١٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحجر) ليس هناك استثناء: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (الحجر: ١٣٠)، والسجود معناه هنا التعظيم، وليس كسجود الصلاة، ولكن تعظيم لأمر الله، والخضوع والاستسلام لكلام الله ﷻ.

٤٦ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ

كلهم سجدوا إلا إبليس، لماذا؟ الملائكة رأوا نور سيد الأولين والآخريين في ظهر آدم وفي جبينه فسجدوا، وإبليس عَمِيَ عليه وَلَبَسَ عليه - فسُمي إبليس من التلبس - لم ير إلا هيكل صنَّع من طين، فقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء: ٦١) لم ير غير الطين، ولذلك أبا السجود فطرد من رحمة رب العالمين إلى يوم الدين، يقول الإمام أبو العزائم رحمه الله وأرضاه:

ولو أن السجود كان يقيناً لأبيه لم يهبطن من عليّه

ولو أن السجود كان لآدم هل كان قد نزل من الجنة؟ لا، ولكن كان السجود لنور رسول الله ﷺ الذي ظهر في آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

فكان هذا احتفال الملائكة الكرام بميلاد النور الإلهي؛ نور الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، يقول في ذلك سيدي علي وفا رضي الله عنهما:

لو أبصر الشيطان طلعة نوره في وجه آدم كان أول من سجد
أو رأى الثمرود بعض جماله عبد الجليل مع الخليل وما جحد
لكن نور الله جلّ فلا يرى إلا بتخصيص من الله الصمد

احتفت الجنان بظهور أنوار حضرته، واحتفل أهل الملاء الأعلى جميعاً بإشراق أنوار صدرته، وكلّ يحتفل على طريقته.

سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه كان رجلاً أميناً، لكنه كان لا يغيب عنه رسول الله ﷺ طرفة عين!، وكان إذا سُئِلَ سؤالاً من سائل يقول له: انتظر حتى أسأل رسول الله، ثم ينظر إلى الأرض لحظات ويقول للسائل: أجابني رسول الله عن سؤالك بكذا وكذا، فسئِلَ رضي الله عنه: هل تتسع الجنة؟ وكيف تتسع؟ السماء والأرض أثبت الله في كتاب الله أنها تتمدد وتتسع على الدوام: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: ٦١) فالإتساع مستمر على الدوام وليس له نهاية، فالسما والأرض ليستا محددتين.

فأجاب السائل بعد عرض السؤال على رسول الله ﷺ، وهذا ما يسمونه العلم الكشفي، يعني علم عن مكاشفة، وهو ليس في الكتب، ولا في السطور وإنما في الصدور التي امتلأت القلوب التي فيها بالنور: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ (العنكبوت: ٤٩) أين؟ ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (العنكبوت: ٤٩) فقال: إن الملائكة الحافين بالجنة إذا أراد الله أن يُوسِّعَ أمرهم أن يُصلوا على رسول الله ﷺ ويتحركوا، فتشتاق الجنة عندما

تسمع اسم رسول الله فتجري وراءهم فتتسع الجنة ببركة اسم رسول الله ﷺ.

والجنة لن تُفتح أبوابها، ولن يتمتع أحدٌ من الأولين والآخرين بدخولها إلا بعد أن تُفتح بالفتاح الذي قرّر الله أنه مفتاحها، فأين مفتاح الجنة؟ قال ﷺ:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ }^{٤٧}

فهو المفتاح، وعندما يواجه بذاته النورانية الإلهية أبواب الجنان تقول له كما قال صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ بِكَ أَمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ }^{٤٨}

أنا معي التعليمات أنه لا يدخل الجنة أحدٌ إلا بعدك، وكذلك لا يدخل أحد إلا بعد أمتي ﷺ، وقال ﷺ:

{ نَحْنُ الْآخِرُونَ، الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةَ }^{٤٩}

لا يدخل الجنة أحدٌ إلا بعد أمتي، ثم تأتي بعد ذلك سائر الأمم، فأكرمنا الله بإكرامه الواسع ببركة سيدنا رسول الله ﷺ أننا أول الأمم دخولا لجنة الله خلف حبيبتنا ومصطفانا سيدنا رسول الله ﷺ الذي يقول لنا فيه الله: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (الأنعام ١٥٣) الصراط يعني الطريق، ومستقيم يعني ليس فيه عوج، وكان المظنون فكرياً وعقلياً أن تقول الآية: وأن هذا صراطي مستقيماً فامشوا عليه، ولكن قال لنا الله: (فَاتَّبِعُوهُ) ومن الذي نتبعه؟ سيدنا رسول الله ﷺ، لأنه الصراط المستقيم بين الحق والخلق

إشراق النور المحمدي في الأكوان

والحقيقة لا أستطيع أن أبيع أكثر من ذلك في احتفاء الملائة الأعلى بظهور الميلاذ المحمدي، والنور البهي، وطلعة حبيب الله ومصطفاه، لأن هذه أمورٌ يقف العقل عاجزاً عندها، بل والأرواح لا تستطيع إدراكها.

لما أراد الله تبارك وتعالى أن يُشرق هذا النور في هذا الكون، تنقل هذا النور في أصلاب الطاهرين، وبطون الطيبات، من آدم إلى عبد الله وآمنة، لم ينتقل إلى أحد من

٤٧ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أنس ﷺ

٤٨ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أنس ﷺ

٤٩ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

المشركين، أو من المخالفين في الاعتقاد لعقيدة التوحيد في رب العالمين ...

ولذلك يقول الله ﷻ له: ﴿ وَتَقَلَّبَكَ فِي آلْسَجْدِينَ ﴾ (٢١٩ الشعراء) قال ﷺ مشيراً إلى هذه الآية:

{ فَأَهْبَطَنِي اللَّهُ ﷻ إِلَى الْأَرْضِ فِي صُلْبِ آدَمَ، وَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ نُوحٍ فِي سَفِينَتِهِ، وَقَذَفَ بِي فِي النَّارِ فِي صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَنْقُلُنِي فِي الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ، حَتَّى أَخْرَجَنِي مِنْ بَيْنِ أَبَوَيَّ، وَلَمْ يَلْتَقِيَا عَلَيَّ سِفَاحَ قَطٍّ }^{٥٠}

لم ينتقل إلا في الأصلاب الطاهرة، والبطون النقية من لدن آدم إلى أن ولدته أمه، كلهم طاهرين مطهرين، ويصطنع بعض المشككين اشكالية لا تثبت أمام النصوص القرآنية الواضحة الجليلة، يقولون: إن أبا إبراهيم كان غير مؤمن، وهذا يتنافى مع القرآن، فإن المذكور في القرآن وتوافقه سنة النبي العدنان أن إبراهيم تربى يتيماً، والذي رباه عمه، ولذا قال الله تعالى له في القرآن: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرْزُؤْنِي أَفْئِدَةً مِنَ الْفَيْءِ فَارِثًا وَارِثًا ﴾ (١٧٤ الأنعام) لو كان هذا أبوه لما ذكرت الآية اسمه وقالت: (لأبيه أزر) وكان هذا العرف حتى في عصرنا، فالإنسان ينادي عمه ويقول: يا أبت، وكان على هذا ديدن العرب جميعاً: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرْزُؤْنِي ﴾ (١٧٤ الأنعام).

فهذا كان عمه، لكن أبوه توفى وهو صغير، ورُبي إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام شبيهاً به يتيماً، ولذلك كان ﷺ يقول:

{ وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ أَشْبَهَ النَّاسِ بِي خُلُقًا وَخُلُقًا }^{٥١}

واجتهد أحد المؤرخين من بلاد العرب وكان عالماً جُهبدًا واسمه الكلبي، فقال: جمعت للنبي ﷺ خمسمائة أم كلهن مطهرات مبرئات من العيب.

لأن الله ﷻ اصطفاه وانتقاه، وتنافى أي أمور تُخالف الاصطفاء مع حضرة سيد الرسل والأنبياء ﷺ، فظل الأمر على ذلك حتى ميعاد ميلاده الشريف صلوات ربي وتسليماته عليه.

٥٠ الشريعة للأجري والمطالب العالية لابن حجر عن ابن عباس رضي الله عنهما

٥١ دلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

تنويه عن الأحاديث الموضوعية

وإني أهيب في هذا المقام بإخواني العلماء الأجلاء الذين يوضحون للناس ويبينون لهم أمور دينهم، لأن هناك كتباً لا تُعد قديماً وحديثاً، وكلها عن ميلاد رسول الله ﷺ، لكنها مشحونة بالأحاديث الموضوعية التي لا تليق بالحضرة المحمدية.

وكثيراً من المتحدثين يُريد أن يأتي للسامعين بجديد، والجديد عنده أن يأتي بحديث لم يسمعه، ولا مانع من ذلك بشرط أن يكون الحديث صحيحاً في السند والمتن، لكن نزهة الحضرة المحمدية أن تذكرها بحديث موضوع.

وفيما ذكر لنا الحُفَظاءُ الأجلاء كفاية، فإنهم ذكروا عن حضرته ما تعجز عنه العقول، وما لا تستطيع أن تتحمله النقول، فلماذا نلجأ إلى مثل هذه الأمور التي لا يقبلها العقل، ولا يستسيغها أي إنسان وخاصة في هذا الزمن الذي نحن فيه؛.... زمن العلم والحضارة.

فنبتعد قدر الاستطاعة بالمرة عن كل الإسرائيليات، وعن كل الروايات المدسوسة والمبتوثة التي تتحدث عن ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ، سواء في حديثنا فيما بيننا، أو في حديثنا مع الآخرين، أو موعظة نُلقِيها على السامعين، فنلتزم بما ورد من الأحاديث الصحيحة ببارك الله فيكم أجمعين.

مولد النبي النوراني في قلوب الرجال

هناك ميلاد خاص للمؤمنين والمؤمنات، والمحسنين والمحسنات:

وهو ظهور نور النبي ﷺ في قلوبهم، وهذا هو المهم الذي يحرص عليه كل إنسان له سابقة حُسن من الله.

فإن الله ﷻ من كرمه وإكرامه لهذه الأمة أودع بذاته نور الإيمان في قلوبنا:

﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتِبُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ

نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (الشورى ٥٢) النور الذي في قلوبنا هو نور الإيمان، وهو فضل من حضرة الرحمن ﷻ، وقال فيه ﷺ وفي هيئة إتمامه قبل القبل:

إن الله خلق الخلق في ظلمة، ثم رشَّ عليهم من نوره، أي من نور حبيبه ومصطفاه، فمن أصابه ذلك النور وفق واهتدى، ومن لم يُصبه ذلك النور ضلَّ وغوى.

ونحن أهل النور، هذا النور يبين قدره بعض البيان سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ فيقول: (لو كُشف عن نور المؤمن العاصي لملاً بين السماء والأرض، فما بالكم بالمؤمن المطيع؟!)... ما هذا النور؟ نور الإيمان: ﴿ حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (٧الحجرات) هو الذي حُبب إلينا الإيمان، وهو الذي زَيَّن قلوبنا بزينة الإيمان، وما زينة الإيمان؟ الهداية والرعاية والتسليم لله، والتفويض لله، والمتابعة لحبيب الله ومصطفاه، وحب الله ورسوله، وكل الأخلاق الطيبة التي جاءنا بها الله، وكلها من فضل الله ﷻ.

هذا النور يقول فيه الله ﷻ: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٤المطففين) ويبين حقيقة هذا البيان إمام أهل البيان والعيان سيدنا رسول الله ﷺ فيقول:

﴿ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ٥٣ ﴾

والران يعني الغطاء أو الستارة، فالنور الموجود عندنا هو عطية من الله، وعلى المُعطى له حفظ العطية، وليس على العاطي ﷻ، فيجب عليك أن تُحافظ على القليل من النور الذي معك، وتزيده وتنميه وتغذيه وتربيته وتقويه من نور الحبيب ﷻ، هذا النور قد يصدأ، كما قال ﷻ:

﴿ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ، كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ ٥٤ ﴾

القلب الذي يصدأ يكون في الدنيا كالأعمى، لكن قلب المؤمن المنير... يقول فيه النبي ﷺ:

٥٢ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

٥٣ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

٥٤ شعب الإيمان للبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }^{٥٥}

كيف يكون معك نور الله وتمشي متخبط في الحياة لا تعرف الصواب من الخطأ، ولا الحسن من السيئ؟! هل يجب أن تتخبط في حياتك وأنت معك نور الله ﷻ؟! **﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾** (١٢٢ الأقسام) ..
يمشي بين الناس بهذا النور.

فهذا النور لو لم يكن له فائدة إلا أنه يُرشدك إلى أقوم الطرق وأصح الأحوال في الدنيا لكفالك، بدلاً من أن تتخبط في الدنيا.

لذلك كلنا في حاجة إلى جلاء القلب، وإظهار الأنوار التي أودعها فيه رب العالمين ﷺ، حتى نمشي بنور الهداية أو بنور العناية، أو بنور الكشف والولاية، وكل واحد على قدره، فالأنوار كثيرة، والمهم أن أمشي على قدر من هذا النور، ولا أمشي في الدنيا أتخبط.

هذا النور يلمع ويزهو ويضحى إذا نظر إليك الحبيب ﷺ نظرة قُرب من حضرته، ولذلك قال لنا الله: **﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾** وماذا نقول يا رب؟ **﴿ وَقُولُوا أَنْظَرْنَا ﴾** (١٠٤ البقرة)
انظرنا يا سيدي يا رسول الله، نحن نحتاج لنظرة تغير الأحوال، وتبدل الأطوار، وتجعل الإنسان يخرج من ظلمات النفس والهوى، إلى نور الإيمان والثقى ونور حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

نحن في حاجة أن نربط قلوبنا بنور حبيب الله ومصطفاه ﷺ، وأضرب مثلاً:

هذا النور الذي نير به البيوت، من أين جائنا؟ من المحوّل الذي بجوارنا، وهذا الحوّل جاءنا به من الشبكة الرئيسية، فلو أن هذا الحوّل انقطع عن الشبكة الرئيسية فهل يأتينا نور؟ لا! والله المثل الأعلى!! فالشبكة الرئيسية للأنوار الإلهية هي الحضرة المحمدية، وهي التي تمد كل المؤمنين من الأولين والآخرين والمعاصرين شرقاً وغرباً في كل وقت وحين، لذلك نحتاج أن نكون على صلة بشبكة الأنوار المحمدية.

فتواصله بالصلاة عليه، وتواصله باستحضار هيئته النورانية، وتواصله بالافتداء به في كل حركاتك وسكناتك والدينية، فيكون ملامح ظاهرة أمامك، فلا تمشي خطوة

٥٥ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

إلا وترى كيف كان يضع رسول الله القدم في هذه الخطوة، لتضع قدمك على قدم رسول الله ﷺ... وهذه هي الطريقة التي يمشي فيها العارفين والسالكين الذين يُريدون أن يكونوا من العارفين.

فتفتح آفاق الغيوب في القلب، ويتجمل السر بالأنوار الحمديّة، ويُسرح الله ما فيه من مصابيح مضية بالسراج الأعظم الذي يقول فيه في القرآن: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤٦: الأحراب) هذا السراج لمن يُضيئ؟ الشمس تُضيئ الأكوان، وشمس الحبيب تُضيئ قلوب أهل القرب والعيان، إذا أشرقت شمس الحبيب فشمسه لا تغيب، يقول سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ:

أفلت شمس الأولين وشمسنا أبدأ على فلك العلى لا تغرب
ويقول إمامنا الإمام أبو العزائم ﷺ:

لا يغيب النور عن أهل اليقين كيف ذا والنور في الأفق المبين
شمسنا طه الحبيب المصطفى لم تغب يا طالب الحق اليقين
من يقل غابت فذاك لحجه كيف يخفى نور رب العالمين
نورتنا الشمس أصبح نورها مشرقاً في كل فردٍ في أمين

فنحن في حاجة لنور رسول الله ﷺ، وبعد ذلك يمارس معنا المهام العلية التي كلفه الله بها في الآيات القرآنية، والتي قال له فيها في آخر سورة الصافات: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١١٧٥: الصافات) فتح لهم عيون القلوب ليشاهدوا الغيوب، ويمشون في الدنيا منورين، فلا يستطيع أحدٌ من الأولين أو الآخرين أن يخدعهم أو يضحك عليهم، لأنهم يمشون بنور الله ونور حبيبه ومصطفاه.

كان سيدنا عمر ﷺ وهو من أهل هذا المقام يقول: ((لستُ بغرّ ولا الغرّ يخدعني)) والغرّ يعني المخادع، أنا لستُ مخادعاً، والمخادع لا يستطيع أن يضحك عليّ، لماذا؟ لأن معي الكشاف النوراني الرباني الذي يستضيئ به.

ما الذي أتعب الناس في هذا الزمان؟... أنهم تركوا هذا الميزان، فتركوا النور الذي في القلوب ومشوا بالنفوس والحظوظ والأهواء الدنيوية، فضلّ سعيهم، وتخبّطت مسيرتهم، وأصبحوا والكل يشكوا ويشتكى، والحل كما قال ربنا ﷺ: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ يعني ميزاناً:

نسأل الله ﷻ أن يُنور قلوبنا بنور الحبيب، وأن يكشف عنا كل غَينٍ ورَينٍ وبَينٍ، وأن يجعلنا من الذين ينظرون بالأنوار الإلهية، ولا تغيب عنهم الحضرة المصطفوية طرفة عين ولا أقل، وأن يزكِّي نفوسنا، وأن يُصَفِّي قلوبنا، وأن يُصحح أحوالنا، وأن يوجهنا دائماً إلى ما يُجبه ويرضاه، وأن يأخذ بأيدينا على الدوام إلى كل أمر يُجبه، ويكون فيه متابعة لحبيبه ومصطفاه، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه

حكم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف^{٥٦}

سؤال: ما حكم الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ؟ وما الأدلة على ذلك؟^{٥٧}

أوقع بعض المسلمين إخوانهم المسلمين المعاصرين في اشكالية بدون داعي، وأقول: إن الإنسان مأمورٌ بالفرح عند أي نعمة تأتي له، وبالْحُزْن عند أي مصيبة فيها، وهل هناك نعمة أعطاها الله لنا أعظم ولا أكرم ولا أفضل من نعمة رسول الله ﷺ؟!.

نعمة الله

ومن الذي سمّاها نعمة؟ الله ﷻ، فيقول لنا كلنا: ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (١٠٣ آل عمران) يعني ذاكروا وتذاكروا وتدارسوا وتفكروا في نعمة الله عليكم، أي نعمة؟ بينها الحق، فالنعمة هنا ليست الطعام والشراب، ولكن النعمة هنا هي سببٌ للهداية، وسببٌ للولائية، وسببٌ للإيمان، وسببٌ للقرآن، وسببٌ لرضا الرحمن: ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ من الذي ألّف بين القلوب؟ ﷺ، ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ فالنعمة واضحة وجلية وصریحة: ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ (١٠٣ آل عمران)، هذه النعمة مع أنها نعمة واحدة لكن الله يقول لنا فيها: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (٣٤ إبراهيم) كثير من المنسوين للعلم يأخذها على أن النعم هنا هي النعم الظاهرة كالسماوات والأرض والجبال والبحار، ولكن هل قال الله: وإن تعدوا نِعْمَ اللَّهِ؟ لا، ولكن الآية تقول: (نِعْمَةٌ لِلَّهِ) نعمة واحدة، وإن تعدوا نعمة الله بما فيها من خصائص خصّه بها الله، ومنازل أعطاها له الله، ودرجات كرمه فيها الله، وخزائن عطاءات سلّمها له الله وقال له كما قال في كتاب الله: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا ﴾ (٣٩ ص) كله معك:

٥٦ القاهرة - المقطم - مسجد مجمع الفائزين الخيري ١٤ من ربيع الأول ١٤٤٠ هـ ٢٢/١١/٢٠١٨ م
 ٥٧ راجع كتابنا (دلائل الفرحة بالرحمة المهداة) للاستزادة والتوسع.

{ وَاللّٰهُ الْمُعْطِيْ وَاَنَا الْقَاسِمُ }^{٥٨}

أنا معي مفتاح كنوز الكرم المفتاح، فمن أراد فتح الكنوز فأنا معي فك هذه الرموز، وأنا الوحيد الذي أستطيع فك هذه الكنوز، لأن هذا أمرٌ خصه به مولاه ﷺ لأنه حبيب الله ومصطفاه ﷺ... فالله أمرنا أن نفرح بأي نعمة، فالذي يرزقه الله بالولد يصنع وليمة، فرحاً بأن جاءه ولد، ومن تأتبه علاوة تشجيعية خاصة عن غيره يجمع زملاءه ويصنع لهم طعاماً أو شراباً لأنه حُصَّ بهذه العلاوة، ومن تأتبه أي نعمة يفرح بها.

وهل هناك نعمة أعظم من نعمة رسول الله؟! أعظم نعمة في الوجود علواً وسفلاً قديماً وحديثاً نعمة سيدنا رسول الله ﷺ، فيجب أن نفرح بهذه النعمة، ولم يكتف الله بهذا الأمر، ولكنه قال بأمر صريح: **﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ ﴾** (٥٨ بونس) وهذه قراءة بتاء الخطاب، لأن فيها لذة، من الذي فسّر هذه الآية؟ الرجل الذي أعطاه سيدنا رسول الله هذا التخصص، ودعا له وقال:

{ اللّٰهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ }^{٥٩}

وهو سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقال عن هذه الآية: فضل الله هو القرآن الكريم، ورحمة الله هي سيدنا رسول الله، لأن الله قال فيه: **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾** (١٠٧ الأنبياء) فهنا نفرح بكتاب الله، وبرسول الله، لأن كتاب الله نزل على من؟ **﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٠٢﴾ عَلَيَّ قَلْبِكَ ﴾** (الشعراء) نزل على قلب رسول الله، وسمعناه منه، وهو الذي وضّحه لنا وفسّره وبيّنه لنا.

الاحتفال بميلاد النبي ﷺ

فالأمر هنا صريح أن نفرح برسول الله ﷺ، ولماذا نبعد فقد كان سيدنا رسول الله يحتفل بيوم ميلاده وكان يصوم كل يوم اثنين، وسئل عن ذلك، فقال ﷺ:

{ ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنزِلَ عَلَيَّ فِيهِ }^{٦٠}

٥٨ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان

٥٩ مسند أحمد وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما

فيصوم شكراً لله على نعمة الإيجاد، بأن الله أوجده، فيقول بعض المجادلين نحتفل بميلاده فنصوم كما كان يصوم، والجدل طبيعة في الإنسان، كما قال الله في شأنه في القرآن: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (٤٥ الكهف) فطبيعة الإنسان أنه يحب الجدل بأي كيفية ولو بالباطل، لكن المؤمنين كما قال فيهم النبي:

{ أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ، وَبَيْتٍ فِي رَبِضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ }^{٦١}، وحدّرنا من الجدل، لماذا يا رسول الله؟ قال:

{ مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدَى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ }^{٦٢}

ولماذا نجادل؟! ما لا نعرفه من العلم نرجع لمن هم فوقنا في العلم: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦ يوسف) ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣ النحل).

فيقولون: نصوم كما كان يصوم، ونقول لهم: الصوم طاعة، وهو كان يصوم شكراً لله على نعمة ميلاده بطاعة الله، فإذا قمت بعمل درس علم في شمائله وصفاته وخصائصه وما شابه ذلك فهذه طاعة لله، وإذا كان درس علم في شرح آيات من كتاب الله، فهذه طاعة لله، وإذا جهزت طعاماً وأطعمت به فقراء من المسلمين في هذا اليوم، أفلا يكون هذا شكر لله على بعثة رسول الله؟! المهم في النية:

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى }^{٦٣}

كذلك لو اشتريت لأولادي بعض الحلوى في هذا اليوم لأفرحهم وأقول لهم: أنا اشتريت لكم الحلوى اليوم من أجل ميلاد رسول الله ﷺ، وأقص عليهم بعض سيرته وحياته، فهذه طاعة لله ﷻ.

إذا الإنسان ما دام لم يخرج إلى دائرة المعاصي والغفلة، وإنما في دائرة الطاعات والعبادات، فكلها فرح بميلاد سيد السادات ﷺ... لأنه ﷺ لم يفرض علينا طاعة محددة نحتفي بها ونترك غيرها، بل ترك الأمر مباح، فكل واحد يحتفي على قدره وبما يستطيع، ولكن بطاعة لله، وبشكر لله على ميلاد رسول الله ﷺ.

٦٠ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي قتادة الأنصاري ﷺ

٦١ مسند الروياني عن أبي إمامة ﷺ

٦٢ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي إمامة ﷺ

٦٣ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

وإذا كان الرجل الذي أذاه أشد الإيذاء وكان عمه، فلما بُعث النبي للنبوّة صعد على جبلٍ قريبٍ من مكة ونادى:

{ يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ، لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ، أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ حَيَلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟! }^{٦٤}

وتباً يعني هلاكاً، وكان يمشى خلفه، فكلما ذهب رسول الله إلى أي سوق من الأسواق يدعو إلى الله يمشي عمه خلفه ويقول: لا تصدقوه، فأنا عمه وهذا الكلام ليس عندنا، وكان يمشي خلفه بالمرصاد.

بل فعل أكثر من ذلك، فكان عنده ولدين واحد منهما زوجه بنتاً من بنات حضرة النبي، والآخر كان خطيباً للأخرى، فأجبر الولدين في ليلة واحدة أن يطلقا البنتين، هل هناك إيذاء أشد من هذا؟! فنزلت فيه سورة: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾ (المسد) هو وامراته.

أخوه العباس رآه في المنام بعد موته، فسأله عن حاله؟ فقال: أنا في أشد العذاب، ولكن كل يوم اثنين يُخفف عني العذاب.

لأن النبي ﷺ وُلد ليلة الاثنين في وقت السحر، قبل الفجر مباشرة، ولذلك سألوا الشيخ عبد العزيز الدباغ ﷺ: لماذا جعل وقت السحر وقت إجابة؟ فقال لهم: لأن وقت السحر هو الوقت الذي وُلد فيه حضرة النبي ﷺ، فلا بد أن يكون وقت إجابة.

وسيدنا يعقوب أبو يوسف عليهما السلام عندما قال له أولاده: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ (٩٧ يوسف) فقال لهم: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ (٩٨ يوسف) يعني لن أستغفر لكم الآن، ولكن قيل أنه انتظر حتى وقت السحر لأنه أضمن إلى الإجابة، وأقرب إلى الإجابة، وهو الوقت الذي ينزل فيه الله ﷻ، كما قال ﷺ:

{ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ، نَزَلَ اللَّهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ }^{٦٥}

فقال أبو هب للعباس:

أنا يُخَفِّف عني كل يوم اثنين، فقال له: لماذا؟ قال: لأني كان عندي أمة اسمها ثوبية، فلما وُلِدَ لأخي عبد الله وُلِدَ لي مسرعةٌ وقالت لي: أبشر وُلِدَ لأخيك عبد الله غلام، فقلتُ لها: أنت حرة.

يعني فرح بميلاد النبي، فالكافر الذي فرح بميلاد النبي يُخَفِّف عنه الله العذاب كل يوم اثنين:

إذا كان هذا كافرًا جاء ذمُّه وتبت يداه في الجحيم مُخلدا
أتى أنه في يوم الإثنين دائماً يُخَفِّف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالبعد الذي كان عمره بأحمد مسروراً ومات موحدًا

الذي يعيش مدى عمره يُحِب رسول الله، فإذا مات ماذا يكون حاله؟
ولذلك قال ﷺ:

{ مَا اخْتَلَطَ حُبِّي بِقَلْبِ عَبْدٍ فَأَحْبَبْتَنِي إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ }^{٦٦}
إذا لا بد أن نحتفي برسول الله :

- لنُظهِر - حتى لمن معنا في البيت - بعض المعارف التي تتقبلها عقولهم عن رسول الله .. وبعض الأخلاق الكريمة التي يمشون على هُداها من أخلاق رسول الله، ونُظهِر لهم في يوم مولده وفي أيام مولده وفي شهر مولده تعاليم دينه، وأخلاق شرعه.
- لنُظهِر للعالم كله جمال دين الله، وكمال أخلاق سيدنا رسول الله ﷺ.
وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه

٦٥ مسند أحمد عن أبي هريرة ؓ

٦٦ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

شق صدره الشريف

ومن خصوصياته العظيمة التي خصّه بها الله ﷻ أن الله ﷻ شقّ صدره، وكان الشقُّ الأول وهو عنده أربع سنوات، وكان رضيعاً عند السيدة حليلة السعيدية ﷺ، وبعد أن أتمَّ الأربع سنوات أعادته، ولكن طلبت من أمه أن تمدّها لها المهلة وتتركه معها فترةً أخرى لما رأت على يديه من الخيرات والبركات في نفسها ومالها وأهلها، فأذنت لها. وأخذه إخوته من السيدة حليلة معهم ذات صباح ليلهو معهم عند رعي الأغنام كما يدعون، وهناك كان أول شقِّ لصدر النبي، قال ﷺ:

{ فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ مُنْتَبِذٌ مِنْ أَهْلِي فِي بَطْنٍ وَادٍ فِي أَنْرَابٍ لِي مِنَ الصَّبْيَانِ، نَتَقَادِفُ بَيْنَنَا بِالْجُلَّةِ، إِذْ أَنَا رَهْطٌ ثَلَاثَةٌ مَعَهُمْ طَسْتُ مِنْ ذَهَبٍ مِلِّي ثَلَجًا، فَأَخَذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي، فَخَرَجَ أَصْحَابِي هِرَابًا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي، ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى الرَّهْطِ، فَقَالُوا: مَا أَرَبُكُمْ إِلَى هَذَا الْغُلَامِ؟ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَّا، هَذَا ابْنُ سَيِّدِ قَرَيْشٍ، وَهُوَ مُسْتَرْزَعٌ فِينَا مِنْ غُلَامٍ يَتِيمٍ لَيْسَ لَهُ أَبٌ، فَمَاذَا يَزُدُّ عَلَيْكُمْ قَتْلُهُ؟ وَمَاذَا تُصِيبُونَ مِنْ ذَلِكَ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ لَا بُدَّ قَاتِلِيهِ فَاخْتَارُوا مِنَّا أَيَّنَا شِئْتُمْ، فَلَيَأْتِيكُمْ مَكَانُهُ، فَافْتَلَوْهُ وَدَعُوا هَذَا الْغُلَامَ فَإِنَّهُ يَتِيمٌ، فَلَمَّا رَأَى الصَّبْيَانُ الْقَوْمَ لَا يُحِيرُونَ إِلَيْهِمْ جَوَابًا انْطَلَقُوا هِرَابًا مُسْرِعِينَ إِلَى الْحَيِّ يُؤْذِنُونَهُمْ عَلَى الْقَوْمِ، فَعَمَدَ أَحَدُهُمْ فَأَضْجَعَنِي عَلَى الْأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ لَمْ أَجِدْ لِذَلِكَ مَسًّا، ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي، ثُمَّ غَسَلَهَا بِدَلِكِ الثَّلْجِ، فَأَنْعَمَ غَسَلَهَا، ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي مِنْهُمْ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ، فَتَنَحَّاهُ عَنِّي، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي، فَأَخْرَجَ قَلْبِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَصَدَعَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ فَرَمَى بِهَا، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يُمْنَةً مِنْهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُ النَّاطِرُونَ دُونَهُ، فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي، فَامْتَلَأَ نُورًا، وَذَلِكَ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ، فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ فِي

قَلْبِي دَهْرًا، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ عَنِّي، فَأَمَرَ يَدَهُ مَا بَيْنَ مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللَّهِ {^{٦٧}

حكمة شق صدره الشريف

شق الصدر هذا حدث لرسول الله كما تحكي كتب السيرة أربع مرات، مرة وكان عمره أربع سنوات، ومرة وهو ابن اثني عشر سنة، ومرة قبل نزول الوحي، ومرة ليلة الإسراء والمعراج.

ما الإشارة في شق صدر النبي ﷺ مع أن الله خلقه من نور؟ سيدي عبد الرحيم القنائي رحمه الله وكان ميلاده في بلاد المغرب، وتوفي أبوه وكان عمره اثني عشر سنة، وكان أبوه عالماً، فلما رأت أمه حُزنه علي أبيه، وكانت هي من دمشق في بلاد الشام أرسلته إلى حيث أهلها، حتى يسألوا عن تعلقه بأبيه ويطلب العلم.

ومكث هناك حتى سن العشرين، ثم رجع إلى بلاد المغرب، وأقيم في درس الدين في المسجد مكان أبيه في المغرب بالقرب من فاس.

ثم توفيت أمه ولم يعد له أحد، لأنه لم يكن له إخوة، فعزم على الحج إلى المشرق لحج بيت الله الحرام، فحجَّ في مكة واستقرَّ في المدينة، ومكث يتردَّد بين مكة والمدينة لمدة ثمان سنوات.

فتعرَّف على علماء الحرم، وزوَّار الحرمين، وكان يجاهد نفسه في الله ﷻ حتى كُلف من رسول الله ﷺ بأن يذهب إلى قنا في مصر لينشر دعوة الله ﷻ، ولم يتزوج إلا بعد مجيئه إلى مصر.

فكان ﷺ وأرضاه يقول: ((لي مجلسين مع رسول الله ﷺ كل ليلة الإثنين، وليلة الجمعة، أراه في المنام وأعرض عليه ما استشكل عليَّ من الأسئلة فيُجيبني عليها جميعاً)) وهذا دأب الصالحين كلهم.

الشيخ عبد العزيز الدباغ وكان من فاس، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان عندما يسأله سائل يقول له: انتظر حتى أسأل حضرة النبي ﷺ، فيطرق إلى الأرض ثم

٦٧ تاريخ الطبري، والمطالب العالية لابن حجر، ودلائل النبوة للبيهقي عن شداد بن أوس

يرفع رأسه ويقول: ((سألتُ النبي عن سؤالك فأجابني بكذا وكذا)) وهذه الأسئلة جمعها تلميذه الشيخ أحمد بن المبارك في كتاب اسمه (الإبريز في مناقب الشيخ عبد العزيز) والأبريز يعني الذهب الخالص، وأنصح لقارئ الكتاب أن يعلم أن هذه إجابات حضرة النبي لأهل هذا الزمن، لكن أهل زماننا الذي نحن فيه لهم إجابات أخرى، فلا يطيق هذا على ذلك، وكان سيدي عبد الوهاب الشعراي رحمه الله يقول في كتابه المنن الكبرى التي منَّ بها الله عليه: ((وما منَّ الله ﷻ عليَّ به أنني لم أجلس مرة للتشهد وأقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته إلا وأراه أمامي وأسمعه وهو يقول: وعليك السلام يا عبد الوهاب))، وكان إذا سُئل في أمرٍ يضع يده ويقول: ((وضعتُ يدي على شبك النبي وسألته عن سؤالك فأجابني بكذا وكذا وكذا))

أحوال غريبة وعجيبة، ولكن: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١٧٨ الحج) ولا حرج على فضل الله ﷻ.

وكان سيدي مالك ابن أنسٍ رحمه الله يقول: ((ما بتُّ ليلة إلا ورأيتُ رسول الله ﷺ في المنام))^{٦٨} وسيدنا أبو العباس المرسي، وسيدنا أبو الحسن الشاذلي، كان يقول كل منهما: ((بقي لي أربعين عاماً لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددتُ نفسي من المؤمنين))... وهذا كان جهاد الصالحين، وكانت النساء الصالحات تحضُّ الأبناء على بلوغ هذه المقامات، فرجلٌ من الصالحين كانت أمه تربيته، فأخبرها أنه رأى النبي في المنام، فقالت له: لا يكون الرجل رجلاً حتى يراه ﷺ يقظةً وليس في المنام، فأخذ يجاهد حتى رآه ﷺ في اليقظة.

كيف يراه؟ الإنسان المصاب بمرمد في العين، هل يستطيع أن يحظى برؤية الشمس على هبئتها؟! لا، فكيف والعياذ بالله بمن عنده مرض في العين جعلها مكفوفة أو عمياء، فهل يرى شيئاً حوله؟! لا، فرؤية رسول الله تتم بعين البصيرة، أو بعين السريرة، وعين السريرة وعين البصيرة كي ترى لا بد للإنسان أن يُجليها:

{ الْقَلْبُ يَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا جِلَاؤُهُ؟ قَالَ:

تَلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى }^{٦٩}

٦٨ المثنى بن سعد بن الفصير عن ماك بن أنس في حلية الأولياء.

٦٩ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

فإذا جلاها أشرق نور حضرة النبي ﷺ، فرأت عيناه قدر ما يتحملة من نور حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

ونحن كلنا والحمد لله ستمتع برؤية رسول الله عند الخروج من الدنيا، وتمتع به في البرزخ، وفي الآخرة، لكن النظر إلى حضرته في الدنيا يحتاج للجهاد الذي يقول فيه الله: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (١٧٨ الحج) وهذا الجهاد جهاد فتح عين البصيرة، أو عين السريرة حتى ينطبق عليه قول الله ﷻ: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ (١٧٥ الصافات) لا بد من الوصول إلى هذا المقام.

السيد عبد الرحيم القنائي ﷺ، كان ذات مرة في درس من دروسه في قنا، فقال لمن حوله: عندما كنت بالمدينة المنورة رأيت الرسول ﷺ في منامي، فقلت يا رسول الله: لم شقَّ الله صدرك؟

فقال عليه الصلاة والسلام: لقد شقَّ صدري وأنا في اليقظة ما شعرت فيه بشيء من ألم، وأتاني الله بقلب سليم، ليتحمل نزول كلام الله على هذا القلب، لأن القلب الذي خلقت به طفلاً لا يتحمل هذا النزول، وأنت يا عبد الرحيم تقرأ كتاب الله الذي قال جل شأنه: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (٢١ الحشر) ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٧﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (الشعراء) فمن رحمة الله بي أن هذا القلب الذي ارتضاه ربي فيه قوة ونورانية ونقاء وصفاء، وقد سلم من كل شيء من أمراض الدنيا وعشاقها، تجري فيه آيات الرحمن التي نزلت عليه، لم يخالطها شيء من قوة أخرى، حيث كان كلام الله هو القوة والحياة، وقد حفظه الله من الزيف والنسيان، وليس للشيطان سلطان عليه، ومتى جرى قول الله في مكان أصبح هذا المكان بعيداً عن الهوى، وهذا معنى قوله تعالى عني: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضْنَاكَ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩ آل عمران) وهذا هو المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢ الشورى) ولقد كان الكتاب والإيمان نوراً في قلبي وعلى قلبي، وكان قلبي نوراً يهدي به الله من يشاء من عباده، وأرسلني جل شأنه لهدي الناس إلى صراط الله المستقيم، وهذا هو قلبي يا عبد الرحيم.

وهذا الذي شرحه سيدنا رسول الله ﷺ لسيدنا عبد الرحيم القنائي ﷺ وأرضاه.

العبرة من شق الصدر

نأخذ من هذه العبرة :

أن من يُريد أن يبلغ المقامات العالية، والدرجات الراقية، لا بد وأن يُشق صدره، ويفتح قلبه وبطنه؛ يُطهره من الحقد والحسد والغل والبُغض والكُره والأثرة والأنانية والشح والقسوة والفظاظة والغلظة .. وكل هذه الصفات الظلمانية، ويُجمِّله كما جمَّل الله الحبيب في رحلة المعراج حيث قال:

{ فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ،
ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً }^{٧٠}

- يحشي قلبه بعلوم الإيمان، وعلوم الإحسان، وعلوم الحكمة العالية من الحكماء، وعلوم المعرفة من العُرفاء، حتى يرتقي في المراقي على المعارج التي عرج عليها سيد الرُّسل والأنبياء ﷺ.

ما الذي يُطهر القلب من هذه الأمور؟

هل غسل القلب بالماء؟! أو ألقى بنفسي في البحر وأغسل قلبي!؟

لا، الإمام أبو العزائم ؓ وقف ذات يوم مقابل البحر الأبيض وكان يُسمَّى بحر الروم، فقال مخاطباً له:

قليلك قد يُطهر كل جسمي يطهر بحر روم كل رسمي
وقلبي لا تطهره بحار يُطهره العليُّ نبيل علم

ما العلم الذي يُطهر؟

العلم الطازج الذي قال فيه سيدي عز الدين بن عبد السلام، وكان يسمع لسيدي أبو الحسن الشاذلي علماً، فأخذ يضرب كفيَّه ببعضها ويقول:

هلمُّوا واسمعوا هذا العلم الحديث عهدٌ بالله ﷻ.

٧٠ البخاري ومسلم عن أنس ؓ

وهذا هو العلم الذي نحتاجه، ونأخذ مثلاً:

أنا أريد أن تأتيني أرضي بمحصول وفير، فهل أروبها بماء راكد، أم بماء جارٍ؟
بماء جارٍ ... لأني لو روبتها من بئيرة راكدة فلن يخرج الزرع، لكن ماء المطر هو
الذي يُحيي الزرع ويُحيي النبات ويُحيي الضرع، فقالوا هكذا:

((كما أن كل ماء لا ينزل من السماء لا ينفع،
فكذلك كل علم لم ينزل من قلوب أهل المعرفة لا يرفع)).

ما الذي يرفع الإنسان؟

العلوم الوهية الإلهية التي تنزل طازجة:

فهي التي تُبدّل الأحوال، وتجعل الإنسان يرتقي آلاف الأحوال في النفس
الواحد، ولذلك كان يقول إمامنا الإمام أبو العزائم رحمته:

((نَفْسٌ مع العارف حياةٌ للقلب، ونَفْسٌ في حياة القلب خيرٌ من حياة الفردوس،
ونَفْسٌ مع العارف خيرٌ من عمل العباد والزُّهَّاد لسنين طوال)).

لأن العبادة جزاؤها الجنة، لكن من يُريد ربَّ الجنة يحتاج تقريب ذوي المنة الذين
لهم جاه ووجاهة عند حبيب الله ومصطفاه صلوات الله وتسليماته عليه.

فشقُّ الصدر لناخذ منه العبرة، فندشقه بسكين المحبة، ونجعلها تفتح القلب حتى لا
تدع فيه لغير المحبوب حبة، فإذا طُهرت القلوب وخلت من العيوب، بدا فيها وجه
الحبيب المحبوب، وتجلَّى لها الحق ﷻ بكل أنواع الغيوب، وجعل صاحب هذا القلب
صاحب مواهب إلهية لا يكشفها إلا لحبيب مطلوب لحضرة علام الغيوب ﷻ.

نحتاج كلنا لبعض الحب، وبالفضل نفتح القلب، ونحاول أن نخلع منه حظَّ
الشيطان، وحظ الشيطان - كما قلتُ - الأخلاق التي ينهى عنها الرحمن، ولم يكن
عليها النبي العدنان، وتتخلق بأخلاق الحبيب، ونجعل القلب بيتاً لله لا يدخله سواه،
فالقلب بيت الربِّ، فطهره له بالحُبِّ.

فهذه الإشارات التي نأخذها من هذه الحكايات، التي فيها ارتقاء وانتقاء
واصطفاء وعروجٌ إلى معية سيد الرُّسل والأنبياء ﷺ.

الفصل الرابع

الرحمة العظمى لجميع العالم

- ❖ رحمة رسول الله بالمؤمنين في الدنيا والآخرة
- ❖ الرحمة العظمى للعالمين
- ❖ مظاهر رحمته بنا في الدنيا
- ❖ التيسير على أمة النبي تراحم المؤمنين
- ❖ مظاهر رحمة الله بالمؤمنين في الآخرة
- ❖ الرحمة طريق الهبات والعطاءات
- ❖ وراثه النبوة
- ❖ تقوى أم سليم
- ❖ الأمة المرحومة
- ❖ نور رسول الله ﷺ
- ❖ ميثاق الأنبياء
- ❖ تجديد العهد للأنبياء
- ❖ بيعة الله للمؤمنين
- ❖ بلوغ منازل الأنبياء
- ❖ متابعة الحبيب ﷺ
- ❖ المتابعة الظاهرية
- ❖ المتابعة السر
- ❖ المتابعة القلبية
- ❖ المتابعة الروحية

الفصل الرابع

الرحمة العظمى لجميع العالم

رحمة رسول الله بالمؤمنين في الدنيا والآخرة^{٧١}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا بهُداه، ومَتَّعنا وأشْرَق على قلوبنا بنور الإيمان بالله، وجمعنا على خير رسول أرسله إلى خلق الله، سيدنا مُحَمَّد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

كلمة واحدة نحتاجها جميعاً ليتحوَّل حالنا إلى خير حال في الدنيا والآخرة؛ أقام الله ﷻ مُلكه وملكوته وجميع عوالمه ﷻ على الرحمة، وسَمَّى نفسه الرحمن الرحيم.

ذكر النبي ﷺ ما يُبين هذه الرحمة، فكان في إحدى الغزوات وامرأة من المشركين سقط صبيها بعيداً عنها، فأخذت تبحث عنه وهي ملهوفة حتى عثرت عليه، فارتمت عليه واحتضنته وكادت تُزمه زمناً من شدة احتضانها له، فقال ﷺ لأصحابه المباركين:

{ أَتْرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ، قَالُوا: لَا، فَقَالَ: لِلَّهِ أَزْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا }^{٧٢}

ثم بيَّن ﷺ في بيان متسلسل سعة رحمة الله التي يقول فيها في الحديث الصحيح:

{ إِنَّ لِلَّهِ ﷻ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَجَعَلَ مِنْهَا رَحْمَةً فِي الدُّنْيَا تَتَرَاخُمُونَ بِهَا }^{٧٣}

وفي رواية أخرى:

{ جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاخُمُ الْخَلَائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ }^{٧٤}

إن الله ﷻ خلق مائة رحمة، واحدة منها في الأرض، فبها تتراحم الناس، وبها

٧١ المعادي - مسجد النور ١١ من ربيع الأول ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧/١١/٣٠ م

٧٢ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

٧٣ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٧٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

تشفق الأم على ولدها، وبها ترفع الدابة حافرهما عن صغيرها، وأدخر التسعة والتسعين ليوم القيامة، وبين ﷺ هذه الرحمة فقال:

{ مَثَلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي الْكُرْسِيِّ كَحَلَقَةِ مُلْقَاةٍ فِي فَلَاةٍ، وَإِنَّ فَضْلَ الْكُرْسِيِّ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلَقَةِ }^{٧٥}

وفي رواية أخرى:

{ مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةِ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلَقَةِ }^{٧٦}

مثل السماوات السبع، والأراضين السبع، بالنسبة للعرش كحلقة حديد ملقاة في أرض صحراء، ومثل العرش بالنسبة للكرسي كذرة رمل في هذا الصحراء واسعة. ثم يأتي قول الله ﷻ: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (١١٥٦ الأعراف) رحمة الله وسعت العوالم كلها، العالية والدانية، الأرضية والسماوية، لنعلم أن الله أعز أوصافه هي الرحمة.

الرحمة العظمى للعالمين

خلق الله ﷻ من هذه الصفة حبيبه ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه، وحدد الغرض من بعثته، والهدف من رسالته، فقال في حقه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١١٠٧ الأنبياء).

فكان رحمة للصغير، ورحمة للكبير، ورحمة للإنسان، ورحمة للطير وللحيوان، ورحمة لكل شيء خلقه حضرة الرحمن، حتى كان رحمة للضالين وللكافرين وللمشركين، لأن الضالين والمشركين كانوا قبل بعثته إذا كذبوا أنبيائهم ورسلهم حاق بهم العذاب، ونزل عليهم من الله ﷻ العقاب، فلما بعث الرحمة المهتدة منع الله العذاب عن أهل الأرض جميعاً حتى المكذبين والضالين والكافرين، وبين سبب ذلك فقال في قرآنه لنا أجمعين: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ (٣٣ الأنفال) إذا رُفِعَ عنهم العذاب أكراماً للرفوف الرحيم ﷻ.

٧٥ المطالب العالية لابن حجر عن أبي ذر

٧٦ حلية الأولياء لأبي نعيم عن أبي ذر

حتى أن الله ﷻ سَمَّاهُ بِاسْمَيْنِ كَرِيمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَعَرَفْنَا بِذَلِكَ فَقَالَ: " لَقَدْ جَاءَكُمْ " وليس الخطاب لمن في عصره وزمانه فقط، بل لنا ولكل من آمن بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً إلى قيام الساعة: ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ يعزُّ عليه العنت والمشقة الشديدة التي تواجهنا في الدنيا، والتي تُعرضنا لآلام قد لا نتحملها: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨ التوبة) فكان ﷺ هو الرحمة النامة السابعة لأمته وللخلق أجمعين.

مظاهر رحمته بنا في الدنيا

رحمنا ﷺ في الدنيا، ومظاهر رحمته لنا في الدنيا لا نستطيع عدّها، لكن يكفي الإشارة إلى واحدة منها، لتدركوا مبلغ حنان وشفقة وعطف هذا النبي ﷺ بنا، فيقول ﷺ للمؤمنين أجمعين في كل زمان ومكان:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَّكُمْ تَحَدُّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَّكُمْ تَعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالِكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَعْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ }^{٧٧}

يستغفر للمؤمنين والمؤمنات: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (١٩مخ) وعندما يقول له ربه هذا، فهذا دليل على أنه يقبل هذا الاستغفار، ويضع به عنا الذنوب والأوزار، باستغفار النبي المختار لنا صلوات ربي وتسليماته عليه.

هاكم واقعة تبين هذه الحقيقة جلية، فالنبي ﷺ في غزوة الأحزاب، كان ما تبقى من اليهود في المدينة أتمر فيهم المشركون فانضموا إلى صفوفهم، وخانوا عهد النبي ولم يقفوا معه، فأصبحوا خنجراً في ظهره مسموماً، وعندما ألقى النبي السلاح بعد فرار الكفار، لأن الله قد سلط عليهم الريح فأخذتهم وأهلكتهم، فنزل الأمين جبريل وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ وَضَعَتِ السَّلَاحَ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ، قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ }^{٧٨}

٧٧ مسند البزار واتحاف المهرة عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٧٨ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

ثم نادي الرسول ﷺ وقال:

{ لَا يُصَلِّينَ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ }^{٧٩}

وضرب لنا مثلاً في تسامح المؤمنين في اختلاف الآراء بينهم، فالخلاف لا يفسد للود قضية، منهم من فقهه من خطاب النبي أن يصلي العصر أولاً ثم يذهب إلى بني قُرَيْظَةَ، ومنهم من فقهه من خطاب النبي أن يؤجل صلاة العصر ولا يصليها إلا إذا وصل إلى بني قُرَيْظَةَ، وأقرَّ النبي الفريقين، ولم يعترض هؤلاء على هؤلاء، ولم يُجرح هؤلاء هؤلاء، لأنها السنَّة التي أراد أن تكون بيننا جماعة المؤمنين أمير الرُّسل والأنبياء ﷺ.

طلب بني قُرَيْظَةَ رجلاً من المسلمين كان صديقاً لهم قبل الإسلام، اسمه أبو لُبَابَةَ الأنصاري ﷺ ليعرفوا منه ويتيقنوا عن حقيقة الخبر، فذهب إليهم أبو لُبَابَةَ فسألوه، فلم يتكلم بلسانه وإنما أشار بيده إلى رقبته - يعني سَتَقَطِعَ رِقَابَكُمْ.

قال أبو لُبَابَةَ: وأدركتُ في الحال أنني خُنْتُ الله ورسوله، لأنه ما كان له أن يكشف سر النبي ﷺ لأعداء النبي، فلام نفسه وعاتبها ورجع وربط نفسه في سارية - يعني في عامود من أعمدة مسجد رسول الله ﷺ، - وآلى على نفسه أن لا يفك هذا الرباط حتى تنزل براءته من السماء من عند الله ﷻ، وأقبل على الله تائباً ضارِعاً منيباً.

سأل النبي ﷺ عن أبي لُبَابَةَ فوصفوا له ما دار، اسمع وصلِّ على حضرته لتسمع وتعرف مدى رحمته وشفقته بأتمته صلوات ربي وتسليماته عليه، فقال:

{ أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ جَاءَنِي لِاسْتَعْفَرْتُ لَهُ }^{٨٠}

لو جاءني لاستغفرت له الله فيغفر له الله، ما الذي جعله يذهب يُعَذِّبُ نفسه هذا العذاب!!؟

ولذلك علمنا الله ﷻ في القرآن هذا الباب الأكيد لمغفرة الحميد المجيد ﷻ:
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ﴾ . ألا يكفي ذلك!!؟ لكن الله قال لا بد من توقيع حضرة الرسول: ﴿ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (٦٤ النساء).

٧٩ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

٨٠ جامع البيان للطبري

فتح الله لنا باب لم يفتحه لأحد من قبل، أن المؤمن إذا ضحكت عليه نفسه، أو لعبت به الأهواء، ووقع في الذنوب، وأحاطت به الخطايا، ما عليه إلا أن يتوجّه إلى رسول الله ﷺ، وجاءوك هنا لا يقتصر معناها على من ذهب إليه في روضته، ولكن يتوجّه إليه في أي زمان ومكان، فإنه ﷺ روحه الإلهية الربانية تملأ كل الأزمنة والأمكنة.

ولذلك كل المسلمين في كل بقاع الأرض يقولون في التشهد في الصلاة: ((السلام عليك - بلغة الخطاب - أيها النبي ورحمة الله وبركاته)) وهو ﷺ يقول لنا في ذلك:

{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ }^{٨١}

إذا كانت البطارية الإيمانية في القلب مشحونة سنسمع رد السلام، وقد يكشف الله عنا اللثام فنرى وجه النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

إما إذا تركنا البطارية إلى أن فرغت وهربت الشحنات التي فيها، من الغفلة ومن السهو ومن النسيان، فنحن نُسلم وهو ﷺ يردُّ السلام، ولكننا لا نسمع.

لكن الإمام عبد الوهاب الشعرائي رحمه الله وكان شيخ الإسلام في زمانه، ذكر فضل الله تبارك وتعالى عليه فقال في بعض ما تفضّل الله ﷺ به عليه: ((مما من الله تعالى به عليّ أي لم أجلس مرة للتشهد في الصلاة، وأقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، إلا وأراه أمامي وأسمعه وهو يقول: وعليك السلام يا عبد الوهاب)).

لأنه يرد على كل واحد منا باسمه، وإن كنا لا نسمع، لكنه صلوات ربي وتسليماته عليه يرد حتى نعلم أن الكون جميعاً ترفرف عليه روح الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وربما يتعجب متعجب فيقول: كيف يُشرق النبي على العوالم كلها؟! نقول له: يا أخي وهل هناك عجبٌ في أن الشمس تشرق على الأرض كلها بنورها؟! فإذا كانت هذه شمس الأجسام، فإن شمس القلوب التي قال فيها علام الغيوب: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٤٦: الأحزاب) ينير القلوب كلها بما آتاه الله ﷻ من نورانيته صلوات ربي وتسليماته عليه.

رحمة النبي ﷺ بنا في حياتنا الدنيا أنه طلب من الله تبارك وتعالى أن لا تُرفع صُحف أعمالنا إلا بعد أن تُعرض عليه لينظر ما فيها، فإذا وجد خيراً حمد الله ﷻ، وإذا

٨١ معجم الطبراني ومسنند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

فَتَأْكَلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ {^{٨٢}، وقال:

{ بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بَيْتًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ النَّرْيَ مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبَيْتَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لِأَجْرًا، فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ {^{٨٣}، وفي رواية أخرى:

{ أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ النَّرْيَ مِنَ الْعَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ {^{٨٤}

هذا الرجل دخل الجنة في كلب سقاه، لأنه وجدته في شدة الظمأ ولا يوجد مكان ماء إلا في بئر عميق، فحمل نعله بضمه وملاه ماءً وسقى به الكلب.

تراحم المؤمنين

إذا تعامل أفراد الأمة بهذه الرحمة وبهذه الشفقة وبهذا العطف وبهذا الحنان فيما بينهم، هل ستوجد مشكلات أو خلافات أو مشاحنات بينهم؟! لا، فقد أثني الله على صحابة النبي الأولين باتباعهم لهذا الخلق الكريم فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٢٩ الفتح)، وكأن الله يُحْفِزُ الْآخِرِينَ - ونحن منهم - أن من أراد أن ينضم إلى هذه الثلة المباركة، ويدخل في المعية النبوية، فعليه بهذا الخلق النبيل وهو الرحمة، ولذلك ذكر النبي ﷺ لنا أجمعين إذا أردنا أن يستجيب الله لنا الدعاء، وأن يُحَقِّقَ لَنَا الرَّجَاءَ، وأن يمنع عنا كل شرور الأعداء، ماذا نصنع؟ فقال ﷺ:

{ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَن فِي السَّمَاءِ {^{٨٥}

لو تراحم المؤمنون لزال كل هذه النكبات والمصائب، وكل شيء نخشاه في طرفة

٨٢ مسند أحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

٨٣ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

٨٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

٨٥ جامع الترمذي وأبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

عين أو أقل، لأن الله ﷻ يُريد منا أن نكون صورة من الصحب الكرام، وصورة من الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، ونتخلى بالخلق العظيم الذي عليه المولى تبارك وتعالى، وهو خلق الرحمة.

ما أولى هذه الأمة برحمة رسول الله ﷺ!، هذه الرحمة هي المنفذ الوحيد والملجأ الأكد للخروج مما نحن فيه الآن.

أما الشدة على بعضنا، والغلظة في تعاملنا مع إخواننا، والفظاظة والقسوة في ألفاظنا وأفعالنا، فهذا ما نهى الله عنه نبينا: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ (١٥٩ آل عمران).

عجبي للمؤمنين في هذا الزمان الذين يتكون الجانب الأول الذي مدح عليه الرحمن النبي العدنان، ويأخذون الجانب الثاني الذي نهى الله عنه المسلمين في كل وقت وآن؛ يعامل إخوانه المؤمنين بغطرسة وبكبرياء وبفظاظة وبغلظة وبألفاظ قد تكون لاغية، أو قد تكون شائنة، أو تكون فيها تشنيع عليه، ولا يعلم أن الرحمة ما وجدت في أمر إلا وحلَّ فيه فتح الله وتأييد الله، ولذلك قال الله لنا جماعة المؤمنين:

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (١١٧ البلد).

مظاهر رحمة الله بالمؤمنين في الآخرة

نأخذ لمسة من رحمة النبي ﷺ بنا، ورحمة الله بنا من أجل نبينا في الدار الآخرة، فإن النبي ﷺ هو الذي يرحم الأمم كلها من عناء الحساب، وموقف الحسرة والندامة يوم الدين ... تخرج الأمم كلها إلى أرض المحشر: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ (٤٨ إبراهيم) والكل من شدة ما يرون يتمنى الخروج ولو إلى النار لما يرون من شدة العذاب، قال ﷺ:

{ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى، فَإِنَّهُ رُوحُ

اللَّهُ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ
فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا }^{٨٦}

لماذا لم يذهبوا إليه من البداية؟ حتى يظهر الله قدره ويبين مقامه، لأنهم لو ذهبوا إليه من البداية وقُضي الأمر ربما قال البعض: يستطيع أي نبي أن يقوم بذلك، لكن الله أراد أن يُبين لنا أن له مقام سامي رفيع لم يبلغه أحد من الأنبياء والمرسلين ولا الملائكة المقربين، ولا أحد من خلق الله أجمعين: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩).

فيشفع النبي ﷺ في بدأ الحساب، وهذا للخلق أجمعين، فكما رفع عنهم العذاب في الدنيا، يرفع أيضاً عنهم العذاب في الموقف العظيم لبداية الحساب، أما أمتة فحدّث ولا حرج، كما قال ﷺ:

{ فَاسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا،
فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ،
فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي }^{٨٧}

نحن آخر الأمم في البعث، وكان يقتضي المنطق والعقل أن نكون آخر الأمم في الحساب، لكنه أكراماً له كما قال ﷺ:

{ نَحْنُ الْآخِرُونَ، الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٨٨}

أول من يبدأ الله تعالى بهم الحساب أمة رسول الله، وأول من يدخل الجنة بعد أن يفتحها رسول الله؛ أمة حبيبه ومصطفاه.

والرحمة العظمى التي لا تُقدَّر، أن الخلائق كلهم يجتمعون منذ آدم إلى يوم القيامة في ساحة العرض والحساب، وأكبر عذاب يتعرض له امرء في الحساب أن يُحاسب أمام الجميع والكل ينظر إليه، وهذا اسمه عذاب الخزي، لأنه سيشعر بالخزي...!!
أمام الناس كلهم.

٨٦ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

٨٧ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

٨٨ صحيح مسلم ومسنَد أحمد عن أبي هريرة ﷺ

وأنبىء الله ﷺ كانوا يخشون من ذلك، حتى أن أبينا إبراهيم ذكر الله عنه في القرآن الكريم أنه كانت دعوته: ﴿ وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿ ٨٨ ﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿ الشعراء ﴾ دعا لنفسه، ولم يُشرك معه حتى أبناءه ولا أمته!! ويقول الله للحبيب بغير طلب: ﴿ يَوْمَ لَا تُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ (التحريم) هو والذين معه، وكيف نحاسب يا رسول الله؟! أغلب هذه الأمة ليس لهم حساب، الكمُّ الأكبر سيقومون من القبور إلى القصور، كيف يا رسول الله؟ قال:

{ أُمَّتِي هَذِهِ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا
الْفِتْنُ وَالرَّزَازِلُ وَالْقَتْلُ }^{٨٩}

يكفي ما عانوه في الدنيا، فهذا يعفيهم من العذاب في الآخرة، ذهب حضرة النبي إلى رجل وكان مريضاً بالحمى وينتظر فرج الكريم والخروج من الدنيا، فوجده خائفاً من جهنم، فقال:

{ الْحَمَى كَيْرٌ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، وَهِيَ نَصِيبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ }^{٩٠}

من يُصب بالحمى مرة فليس له شأنٌ بالنار مادام محافظاً على فرائض الله ولا يتركها، ومعظم هذه الأمة تجد أن الله ابتلاهم في أنفسهم، أو في أولادهم، أو في أموالهم، أو في زوجاتهم... فلو صبروا فإنهم يستحقون أجر الصابرين.

وما أجر الصابرين؟ ﴿ إِنَّمَا يُؤْتَى الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠ الزمر)... يخرجون من الدنيا إلى الجنة مباشرة، من القبور إلى القصور، يجلسون في شرفات القصور ليشاهدوا أهل الموقف، والملائكة يغدون عليهم من كل باب:

{ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ (١١) سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عَقْبَى الدَّارِ ﴿ (الرد) ويطوفون عليهم بأنواع السلسيل وبالأكواب وبكذا وبكذا:

{ عَلَى الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ (١٢) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿ (١٣) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿ (١٤) خَتَمُهُمْ مَسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (المطففين).

وهناك من يُحاسب، لكنه يُحاسب حساباً يسيراً، !!!..

٨٩ سنن أبي داود والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن قيس ؓ

٩٠ شعب الإيمان للبيهقي وابن عساکر عن شمعون بن زيد ؓ

فكيف يكون الحساب اليسير يا رسول الله؟ قال:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ }^{٩١}

ومن الذي يتعرّض للحساب الشديد؟ المجاهرين بالمعاصي، أي الذي يتباهى بالمعاصي ويجلس هنا وهنا ويقول: أنا عملت كذا، وأنا فعلت كذا؛ يستره الله وهو يفضح نفسه بين خلق الله!!، وهؤلاء الذين قال فيهم ﷺ:

{ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ }^{٩٢}

كيف تفعل هذا وقد سترك الله؟! فثب إلى الله، وارجع إلى الله، واندم على ما فعلت، والله ﷻ يحب التوابين، ويجب المتطهرين، وسيغفر لك الذنوب جميعاً:

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٣ الزمر) أي كله، ولن يترك لك شيئاً ما دمت قد رجعت إلى الله، وأنبت إلى الله، وتبت إلى الله تبارك وتعالى.

بل لو حافظت على فرائض الله فإن الله يتولاك بغفرانه على الدوام، فمن يحافظ على الصلوات الخمس يكون مغسولاً من الذنوب أولاً بأول ما اجتنب الكبائر، فما دام بعيداً عن الكبائر فإن الصغائر يغفرها الله تبارك وتعالى له أولاً بأول: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتِ ﴾ (١١٤ هود).

فحساب المؤمنين الذي يُحاسبون يكون حساباً يسيراً:

وأكرم الله المؤمنين بعد ذلك، فنحن جميعاً مقصرين في طاعة الله، فلا يوجد أحدٌ من الأولين والآخرين استطاع أن يوفي الله حقَّ قدره من عباده.

الملائكة أنفسهم الذين تفرغوا لطاعة الله، منهم القائم أبداً، ومنهم الراكع أبداً،

٩١ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

٩٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

ومنهم الساجد أبداً، منذ بدء الدنيا إلى يوم القيامة، فالنبي ﷺ يقول عنهم أنهم يقومون فيقولون:

{ سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ }^{٩٣}

من الذي يستطيع أن يُوفي عبادة الله؟! ومن الذي يستطيع منا أن يحافظ في الصلاة - مثلاً - على الحضور والخشوع فيها لله؟! أمر صعب، وخاصة أننا مشغولون بالدنيا وبالأولاد وبكذا وبكذا.

فجعل الله لنا شفاععة رسول الله ﷺ، ولذلك في زمانه رأى بعض المجتهدين في العبادة، فقال لهم:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }^{٩٤}

وفي رواية اخرى:

{ إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }^{٩٥}

فكلنا نحتاج إلى شفاععة رسول الله، لأنه لن يدخل أحد الجنة إلا بشفاعة رسول الله، وشفاعات رسول الله في الموقف العظيم تحتاج إلى حديث آخر يطول.

هذه الشفاععة كيف ننالها؟

يسر النبي لنا هذا الأمر، وقال ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمَسِّي عَشْرًا؛
أَدْرَكْتُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٩٦}

هل لأحد منا عذر بعد هذا؟!!

لا!

٩٣ معجم الطبراني عن جابر بن عبد الله ﷺ

٩٤ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٩٥ معجم الطبراني عن طارق بن شريك ﷺ

٩٦ معجم الطبراني والصلاة على النبي لابن أبي عاصم عن أبي الرداء ﷺ

اسمها صلاة !!!

لكنها:

- لا تحتاج إلى وضوء!
 - ولا تحتاج إلى اتجاه للقبلة!
 - ولا تحتاج إلى مسجد!
 - ولا تحتاج لأي شيء من هذه الأمور.
 - فأصلي وأنا أمشي، أو أنا نائم!
 - حتى يجوز لي أن أصلي عليه وأنا جنب !!
- فلا عذر بعد ذلك:

لأنها عشر مرات صباحاً، وعشر مرات مساءً ...

والمجتهد هو من يواظب على ذلك، فتجب له شفاعته النبي ﷺ.

أما الذي يزيد على ذلك يكون له شركة في شفاعته النبي، فيُعطيه النبي ﷺ كشف يشفع فيه لمن يشاء!!

ما هذا الفضل العظيم؟!

فضل الله علينا، وبركة الله علينا، ورحمة الله بنا بسيدنا رسول الله ﷺ.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا الرحمة في أقوالنا، والرحمة في أفعالنا، والرحمة لإخواننا المسلمين أجمعين، حتى نكون من عباده الرحماء، ويُلحقنا بمعية سيد الرُّسل والأنبياء، ويجعلنا من الذين إذا نادوه أجابهم، وإذا طلبوا منه قضى لهم حاجاتهم، ونسأل الله ﷻ أن يعمنا بخيره، وأن يجعلنا في الدنيا من أهل برّه، وأن يوفقنا لفعل الخيرات، وعمل الصالحات، وحسن التأسي بسيدنا رسول الله في جميع الأوقات، وأن يرزقنا في الدنيا الاقتداء بحضرته، وأن يرزقنا في الآخرة أن نكون تحت لواء شفاعته، وأن يمنحنا في الجنة الدرجة العُلى بأن نكون من أهل جوار حضرته.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلّم

الرحمة طريق الهبات والعطاءات^{٩٧}

من الآيات القرآنية التي يُحِثُّنا بها الله تبارك وتعالى على الإحتفاء والإحتفال بسيدنا رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (آل عمران) ...
يعني تذكروا وتعلموا وتبينوا نعمة الله عليكم، أي نعمة؟ حدّد الله هذه النعمة فقال: ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (آل عمران) فأصبحتم بنعمة رسول الله ﷺ إخواناً، ما النعمة التي أَلَّفَت بين القلوب؟ هو سيدنا رسول الله ﷺ، وما النعمة التي جعلت المؤمنين إخوة؟ هو رسول الله ﷺ.

ولذلك المعنى العجيب الغريب الذي نأخذه أيضاً من الآية الأخرى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ (٣٤ إبراهيم) لم يُقَل: نعم الله، ولكن قال: (نعمت الله) ﷺ، وما أتاه مولاه وما خصّه به مولاه لا تُحْصِوها، فالنعمة هنا هي النعمة التي هنا، وهل يستطيع أحدٌ أن يُحصي خصائصه، أو كمالاته، أو جمالاته، أو عطاءاته، أو هباته التي خصّه بها المولى تبارك وتعالى؟! أبداً.

واعلموا علم اليقين أن كل منح المتقين والأولياء والمخلصين والصالحين إنما هي منحٌ من سيد الأولين والآخرين، لأنه ﷺ قال:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }^{٩٨}

هو الذي يُقَسِّم هذا العطاء، مع أنه - كما نعلم - ما ينطق عن الهوى، ولا يفعل عن الهوى، ولا يتحرك عن الهوى، ولا يُعْطِي أحداً عن الهوى، وإنما لا يتحرك ولا يُعْطِي ولا يفعل إلا بإذن من الله تبارك وتعالى.

الأمر كما قال الإمام مالك ﷺ عندما سُئِل: كيف رأى مُجَدُّ ﷺ ربّه؟ فقال ﷺ: ((فنى محمداً ﷺ عن نفسه وحسبه، وبقي بربه، فرأى ما فيه من نور الله جمال الله في غيبة مُجَدُّ رسول الله))

وهذا كلام الإمام مالك العظيم ﷺ الذي كان يقول: ((ما بتُّ ليلة إلا ورأيتُ رسول الله ﷺ في المنام)) لا تمر ليلة دون أن يرى رسول الله ﷺ في المنام!!.

٩٧ المعادي - ١١ من ربيع الأول ١٤٣٩ هـ ٢٠١٧/١١/٣٠ م

٩٨ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان

فكل عطاءات الصالحين منحٌ ومننٌ وهبات من يد سيد الأولين والآخريين، ومن يعتقد أن هناك ثمنٌ للعطاء فليُخبرنا به، ما الثمن الذي أعمل به لأتشف بوجه حبيب الله في المنام؟! لا يوجد، قد يقول البعض: صلِّ عليه ألف مرة كل ليلة أو عشرة آلاف مرة، والكثير يُصلي ولا يجد شيئاً، لأن الأمر كله هبةٌ وعطاءٌ ومنّةٌ من الله، والقاسم لها هو سيدنا رسول الله ﷺ.

فنحن نحتاج كلنا أن نتعرّض لفضل الله وعطاء الله على يد سيدنا رسول الله ﷺ، كيف نتعرض؟ عندما ينتقل الأب إلى جوار الله فمن الذي يرثه؟ ابنه، لماذا؟... ورد أن: ((الولد شبه أبيه)) لأنه مثله في الأوصاف والصفات، فمن يأخذ ميراث رسول الله من العلم والنور؟ من تشبّه بحضرتة، فما بال العابد؟ العابد يأخذ أجره، فأنت تقوم الليل وتصوم النهار وتريد قصوراً في الجنة فيعطيك قصوراً في الجنة، ويضاعف الله لمن يشاء.

وراثه النبوة

لكن العطاءات الروحية والقلبية تكون فضلاً من الله على يد سيد الأولين والآخريين ﷺ لمن يستحق الميراث، وكيف يستحق الميراث؟ قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ }^{٩٩}

فهناك من يرث العلم، وهناك من يرث النور، وهناك من يرث الإثنين، وهذا هو الكامل، وهم أقلُّ من القليل، لكن كل هذا ميراث من رسول الله ﷺ.

فماذا نحتاج؟ نحتاج في هذه الأيام أن نضع بين أيدينا لوحاً نكتب فيه خُلق الرحمة الذي أشرنا إليه ولم نتوسّع فيه ولم نوقفه حقه، وأحاول أن أكون على وفق هذا الخلق النبوي مع زوجتي: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (٢١ الروم) وبدلاً من أن أدخل البيت وأنا عابس وغاضب، أجعلها كالمؤمنين، وأعمل كما قال ﷺ:

{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ }^{١٠٠}

٩٩ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء ﷺ

١٠٠ جامع لترمذي وابن حبان عن أبي ذر ﷺ

وكما قال: { الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ }^{١٠١}

تبسمك لأي إنسان صدقة، فلماذا تعبس!؟

والكلمة الطيبة صدقة فلماذا تخرج الكلمة الأخرى!؟

فالمؤمنون لا يصدر منهم كلام يؤذي الأنام، وإنما هذا من المنافقين والعياذ بالله!، لكن كلام المؤمنين بلسم شافي يشفي الجراح، فإذا قالوا كلمة لمريض يرفعوا بها روحه المعنوية، وقد تحقّق الشفاء، ولو قالوا كلمة لمكلموم يخففوا جرحه، ولو قالوا كلمة لحزين يُزيلوا عنه الأسى والحزن، أليست هذه أحوال المؤمنين مع بعضهم؟!.

لكن ما الناس فيه الآن فهذا على غير وتيرة النبي ﷺ وصحبه الكرام، فأنت يجب أن تمشي على هذا المنهاج النبوي، واجعل أولادك حتى كأحفاد النبي، فالنبي كان يخطف على المنبر ودخل الحسن والحسين المسجد، وأحدهما تعرّث ووقع في المسجد، فماذا فعل حضرة النبي؟ نزل من على المنبر وحملهما الاثنين ثم صعد المنبر وأكمل الخطبة وهو يحملهما!!.

وكان ذات مرة ساجداً، فجاء الحسن أو الحسين فركب على ظهره فأطال في السجود ولم يُنزله ويلقي به إلى الأرض كما نفع الآن ولكنه تركه يأخذ حظه ..

{ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَيْنِي صَلَاتِكَ هَذِهِ سَجْدَةٌ قَدْ أَطَلْتَهَا، فَظَنْنَا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ قَدْ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ازْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ }^{١٠٢}

وعن أبي قتادة الأنصاري قال: { أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أَمَامَةَ بِنْتِ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِأَبِي الْعَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا }^{١٠٣}

١٠١ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ؓ

١٠٢ مسند أحمد والنسائي عن شداد بن الهاد ؓ

١٠٣ البخاري ومسلم عن أبي قتادة الأنصاري ؓ

تقوى أم سليم

ومن رحمته ﷺ التي لا تُعد ولا تُحَد، كان يُحِب أم سليم أم سيدنا أنس بن مالك ﷺ، لأنها كانت من الصالحات، فعندما جاءها سيدنا طلحة ليتزوجها وكان مشركاً، قالت: إنك رجل الكل يتمنى أن يتزوج بك، وأنا أتمنى ذلك، ولكن لي شرط واحد إن فعلته تزوجتك، قال: وما هذا الشرط؟ قالت: أن تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإن رضيت فذاك مهري، فقال: أنظر في أمري، فذهب وفكّر ثم عاد فقال: موافق على هذا الشرط، فتزوجها على هذا الأساس.

وهي نفسها عندما مات ابنها منه غطّت الغلام، ثم تزينت وتجهّزت له وقابلته كالمعتاد عند عودته كل ليلة، وبعد قضاء حاجته منها قالت: يا أبا طلحة إذا استودعك أحدٌ ودیعة ثم طلبها، فماذا تصنع؟ قال: أعطيه وديعته، قالت: فإن الله استردّ وديعته!! ما هؤلاء النساء؟! لقد بلغت مبلغ الرجال، فغضب وقال: تركتني حتى أصنع كذا وقد مات ابني؟! وذهب يشتكي لرسول الله ﷺ، فقال له:

{ بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَايِرِ لَيْلَتِكُمَا }^{١٠٤}

وهي التي وهبت سيدنا أنس بن مالك ليكون خادماً له، لأنها لما ولدت أنس وهبته للكعبة، فلما هاجر النبي للمدينة كان عند أنس حوالي عشر سنين، فقالت: يا رسول الله كنتُ قد وهبت أنس للكعبة، واليوم أهبه لك ليكون خادماً لك، وكانت تختبر أنس في الأمانة، قال أنس ﷺ:

{ أتى علي رسول الله ﷺ - وأنا أَلعب مع الغلمان - قال: فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سرٌّ. قالت: لا تحدثنَّ بسرِّ رسول الله ﷺ أحداً. قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت }^{١٠٥} وروى: { أنها احتضنته وقبّلته وقالت: هكذا فكن. }

١٠٤ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

١٠٥ صحيح مسلم، عن ثابت عن أنس ﷺ.

وكان لها طفلٌ صغير، وكان له عُصفورٌ يداعبه ويفرح به وكان يُسميه النُّعير، وكان النبي يذهب إليها ويقبل عندها في وقت الظهيرة في الحرِّ الشديد، فلاحظ أن الطفل حزيناً، يروي ذلك سيدنا أنس ؓ فيقول:

{ كَانَ ابْنٌ لَأُمِّ سُلَيْمٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ رُبَّمَا يِمَارِحُهُ إِذَا جَاءَ، فَدَخَلَ يَوْمًا يِمَارِحُهُ فَوَجَدَهُ حَزِينًا، فَقَالَ: مَا لِي أَرَى أَبَا عُمَيْرٍ حَزِينًا؟، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاتَ نُعَيْرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ؟ }^{١٠٦}

أخذ النبي ﷺ يُعزِّي الصبي حتى أخرج الحزن من نفسه، وجعله يتبسّم ويضحك، ما هذا؟ هذه هي الرحمة، الرحمة المهداة صلوات ربي وتسليماته عليه.

الأمة المرحومة

أيها الرحماء... أنتم الأمة المرحومة:

اسمكم الرحماء، ففي الأثر:

((أن الله لما خلق الأمم وهي أرواح قبل الأجسام والأشباح، وخلق القلم ليكتب أقدار الأمم، وأملاه الله ﷻ: اكتب يا قلم: أمة آدم، من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار!، فكتب القلم، فقال الله: اكتب يا قلم: أمة نوح، من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار، واستمر حتى قال أمة محمد، فهم القلم أن يكتب ما كتبه لكل الأمم، فناداه ربُّ العزة ﷻ: اسكت يا قلم، فانشقَّ القلم من هيبة الله ﷻ، ثم قال له الله متفضلاً على هذه الأمة وعلينا أجمعين: اكتب يا قلم: أمة محمد، أمة مذبنة وربُّ غفور)) وفي الحديث:

{ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلَاثَةً أَسْطُرٍ بِالذَّهَبِ (لا بماء الذهب) : السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَبِحْنَا، وَمَا خَلَفْنَا خَسِرْنَا.

١٠٦ السنن الكبرى للبيهقي، والبخاري ومسلم بروايات مختلفة

والسَّطْرُ الثَّالِثُ: أُمَّةٌ مُدْنِبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ { ١٠٧

لماذا؟

لأنكم الرحماء:

وَرَأَتْ رَحْمَةَ اللَّهِ فِي الْكُونِ، ... وَوَرِثَتْ رَحْمَةَ اللَّهِ فِي الْكُونِ إِذَا كَانُوا لَا يَتْرَاحِمُونَ
فيما بينهم!!! فكيف يرحمون غيرهم!؟

إذا كانت بيوتهم كلها مشدَّاتٍ وغلظةً في القول، وسلطنةً في اللسان،
ومدُّ بالأيدي والأرجل، كأهم في معارك مع الشيران، فكيف ينشرون رحمة الرحمن
ورحمة النبي العدنان لغيرهم!؟!!

والرحمة لا تنتشر إلا بالسلوكيات والأخلاق:

فهذا لوحنا في هذه السنة:

فنحن نحاول كل عام أن نأخذ حُلُقًا من أخلاق رسول الله ونمشي على هُداه:

فحتاج حاليًا للرحمة:

فنحاول أن نقنفي أثره في رحمته صلوات ربي وتسليماته عليه في كل أحواله ...
وفي كل أفعاله، عسى الله ﷻ أن ينظر إلينا نظرة رضا فيُجملنا بعطاءاته وهباته.

نسأل الله ﷻ في هذه الليلة الميمونة المباركة:

أن يقضي لنا كل حاجتنا وأن يستجيب لنا بما في نفوسنا، وأن لا يدع لنا أو لمن
معنا أو لمن حولنا مرضاً إلا شفاه، ولا ضيقاً إلا فرجَه، ولا كرباً إلا كشفه، وأن يمنَّ علينا
وعلى بلدنا بالأمن والأمان، ويجعلنا في حصون الرحمن على الدوام، ويكفلنا بكفالاته،
ويجعلنا من أهل ستره وغطائه على الدوام، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى غيره طرفة
عين ولا أقل، وأن يفتح لنا أبواب الهبات الربانية، وكنوز العطاءات الحمديّة،
وأن يُمتعنا بوجهه اللألاء، حتى يزول عنا الشقاء، ونضمن الخلود في دار البقاء
في جوار سيد الرُّسل والأنبياء.

وصلّى الله على سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم

نور رسول الله ﷺ ١٠٨

عندما نمشي على المنهاج القويم، فكل الذي حدث مع الأولين يحدث مع الآخرين ويزيد، كيف؟ لأنه كلما زادت الظلمات، كلما احتاجت إلى أنوار أقوى لكشف هذه الظلمات، فهل الظلمات في زماننا كالظلمات في زمن الصحابة؟! لا، بل أشد، لذلك لا بد أن يكون النور أقوى.

والنور من النور ﷺ، وعن طريق النور الذي جعله الله مصدراً لنا، فالنور في الحقيقة نور الله، لكن من الذي معنا أو منا أو من السابقين أو من اللاحقين يتحمّل نور الله المباشر؟! لا يوجد، لأن الجهاز الذي معنا لا يتحمّل هذا النور.

ورد أن سيدنا عيسى سأل الله وقال: يا رب هب لي ذرة من المحبة، قال: لن تستطيع أن تتحمّل، وانظر إلى فلان - وكان رجلاً من أهل الجذب - فقال له: هذا سألتنا ذرة من محبتنا فقلنا له: لن تتحمّل، فسألنا: بعض ذرة.

فوجد الرجل هائماً في الجبال، ويعيش بين الأسود ووسط الوحوش ولا يدري بشيء، لأنه أخذ بعض ذرة من محبة الله تبارك وتعالى!!.

فمن الذي يستطيع أن يتحمّل ذرة من نور الله في ذاته؟! مع قول الحبيب ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ دُونَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ، وَمَا يَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ شَيْئاً مِنْ حِسِّ تِلْكَ الْحُجْبِ إِلَّا زَهَقَتْ }^{١٠٩}

وفي رواية أخرى:

{ حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ
مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ }^{١١٠}

تحرق كل شيء لو كشف واحد منها فقط، وليس السبعين ألف حجاب، فمن يتحمل؟! فكانت المشيئة الإلهية أن يُلطّف الله هذه الأنوار، ويخلق ذاتاً نورانية قواها

١٠٨ المعادي - ١١ من ربيع الأول ١٤٣٩ هـ ٢٠١٧/١١/٣٠ م

١٠٩ معجم الطبراني عن سهل بن سعد ﷺ

١١٠ صحيح مسلم وابن ماجه عن عبد الله بن قيس ﷺ

وأعطاه القوة لتحمّل بمفردها نور الله ﷻ الذاتي، لأن نوره ذاتي غير نور الملائكة، فنور الملائكة نور صفاتي من صفات الله، والنور الذاتي الذي قال فيه كما ورد في الأثر:

((لما أردت أن أخلق الخلق قبضت قبضة من نوري فقلت لها كوني مُجداً^{١١١} ثم خلقتُ من نور مُجد كلِّ الأشياء^{١١٢})).

يعني من نور ذاتي، وليس معناها القبضة باليد، ولكن القبضة معناها مجمع الصفات الإلهية^{١١٣} التي يستطيع أن يتحمل بها عبد من عباد الله في حياته النورانية أو الكونية، ولذلك صاحب النور الصفاتي عندما وصل إلى سدرة المنتهى قال له: ((لو تقدّمتُ أنا قدرُ أئمة لا حترقتُ))^{١١٤} أحترق على الفور لأن هذا نور لا أتحمّله، مع أنه من نورٍ ولكنه نورٌ صفاتي.

ثم قال له ((وأنتَ لو تقدّمتَ لا حترقت)) لأن نوره ذاتي، فأصبح هو الفريد وهو الوحيد الذي يتحمّل نور الحميد المجيد ﷻ.

ومنه تنبعث أنوارُ الله - بعد تلطيفها - إلى ملائكة الله، وإلى جنة الله، وإلى أنبياء الله، وإلى رُسل الله، وإلى الأصفياء الأتقياء من عباد الله، فأراد الملائكة الكرام أن يشاهدوا جمال الحق ﷻ على قدرهم، فخلق الله هيكلاً آدم، وجعله بذرة من أنوار الحبيب، وأمرهم أن يسجدوا له، الإمام أبو العزائم ﷺ يقول في ذلك:

ولو أن السجود كان يقيناً لأبيهِ لم يهبطن من عليهِه

السجود كان للنور الذي ظهر فيه وهذا وضحه سيدي علي وفا ﷺ حيث يقول:

١١١ تفسير البحر المديد لأحمد بن عجيبة بالمعنى والتشابه.
 ١١٢ في التأويلات النجمية: (كل ذي روح خلق من نور مجد ﷻ)، وفي روح البيان للبروسوي: أن السراج الواحد يوقد منه ألف سراج ولا ينقص من نوره شيء، وقد اتفق أهل الظاهر والشهود على أن الله تعالى خلق جميع الأشياء من نور مجد ولم ينقص من نوره شيء وهذا كما روي أن موسى ﷺ قال: يا رب أريد أن أعرف خزائنك فقال له: اجعل على باب خيمتك ناراً يأخذ كل إنسان سراجاً من نارك ففعل فقال: هل نقص من نارك قال: لا يا رب؛ قال: فكذلك خزائني. وأيضاً علوم الشريعة وفوائد الطريقة وأنوار المعرفة وأسرار الحقيقة قد ظهرت في علماء أمتهم ﷺ وهي بحالها في نفسه عليه السلام ألا ترى أن نور القمر مستفاد من الشمس ونور الشمس بحاله.
 ١١٣ قال الشيخ أحمد بن عجيبة في تفسير البحر المديد: والحاصل: أن الحق ﷻ كما في سابق أزلّه ذاتاً مقدسة، لطيفة خفيفة عن العقول، نورانية متصفة بصفات الكمال، ليس معها رسوم ولا أشكال، ثم أظهر الحق تعالى قبضة من نوره حسية معنوية؛ إذ لا ظهور للمعنى إلا بالحس، فقال لها: كوني مجدداً، فمن جهة حسها محصورة، ومن جهة معناها لا نهاية لها، متصلة ببحر المعاني الأزلي، الذي برزت منه.
 ١١٤ تفسير غرائب القرآن للواحدى النيسابوري، وتفسير روح اليان للبروسوي وتفسير القشيري و تفسير الرازي و تفسير ابن عربي وتفسير السراج المنير للشريبي وكثير غيرها، وفي جامع المسانيد المراسيل أن النبي ﷺ قال: {سألت جبريل: هل ترى ربك؟، قال إن بيني وبينه سبعون حجاً من نور، لو رأيت أدناها لاحترقت}، رواه أنس.

لو أبصر الشيطان طلعة نوره في وجه آدم كان أول من سجد
أو رأى النمروذ بعض جماله عَبْدَ الْجَلِيلِ مع الخليل وما جحد
لكن نور الله جلَّ فلا يُرى إلا بتخصيصٍ من الله الصمد

ماذا رأى إبليس؟

رأى طينة آدم فقط، ولم يرَ النور الذي فيه، لكن الملائكة رأوا نور الذات على قدرهم في آدم، وكان هذا نور سيدنا رسول الله ﷺ. ^{١١٥}

ميثاق الأنبياء

ولما أراد الله تكريم الأنبياء والمرسلين جمع أرواحهم قبل خلق أبدانهم في حيث لا حيث، لأن هناك لا أين، ولا زمان، ولا مكان، ولا أفلاك، ولا أكوان، ولا ليل، ولا نهار، ولا أقطار، ولا بحار، هناك عمأ العمأ، وطمس الطمس، ولا يستطيع الإنسان أن يصف ذلك حتى ولو كان قد رأى ما هنالك، إلا إذا أذن الله ﷻ، على أن تكون الإباحة لسالك قد ملكه الله ﷻ زمام نفسه.

فجمعهم الله وأخذ عليهم الميثاق: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ (آل عمران) .. من الذي أخذ هنا؟ الله، ولكننا نحن الذين أخذ علينا الميثاق حضرة الربوبية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ (الأعراف) حضرة الربوبية للكل - رب العالمين كلهم - يربي الكافر والنافر والجاحد وغيره وغيره، لكن الأنبياء نظراً لعلو مقامهم فالذي أخذ ميثاقهم حضرة الألوهية.

وفرق كبير بين حضرة الألوهية وحضرة الربوبية، فحضرة الألوهية حضرة ذاتية لأهل الخصوصية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ (آل عمران) ... وانظر واعجب أن الله بذاته هو الذي يُعاهد أنبياءه ورُسله لحبيبه، من الذي يأخذ العهد على الأنبياء والمرسلين؟ ليس رسول الله، ولكنه الله ﷻ، لتعرف قدر هذا المقام:

عجز الورى عن فهم سر محمد لم يـدـره إلا الإله القادر

فأخذ عليهم العهد والميثاق:

١١٥ وفي تفسير الإمام الرازى أن الملائكة أمروا بالسجود لآدم لأجل أن نور محمد عليه السلام في جبهة آدم.

﴿ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ ﴾ (آل عمران)!

- ولقد قال الله في الآية القرآنية الأخرى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ (١٢٨ التوبة) فكما قال لنا قال لهم !!!

- وكما هو نبينا فهو نبينهم .. !!

- وكما هو رسولنا فهو رسولهم .. !!

- وكما قال لهم: (ثم جاءكم) قال لنا أيضاً: (لقد جاءكم) فهو رسول المرسلين وني النبيين.

﴿ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ (آل عمران) ..

ما وظيفته؟

﴿ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ (آل عمران) أي معه خاتم التصديق، ما يُصَدِّقُ عليه يصير،

فماذا نفعل يا رب؟

﴿ لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ (آل عمران) الكلام فيها واضح ولا يحتاج إلى تفصيل، لأنه لا

خلاف على إيمان النبيين والمرسلين برسول الله.

وبعد ذلك:

﴿ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ أي عهدي ...

﴿ قَالُوا أَأَقْرَرْنَا ﴾ (آل عمران) ثم أراد الله أن يكشف لهم عن جماله وكماله لكي

يشاهدوه، فقال: ﴿ قَالَ فَاشْهَدُوا ﴾ (آل عمران)

يشهدوا سيدنا رسول الله، وبعد ذلك انظر في الآية إلى العظمة الحمديّة، قال الله:

﴿ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (آل عمران) ... ما هذه العظمة؟! ..!

ثم يُحَدِّرُهُمُ اللهُ:

﴿ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(آل عمران) إياكم أن يتولى أحد منكم عن ذلك.

فعندما تنظر من الذي أخذ العهد لرسول الله؟ تجده حضرة الله ﷺ.

تجديد العهد للأنبياء

والأنبياء طلبوا تجديد هذا العهد بعد رسالته ليكونوا من أمته، لأن هذا عهد نبوة، فأحياهم الله، وجمعهم في بيت المقدس ليجددوا العهد بعد بعثته وتكليفه بالرسالة، وكلهم صلوا خلفه في احتفال كبير، ثم قَدَّموا له التحية وهي كوباً من الماء، وكوباً من الخمر، وكوباً من اللبن، والملائكة كانوا حاضرين والأنبياء كانوا مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ورسول، واستووا خلفه سبعة صفوف، وصلَّى بهم ﷺ إماماً.

وخطب في هذا الحفل أمراء الأنبياء، سيدنا إبراهيم، وسيدنا سليمان بن داود وغيرهما، وبعد أن انتهوا أرادوا أن يسمعوا رسول الله، فخطب سيدنا رسول الله خطبة مختصرة ولكنها عالية فقال:

{ كَلُّكُمْ أَثَنِي عَلَى رَبِّهِ، وَأَنَا مُثْنٍ عَلَى رَبِّي، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ، فِيهِ تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَجَعَلَ أُمَّتِي وَسَطًا، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمْ الْآخِرُونَ، وَشَرَحَ لِي صَدْرِي، وَوَضَعَ عَنِّي وَرْزِي، وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي، وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ: بِهِذَا فَضَلَكُمُ مُحَمَّدٌ ﷺ }^{١١٦}

بيعة الله للمؤمنين

ومن فضل الله علينا أن الله ﷻ هو الذي أخذ البيعة للحبيب علينا: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (١٨ الفتح) من كانوا معه بايعوه تحت الشجرة التي قطعها سيدنا عمر !! ونحن تحت شجرة الأسماء والصفات، شجرة التوحيد، من الذي يبايعنا؟ ... قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (١٠ الفتح) لم يقل: كأنما، ولكن (إنما يبايعون الله) يعني الذي أخذ علينا العهد هو الله تبارك وتعالى لحبيبه ومصطفاه. ولم يقل: يد الله فوق أيديكم، وإلا كان الله من بيننا، ولكنه قال: (يد الله فوق أيديهم) وما اليد التي كانت فوق أيدينا؟ ... يد رسول الله !!

١١٦ دلائل النبوة للبيهقي وتهذيب الآثار للطبري وكشف الأستار للهيتمي عن أبي هريرة ؓ

فكأن الله أقامه مقام ذاته وأنابه عن حضرته في موافقة أمته!!!!
وهي التي سيدنا رسول الله أعز قدرنا ببركتها.

بلوغ منازل الأنبياء

فكان يقول ﷺ عندما يتحدث عن الأنبياء السابقين: (إخواني من الأنبياء والمرسلين) فهؤلاء إخوانه، ونحن يقول فينا:

{ وَدِدْتُ أَنِّي لَقَيْتُ إِخْوَانِي، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوْلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانُكَ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرُونِي }^{١١٧}
وفي رواية أخرى: { إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِثْلًا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا وَلَا يَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا }^{١١٨}

نحن إخوانه بنص الحديث، وعمل الواحد منا بخمسين منهم، وليس معنى ذلك أن يتبجح إنسان ويقول: نحن أفضل من الصحابة!!، إياك ذلك، وإلا سقطت إلى الهاوية، لأنه ذكر عمل الواحد فقط، ولم يقل الواحد منكم بخمسين منهم، حاشا لله ﷻ.

جعل الله تعالى الأنبياء شهداء على أمهم: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (٤١ النساء) فيكون هو الشهيد على الشهداء السابقين، وماذا عنا؟ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (١٤٣ البقرة) نفس الدرجة: ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١٤٣ البقرة).

كادت هذه الأمة أن تلحق بالأنبياء من الفضل الإلهي الذي خصهم به الله ببركة سيد الرسل والأنبياء صلوات ربي وتسليماته عليه، فهنيئاً لنا بحبيب الله ومصطفاه، وببشرى لنا بسيدنا رسول الله ويا إكرامنا ويا سرورنا بسيدنا رسول الله في ديانا وآخرتنا.
هذا فضل رسول الله، أو بعض ذرة من فضل رسول الله

١١٧ مسند أحمد عن أنس ﷺ

١١٨ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ

لكن الأمر كما قال البوصيري رحمه الله:

فإن فضل رسول الله ليس له حدٌ فيُعرب عنه ناطقٌ بفم
لا يستطيع أحدٌ أن يُبين ذلك الفضل، والإمام أبو العزائم رحمه الله وأرضاه
قال في ذلك:

على قدري أصوغ لك المديحا ومدحك صاغه ري صريحا
ومن أنا يا إمام الرُّسل حتى أوفيَّ قدرك السامي شروحا
ولكني أحبك ملء قلبي فأسعد بالوصول فتى جريحا

من منا يستطيع أن يمدح من مدحه الله؟! الإمام بن الفارض رحمه الله ملاً الكون في
مناجاة الله بالقصائد العظيمة الرائعة، والتي قيض الله لها المادحين في هذا الزمان لتنتشر
حتى أكثر من عصره!، ولم يمدح النبي ﷺ، فلما مات رآه أحد أصدقائه في المنام فقال
له: يا سيدي لم لم تمدح سيدنا رسول الله ﷺ؟ فأجابه مناماً بعد موته، لكي نعرف أنهم
أحياءٌ عند ربهم يُرزقون، وقال:

أرى كل مدح في النبي مُقَصِّراً وإن بالغ المثني عليه وأكثرنا
إذا كان الله أثنى عليه بما هو أهله فما مقدار ما يمدح الوري؟

من الذي يمدح بعد مدح الله لرسول الله؟! فكل الذي يقوله السابقون واللاحقون
إنما هو تعبيرٌ عما في قلوبهم من الشجون، ويظل حبيب الله ومصطفاه ﷺ لؤلؤ مكنون،
لا يطلع عليه إلا من سُمح لهم بوصاله، وله يشهدون، وهؤلاء إذا شهدوا لا يستطيعون
أن يُعَبِّروا:

فكان ما كان مما لستُ أذكره فظنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

نسأل الله ﷻ أن يجمعنا عليه ظاهراً وباطناً، يقظةً ومناماً، حياً وترحالاً، دنيا
وآخرة، وأن يجعله في سويداء قلوبنا، فلا يغيب عنا طرفة عين ولا أقل بجماله ونوره
وكماله، وأن يكون دائماً وأبداً آخذاً بأيدينا إلى المنهج القويم، والصراط المستقيم،
وحافظاً لنا من أي زلل أو خطأ، حتى نجتمع معه على حوضه الشريف، ويسقينا من يمينه
المباركة شربةً هنيئةً مريئةً لا نظماً بعدها أبداً

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

متابعة الحبيب ﷺ ١١٩

الحقائق الأزليّة التي تجمّلت بها الذات المحمدية: حضرة الجسم، وحضرة القلب، وحضرة السّرّ، وحضرة الروح، وهناك حقائق أخرى نضرب في الكلام عنها لعلو شأنها.

تقابل المقامات التي يُصنّف الله فيها المسلمين، أين أنت؟ لا بد أن تعرف نفسك في أي كشف مسجّل؟ هل في كشوف الإسلام؟ أم مُسجّل في كشوف الإيمان؟ أم في كشوف أهل الإحسان؟ أم في كشوف أهل درجة اليقين؟ كل واحد له درجته، ولا بد أن تعرف درجتك حتى لا تضيع !!.. .. هل فيكم أحد لا يعرف درجته الدنيوية الوظيفية؟! لا يوجد!، كذلك لا بد من معرفة درجتك عند الله، لأن الله قال: ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (١٦٣ آل عمران) عند الله، وليس عند الخلق، لأن الخلق لا يعلمون إلا الظاهر.

المتابعة الظاهرية

أهل درجة الإسلام هم رؤّاد المساجد، ولذلك نكلّمهم في المتابعة الظاهرية لسيدنا رسول الله ﷺ، كمتابعة حضرة النبي في كيفية وقوفه في الصلاة، وفي ركوعه، وفي سجوده، وفي كيفية أكله وشربه ونومه، وكل الأعمال الظاهرية التي رأيناها بعين الرأس، لكن الأمور الأخرى ... تحتاج لعين القلب، أو عين السّرّ، أو عين الروح، وكل مقام له عيون .. فهؤلاء نخاطبهم على قدرهم بالمتابعة الظاهرة.

لكن الذين يريدون أن يرتقوا، ويريدون أن يعلوا، ويريدون أن يفوزوا بالدرجات العلية، فهؤلاء لهم متابعة باطنية! ولكن مع المتابعة الظاهرية، فلا نترك المتابعة الظاهرية بحجة أننا في المتابعة الباطنية، فلا يصح هذا عند الصالحين ولا عند ربّ العالمين، فالكمال في متابعته ﷺ في كل الأحوال.

وهذا الكلام لأن هناك أديعاء، تسأله: لم لا تحضر إلى المسجد للصلاة؟ يقول لك: أنا لم أعد أحتاج لذلك فأنا أتابع رسول الله في الباطن فقط!!، ... فهذا مخادع، لأنه لو كان رجلاً صادقاً سيتابعه في الظاهر وفي الباطن، كالأئمة الأعلام الذين كانوا حول النبي ﷺ.

جملة المريدين الذين تربوا على يد النبي ﷺ مائة وأربعة وعشرين ألفاً، بعدد الأنبياء، وكل واحد منهم على مشرب من مشارب الأنبياء، هل سمعتم عن واحد منهم حدث له حالة جذب ظاهرة وترك الصلاة والصيام وغيرهم من العبادات؟! لم يحدث، ولا التاريخ يروي ذلك

المتابعة القلبية

المتابعة الظاهرة لا بد أن يكون معها متابعة باطنة، أتبعه في حركات الصلاة الظاهرة؛ في الوقوف والقيام والركوع والسجود، لكن معها أتابع وجيب قلبه، وحركات قلبه في مناجاته لربه في هذه الحالات، وهذه هي المتابعة المطلوبة.

هل كان يُصلي كما نُصلي؟ نحن نُصلي وحقائقي التي معي كل واحد منها في مكان، تركوا الجسم، والعقل في مكان، والقلب في مكان، والروح في مكان، لكن النبي لم يكن كذلك، بعض الغافلين يقول: كيف كان يسهو النبي؟! هو وضع ذلك فقال:

{ إِيَّيَّيْ لَا أَنْسَى وَلَكِنْ أَنْسَى لِأَسْنٍ }^{١٢٠}

ينسى ليسن لنا سجدة السهو وغيرها، سألوا أحد الصالحين: كيف سهوا رسول الله؟! فقال:

يا سائلي عن رسول الله كيف سهوا والسهو من كل قلب غافل لاه
قد غاب عن كل شيء سره فسها عما سوى الله فالتعظيم لله

سهوا عن الدنيا وما فيها، والمشاكل والنساء والأولاد لشغله بالله ﷻ بالكيفية، فكيف أتبعه في الباطن؟ في خشيته لله، وخضوعه لله، ورغبته في جناب الله، ورهبته من القطيعة عن حضرة الله، وحضوره الدائم مع مولاه، حتى في النوم، قال ﷺ:

{ تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي }^{١٢١}

يعني في حضور - حتى في النوم - مع الله ﷻ على الدوام، وهذه هي المتابعة التي تحتاج للمسارعة، حتى يدخل الإنسان في هذه الآفاق، ويحظى بإشراقات باطن النبي

١٢٠ وصل بلاغات الموطأ لابن الصلاح، وموطأ مالك برواية: { إِيَّيَّيْ لَا أَنْسَى وَأَنْسَى لِأَسْنٍ }

١٢١ صحيح البخاري ومسنند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

وهي وحدها التي تعمل للأغيار امحاق، وغير ذلك فالأغيار موجودة.

ما الذي يجلي الظلمة عن الكون الذي نحن فيه؟

الشمس إذا أشرقت تنجلي الظلمة عن الكون كله، وأيضاً الذي يجلي ظلمة الأغيار عن قلوب الأغيار شمس الحبيب المختار:

لا يغيب النور عن أهل اليقين كيف ذا والنور في الأفق المبين
شمسنا طه الحبيب المصطفى لم تعب يا طالب الحق اليقين

أي لم تعب عن أهلها:

من يقل غابت فذاك لحجه كيف يخفى نور رب العالمين
نورتنا الشمس أصبح نورها مشرقاً في كل فردٍ في أمين

أين نرى الشمس؟ يشرق نور الشمس في كل فرد جمّله وأقاموه وهو أمين، فهذه المتابعة في درجة الإيمان، متابعة باطن النبي العدنان، وهي تحتاج إلى الغيبة عن طلبات الأجساد، إلا ما لا بد منه لحياة الإنسان، لكن لا ينشغل بها، ويكون انشغاله بالكلية بالقلوب على أثر الحبيب المحبوب ﷺ.

لكن إذا كنت انشغلت بطلبات الأجسام، ماذا أتعدى؟ وماذا أتعشى؟ وكل يوم مشاكل مع زوجته من أجل الأكل، فكيف يدخل في متابعة الحبيب المصطفى ﷺ؟.. فالذي يُريد متابعة الحبيب القلبية يترك خلف ظهره كل الشهوات الدنية، ولا يأخذ منها إلا بقدر الضرورة الشرعية ويكفيه فيها قول النبي ﷺ:

{ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لَقِيمَاتٌ يُقْمَنَ صَلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَتُلَّتْ طَعَامٌ،
وَتُلَّتْ شَرَابٌ، وَتُلَّتْ لِلنَّفْسِ }^{١٢٢}

يكفيه الضرورة، ولو أراد أن يأكل كثيراً لا يزيد عن الثلث، وإذا أردت أن تملأ المعدة فاملأها بالماء، ولذلك الذين يطلبون الرجيم، ويُريد أن ينقص وزنه، يقولون له: اشرب كوين من الماء قبل الأكل، حتى تمتلئ معدته فيأكل أكلاً خفيفاً، لكن لو مملأها عن آخرها فهذا يحتاج للهضم، فيبحث عن مياه غازية أو غيرها للهضم، فهذا لا شأن له بهذه المقامات والإكرامات، وهذا ليس طريق الحبيب ولا السلف الصالح الذي تابع

الحبيب، وله من إشراقاته نصيب.

إذا أشرفت على قلبه الأنوار، وظهرت عليه آثار متابعة النبي المختار، تجده في حضور مع مولاه في كل ذرة من ذرات الليل أو النهار ...

وخشية لله تجعل الذنب الذي خيّل له أو هيأته له النفس كأنه سيقع في النار: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿١٠٦﴾ لَتَرُونَ الْأَجْحِمَ﴾ (التكاثر) يرى بذنبه أنه سينزل جهنّم، فلو رأى ذنبه كأنه سيهوي به في جهنّم فهل يفعل هذا الذنب؟! مستحيل.

ويُجَمَّل بعد ذلك بخشية الله ومراقبة الله حتى يدخل في قول الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٢٨ النحل).

متابعة السرِّ

فإذا أحسن المراقبة رَقِيَ إلى مقام الإحسان، فيتابع سر الأسرار، ورمز مشكاة الجمال الإلهي ومبعث الأنوار في كل لحظاته وفي كل آناته، لأن السر للحقيقة التي خلقت فيّ وفيك من نور رسول الله، وهي همزة الوصل بينك وبين رسول الله.

وتستطيع أن تُسميها بلغة العصر جهاز الاستقبال الذي رُكِبَ فيك ليستقبل القناة المحمدية، أمواجها وإرسالاتها وأنوارها، وكلها موجودة فيك ولكن أنت مُعطلها، وجائر أن نفسك أخذتك وتقول أنا أشغلها بنفسي، فكيف تشغلها؟! هل تعرف أن تشغلها بدون خبير الشركة المُصنّعة والموكلة بتشغيلها؟!

القنوات المشفرة ... من الذي يشغلها؟ الخبير.

فإذا كانت هذه القنوات المشفرة الأرضية، فكيف بصاحب التشفيرات القدسية؟! فيكلمه بغير ما يكلمنا، يُكَلِّمنا نحن بلسان عربي مبين، ويكلمه فيقول له: ﴿الْمَرْ﴾ (البقرة) ﴿كَهَيْعَصَ﴾ (١ مريم) ﴿حَمَّ ۝ عَسَقَ﴾ (الشورى) هذا كلام من الله لحبيبه ﷺ، فهل فهمنا شيئاً من هذا الكلام؟ لا، فهي إشارة، ولغة الإشارة لا تفكها العبارة إلا لأهل الإستنارة، ومن لم يصل إلى هذا المقام فليس له فيه شيء.

الإمام القشيري رحمه الله وأرضاه في كتابه (لطائف الإشارات) جمع بعض الإشارات عن العارفين التي أباحوا بها للمريدين، لأن الإشارات الخاصة يقول فيها الإمام أبو العزائم

الفصل الرابع: الرحمة العظمى لجميع العالم

ﷺ وأرضاه: ((نحن نكتم أسرارنا عن الطالب حتى لا تكون له شهوة إلا في الحق)) ما دام أنه لا تزال عنده شهوة أن يكون مُحدِّث، أو يكون مدرس، أو له شهوة أن يكون شيخاً، فلا تنفع معه الأسرار لأنه سيذيعها، فتحكم عليه المحكمة فوراً بقطع رقبته:

احفظن سري فسري لا يباح من يبُح بالسر بعد العلم طاح

فحرصاً عليه لا نعطيه هذه الأسرار، وحتى أن الإمام أبا العزائم قال: نحن نمتحن المريء!، فقد يتحدث الشيخ مع المريء بأسراره الخاصة ليمتحنه فإن أوثقن عليها كان أهلاً لحمل أسرار السماء، وإن لم يؤثقن عليها فليس بأهل لأن يحمل أسرار السماء، لأنه إن كان لا يحمل الأسرار الدنيوية والبيئية وغيرها، فكيف يحمل الأسرار الإلهية؟!.

والأسرار الإلهية يكون فيها عزٌّ للإنسان، وعُلوٌّ بين المناظرين له من بني الإنسان، لأنها أمورٌ عالية وراقية، والنفس تعشق الظهور عشقاً فانياً.

فيقول بعض الأسرار التي كشفها بعض الصالحين والتي قد سجلت في كتب وهي أسرار بسيطة، لكن الأسرار العالية تُكتب في القلوب مباشرة، وهي عن طريق لغة اسمها لغة البثِّ الرباني النوراني الروحاني: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (٨٦ يوسف) فيبثُّ في صدره ما يريد أن يقوله له، فيفاجأ بأن جاءته علومٌ في صدره لم يسمعها ولم يعرفها من قبل، ولكن لا بد أن ينتبه أنها جاءت من محطة مُحدِّ رسول الله ﷺ.

فيقول الإمام القشيري ﷺ في كتابه (لطائف الإشارات): نزل الأمين جبريل وقال: كاف، فقال النبي ﷺ: علمتُ، قال: هـ ي، قال: علمتُ، قال: عين، قال: علمتُ، قال: صاد، قال: علمتُ، قال: يا رسول الله علمتُ ولم أعلم، وأنا الذي نزلتُ به!!.

الرئيس عندما يرسل حقيبة دبلوماسية لأحد الرؤساء مع أحد الدبلوماسيين، فهل من حقه أن يفتحها ويعرف ما فيها؟! لا يحق له !! .. فعرفنا أن هذه أسرار بين الحبيب ﷺ وبين الله ﷻ، من الذي يطلع على هذه الأسرار؟ عالم السر منك، لا القلب ولا الفؤاد ولا العقل ولا الجسم، لكن الذي منه فيك هو الذي يتلقَّى من حضرته ما يبثُّه لك من أسرار خالقك وباريك، ويقول في ذلك ﷺ:

{ أَنَا مِنَ اللَّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ نُورِي } ١٢٣

ثم يزيد لها وضوحاً في الاثر الوارد عن حضرته ﷺ:

((إِنَّ فِي الْقَلْبِ لَغَيْبٌ، وَإِنَّ فِي الْغَيْبِ لَسِرٌّ، وَإِنَّ فِي السِّرِّ لَأَنَا)).

وهذه تظهر في قوله تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ (١٧ الحجرات):

فهو لا يريد الجسم ولا حركاته، لأن نَفْسٌ واحد يتنفسه الإنسان بسرّه خيرٌ له من ملء الأرض والسموات كلها عباداتٌ بأجسام جميع خلق الله تبارك وتعالى، مع أن الأجسام ربما تكون والقلوب في غيبة، فما فائدة هذا الكلام كله؟ لا شيء.

فالسر الذي فيك هو الذي يتابع أسرار الحبيب مع الحبيب:

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ (١٠ النجم) أين تراها؟!!

في أيّ مكتبة هي؟!!

هي ليست في كتاب ولا في انترنت ولا في أي شيء أبداً، لكن: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ (٤٩ العنكبوت) ومن أين تلقوها؟ من سيدنا رسول الله شفاهاً كفاحاً أو بتأً، وكلّ على قدره بما شرح الله له به صدره.

وهذه متابعة الحبيب ﷺ في الأسرار، أن يكون السرُّ مشغوفاً، أو شغوفاً، أو مصطظماً، أو مهيماً بالكلية في الحبيب خير البرية ﷺ.

فتحتاج إلى المتابعة في العشق لحبيب الله ومصطفاه، العشق الذي يجعل هذا الإنسان حتى ينسى نفسه، كما كان يحدث مع الصالحين.

سيدي ذي النون المصري أرسل رسالة لأخيه سيدنا أبو اليزيد البسطامي:

وذو النون المصري كان في مصر في الجزيرة، وأبو اليزيد البسطامي في بلاد فارس، ولم يتقابلا أجساماً، ولكنهما يعرفان بعضهما عرفهم الله.

فأرسل له رسالة، والذي ذهب بالرسالة قابل الشيخ أبو اليزيد، فقال له: أريد أبا يزيد، قال: وأين أبو يزيد يا بني؟! أنا أبحث عنه مثلك!!

من الذي يردُّ عليه؟ ... أبو اليزيد نفسه، لكنه من شدة حُبِّه ومن كثرة وجدته وعشقه وغرامه لحبيبه فنى بالكلية ونسى نفسه، فرجع الرجل إلى ذي النون ولم يفعل شيئاً، فسأله: ماذا صنعت؟

فحكى له، فقال: رحم الله أخي أبي يزيد لقد ذهب مع الذاهبين إلى الله: ..
﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾ (٩٩ الصافات) ترك الدنيا وما فيها وذهب إلى الله ﷻ.

وكان من شدة عشقه لمولاه عندما قرأ القاريء على الحاضرين: ...

﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ (١٥٢ آل عمران):

فصرخ وغشي عليه، فلما أفاق سألوه عن ذلك، فقال: أوما سمعتم هذا العتاب؟!
قالوا: وأي عتابٍ في الآية؟

قال: يقول الله تعالى: ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾
(١٥٢ آل عمران) فأين منكم من يُريدني؟!!

انظر إلى الشفافية العالية في سماع كلام الله!!

يعني كلام الله ليس في الظاهر فقط، ولكنه في باطنه أسرار يكشفها الله لأهل
الأنوار، ولا يشعر أحدٌ منا بها في القراءة الظاهرة.

ويتابع نبي الله ﷺ - لا أقول في حبه بل - في عشقه وغرامه واصطلامه في الله،
ولكنه يبدأ أولاً يُترجم ذلك في رسول الله لأنه الصورة العلية التي يرى فيها
جمال الله وكمال الله.

ولا يوجد أحدٌ يصل إلى المنازل العالية إلا إذا مات عشقاً وغراماً في رسول الله ..

لا يموت من قلة الطعام، ولكن يموت من العشق في رسول الله ﷺ، وغراماً في
حضرته صلوات ربي وتسليماته عليه.

إذا عَشِقَهُ ... وزاد العشق عليه !! ... مُحْت الحُجْب .. وزالت الأستار ... ،
وتمتع بوجه الحبيب ﷺ ظاهراً كالشمس في قارعة النهار.

في البداية قد يكون لمحات !!!...

ثم لا يزال العشق ينمو إلى أعلى الدرجات ... !!!

حتى يصبح والحبيب لا يغيب عنه طرفة عين ولا أقل ... !!!!

وهذه المتابعة في عالم السر ... أو عالم الأسرار.

المتابعة الروحية

أما المتابعة في عالم الأرواح لمن أداروا عليه الراح، وشرب من الأقداح التي خصّها الله ﷻ للأحباب، فيفنى عن الأكوان ويظهر له جمالات وصفات مُبدع الأكوان ﷻ.

وهذه نسميها في البداية إشراقات ..!!، وبعد ذلك تجليات ..!!، في كل مرة يتجلى له بهيئة ..!!، ثم إذا زاد الوجد عنده والقرب منه له أصبحت مؤانسات ..!!، فإذا زاد حبُّ الله له .. دَلَّلَهُ، فتُصبح ملاطفات يلاطفه الله بها في كل الأوقات ..!!

وهذا ينبغي عليه أن يتأدب في كل ذلك عند مشاهدة ذلك بالجمال الذي كان عليه سيد السادات ﷺ، فقد عُرضت عليه كل العوالم العلوية، وظهرت له كل التجليات الإلهية، ولاحت له أوصاف الأسماء الحُسنى العلية، ولكنه أعرض عنها بالكليّة، ولم ينظر إليها: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (النجم ١٧) ماذا يريد؟

لا يريد إلا وجه مولاه ...!!!

يريد أن يحظى ولو نَفْسًا بكمال جمال وجه الله تبارك وتعالى.

فإذا تابعه في ذلك مَنْ الله تبارك وتعالى عليه فنفتح فيه النفخة الذاتية، والتي جعلها الله خصيصاً لأهل الرتب العلية من أهل الخصوصية، ويقول فيها الله:

﴿ يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ (١٥ غافر)
لا ينذر الظاهر، ولكن يُنذر الحقائق التي فيه بالتلاقي، يعني باللقاء بالجامع مع حضرة الجامع ﷻ، فيمنُّ الله عليه بالنفخة القدسية، وهذا يجتبي حياةً أبدية:

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (٥٦ الدخان)

وقاهم جحيم البُعد ... !! وجحيم عدم المواصلة مع سيد الأولين والآخرين .. !! وكل ما يدور في هذا الأفق من كلمات وعبارات.

نسأل الله ﷻ أن يجلنا بهذه المتابعات العالية، وأن يرفعنا إلى هذه الدرجات الراقية، وأن يجعلنا في الحياة القدسية الحمديدية الأبدية في الدنيا والآخرة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الخامس: خصائص النبي ﷺ الخلقية^{١٢٤}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا بمعرفة حبيبه ومصطفاه، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من اتبع هداه إلى يوم الدين واجعلنا منهم ومعهم أجمعين .. آمين يا رب العالمين.

مازلنا نتحدث عن الخصائص التي حُصَّ بها نبينا ﷺ، وانفرد بها دون غيره من النبيين والمرسلين؛ خصوصية له من الله تبارك وتعالى، وإفراداً له بالجزية لأنه أعلاهم قدراً، وأعظمهم شرفاً، وأطهرهم وأصفاهم قلباً صلوات ربي وتسليماته عليه.

ونبينا ﷺ له خصائص خلقية، يعني في خلق جسده المبارك الشريف، وإن كان بشراً لكن بشريته لها خصوصية تختلف عن جميع البشريات الآدمية، وبعد ذلك إن شاء الله نتحدث عن خصوصياته الخلقية في أخلاقه التي خصَّه بها مولاه، وبعد ذلك نتحدث عن خصوصياته النورانية التي أفرد به ربه ﷻ، ثم نتحدث - على قدرنا وليس على قدره - عن خصوصياته الحقية التي جعلت له الرتبة العلية بين جميع كائنات الله العلوية والسفلية، وهذا ما نستطيع الإباحة به في دار الدنيا الدنية:

فإن فضل رسول الله ليس له حدٌ فيُعرب عنه ناطقٌ بفم

خصوصياته الخلقية

رُوي أن خالد بن الوليد ؓ ذهب إلى قوم يدعوهم إلى الإسلام، فقال زعيمهم: صف لنا محمدًا؟ فقال ؓ: أما التفصيل فلا أستطيع، قالوا: فالإجمال؟ قال: الرسول على قدر المرسل!!^{١٢٥} ... هو رسولٌ من الله، فقدره على قدر من أرسله ﷻ، ومن هنا يتبين لنا فطنة هؤلاء القوم الكرام، وعظمتهم عند الله تبارك وتعالى.

كان سيدي أبو المواهب الشاذلي جالساً في صحن الأزهر الشريف، وجاء رجلٌ من المعترضين على ما يصف به الصالحون لسيد الأنبياء والمرسلين، فقال كلاماً في حقه ﷺ لا ينبغي أن يُقال، فغضب سيدي أبو المواهب الشاذلي وبات مغموماً.

١٢٤ المعادي - ١٧ من ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/١/٤ م

١٢٥ وردت في المواهب اللدنية في المنح المحمدية وقال صاحب المواهب (ذكره ابن المنير في أسرار الأسرار).

وكان سيدي أبو المواهب على صلة مباشرة برسول الله يأتيه مناماً ويوجهه، بل آونة يحاسبه إذا فعل ما لا ينبغي، ويتولاه بتربيته الإلهية على الدوام، فقال له ﷺ مناماً: لِمَ أَعْضِبْتَ نَفْسَكَ بِسَمَاعِ حَدِيثِ هَذَا الرَّجُلِ؟! وهذه نهايته، قال: فنظرت فإذا برجل يضرب هذا الرجل بِخَنْجَرِ فَمَاتَ، وانتهتُ على صُراخِ القومِ في الأزهر بأن فلاناً قد مات، ثم قال لي ﷺ: هَلَا قَلْتَ لَهُ مُحَمَّدٌ بَشَرٌ لَيْسَ كَسَائِرِ الْبَشَرِ، كَالْيَاقُوتِ حَجَرٌ لَيْسَ كَسَائِرِ الْحِجْرِ.

الأحجار الثمينة هل هي كالأحجار الأخرى العادية، فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة.

ووصف الله ﷻ نظرة الكافرين والمبغضين إلى حضرته فقال في شأنهم: ﴿ وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف ١٩٨) لا يبصرون المعاني الإلهية، والأسرار الربانية التي استودعها فيك رب البرية تبارك وتعالى.

وعندما جاء الموت عمرو بن العاص ﷺ في بلدنا مصر، لأن عمرو بن العاص توفي عندنا في مصر ولكن إلى الآن لا يعرف أحد أين قبره؟! فقد يكون في مسجده، لكن في أي موضع؟ لا يعلمه إلا أهل الكشف، وممنوع عليهم أن يُخبروا غيرهم بذلك، فقال له ابنه عبد الله بن عمرو وكان من الصالحين: يا أبتِ إنك كنت تقول: ليتني أجد رجلاً عاقلاً حكيماً يُعالج سكرات الموت يصفه لي، وأنت ذاك الرجل الآن، فصف لي الموت^{١٢٦}، قال: يا بُنيّ لقد عشتُ أياماً كنتُ أتمنّى فيها أن يقبض الله رُوحِي وأنا على ذلك، عندما التحقتُ بالنبي، واستخدمني النبي في دعوة الإسلام، مع أني كنتُ لا أستطيع أن أتبّ بصرِي في وجهه من شدة هيئته وحيائه!، ثم جاءت أيام يقضي فيها الله ما يشاء، يا بُنيّ ما أرى الموت إلا كأن السماوات السبع على صدري، والأراضين من تحتي، وكأني أتنفّس من حُرْمِ إبرة ... الشاهد من هذا الحديث أنه كان لا يستطيع أن يُثبت بصره في وجه النبي حياءاً من النبي، وهيئةً للنبي ﷺ، فقد كان النبي ﷺ كما قال فيه الإمام عليّ ﷺ وكرم الله وجهه:

{ مَنْ رَأَهُ بِدَيْهَةٍ هَابَهُ ، وَمَنْ خَالَطَهُ فَعَرَفَهُ أَحَبَّهُ }^{١٢٧}

١٢٦ بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزي، قطر الولي على حديث الولي لمحمد بن علي الشوكاني، والعاقبة في ذكر الموت لعبد الرحمن الإشبيلي.

١٢٧ رواه الأصبهاني في أخلاق النبي عن علي بن أبي طالب ﷺ.

خصوصية رؤية النبي

كثير من المريدين والأحباب والسالكين يتساءل وهو حزين ويقول: أنا أفعل كذا وكذا وكذا فلم لا يُكرمني الله برؤية رسول الله؟... فنقول له: رؤية رسول الله ﷺ ليس لها ثمّن تدفعه من الطاعات، لأنها منحة من الله، فلو بذلت كل ما في وسعك من الطاعات لا تبلغك هذا المقام، إلا إذا أكرمك الله ﷻ وأهلك لهذه المنحة التي يُجَمِّلُ بها أهل الخصوصية، فهي منحة، والمنحة لمن يتحملها، فمننا من يتحمّل رؤيته مناماً، ومننا من يتحمّل رؤيته ومخاطبته ومشافهته يقظة ومناماً، ومننا من لا يستطيع أن يتحمّل رؤيته إلا بعد انتهاء مهلته ودخوله دار البرزخ، أما في الدنيا فقواه لا تتحمّل هذه الرؤيا الحمديّة.

إذا سلّم تسلم، واعلم علم اليقين قول رب العالمين في حق النبي الأمين: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ (٢٤ التكوير) ليس ببخيل، ولكن تستطيع التحمّل، أما هو فأكرم الأكرمين بعد رب العالمين، وأجود من الجود وخاصة في فضاء حضرة الشهود، لأن الجود في الدنيا جود معدود، لكن الجود في الأنوار والأسرار والمشاهدات فهو الجود الحقيقي الذي يجعله الله ﷻ لمن يُريد أن يجعله من عباده الخواص.

فكان ﷺ مع صفاء بشريته لشدة نورانيته، لا يظهر على هيئته إلا لمن أهله الله ﷻ لرؤية حضرته، وهي خصوصية، وليس معنى ذلك أنها تقتضي مقام الأفضلية.

رجلٌ من الصالحين كان في بلاد العراق، ورأى النبي ﷺ في ليلة واحدة سبع عشرة مرة، وفي المرة الأخيرة قال له النبي ﷺ: يا موسى لا تضجر من كثرة رؤيتي، فإن كثيراً من الأولياء مات بحسرة رؤيتي ولو مرة واحدة، وهذا من باب: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢١ الحديد).

بشريته ﷺ

كان ﷺ كما قال الله تعالى في قرآنه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (١١٠ الكهف) هو بشر لكنه يساوي البشر جميعاً على اختلاف أقدارهم وأقطارهم وبلدانهم وأزمانهم، كما قال الله تعالى... وجعل الله ﷻ لأوصافه الحسيّة الجسمانية، أكمل الأوصاف التي جعلها للبشرية، فهي النموذج الأمثل الذي قال فيه حسّان بن ثابت ﷺ:

وأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَكْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءَ
خُلِقْتَ مَبْرُوءاً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا يَشَاءُ

نحن نقول: (كما تشاء) ولكنها كما يشاء الله ﷻ وهذه الأكمل.

فالنبي ﷺ غلبت نورانيته على بشريته، ولذا لم يكن يُرى له ظلٌّ، والظل لا يُرى إلا في الأجسام التي لها ظلال، أما الأجسام النورانية الشفافة فلا يُرى لها ظلٌّ.

كل الناس قديماً وحديثاً لا يستطيعون استخدام الأجهزة الظاهرة والباطنة في وقت واحد، وهذا لم يحدث إلا لرسولنا الكريم، وورثته الكُمَّل الذين على هذه الشاكلة.

بصره وبصيرته

فكان ﷺ عيناه واسعتان، شديد بياض العين، شديد سواد حدقة العين، ولكن في عينيه بعض حمرة في البياض، لكن هذه أشياء عادية ولكن غير العادي أنه ﷺ كما يقول عبد الله بن عباس ﷺ:

{ كان رسول الله ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى في النهار في الضوء }^{١٢٨}
وفي الرواية الأخرى: { يَرَى مَنْ خَلَقَهُ مِنَ الصُّفُوفِ كَمَا يَرَى مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ }^{١٢٩}.

ولذلك كان ﷺ عندما يقف للإمامة في الصلاة بعد انتهاء الصلاة يتجه إلى الخلف ويقول موجهاً أصحابه: أنت فعلت كذا، وكان ينبغي أن تفعل كذا، وأنت صنعت كذا، وكان ينبغي أن تصنع كذا، فيقولون: كيف رأيتنا يا رسول الله!! فيقول:

{ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ،
وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي، وَمِنْ خَلْفِي }^{١٣٠}

يرى من خلفه كما يرى من في الأمام، وهنا ملحظ عالٍ لكُمَّل العارفين، فإنه يرى من خلفه إلى قبل القبل، وليس من قبله فقط في الصف، فإنه رأى الأنبياء وأممهم وحدث عنهم وقال الله له موجهاً له الخطاب ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾

١٢٨ رواه البخاري، وجاء في المواهب اللدنية للقسطلاني، كما روى البيهقي عن عائشة. رضي الله عنها. قالت:

{ كان رسول الله ﷺ يرى في الظلمة كما يرى في الضوء }.

١٢٩ دلائل النبوة للبيهقي عن قيس ﷺ.

١٣٠ صحيح مسلم والنسائي عن أنس ﷺ.

(١ الفيل)، أنت رأيت ما حدث لأصحاب الفيل ... وقال ﴿ وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ (٥٤ الزخرف) اسأل الأنبياء من قبلك وأنت تعرفهم، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ (٥٥ الفرقان) ..
﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

(٤٤ القصص) ألم تكن هناك بالجانب الغربي ونحن نقضي إلى موسى الأمر وكنت شاهداً، فهو شاهد للجميع، وكيف يشهد على شيء لم يره؟! وإلا سيكون شاهد زور، ولكنه شاهد: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَتُّؤَلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (٤١ النساء) .. وشهيد يعني قد اطلع على كل أحوالهم، وشهد كل أعمالهم، ويشهد عليهم بما رأى، وسمع صلوات ربي وتسليماته عليه، وقد يعجب البعض ويقول: كيف رأى؟ وكيف سمع؟ إذا كان يقول في بعض أفراد أمته في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه:

{ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرَجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ }^{١٣١}

فإذا كان هذا لأفراد الأمة، فكيف بإمام الأفراد وسيد المرسلين والنبیین والعباد؟! ولذلك قال له الله لمن يعقل كلام الله: ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ (٢٦ الكهف) والكلام هنا واضح، يعني يسمع بالله، ويُبصر بالله، وما دام يسمع بالله ويُبصر بالله فلا حرج على فضل الله ﷻ ... فكان يرى من خلفه، يعني كل من سبقه إلى بدء البدء، ويرى من أمامه، يعني يرى كل ما يحدث من بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإلى ساحة الحساب، وإلى فريق في الجنة وفريق في السعير، لأنه أخبر عن كل ذلك خبر عيان، وكان يقول لأصحابه عندما يصف الجنة ويعجبون:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَنْفًا فِي عَرْضِ هَذَا الحَائِطِ وَأَنَا أَصْلِي }^{١٣٢}

إني أرى الجنة في عرض هذا الحائط، فكان يرى كل من خلفه، وكل من بعده، ولذلك ما من شيء سيحدث لنا معشر أمته إلى يوم القيامة إلا وأخبرنا وبينه لنا في

١٣١ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ؓ

١٣٢ البخاري ومسلم عن أنس ؓ

أحاديثه الصحيحة صلوات ربي وتسليماته عليه.

ويرى بعينه الغيوب التي لم تخرج من القلوب، يعني يرى ما في نفس الإنسان ولم يخرج، والتي نسميها حديث النفس، وما أكثر الروايات المروية عن حضرته في هذا الباب، فعندما ذهب عمير بن وهب إلى رسول الله ﷺ وهو يتطير من عينيه الشرر، وكان قد جلس مع صفوان بن أمية بجوار الكعبة وقال له: لولا دَيْنُ عليٍّ، وصبية صغار لذهبتُ إلى مُحَمَّدٍ لأقتله، فقال له صفوان: عليٌّ دِينك، وأولادك أضْمهم إلى أولادي واذهب إلى مُحَمَّدٍ واقتله، فذهب، وكان له ابن قد أُسر في بدر، فعندما رأى سيدنا عمر بن الخطاب عمير بن وهب خشي، وقال للأنصار: احرسوا رسول الله ﷺ، وأمرهم النبي أن يأذنوا له بالدخول عليه، فقال ﷺ:

{ مَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَيْرُ؟ قَالَ: جِئْتُ لِهَذَا الْأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ، فَأَحْسِنُوا فِيهِ، قَالَ: فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِكَ؟ قَالَ: قَبَّحَهَا اللَّهُ مِنْ سُيُوفٍ، وَهَلْ أَعْنَتُ شَيْئًا؟ قَالَ: اضْطَفْنِي، مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ؟ قَالَ: مَا جِئْتُ إِلَّا لِذَلِكَ، فَقَالَ: بَلَى، قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَانُ بِنِ أُمِّيَّةَ فِي الْحَجْرِ، فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلْبِ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ قُلْتَ: لَوْلَا دَيْنُ عَلِيٍّ، وَعِيَالِي! لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا، فَتَحَمَّلَ لَكَ صَفْوَانُ بِدَيْنِكَ وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ، وَاللَّهِ حَائِلٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَقَالَ عُمَيْرُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلَّا أَنَا، وَصَفْوَانُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا أَتَاكَ بِهِ إِلَّا اللَّهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، وَسَاقِنِي هَذَا الْمَسَاقِ }^{١٣٣}

كذلك بعد غزوة بدر أُسر عمه العباس، وكان العباس من كبار الأثرياء، وطلب منه النبي أن يفدي نفسه، قال: ليس لي مال، فقال له النبي ﷺ:

{ فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي وَضَعْتَهُ بِمَكَّةَ، حَيْثُ خَرَجْتَ، عِنْدَ أُمَّ الْقُضَلِ، وَلَيْسَ مَعَكُمْ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ، فَقُلْتَ: إِنْ أَصِيبْتُ فِي سَفَرِي هَذَا، فَلِلْقُضَلِ كَذَا، وَلِقُتْمَ

١٣٣ تهذيب الآثار للطبري، ومعجم الطبراني، وشعب الإيمان للبيهقي

كَذَا، وَلِعَبْدِ اللَّهِ كَذَا؟ قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عَلِمَ بِهَذَا أَحَدٌ مِّنَ النَّاسِ غَيْرِي وَغَيْرِهَا، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ { ١٣٤

وكتب السيرة مليئة بأمثال ذلك، أن الله كان يُطلعه على خبايا النفوس، وعلى سرائر القلوب، فينبئ بما فيها بنورٍ وهبه له حضرة علام الغيوب ﷺ. إذا عيون رسول الله ﷺ ليست كعيوننا، وإنما فيها ما فيها من العطاءات الإلهية، والإكرامات الربانية التي خصّه بها رب البرية ﷺ.

ريقه غذاء وشفاء

وقف المحدثون عند الوصف الظاهر بأنه كان ضليع الفم، يعني واسع الفم، مُفْلَج الأسنان، يعني الأسنان الأمامية بينها مكان خالي، وكان ﷺ أفصح الفصحاء، ولم يتجاوزوا ذلك إلى ما رواه عنه ﷺ الصحابة الكرام البررة العظام.

وفي الأثر أن ((سُور المؤمن شفاء))^{١٣٥} أي ريق المؤمن، فكيف يكون سُور النبي ﷺ؟! إذا كان ريق المؤمن شفاءً من بعض الأدواء، لكن ريقه ﷺ شفاءً من كل داء.

فعندما كان الصحابة الكرام يصومون في يوم عاشوراء، وهذا كان قبل فرض صيام رمضان، ووجد النساء مشقة في إرضاع صبيانهن لشدة حرارة الجو وطول اليوم، فأمرهنَّ النبي ﷺ أن يأتين بالصبيان، ويضع ﷺ لسانه في أفواههم فيمصونه للحظات، فيمكث الطفل طوال يومه لا يحتاج إلى رضاع ولا يشكو من جوع!!

وكثيراً ما كانت السيدة فاطمة ﷺ تشغل بأعمالها، والحسن والحسين رضي الله عنهما قد يتضوران جوعاً، فكان ﷺ يأمر بإحضارهما، ويضع لسانه في فم أحدهما فيمصه فيرضع، ولا يشتهي بعد ذلك ثدي أمه لأنه رضع رضاعاً تاماً من ريق سيد الرسل والأنبياء ﷺ،^{١٣٦} وهذا من جهة الغذاء.

١٣٤ مسند أحمد ودلائل النبوة لأبي نعيم عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما
١٣٥ قال الحافظ العراقي لم يعرف له أصل بهذا اللفظ، إهـ والسُّور ما يبقى في الإناء بعد الشرب منه، وقد يخلص له شيء من ريق من شرب منه.

١٣٦ في أشربة البيان د نضير الخزرجي: فيأتيه الرسول وكل يوم فيضع لسانه في فم الحسين لا فيمصه حتى يروى فيكفيه اليومين، روى الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة قال: لا أزال أحب هذا الرجل بعدما رأيت رسول الله ﷺ يصنع ما يصنع، رأيت الحسن في حجر النبي ﷺ وهو يدخل أصابعه في لحية النبي ﷺ والنبي ﷺ يدخل لسانه

أما من جهة الشفاء، فقد حاصر النبي ﷺ حصن خيبر، وتَعَذَّر على أصحابه فتحه طوال اليوم، فقال في آخر اليوم:

{ لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ عَدًّا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ
وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ }^{١٣٧}

قال سيدنا عمر ؓ: ما تمنيت الراية في يوم إلا في هذا اليوم، لماذا؟ للوصف الجميل الذي وصف به رسول الله حامل الراية في هذا اليوم، وفي الصباح ذهب عليه الأصحاب يتعرضون، ونادى رسول الله ﷺ:

{ أَيَنْ عَلِيٍّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ:
فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأَتَى بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ،
حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ }^{١٣٨}

أخذ من ريقه ووضعه في عينه فشفي في الحال، أين هذه التكنولوجيا في هذا العصر؟! هل يوجد مرهم أو قطرة تُشفي في الحال؟! لكن هذه خاصية مع رسول الله ﷺ من لحظة ولادته، لأنه ورد أنه ﷺ عقب ولادته رمدت عيناه، وكان هناك راهب من اليهود على جبل عرفات يُعالج الناس، فأخذه إليه، فعندما نظر إليه قال: هذا شفاؤه معه، قالوا: كيف؟ قال: خذوا من ريقه وضعوا في عينه يُشفى، فأخذوا من ريقه ووضعه في عينه فشفي في الحال.

ومرض صبي من الأنصار ببثورٍ في ظهره وهو عُتبة بن فرقد، فحملته أمه إلى النبي ﷺ، يقول: فوضعت أُمِّي ستاراً على عورتي وكشفت ظهري، فأخذ النبي ﷺ يأخذ من ريقه على يده ويدلك ظهري، فذهبت البثور!! والأعجب من ذلك أن هذا الرجل تزوج أربعة نسوة، تقول إحداهن:

{ كُنَّا عِنْدَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ فَكَانَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنَّا تَجْتَهِدُ فِي
الطَّيِّبِ لِتَكُونَ أَطْيَبَ رِيحًا مِنْ صَاحِبَتِهَا، وَكَانَ عُتْبَةُ لَا يَمَسُّ طَيِّبًا إِلَّا أَنْ

في فمه ثم قال: (اللهم إني أحبه فأحبه) وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

١٣٧ البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ؓ

١٣٨ البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ؓ

يَمَسُّ دُهْنًا ، يَمَسُّ بِهِ لِحِيَّتَهُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ أَطْيَبُ رِيحًا مِنَّا ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى النَّاسِ ، قَالَ النَّاسُ : مَا رَأَيْنَا أَطْيَبَ رِيحًا مَا شَمَمْنَا رِيحًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ عْتَبَةَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا : إِنَّا لَنَجْتَهُدُ فِي الطَّيِّبِ وَلَأَنْتَ أَطْيَبُ مِنَّا رِيحًا فَمِمَّ ذَاكَ ؟ فَقَالَ : أَخَذَنِي الشَّرِيُّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ ذَلِكَ فَأَمَرَنِي أَنْ أَتَجَرَّدَ ، فَتَجَرَّدْتُ وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجَعَلْتُ وَأَلْقَيْتُ ثَوْبِي عَلَى فَرْجِي ، فَفَنَثَ فِي يَدِهِ وَمَسَحَ ظَهْرِي وَبَطْنِي بِيَدِهِ فَعَبَّقَ بِي هَذَا الطَّيِّبُ مِنْ يَوْمئِذٍ^{١٣٩} } وفي رواية: { ثم بسط يديه فبصق فيهما ، فمسح إحداهما على الأخرى ، ومسح إحداهما على بطني ، والأخرى على ظهري }.

فالريق شفاء من البثور في الحال ، وعطرٌ ملازمٌ ، أين العطر الملازم في زمننا هذا مع تقدم التكنولوجيا الراقية!! لا يوجد عطر يدوم أسبوع أو شهر ، ولكن عطر النبي يلازم طوال العمر ، ورائحة هذا العطر لا تزول ، ولا تنتهي ، ولا تخفت .

أربع بنات كنَّ يتيماً ، ذهبن إلى رسول الله ﷺ وكان يأكل طعاماً ، فأخذ قطعة من اللحم ولاكها ، يعني مضغها بأسنانه ، ثم قال لإحدها : امضغيها ثم أعطيها لأخواتك يمضغنها ، قيل : أهن كنَّ أنطق الناس رائحة فم إلى أن توفاهن الله تبارك وتعالى .

أين معجون الأسنان الذي نستخدمه ليكون في مثل هذه الرائحة؟! وأين البخاخ الذي يُعطي الفم رائحة طيبة مثل ذلك؟! فريق رسول الله ﷺ له مفعولٌ في تنظيف الفم لا يعادله معجون أسنان في عصرنا أو بعد عصرنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!! .

بل الأدهى من ذلك أنه ذهبت إليه ﷺ وهو بالمدينة امرأة ، وكانت سليطة اللسان ، أو بذينة اللسان كما يقولون ، وكان يأكل ، فأعطاها لقمة من بين يديه ، فقالت له : أريد من فيك ، فأعطاها من فيه ، قالوا : فما سُمع لهذه المرأة بعد ذلك كلمة بذينة مُطلقاً!! ، كيف؟ لا تسأل عن ذلك لأن الله ﷻ أعطاه ذلك وفوق ذلك :

{ اللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }^{١٤٠}

١٣٩ عَنْ أُمِّ عَاصِمٍ امْرَأَةِ عْتَبَةَ بْنِ فَرْقَدِ السُّلَمِيِّ ﷺ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ وَمَنْبَعِ الْفَوَائِدِ لِنُورِ الدِّينِ أَبِي بَكْرِ الْهَيْثَمِيِّ ،

١٤٠ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ﷺ

الخصائص النبوية ﷺ

ومرات لا تُعد ولا تُحد ذكرت كتب السيرة أنه كان يأتيه الناس ويقولون له: إن بئرنا مالح، يعني ماؤه لا يصلح للشرب، وبعضهم كان يقول: إن بئرنا ماؤه مرّ، فكان يأخذ قدرًا من الماء في فمه، ويتمضمض به، ثم يقذفه في إناء، ويقول لهم: ضعوا هذا الماء في هذا البئر، فيتحوّل إلى عذب فُرات، وهذه حدثت أكثر من سبعمائة مرة.

جمال وجهه

أما وجهه ﷺ فقد قيل لسيدنا أنس ﷺ وأرضاه: هل كان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ يقصدون في اللمعان، قال: لا، بل مثل القمر، في الإضاءة والبهجة. ولكنه لم يكن وجهه مستديرًا كالقمر، بل كان ﷺ وجهه قريباً من الاستدارة، وكان ﷺ لا ينظر في وجهه أحدٌ إلا ونال السعادة من رب العزة ﷻ.

صفة أهل الجنة

وكان ﷺ من هديه في الدعاء يرفع يديه حتى يظهر بياض إبطيه، ولم يكن إبطيه كبقية الناس، فمعظم الناس يحتاجون مُزيل عرق للإبطين بالذات، لكنه ﷺ كانت رائحة إبطيه كرائحة المسك بل أعظم.

لأن الله ﷻ يُشير إلينا بأنه جعله نموذجاً لما سنكون عليه في الجنة، نراه في حياتنا الدنيا، فالتكوين الذي سيُكوّن عليه الإنسان في جنة النعيم، كان عليه في الدنيا النبي الرءوف الرحيم ﷺ.

وكان ﷺ لسانه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم) فقد عصمه الله ﷻ عن أي خطأ يخرج من لسانه، وكان كلامه كما تقول السيدة عائشة ﷺ:

{ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ }^{١٤١}

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنْ مَا كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ أَحْصَاهُ }^{١٤٢}

١٤١ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

يعني يتكلم برفق ولين، وكان يُكرر الكلام ثلاثاً، وكان أصحابه على هذه الشاكلة، منهم من يحفظ الكلام من أول مرة، ومنهم من يحفظه من المرة الثانية، وآخرهم من يحفظه من المرة الثالثة، ولا يحتاجون إلى إعادة بعد ذلك لأنهم تم لهم الاستفادة من كلامه صلوات ربي وتسليماته عليه.

ومن عجب العجب أن كل كلماته التي قالها في كل حياته لم يغب عنها حرفاً واحداً إلى زمننا هذا، بل كلها نُقلت عنه نقلاً صحيحاً موثقاً، لم يرى الوجود علماً موثقاً توثيقاً شديداً كعلم الحديث الذي ورد عن رسول الله ﷺ.

ولما أراد سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن يكتب عن حضرته، فأشار عليه بعض المنافقين وقالوا له: إن النبي بشرٌ وبغضب كما بغضب، فذهب إلى رسول الله ﷺ ليطمئن قلبه وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْتُبُ عَنْكَ مَا سَمِعْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَى؟ قَالَ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَقُولَ فِي ذَلِكَ إِلَّا حَقًّا }^{١٤٣}

لأن الله عصمه عن أن يُغَيَّرَ أو يَتَغَيَّرَ، فلا ينطق إلا بالحق: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم).

ولذلك من يعترض في هذا الزمن على سنته، ويقول أكتفي بالقرآن، نقول له: أنت خارج عن نطاق الإيمان، لأن النبي ﷺ قال:

{ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ }^{١٤٤}

وفي رواية:

{ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ }^{١٤٥}

أوتي القرآن، وأوتي تفسير القرآن وبيان القرآن، وهو السنة العملية والبيانية والتقريرية الواردة عن حضرته صلوات ربي وتسليماته عليه.

١٤٢ سنن البيهقي وأبي داود عن عائشة رضي الله عنها
١٤٣ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
١٤٤ سنن أبي داود ومسند أحمد عن المقدم بن معدي
١٤٥ مسند أحمد عن المقدم بن معدي

حفظه من العوارض البشرية

وأما العوامل البشرية التي تحدث للناس جميعاً، فقد حفظه الله تعالى منها حتى نعلم أنه مُصانٌ بأمر من يقول للشيء كن فيكون، فإن الإنسان إذا غلب عليه النعاس أو انتابه النوم يتشاءب، والنبي ﷺ لم يتشاءب قط، بل قال ﷺ:

{ مَا تَشَاءَبَ نَبِيٌّ قَطُّ }^{١٤٦}

والإنسان العادي إذا رأى بعينه ما يفتنه في عالم الدنيا نهاراً ونام، قد ينتابه ما نسميه الاحتمام، لكن النبي ﷺ حفظه الله من ذلك، وقال ﷺ:

{ مَا احْتَلَمَ نَبِيٌّ قَطُّ }^{١٤٧}

والإنسان العادي إذا أكل ولم يغسل، أو أكل شيئاً لازجاً ولم يمسه، أو بدون هذه الأشياء؛ يقف عليه الذباب، ولكن رسول الله ﷺ لم يكن يقف عليه الذباب قط، لا في يقظة ولا في منام.

كل هذه الأمور تدلنا على أنه كان بشراً سوياً رانياً، وإن كان شريكاً لنا في ظاهر الصورة، إلا أن باطنه فيه الحق تبارك وتعالى والنورانية والشفافية الإلهية.

سمعه المبارك

أما سمعه ﷺ، فقد اعتاد الإنسان منا أن لا يسمع بأذنه إلا الصوت القريب منه، ولا يسمع من وراء جدار، ولا يسمع أصواتاً تحجزها عنه بحار أو جبال أو غيرها، ولكن رسول الله ﷺ كان يسمع كل الأصوات لكل الكائنات، بجميع اللغات، وفقهه الله ﷻ هذه اللغات، وفكك له تلك الإشارات، فكان جالساً يوماً مع صحبه المباركين، وقال لهم:

{ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْظَرَ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ }^{١٤٨}

١٤٦ أَخْرَجَهُ الْخَطَّابِيُّ مِنْ طَرِيقِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

١٤٧ رواه الطبراني في المعجم الكبير وابن عدي في الكامل عن ابن عباس رضي الله عنهما

١٤٨ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن أبي ذر

والأطيط صوت الحمل الشديد الذي يحملة أي شيء ولا يستطيع القيام به، وذات يوم كان جالساً بينهم، فسمع وجبة، أي صوت مرتفع لشيء قد سقط، فقال لهم:

{ أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا حَجَرٌ أُرْسِلَ فِي جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَالآنَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا }^{١٤٩}

وبينما هم كذلك إذا بصُراخ، وإذا برجل من المنافقين عمره سبعون عاماً قد مات في تلك اللحظة، فعلموا أنه في جهنم: ﴿ إِنَّ النَّافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (١٤٥ النساء).

نزول الوحي

وكان ﷺ يسمع أصوات الملائكة، ويسمع صوت الوحي، والوحي كان ينزل عليه بأمر عدة، أحياناً يأتيه بصليل كصليل الجرس - يعني صوت كصوت الجرس - وأحياناً يأتيه ويحدث له غطيط كغطيط النائم، يعني يؤخذ عن نفسه، وأحياناً يأتيه في صورة بشر، وكان يأتيه في صورة صحابي جليل اسمه دُحية الكلبي، وأحياناً يأتيه في صورة أعرابي ويسأله: ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ ويقول لهم:

{ فَإِنَّهُ جَبْرِيْلٌ، أَنَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ }^{١٥٠}

وكان إذا نزل الوحي عليه كما قال الله: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً ﴾ (٥ المزمل) كان إذا نزل عليه الوحي وهو راكبٌ ناقته، فلا تستطيع الناقة أن تتحرك أو تظل واقفة، بل تبرك حتى ينفصم عنه الوحي من شدة نزول الوحي عليه!. وذات مرة نزل الوحي عليه وكان واضعاً ركبته على رجل أبي بن كعب ﷺ، فيصف أبي هذا الأمر: نزل الوحي على رسول الله ﷺ وركبته على رجلي، فكادت رجلي تنكسر من ثقل الوحي، ولم يُنقذني إلا انفصام الوحي عن حضرته ﷺ، فكان يرى أمين الوحي جبريل ويسمع صوته ولا يراه غيره، ولا يسمعه غيره، خصوصية له صلوات ربي وتسليماته عليه.

١٤٩ صحيح ابن حبان ومسنند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

١٥٠ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ

صوته الندي

وكان رحمته الله يُوصف بأن صوته غير غليظ، وغير جهوري، يعني صوته هادئ، ومع ذلك يبلغ كل من يُريد إبلاغه، فكان إذا خطب على منبره في المدينة .. يقول أصحابه:

{ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ رحمته الله خُطْبَةً أَسْمَعَ الْعَوَاتِقَ فِي خُدُورِهِنَّ }^{١٥١}

والعواتق يعني العذارى، وهن البنات اللاتي لم يتزوجن، ولم يكن هناك ميكروفونات ولا غيره، فيسمعهن وهن في البيوت.

وفي حجة الوداع خطب في أصحابه في منى لِيُعَلِّمَهُمْ بَقِيَةَ مَنَاسِكَ الْحَجِّ، وعندما نزل أصحابه المباركين في منى تفرقوا، فمنهم من بقي في أرضها، ومنهم من صعد إلى جبالها، فتفرقوا في منى كلها، يحكي سيدنا عبد الرحمن بن معاذ رحمته الله فيقول:

{ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ رحمته الله وَنَحْنُ بِمِنَى فُفْتِحَتْ أَسْمَاعُنَا حَتَّى كُنَّا نَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا }^{١٥٢}

هذه هي العناية الإلهية والعناية الربانية التي يبلغ بها سيدنا رسول الله رحمته الله ويبلغ كل الأمة ما يريد إبلاغه لهم بأمر من يقول للشيء كن فيكون. وكان من علامات ذلك أنه رحمته الله كان على المنبر وقال:

{ اجْلِسُوا ، فَسَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ قَوْلَ النَّبِيِّ رحمته الله : اجْلِسُوا، فَجَلَسَ فِي بَيْتِي غَنَمٌ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَلِكَ ابْنُ رَوَاحَةَ سَمِعَكَ وَأَنْتَ تَقُولُ لِلنَّاسِ: اجْلِسُوا، فَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ }^{١٥٣}

كان بينه وبين المدينة عدّة كيلومترات، فسمع كلمة (اجلسوا) فجلس، ولم يسمع النبي رحمته الله يأمرهم بالانصراف، وظلّ في مكانه - وانظر إلى الأدب والطاعة - حتى انصرف الناس، وجاءوا من المسجد إليه، وقالوا له: ما أجلسك هنا؟ قال: سمعتُ النبي يقول: اجلسوا فجلستُ، ولم أسمعهُ يأذن بالانصراف.

١٥١ معجم الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

١٥٢ سنن أبي داود والنسائي عن عبد الرحمن بن معاذ رحمته الله

١٥٣ معجم الطبراني والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

فكان يُسمع كل من في المدينة بصوته الندي المبارك صلوات ربي وتسليماته عليه، وكان صوته شجي، وهي علامة من العلامات التي أعطاها لنا حضرة النبي، وهي علامة من علامات علم السيميا، وهو علم من علوم الكشف، كيف تعرف أن هذا الرجل من الصالحين المباركين؟ قال ﷺ:

{ لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا حَسَنَ الصَّوْتِ، حَسَنَ الْوَجْهِ، وَكَانَ نَبِيُّكُمْ أَحْسَنَهُمْ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ صَوْتًا }^{١٥٤}

ووارث النبي لا بد أن يكون أيضاً حسن الصوت، فإذا لم يتحسن صوته، يكون لم يرث بعد، لأن الصوت وراثته، فلو كان الإنسان صوته أجش وورث حلاوة الصوت، فعلى الفور يتغير صوته في لحظة، ويصبح ذا صوت حنون وعطوف وشجي، لأنه ورث صوتاً من أصوات النبي صلوات ربي وتسليماته عليه.

فالصوت من علامات الوراثة، لكن إنسان يدعي الوراثة وصوته أجش، فهل ينفع ذلك؟! لا يجوز ذلك أبداً، لا بد وأن يكون صوته ندي، فكان ﷺ أندا هم صوتاً، وأملحهم وجهاً صلوات ربي وتسليماته عليه.

كمال عقله

أما عقله ﷺ فحدّث في ذلك ولا حرج، وأظن ما أوتي أحد من الأولين ولا الآخرين ولو ذرة واحدة من موفور عقل سيد الأولين والآخرين ﷺ، لأن الله خصّه بالكمال في كل أحواله، فكمال العقل هو عقله صلوات ربي وتسليماته عليه.

سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَبُولُونَ فِيهَا وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَنَخَّمُونَ، إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ جُشَاءً، وَرَشْحًا كَرَشْحِ الْمِسْكِ، وَيُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ }^{١٥٥}

وفي رواية أخرى:

١٥٤ رواه الحافظ بن حجر في فتح الباري، وراه الترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ
١٥٥ مسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغْلَوْنَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسِكِ }^{١٥٦}

أين يحدث هذا؟ في الجنة!، وكما قلنا: ما سيكون لنا في الجنة أراه الله لنا في النبي في الدنيا، فكان ﷺ إذا أراد قضاء حاجته يبعد، فإذا ذهبوا بعده يبحثون عنها لا يجدون شيئاً.. قال عائشة رضي الله عنها

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَدْخُلُ الْخَلَاءُ فَلَا يُرَى مِنْكَ شَيْءٌ مِنَ الْأَذَى! قَالَ: أَوْ مَا عَلِمْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ الْأَرْضَ تَبْتَلِعُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَلَا يُرَى مِنْهُ شَيْءٌ }^{١٥٧}

وكان ﷺ في قضاء الحاجة كما قال الله تعالى في شأنه وفي شأن رُسل الله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٦٤ النساء) وسيدنا عبد الله بن مسعود كان يتولى أمر طهور النبي في السفر، وكان حامل عصاه ونعله، يقول بن مسعود ﷺ:

{ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ إِلَى مَكَّةَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى الْغَائِطِ أَبْعَدَ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ، قَالَ: فَبَصُرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَجَرَتَيْنِ مُتَبَاعِدَتَيْنِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، اذْهَبْ إِلَى هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ، فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَجْتَمِعَا لَهُ لِيَتَوَارَى بِكُمَا، فَمَشَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاجَتَهُ، ثُمَّ رَجَعَتَا إِلَى مَكَانِهِمَا }^{١٥٨}.

وفي رواية أخرى لأسامة بن زيد ﷺ، وكان في سفر مع رسول الله ﷺ، وأراد النبي قضاء حاجته، فقال لأسامة: { يَا أُسَيْمُ، قُمْ، فَاخْرُجْ، فَانظُرْ هَلْ تَرَى مَكَانًا يُوَارِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَمَشَيْتُ حَتَّى حَسِرْتُ، وَمَا قَطَعْتُ النَّاسَ، وَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّهُ يُوَارِي أَحَدًا، وَقَدْ مَلَأَ النَّاسُ مَا بَيْنَ السَّدَيْنِ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: فَهَلْ رَأَيْتَ شَجَرًا، أَوْ رَجْمًا؟ قُلْتُ: بَلَى، قَدْ رَأَيْتُ نَخْلَاتٍ صِغَارًا، إِلَى جَانِبِهِنَّ رَجْمٌ مِنْ حِجَارَةٍ، فَقَالَ لِي: يَا أُسَيْمُ، اذْهَبْ إِلَى النَّخْلَاتِ، فَقُلْ لَهُنَّ:

١٥٦ صحيح مسلم ومسنند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

١٥٧ معجم الطبراني ودلائل النبوة لأبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها

١٥٨ معجم الطبراني ومسنند البزار عن عبد الله بن مسعود ﷺ

يَأْمُرُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَلْحَقَ بَعْضُكَ بِبَعْضٍ، حَتَّى تَكُنَّ سُرَّةً لِمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقُلْ ذَلِكَ لِلرَّجْمِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّخْلَاتِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ ﷺ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ تَفَافُرَهُنَّ بِعُرُوقِهِنَّ وَتُرَابِهِنَّ، حَتَّى لَصِقَ بَعْضُهُنَّ بِبَعْضٍ، فَكُنَّ كَأَنَّهُنَّ نَخْلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَقُلْتُ ذَلِكَ لِلْحِجَارَةِ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تَفَافُرِهِنَّ حَجْرًا حَجْرًا حَتَّى عَلَا بَعْضُهُنَّ بَعْضًا، فَكُنَّ كَأَنَّهُنَّ حِدَارٌ، فَأَتَيْتُهُ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ﷺ: خُذِ الْإِدَاوَةَ، فَأَخَذْتُهَا، ثُمَّ انْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُنَّ سَبَقْتُهُ ﷺ فَوَضَعْتُ الْإِدَاوَةَ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَاِنْصَرَفَ حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ وَهُوَ يَحْمِلُ الْإِدَاوَةَ، فَأَخَذْتُهَا مِنْهُ ﷺ ثُمَّ رَجَعْنَا، فَلَمَّا دَخَلَ ﷺ الْخُبَاءَ، قَالَ لِي ﷺ: يَا أَسِيمُ، انْطَلِقْ إِلَى النَّخْلَاتِ، فَقُلْ لَهُنَّ: يَا أَمْرُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَرْجِعَ كُلُّ نَخْلَةٍ إِلَى مَكَانِهَا، وَقُلْ ذَلِكَ لِلْحِجَارَةِ، فَأَتَيْتُ النَّخْلَاتِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ، قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تَفَافُرِهِنَّ وَتُرَابِهِنَّ، حَتَّى عَادَتْ كُلُّ نَخْلَةٍ إِلَى مَكَانِهَا، وَقُلْتُ ذَلِكَ لِلْحِجَارَةِ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى تَفَافُرِهِنَّ حَجْرًا حَجْرًا، حَتَّى عَادَ كُلُّ حَجَرٍ إِلَى مَكَانِهِ، فَأَتَيْتُهُ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ }^{١٥٩}

عَرَقُ أَهْلِ الْجَنَّةِ

وكان ﷺ غزير العرق، ولكن عرقه ليس كسائر العرق، وإنما كما وصف أهل الجنة، وكان يحب السيدة أم سليم أم أنس بن مالك ﷺ أجمعين، لأنها كانت من الصالحات، وعندما أراد طلحة بن عبيد الله أن يتزوجها وكان من كبار فرسان أهل المدينة، ومن كبار أغنياءها - وانظر إلى حكمتها - قالت له: مثلك لا يُردُّ، ولكن أنا مسلمة وأنت غير مسلم، ولا أريد منك غير شيء واحد؛ أن تنطق بالشهادتين، فإذا نطقت بهما فذاك مهري، فقال لها: أشاور نفسي، فذهب ثم عاد، وأسلم، وتزوجته وكان مهرها النطق بالشهادتين!!، أين هذا من بناتنا في زمننا هذا!!!.

١٥٩ دلائل النبوة لأبي نعيم وابن حجر عن أسامة بن زيد ﷺ

وكانت قبل ذلك قد نذرت إن أعطاها الله ولداً من زوجها الأول وهو مالك أن يجعله خادماً للكعبة، فزرقتها الله بأنس، ولما هاجر النبي إلى المدينة كان عمر أنس عشر سنين، فجاءت به وقالت: يا رسول الله إني كنت وهبت ابني هذا للكعبة، واليوم أهبه لك ليكون خادماً لك.

فوهبته لرسول الله، وهنا أيضاً شيء من الذكاء وحسن الحيلة والتصرف.

فكان النبي يُحبها، وكان يذهب إلى بيتها في وقت القيلولة، سواء موجودة أو غير موجودة يقيل في بيتها، وهذا من المحبة الزائدة لها ﷺ وأرضاه.

والنبي ﷺ كان إذا نام يشتد عرقه أي يكون غزيراً، فاستيقظ ذات مرة وكان معها مناديل تُجفف بها عرقه، فقال:

{ يَا أُمَّ سَلِيمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟، قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ، نَجَعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ }^{١٦٠}

طيبنا رائحته تكون غير نفاذة، فنضع عليه قطرات من هذا الإثير النبوي فتصبح رائحته ليس لها مثيل!!.

وكان ﷺ إذا صافح رجلاً تظلل رائحة رسول الله ﷺ في يده عِدَّةَ أيام، وإذا مشى في طريق يعرفون أن رسول الله قد مشى في هذا الطريق من رائحته.

وإذا أرادوا أن يعرفوا مكانه يتحسسُّون رائحته فيعرفون مكانه، فرائحة رسول الله ﷺ رائحة خاصة.

ومن عجائب الله الدالة على بديع إبداع صنَّع الله أن كل إنسيان له رائحة خاصة به، فلا تجد أن رائحة أحد كالأخر: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ (٩٤ يوسف) لم يقل قميص يوسف، ولكنه قال: رائحة يوسف، لأنه يحفظها، أخذوا قميصه من مصر، ويعقوب كان في بيت المقدس، وبينهما مئات الكيلومترات، ومع ذلك شمَّ رائحة يوسف، وكان القميص ما زال في مصر، لأن قميص يوسف كان من الجنة، وهو القميص الواقي الذي وقى الله به سيدنا إبراهيم عندما أُلقي في النار، فقد نزل به سيدنا جبريل وألبسه له، وسيدنا إبراهيم أعطاه لابنته، وابنته لم تكن تُنجب، وعندما أنجب

١٦٠ البيهقي والطبراني عن أنس ﷺ

سيدنا يعقوب سيدنا يوسف، وتوفيت أمه، قالت لسيدنا يعقوب ائتني بيوسف ليعيش معي، ورغبت أن يظل يوسف عندها، وكان عندهم في شرع بني إسرائيل إذا سرق السارق وأمسك به يكون عبداً لمن سرقه، فأرادت أن يظل يوسف عندها، فألبسته قميص سيدنا إبراهيم، ثم سألوا عن القميص فوجدوا يوسف يلبسه، فقلوا إنه سرقه، وبذلك أصبح يوسف عبداً عندها، وهذه كانت حيلتها لتستبقي يوسف عندها... هذا القميص كان من الجنة، وأشياء الجنة كلها تُشم من مسافة خمسمائة سنة. كما ورد في حديث حضرة النبي. والذي يقول فيه في أحداث العصر:

{ نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَّاتٌ مُتَمَيِّلَاتٌ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا،
وَرِيحُهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ }^{١٦١}

يعني رائحتها تُشم من على مسافة خمسمائة سنة، فكان ﷺ إذا أرادوا أن يعرفوا مكانه، يتتبعوا رائحته حتى يجدوا مكانه.

ورائحته ما زالت موجودة ويعلمها الصالحون:

فإذا صلى الواحد منهم على حضرة النبي ﷺ وأخلص وصفا قلبه يشم الرائحة، فيعرف أن رسول الله قد حضر، ولو شم رائحته في مجلس يعرف أنه حضر في هذا المجلس، والذي لا يشم عنده زكام، لكن السليم يشم رائحة رسول الله ﷺ،... لأن رائحته ﷺ مميزة.

ذهب إليه رجل من الأنصار وقال له: ابنتي ستزوج وأريد مساعدتك، فقال له:

{ مَا عِنْدِي مِنْ شَيْءٍ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ غَدًا فَتَعَالَ فَجِئْنِي بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةٍ
الرَّأْسِ وَعُودِ شَجَرٍ، وَأَيَّةُ بَيْتِي وَبَيْنَكَ أَنْ أَجِيفَ نَاحِيَةَ الْبَابِ، قَالَ:
فَأَتَاهُ بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةٍ الرَّأْسِ وَعُودِ شَجَرٍ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الْعِرْقَ مِنْ ذِرَاعِيهِ
حَتَّى امْتَلَأَتِ الْقَارُورَةُ، فَقَالَ: خُذْ، وَأْمُرْ بِنَتِكَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَطَيَّبَ أَنْ تَغْمَسَ
هَذَا الْعُودَ فِي الْقَارُورَةِ وَتَطَيَّبَ بِهِ، قَالَ: فَكَانَتْ إِذَا تَطَيَّبَتْ شَمَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
رَائِحَةَ ذَلِكَ الطَّيِّبِ، فَسَمُّوا بَيْتَ الْمُطَيَّبِينَ }^{١٦٢}

١٦١ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي هريرة ؓ

١٦٢ معجم الطبراني عن أبي هريرة ؓ

هؤلاء القوم الطيب الذي عندهم ليس له مثيل، وهذه أحوال أهل الجنة، أعطاها الله لرسول الله وهو هنا في الدنيا.

كمال هيئته

سيدنا رسول الله ﷺ كل الواصفين له، إن كان سيدنا علي بن أبي طالب، أو سيدنا أنس بن مالك، أو غيره أو غيره كلهم كانوا يصفونه بأنه كان ربعة من الرجال، وربعة يعني لا طويل ولا قصير، إلا أن الأمر في عالم الأصحاب كان غير ذلك، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:

{ لَمْ يَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْقَصِيرِ الْمْتَرَدِّدِ، فَكَانَ يُنْسَبُ إِلَى الرَّبْعَةِ إِذَا مَشَى وَخَدَهُ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى ذَلِكَ يُمَاشِيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُنْسَبُ إِلَى الطُّوْلِ إِلَّا طَالَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَزَبَمَا مَاشَى الرَّجُلَيْنِ الطُّوِيلَيْنِ فَيَطْوُلُهُمَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَإِذَا فَارَقَاهُ نُسِبَا إِلَى الطُّوْلِ، وَنُسِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الرَّبْعَةِ }^{١٦٣}

ما مشى مع قوم إلا وكان أطولهم مهما كان طولهم، ولا قعد مع قوم إلا كان أعلاهم كتفاً مهما كان علو أكتافهم، كأن الله خصه بالعلو، يعلو ولا يُعلَى عليه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وكان إذا مشى ﷺ، كما يحكي سيدنا أبو هريرة:

{ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مَشْيَيْهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرٍ }^{١٦٤}

هو يمشي مشية عادية، وهم يجرون وراءه، ولا يلحقونه، كأن الأرض تُطوى له، فالأرض كانت مسخرة له، ولذلك كان ﷺ إذا وضع رجله أو قدمه على الرمال تماسكت حتى لا يتعب، وإذا وضع رجله على الصخر لان تحت قدمه حتى يُعلم فيها، حتى لا يؤذيه بالمشي عليه، لأنها مسخرة لرسول الله ﷺ.

١٦٣ دلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي عن عائشة ؓ

١٦٤ جامع الترمذي ومسنداً أحمد عن أبي هريرة ؓ

شعره الشريف

أما شعره الشريف صلوات ربي وتسليماته عليه، فكان ﷺ يفرق شعره في البداية من جهة اليمين تألفاً لليهود، ثم فرقه من جهة اليسار، وكان شعره ﷺ ليس بخشن ولا شديد النعومة، وإنما خصه الله بالوسطية بين ذلك، وكان شعره أسود، ولم يبيض من شعره إلا ما لا يزيد عن عشرين شعرة، وقد قال ﷺ عندما سئل في ذلك: { شَيْبَتْنِي هُوْدٌ وَأَخْوَاتُهَا }^{١٦٥}، ولماذا ذكر سورة هود بالذات؟ .. لأن فيها قصص الأنبياء، وبعد كل قصة منها يقول الله تعالى: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُوْدٍ ﴾ (٦٠ هود) ﴿ أَلَا بُعْدًا لِمُؤَدَّ ﴾ (٦٨ هود) فذكر البعد كان يُخيف قلبه، فبيض شعره ﷺ: { شَيْبَتْنِي هُوْدٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ }^{١٦٦}

فهذه السور تحكي عن القيامة ومشاهد القيامة، فكانت تجعله ﷺ يخشى مولاه، ويخاف من مؤاخذه الله، فبيض شعره صلوات ربي وتسليماته عليه، وفي رواية أخرى أنه شاب من أجل قول الله: ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ ﴾ (١١٢ هود) فكُون الله يقول له ذلك، فهذا هزُّ وجدانه، وأذاب فؤاده، وجعل شعره يبيض، لأنه ما الاستقامة التي يصل بها إلى رضوان الله ﷻ؟ ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ (١١٢ هود).

هذا الشعر كان يتنافس فيه أصحاب النبي ﷺ عند حلاقته، عندما كان في صلح الحديبية وحلق شعره، فكل واحد منهم كان يتبادر بأخذ بعض هذه الشعرات.

سيدنا خالد بن الوليد ﷺ أخذ خُصلة من الشعر التي في المقدمة، التي يسمونها العُرَّة، ووضعها في عمامته، وفي موقعة اليرموك عمامته وقعت في صفوف الكافرين، فقاتل قتالاً شديداً حتى خاف أصحابه عليه أن يُقتل، فلاموه بعد ذلك: لِمَ أَلْقَيْتَ بنفسك إلى التهلكة؟ قال: إن هذه العمامة وضعت فيها ناصية شعر رسول الله ﷺ، وأعتقد أنني ما دخلت معركة إلا وانتصرت فيها ببركة هذا الشعر، فلما سقطت العمامة خفت أن يُذهب الله ﷻ عني ذلك فذاك جعلني أفعل ما ترون!! . رأى أن خُصلة ناصية رسول الله هي سبب النصر في كل هذه المعارك رضوان الله ﷻ عليه، أما نومه ﷺ فكان

١٦٥ الأحاديث المختارة ومسنند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما

١٦٦ الحاكم في المستدرک وابن حجر في المطالب العالیة عن أبي بكر الصديق ﷺ

يقول: { تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي }^{١٦٧}، فكان حاضراً مع الله على الدوام، دائماً للذكر لمولاه، حاضراً دوماً مع حضرة الله، لا يغيب عن مولاه طرفة عين ولا أقل ... هذه الأحوال نحاول أن نقندي بها في رسول الله رحمته الله.

بعد معرفتنا بهذه الخصال الجسمانية الشريفة، علينا أن نرجع إلى أذكاره رحمته الله النبوية التي وردت عنه في كل مواقفه حتى نمشي على أثره: ﴿ فَكَبَّضْتَ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ (٩٦هـ).

أذكار الأبرار

الأذكار التي كان يقولها عند دخول المنزل، وعند الخروج من المنزل، وعند بداية الطعام، وعند نهاية الطعام، وعند الأكل، وعند الشرب، وعند النوم، وعند اليقظة من النوم، وعند الجلوس، وعند المشي، وعند هبوب الريح، وعند المطر، كل هذه الأذكار موجودة ومشهودة ... وقد جمعناها لكم في كتاب صغير سهل وسميانه: ((أذكار الأبرار)) لتستطيع أن تمشي عليها، فتكون ذاكراً لله على منهج الحبيب المختار رحمته الله، فهذا ذكر يغيب إلا عن الصالحين.

فالناس قصرت الذكر على الأوراد التي يؤديونها على المسابح، لكن الأذكار لهذه المناسبات هي الأساس الأول الذي عليه المعوّل للصالحين، وهو أنك لا تتحرك حركة ولا تسكن سكوناً إلا وتذكر كيف كان رسول الله يفعل؟ وكيف كان يقول؟. فتقول ما كان يقوله في هذا الحال، وأنت مستحضر لما كان يفعله في ذلك الوقت، فهذا حُسن الاقتداء برسول الله رحمته الله، وهذا بابٌ واسعٌ موجود في كتب العلم: مثل كتاب: (أذكار اليوم والليلة) لابن ماجة، و (أذكار اليوم والليلة) للترمذي، وهناك كتاب (الأذكار) للإمام النووي، والذي كانوا يقولون فيه: (بع الدار واشتري الأذكار)، ونحن لخصنا كل ذلك في كتاب (أذكار الأبرار) فيكون سهل عليك أن تعرفها وتحفظها، المهم أن تكون على لسانك على الدوام.

فأذكار الأبرار هو بداية حُسن المتابعة للنبي المختار رحمته الله، وبعد أن ننهي منها نرتقي إلى اتباعه رحمته الله في أخلاقه الشريفة، وصفاته المنيفة.

الفصل السادس: خصائص النبي ﷺ الخلقية^{١٦٨}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي منّ علينا بحبيبه ومصطفاه، وجعله أسوة طيبة نرقى في مراقبه حتى نصل إلى مراتب القرب من حضرة الله، والدنو من مقام قاب قوسين أو أدنى، في قربه ودنوه من مولاه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جعله الله ﷺ أسوة طيبة في كل حقائقه الظاهرة والباطنة، وآله وصحبه، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

ما زلنا نتواصل في وصف خصائص حضرة النبي ﷺ، وتكلمنا في اللقاء السابق في حضرته وخصائصه الظاهرية الجسمانية، التي تراها العين الحسية، وقد خصّه الله تعالى فيها بخصائص ذاتية أشرنا إليها إشارات خفيفة لأن البيان في هذا المقام لا ينفع فيه التطوال، فهو فوق العقل وفوق الخيال.

التشبه الأكمل بالنبي ﷺ

واليوم نتحدث عن خصائصه المعنوية، أو خصائصه الخلقية، وخصائصه المعنوية هي الميدان الذي يتبارى فيه العارفون، ويتسابق فيه المقربون، وينالون به ما يبغون من القرب من حضرة الله، ومن حقيقة التشبه بسيدنا رسول الله ﷺ.

فإن الله ﷻ عندما وصفه وأثنى عليه لم يثن عليه بالعبادات، مع أنه أول العابدين، ولم يدانيه أحد في الأولين ولا الآخرين ولا النبيين ولا المرسلين ولا حتى الملائكة المقربين في طاعته وعبادته لرب العالمين: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ (٨١ الزخرف).

ومع ذلك لم يمدحه الله ﷻ بهذه العبادات مع أنه بلغ فيها الغاية، حتى لا يظن البعض ممن ليس لهم في الكرم الإلهي الأعلى نصيب، أن الغاية في استباق الطاعات والعبادات. والطاعات والعبادات أبواب للعلو في الجنات، يكون له بها قصور ويكون له بها حور، ويكون له بها نعيم مقيم في جنات النعيم، فهذه غاية الطاعات والعبادات.

لكن المقربون لا يطلبون الجنة لذاتها ولكن يطلبون الجنة لأنها الموضع الذي يتجلى فيه لهم الحق ﷻ، فيشاهدونه بجمالاته وكمالاته.

وتلك أميبتهم، وهذه بُغيبتهم، وليس لهم بُغية غيرها، فالذي يُوصِل إلى ذلك هو التشبه بالحبيب ﷺ فيما أتى عليه به مولاه، حيث يقول ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤ القلم) و (لَعَلَى) يعني أعلى من الخُلُق العظيم، ولم يُقل من الخلق العظيم، ولكنك أعلى من الخلق العظيم، وفي قراءة قرآنية: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (خُلُق) مضاف، و (عظيم) مُضاف إليه، يعني أنت على أخلاق العظيم والعظيم هو حضرة الله ﷻ.

سر مدحه بالخُلُق العظيم

لم مدحه الله تبارك وتعالى وأتى عليه بالخُلُق العظيم؟ يقول الإمام الجُنيد رضي الله ﷻ عنه وهو ذو الأذواق العالية في الميادين الأزلية بين الصوفية: ((مدحه الله بالخُلُق العظيم، لأنه ليس له همٌّ في الدنيا والآخرة غير مولاه)).

لكن غيره يكون له ميولٌ أخرى، وأغراضٌ أخرى، وأهدافٌ أخرى، ولكن سيدنا رسول الله ما هدفه وما غايته وما مناه؟ لا شيء غير وجه الله تبارك وتعالى، فهو وحده صاحب المقام الكريم والخُلُق العظيم في هذا الميدان.

أو مدحه الله تعالى بالخُلُق العظيم لأنه وحده الذي تخَلق بأخلاق الله، والباقي من السابقين واللاحقين لم يلحق هذه الغاية، ولا يستطيع بلوغ هذه النهاية إلا رسول الله.

ورسول الله ﷺ - لنعلم علم اليقين مكانته عند الله - كان تخَلقه ليس جهاداً واجتهاداً، وإنما منْحٌ وعطاءاتٌ إلهية لحضرته صلوات ربي وتسليماته عليه.

يعني الإنسان قد يجاهد ليتخلق بخُلُق، ويستغرق في الجهاد فترة طويلة، ونحن كلنا نمر بذلك، يستغرق فترةً طويلة ليتجَمَّل بالصبر، ويستغرق زماناً طويلاً ليتجَمَّل بالحلم، ويخرج من النرفذة والغضب .. كل هذا يحتاج إلى جهاد.

لكن حضرة النبي ﷺ نال ذلك بفضل مولاه، لا بعلم ولا بعمل ولا جهاد، وإنما فيض فضل من الواحد الأحد تبارك وتعالى.

وذكر لنا ﷺ مثلاً في ذلك، فقد جاءت قبيلة بني عبد القيس يُعلنون إسلامهم،

ويتعلمون على يد النبي ﷺ تعاليم الإسلام، فعندما وصلوا إلى أبواب المدينة تسارعوا جميعاً إلى حضرة النبي، إلا رجلاً واحداً اسمه الأشج بن قيس، والأشج لأن كان في رأسه جرح أو شجة صغيرة فسموه الأشج.

فقال له قومه: هيا بنا، فقال لهم: اذهبوا أنتم، فأنا قد جهزت ثوبين جديدين، ولا بد أن أغتسل أولاً، وأخلع ثياب السفر، وألبس هذين الثوبين اللذان يليقان بلبقاء حضرة النبي ﷺ.

والرسول ﷺ أعطاه الله بصيرة كاشفة، فلما وصلوا ليسلموا عليه سألهم عن الأشج، فقالوا: تخلف عنا، وسيأتي بعدنا، فعندما حضر وراه قال له:

{ إِنَّ فِيكَ خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَانَةُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ }^{١٦٩}

ليس فيك عجلة، والرجل من فطانتته قال: يا رسول الله هذين الخلقين أتخلق بهما أم جُبلتُ عليهما؟ قال: بل جبلك الله عليهما، يعني ليس بجهاده وصل لهاتين الصفتين، ولكنهما منحة من الله ﷻ، والأمر إذا كان منحة من الله فيكتسب صفة الدوام، ويكون له به منزلة كريمة عند من يقول للشيء كن فيكون.

وصف النبي في الكتب السماوية السابقة

فكان ﷺ في أخلاقه المثال الأعظم، والكمال الأتم، والقُدوة الطيبة لمن يُريد أن يكون من الثلة الأولى من المقربين، لأن الله ﷻ عند ذكره في التوراة والإنجيل، وأمر الأنبياء والمرسلين السابقين أن يُبينوا أوصافه لأمتهم، لم يذكره بأوصافه الخلقية، ولكن بأوصافه الخلقية المعنوية.

فمثلاً كان سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مُغرماً بمطالعة كتب أهل الكتاب وما ورد فيها عن النبي ﷺ، فسألوه: أنت قرأت وصف النبي ﷺ في التوراة، فبم وصفه الله تبارك وتعالى في التوراة؟ قال:

١٦٩ سنن أبي داود والبيهقي عن زارع بن عامر

{ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتِكَ الْمَتَوَكَّلَ، لَيْسَ بِفَطٍّ، وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمَيَّا، وَأَذَانًا صُمَّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا }^{١٧٠}

هذه الأوصاف نحتاج أن نتصف بها حتى نكون معه، وأنتهز هذه الفرصة وأبشركم ببشارة، فقد اكتشفوا في الفاتيكان نسخة من الإنجيل مكتوبة منذ ألفي عام، ووجدوا أنها تنصُّ على أن عيسى عبد الله، وليس إله، ولا ابن إله، ولا حلَّ فيه الإله، إعجاز لدين الله الإسلام، ولسيدنا محمد صلوات ربي وتسليماته عليه، وكتابه القرآن العظيم.

وهذا البيان من الفاتيكان نفسه وليس غيره، وهم الذين أعلنوا ذلك، وبدأوا الآن يعدِّلوا، وهنا أيضاً بدأوا يعدلوا، وقد سمعنا في الأعياد الأخيرة للميلاد وقد نفوا هذه الجزئية، حتى أن البابا نفسه في حديثه لجريدة الأهرام والتلفزيون نفى أن عيسى ابن الله، أو حلَّ فيه الإله، أو ثالث ثلاثة، فهذه أيضاً بشرى طيبة أنهم بدأوا يعرفون الحق، ويُعرفنا أن سيدنا عيسى قُرب نزوله، ولذلك هؤلاء القوم بدأوا يتجهَّزوا ويتأهلوا لاستقباله ليؤمنوا بخاتم الأنبياء سيدنا محمد صلوات الله وتسليماته عليه.

أوصاف طلاب المزيد

الذي يُهْمُّ طلاب الوجه العلي، أو ما نسميهم طلاب المزيد:
﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (٣٥ق) قال ﷺ:

{ الزِّيَادَةُ النَّظْرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ }^{١٧١}

طلاب المزيد يتشبهون برسول الله في هذه الأوصاف النورانية؛ الرحمة واللين والمودة والشفقة .. وكل هذه الصفات الطيبة التي وصفه بها مولاه.

فلا يجوز لرجل أن ينال الوراثة المحمدية ويكون فيه فظاظة أو غلظة في التعامل مع

١٧٠ صحيح البخاري ومسنَد أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

١٧١ حلية الأولياء لأبي نعيم عن كعب بن عجرة ؓ

الفصل السادس: خصائص النبي ﷺ الخُلُقِيَّة

الآخرين، أو يرفع صوته إن كان بسبِّ أو شتم أو لعن أو ما شابه ذلك.

نرى البعض على هذا النهج سائرين ولكن في خارج المنزل فقط، وعند دخول المنزل ينسون هذه الأخلاق كلها دفعة واحدة، فتجد مع الزوجة والأولاد الفظاظ والغلظة وعلو الصوت الذي يتباهى به، ولا مانع من السب والشتم واللعن بل والضرب والطرد، وغيرها من الأمور التي لا يرضى الإنسان المؤمن أن يتعامل بها حتى مع غير المؤمن، مع قوله ﷺ:

{ خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي } ١٧٢

فكان ﷺ صاحب الكمال الأعلى في هذه الأوصاف الربانية التي جمَّله بها رب البرية ﷺ، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم، فالذي يريد أن يكون معه أفلا يتشبه به؟!.

لو قلنا يتشبه به في هيئات الصلاة والركوع والسجود واللحية والجلباب والسواك والبنطلون وما شابه ذلك، فهل أغنى هذا التشبه أهله وأوصلهم إلى ما يريدون؟! لا، وعندما يقول له أحد المحبين الصادقين مثلاً: أنا رأيتُ حضرة النبي، يقول له: أنا أولى بذلك لأني أفعل كذا وكذا، ويرى في نفسه الأهلية وأنه هو المستحق!!.

فالذي يريد وراثته رسول الله المعنوية والنورانية فلا بد أن يتشبه به في أخلاقه الربانية مع الخلق، ومع أهل بيته، ويتشبه به بأخلاقه النورانية مع الحق، كخوفه من الله، وخشيته من مولاه، وحضوره مع حضرة الله، وإقباله في كل أنفاسه على مولاه، فهذه الأخلاق العلية التي يكون فيها مع حضرة الله تبارك وتعالى، حتى كان ﷺ يقول:

{ أَنَا أَتَقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمُكُمْ بِحُدُودِ اللَّهِ } ١٧٣، وفي رواية أخرى:

{ فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً } ١٧٤

ولذلك الذي يُريد أن يكون من الأفراد المنظورين من سيد العباد، وتكون له درجة من الدرجات العظمية الوهبية، وليست الكسبية، فلا بد أن يجاهد نفسه في هذه الأوصاف النورانية، وكل ما عليك أن تعزم عزمًا أكيداً على التخلق بها، فيأتيك فضل الله وإكرام الله وعطاء الله فيجعلك تتخلق بها بدون تعب ولا عناء ولا مشقة.

١٧٢ جامع الترمذي والدارمي عن عائشة رضي الله عنها

١٧٣ مسند أحمد ومصنف عبد الرزاق

١٧٤ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

كمال عقله ﷺ

وكان ﷺ - كما وُصف - أكمل الناس عقلاً، فيزن الأمور وزناً دقيقاً قبل أي تصرف، وهذا حال الحكماء، فالحكيم لا يتسرع في الحكم في أي قضية، فإذا عرض له أحد قضية وله خصم، يترؤى حتى يسمع من الإثنين ولا يتعجل في الحكم، فقد سُمي سليمان بن داود بسليمان الحكيم لماذا؟ لهذه الصفة، فعندما جاءته إحدى النساء تبكي وتقول: فقأت فلانة عيني - وحالتها واضحة - فأراد من حوله أن يتعجل في الحكم، فقال: اصبر ربما تكون الأخرى قد فقدت العينين!!، فلا بد أن نرى الإثنين.^{١٧٥}

ولما عُرض على أبيه داود مشكلة كبيرة، ولدٌ وامرأتان، وكل واحدة منهما تدعي أن الولد ابنها، فحكم لإحدهما لأنها كانت أكثر إقناعاً وأكثر تمثيلاً، لكن سيدنا سليمان قال لهم: اتوني بمنشار، وأنا أقسم هذا الولد نصفين، فقالت أمه الحقيقية: لا، بل دعوه وأعطوه لها، فقال: إذاً هو ابنك أنت: ﴿ فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَانَ ﴾ (١٧٩ الأنبياء) لأنه كان يترؤى.^{١٧٦}

الرؤية والأناة

وأي مؤمن في أي موقف لا بد أن يترؤى، فلو قالت لي زوجتي: ابنك صنع كذا وكذا، وملأت قلبي ضغينة منه، فهل أضربه وأقسوا عليه؟! لا، بل أسمع منه أولاً، فجائز هي متضايقة منه لأمر من الأمور، مع أنها أمه، لكن لا بد أن أسمع من الإثنين وأترؤى.
فالحكيم:

الذي يترؤى في كل كلام يصل إلى أذنيه، أو في كل أمر يُعرض عليه، ولا يتعجل في الحكم، ولا يتسرع في إلقاء حكم، وإنما يتأني، وهذا الكمال كان عليه الحبيب المصطفى ﷺ.

١٧٥ وروى ابن حزم شبيهاً لذلك عن عمرو بن عثمان قال: أتى عمر بن الخطاب رجل قد فقئت عينه، فقال له عمر نحضر خصمك، فقال له: يا أمير المؤمنين أما بك من الغضب إلا ما أرى، فقال له عمر: فلعلك فقئت عيني خصمك معاً، فحضر خصمه قد فقئت عيناه معاً، فقال عمر إذا سمعت حجة الآخر بان القضاء.
١٧٦ روى البخاري ومسلم { كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى - ولعله قضى به لأن الولد في يدها، والأصل أن الشيء لمن هو بيده - فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام، فأخبرناه، فقال: اتتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل برحمتك الله هو ابنها فقضى به للصغرى. }

ويتبعه في ذلك كُمل الرجال الحكماء الذين هم أغلى من الدر في كل الأنحاء، لأن الرجل منهم بحكمته يُخلص أمة بأسرها من مشاكلها ومن خلافتها ويجعلهم إخوة متآلفين، بماذا؟ بالحكمة وهي إتباع العقل والتأني والترؤي في أي أمر من الأمور.

ولذلك لا يوجد طالب صادق لله ومعه العجلة، يعني التسرع، لأن الله يقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء ١١١) فماذا نصنع يا رب؟ قال: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الأنبياء ٣٧) لا تتعجل في أي أمر ولكن دائماً تتأني، ومن تأني نال ما تمنى.

لا بد أن تتأني في أي أمر من الأمور، وإياك أن تتسرع في أي حكم، لأن معظم المشاكل التي بين البشر سببها أن رجلاً نقل لآخر كلام في أذنه عن رجل آخر، فعلى الفور يأخذ موقفاً بما سمعه ممن قيل في حقه هذا الكلام، لم يُحقق ولم يُدقق ولم يتثبت، وبعد فترة بعد العجلة والتسرع يرى أنه كان مُخطئاً في الحكم فيقول: يا ليتني، ولماذا تلجأ لهذا الأمر؟! لذلك نريد أن نكون على خلق النبوة، وأي أمر يُعرض علينا وأي كلام يبلغنا نتأني ولا نثور ولا نغضب ولا ننفعل، إلا إذا تحققنا من صدق هذا الكلام، والله ﷻ يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ بِنَدْمِهِمْ﴾ (الحجرات ٦) وفي قراءة أخرى: ﴿فَتَثَبُّوا﴾ وانظر بم وصف الله ﷻ الذي ينقل الكلام؟ بأنه فاسق.

قد يكون الكلام الذي يصلني من داخلي ظنٌ، وأكثر إغراض الناس عن بعضهم بسبب سوء الظنون الذي يقع في صدورهم، وكل إنسان مُعرض لإساءة الظن، فماذا فعل؟ اسمع إلى نصيحة الحبيب ﷺ:

{ إِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُحَقِّقْ } ١٧٧

يعني لا بد أن تتحقق من صحة الظن، كيف؟ إذا ظهرت دلائل حسيّة ملموسة تثبت ظنك فلا مانع، لكن إذا كان ظنٌ وليس له دلائل فهذا حديث نفس، أو وسواس من الشيطان، وعلى الإنسان فوراً أن يستعيد بالله من الشيطان الرجيم، ويطلب من الله تبارك وتعالى أن يعينه على نفسه، لأنه قد يُخطئ في حق إنسان بريء وهو لا يدري.

١٧٧ معجم الطبراني عن حارثة بن النعمان ؓ، وورد عبد الرزاق في المصنف والبيهقي في الشعب قوله ﷺ: { ثلاثة لا يسلم منهن أحد الطيرة وسوء الظن والحسد، قيل: فما المخرج منهن با رسول الله، قال: إذا تطيرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ. }

ومعظم المشاكل - كما قلت - سببها سوء الظن، وهذا وارد، لكن أصحاب رسول الله ﷺ كما علمهم حضرة النبي كانوا يتحققون، فلا يسكت أحد منهم، يعني إذا حدث سوء ظن لا يجعله في صدره وينتهي الأمر، لكن لا بد أن يتحقق.

سيدنا عمر مرَّ بسيدنا عثمان بعد وفاة رسول الله ﷺ وألقى عليه السلام فلم يرُدُّ عليه عثمان، فذهب إلى أبي بكر ليتحقق، فقاما وذهبا معاً إلى عثمان، وسأله أبو بكر عن سبب عدم رده السلام على عمر؟ فقال: وهل مرَّ عليَّ عمر؟ فقال له عمر: مررتُ عليك في ساعة كذا، فأقسم بالله أنه لم يسمعه ولم يره!! كان مشغولاً بالله، ... ومن شُغله بالله لم ير من مرَّ عليه ولم يسمع فتبرأ، وسيدنا عمر ﷺ استراح لأنه أيقن أنه عند حُسن ظن أخيه، وأن أخاه دائماً وأبداً حريصٌ على دوام المحبة والمودة فيما بينهما^{١٧٨}، وكانوا حريصين على ذلك على الدوام.

سيدنا عمر تأيَّمت ابنته حفصة، يعني زوجها توفي، وكانوا ألباءً وعُقلاء، كانوا يعرضون بناتهم على الصالحين، ولا يُخرجوا كما نفعنا في زماننا هذا، فكانوا يفعلون ذلك والنبي كان يُحسُّهم على ذلك، والله ﷻ قال ذلك: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ (النور ٣٢) أي زوجوهم، يعني اطلبوا لهم أزواجاً صالحين، فذهب وعرضها على سيدنا عثمان، فقال له: إني بدا لي أن لا أتزوج الآن، وكان أيضاً عندهم حُرِّية رأي، فلا يخدعه ولا يجيب بإجابة خادعة، وأخوه لا يغضب منه؛ فذهب لسيدنا أبي بكر وعرضها عليه، فقال له: أنظر في أمري، ولم يعطه رداً قاطعاً، ثم خطبها سيدنا رسول الله، فذهب عمر ليُعاتب أبا بكر وقال له: لمَّ لم ترد عليَّ؟

قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يذكرها - يعني يريد الزواج منها - فانتظرتُ، فإذا لم يخطبها، كنتُ سأخطبها، وما كنتُ لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ، فأثلج صدره، وأراح

١٧٨ روى أحمد في مسنده عن رجل من الأنصار من أهل الفقه وأبو يعلى في مسنده عن أبي خثيمة أنه سمع عثمان بن عفان يحدث: أن رجلاً من أصحاب النبي حين توفي النبي ﷺ وحنوا عليه حتى كاد بعضهم يوسوس، قال عثمان: وكنت منهم، فبينما أنا جالس في ظل أطم من الأطم مرَّ علي عمر فسلم عليَّ، فلم أشعر أنه مرَّ ولا سلَّم، فانطلق عمر حتى دخل على أبي بكر فقال له: ما يعجبك أني مررت على عثمان فسلمت عليه فلم يرد علي السلام! وأقبل هو وأبو بكر في ولاية أبي بكر، حتى سلما علي جميعاً، ثم قال أبو بكر: جاءني أخوك عمر فذكر أنه مر عليك فسلم فلم ترد عليه السلام، فما الذي حملك على ذلك؟ قال: ما فعلت، فقال عمر: بلى والله لقد فعلت و... قال عثمان: والله ما شعرت أنك مررت ولا سلمت، قال أبو بكر: صدق، وقد شغلك عن ذلك أمر، فقلت: أجل، قال: ما هو؟ فقال عثمان: توفي الله ﷻ نبيه قبل أن نسأله عن نجاة هذا الأمر، قال أبو بكر: قد سألته عن ذلك، قال: فقممت إليه فقلت له: بأي أنت وأي أنت أحق بها، قال أبو بكر: قلت: يا رسول الله، ما نجاة هذا الأمر؟ فقال رسول الله: {من قبل مني الكلمة التي عرضت على عمي فردها علي فهي له نجاة}.

بالله عليكم لو مشينا جميعاً على هذا النهج فلن يكون بيننا جفاءً أو قطيعة، يعني أقول لأخي: أنا حزين منك يا فلان بسبب كذا، فبين لك الأمر وتستريح نفسياً، لكن أضمرها في نفسي وأخذ موقفاً، وقد أخاصمه، ولا أريد رؤيته، ولا أكلمه، وأنا لم أتحقق من الأمر، ولم أثبت من الموضوع، فهذا كلام لا ينبغي لأصحاب العقول، ونحن أكمل الناس عقولاً بعد حضرة الحبيب الأعظم ﷺ.

جهاد المقربين

مضمار السباق لمن أراد أن يكون من: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿ الواقعة ﴾ هو التخلق بأخلاق سيد الأولين والآخرين ﷺ.

ولذلك يقول إمام أهل المجاهدة، وهو أيضاً إمام أهل المشاهدة سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ وأرضاه: ((كنتُ حدّاداً على نفسي اثني عشر عاماً، ثم تنعمت بها بعد ذلك))، وحدّاد يعني يُصَفِّيها، فيدخلها نار المجاهدة ويصفيها ويرقيها ويلمّعها حتى يظهر أنوار الحق فيها، ويقول ﷺ: ((ليست الكرامة أن تطير في الهواء، لأن الطيور تفعل ذلك، وليست الكرامة أن تمشي على الماء، لأن الأسماك تفعل ذلك، وليست الكرامة أن تطوي بين المشرق والمغرب في لحة، لأن إبليس يفعل ذلك، ولكن الكرامة أن تُغيّر خلقاً سيئاً فيك بخلق حسن))، فهذا جهاد الصديقين، الذين يريدون أن يصلوا إلى مقام الصديقية، وكان ﷺ يُشرف على الصديق الأكبر رضوان الله تبارك وتعالى عليه، وأصحابه في هذا المقام في ذلك، ليصلوا إلى هذا المقام العظيم.

خرج ﷺ في عمرته، وعرض عليه أبو بكر الصديق أن يكون حضرته ضيفاً عليه طوال رحلة العمرة - يعني لا يجهز شيئاً - وجهّز أبو بكر طعاماً يكفيه هو والنبي ومن مع النبي من زوجات النبي، لأن النبي كان لا يخرج بمفرده، بل يصطحب معه إما زوجاته

١٧٩ أخرج أحمد والبخاري أن عمر ﷺ قال: { تأيمت حفصة من رجل من قريش يقال له خنيس بن حذيفة أو حذافة، شهد مع رسول الله بدرا، - مات بالمدينة - فلقى عمر عثمان فقال: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، قال: أنظر في ذلك، قال: فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: ما أريد النكاح يومي هذا، فوجدت في نفسي، ثم لقيت أبا بكر فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فلم يرجع إلي شيئاً، وكان وجدي عليه أشد من وجدي على عثمان، فلبثت ليالي، فخطبها إلى رسول الله، فزوجتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت على حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً، قال: قلت: نعم، قال: فإني كنت سمعت رسول الله ان يذكرها، ولم أكن لأقضي سر رسول الله، ولو تركها تزوجتها.)

جميعاً أو إحداهن، ووضع سيدنا أبو بكر هذا الزاد على ظهر جمل وجاء بغلام له وقال: يا غلام ليس لك عملٌ إلا هذا الجمل فاحرص عليه، لكن الغلام غفل عن الجمل فسرح الجمل وضاع، فماذا يفعل أبو بكر؟ إن كان طعامه فقط فلم يكن يحزن، ولكنه حزن لأن معه طعام حضرة النبي، وهو الذي عرض على حضرة النبي وجعله يعتمد عليه، فعلا صوته على الغلام وأراد أن يشتمه ويضربه، وإذا بحضرة النبي أمامه فوراً، وقال له:

{ لَعَانِينَ وَصِدِّيقِينَ؟ كَلَّا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ }^{١٨٠}

لا ينفع أن يكون صديقاً ويلعن، فما بال الكثير يشتم ويلعن زوجته وأولاده في كل صباح؟! فأين يكون هذا؟! هو خارج البيت ملاك، لكن في البيت أسدٌ هضبور، وهذا ما يحدث وهي حقيقة! ومعدرة أنا أقول هذا الكلام لأنني تأتيني شكاوى مؤلمة، وأتخبر كيف أرددُ عليها؟ وبأي شيء! لأن الذي يسير معنا ينسبه الناس لنا، فيُهيئ لهم أنه من الصالحين، وكيف يكون من الصالحين ويفعل كذا وكذا في بيته؟ حتى يصل الأمر أن بعضهم يسبُّ الدين لزوجته! سبحان الله! فلماذا تحضر مع الصالحين يا أخي؟ وأماننا يجعل نفسه من الملائكة الكروبيين والمقربين، لكن الذي يعرفه من تعيش معه في البيت.

جلس رسول الله ﷺ مع أصحابه الكرام يوماً، وجاء رجلٌ من المنافقين وأخذ يشتم سيدنا أبو بكر بكلام قبيح، ولم يحترم حضرة النبي ولا الحاضرين، وطبيعة المنافقين سوء الأدب، وعندما تناول الرجل وزاد همُّ أبو بكر أن يردَّ عن نفسه، فقام ﷺ وترك المجلس، فأسرع أبو بكر خلفه وقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقَمْتُ؟! قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ }^{١٨١}

وهذا ما جعل الصادقين في هذا الإتياع كالإمام عليّ زين العابدين ﷺ يمشي خلفه رجلٌ ويسبُّه ويشتمه ولا يلتفتُ إليه، ما هذا؟! تأسيماً برسول الله ﷺ، فقد كان ﷺ يمشي حوله أهل مكة يسبُّونه، ولكن صرفهم الله عن اسمه، فكانوا يشتمونه ويقولون: يا مُزَمَّم، يا مُزَمَّم، ولا يلتفت إليهم أو يرد عليهم، وورد أنه قال ﷺ لأصحابه:

١٨٠ شعب الإيمان للبيهقي والأدب المفرد للبخاري عن عائشة رضي الله عنها

١٨١ مسند أحمد والشهاب عن أبي هريرة ؓ

{ أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ، وَلَعْنَهُمْ، يَشْتُمُونَ مُدَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُدَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ }^{١٨٢}

فكان يعلم أصحابه بأدب النبوة و كيف يكون حُسن الرد والتصريف ...، فسيدنا الإمام علي زين العابدين ظل يمشي، والرجل خلفه يشتمه، إلى أن اقترب من الشارع الذي يسكن فيه، فوقف والتفت إلى الرجل وقال: يا هذا إن كان بقي عندك شيء آخر فهاته حتى لا يسمعك أحد الصبيان فيؤذيك، ما هذا؟ هذه أخلاق النبوة التي علمها لنا رسول الله، والقوم الذين سلطوا هذا الرجل مشوا خلفه حتى يروا ماذا يفعل؟ فلما رأوا ما حدث تعجبوا، فقال ﷺ: ^{١٨٣}

يخاطبني السفهيه بكل قبح فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهةً وأزيد حلماً كعود زاده الإحراق طيبا

كعود البخور كلما أوقدته أكثر كلما كانت الرائحة أعطر، فهذا الكمال الذي كان عليه سيد الأولين والآخرين، والذي علمه لمن يُريد أن يكون في مقام الصديقين.

صفة غضبه ﷺ

فكان ﷺ حليماً لا يغضب لنفسه قط، ولكنه يغضب إذا انتهكت حرمت الله تبارك وتعالى، يأتيه رجل ويمسك به من جلبابه ويقول: يا بني عبد المطلب إنكم قوم مُطلّ، يعني مماطلين ولا تدفعون الحقوق، وأنا أعلم بكم، وسيدنا عمر يهيج ويُرِيد أن يقتله ويقول: يا رسول الله دعني أقطع عُنق هذا المنافق، فيقول ﷺ:

{ إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّبَاعَةِ }^{١٨٤}

يعني تأمره بحُسن المطالبة، وهذا بالنسبة لنفسه، لكن لَمَّا كَانَ يَوْمُ غزوة الأحزاب، وشغله المشركون عن أداء صلاة العصر دعا عليهم وقال ﷺ:

١٨٢ صحيح البخاري ومسنَد أحمد عن أبي هريرة ﷺ

١٨٣ وقيل الأبيات للإمام علي بن أبي طالب وأوردها البعض في ديوان الشافعي ﷺ.

١٨٤ صحيح ابن حبان والحاكم عن عبد الله بن سلام ﷺ

{ مَا لَأَللّٰهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوَسْطَى
حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ }^{١٨٥}

شغلونا عن صلاة العصر، فالغضب هنا لله، لكنه لم يغضب لنفسه قط، ومتى يغضب؟ إذا انتهكت حرمة الله ﷻ، تقول السيدة عائشة في حضرة النبي ﷺ:

{ مَا أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ
بِهَا لِلَّهِ }^{١٨٦}

عفوه ﷻ

وكان عفوه ﷻ مضرب المثل، لأنه ﷻ قدّم العفو في كل شئونه وأموره طوال حياته، ما عاقب أبداً أحداً أساء إليه، قد يعزم ولكنه يحلّ هذا العزم، لأنه يريد أن يكون على خلق الله، والله تبارك وتعالى اسمه العفو، وكان يعلمنا أننا نقول دوماً:

{ اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي }^{١٨٧}

ما دام الله ﷻ يحب العفو فيجب أن نعفو دائماً، لأن هذا الوصف الكريم الذي وصف الله به نفسه، ووصف به حبيبه ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١٩٩ الأنفال) خذ العفو كله هبة لك. وكل من يريد أن يُسبى إليك إما حاقداً أو حاسداً، وأنت لكي تلتفت لحاقد أو حاسد ستكون مُحطناً في هذا الأمر، فلا يوجد إنسان ناجح بدون أعداء، وأول الناجحين الأنبياء، والله يقول في شأنهم: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣١ الفرقان) ليس عدواً عادياً، ولكنه عدو عاتي في الإجرام، ولذلك كان ﷻ يقول عن أبي جهل كما ورد في بعض الأثر: ((فرعوني أشد علي من فرعون أخي موسى عليه)).

أبو جهل ليس له وصف أبداً في معاداة الأنبياء والمرسلين السابقين، عداوة ليس لها مثيل!، لكن سيدنا رسول الله ﷻ يعلم علم اليقين أن الله جعل لكل ذي نعمة

١٨٥ البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب ﷻ

١٨٦ الصحيحين البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

١٨٧ جامع الترمذي وابن ماجه

حاسدين، فقال صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ كُلِّ ذِي نِعْمَةٍ مَّحْسُودٌ }^{١٨٨}

وهل يوجد أحد يخلو من نعمة؟ كلنا معنا نَعَم، فلا بد أن يكون هناك حاسدين، ولو التفتت للحاسدين سأدافع عن نفسي، أو أدافع عن رأيي، أو أنتصر لشخصي .. فلن أنتهي من ذلك، ولن أسير إلى الله، لكن الذي يريد السير إلى الله يعمل بقول الصالحين: ((القافلة تسير والكلاب تنبح)) لو كل كلب ينبح وأنا في الطريق ألتفت إليه لن أمشي ... فماذا أفعل؟ أمشي كما أنا، وأدخل في قول الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (الحج ٣٨) دفاع الله عني أحسن من دفاعي عن نفسي، لأنه سيقبض لك بما شئت أو كيف شئت، أو بما تعلم أو لا تعلم من يدافع عنك، وهذه حكمة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ... وفي القراءة الأخرى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فيدفع عنهم كل الأعداء، والمتربصين، والحاقدين، والحاسدين، وأهل الشر أجمعين، لأنه: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٣ الطلاق).

أحياناً كثيرة يرى الإنسان أنه أسيء من هذا الإنسان، وبعد مرور دورة يرى أن الله اختار له الخير، وخفف عنه ولطف به بما حدث، أي أنه كان هناك شيء أكبر ولكن الله خفف ولطف به، لكي نعرف أن المؤمن الذي يتوكل على الله يدخل في: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٣ الطلاق) وحسبه يعني كافيته، فيكفيه كل شر، وكل ضرر، وكل سوء، وكل نفس أمارة، ويجعله في رعاية الله تبارك وتعالى وعنايته على الدوام.

صبره ﷺ

وكان ﷺ يصبر على ما لا تتحمله الجبال، لأن الله قال له: ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (١٣٥ الأحقاف) الرُّسُل والأنبياء مائة وأربعة وعشرين ألفاً، وما ذكر منهم في القرآن خمسة وعشرين، والمجلس الأعلى للأنبياء والمرسلين هم أولي العزم وهم خمسة، والله ﷻ قال لحبيبه موصياً له أن يصبر قدر صبر هؤلاء الخمسة، أنت وحدك تكون قدر هؤلاء الخمسة في الصبر؛ لأن الذي يريد الدرجات العالية، والذي يريد الفتوحات الوهبية الإلهية الراقية، فعليه: ﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ (٣٥ فصلت) يُلْقَى

الدرجات والترقيات، والمنح والعطايا الإلهيات، من الذي يأخذها؟

﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٣٥ فصلت).

فالذي يُريد أن يبلغ المراد لا بد أن يعتمد دوماً على الصبر الجميل، وليس الصبر فقط، فقد يصبر ولكنه يتأوه أو يشكو أو يتبرم أو يتضايق!، فيكون صبراً بسيطاً، لكن الله أمرنا بالصبر الجميل: ﴿ فَصَبِّرْ حَمِيلٌ ﴾ (١٨ يوسف) الصبر الجميل الذي معه رضا عن الله، لا يشكو الإنسان، ولا يتبرم الإنسان، ولا يحدث غيره بما أصابه لأنه يكون كأنه يشكو من خلقه لخلقته ﷻ، فهذا يحتاج للصبر الجميل.

والذين سيكونون أئمة في مقامات القرب من الله، بم ينالونها؟ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَاقِبَتِنَا يُوْقِنُونَ ﴾ (٢٤ السجدة) لا بد من الصبر أولاً، لكن بدون الصبر فإن الهلع والجزع والفرع يؤخر الإنسان آلاف الدرجات في كشوف الترقيات التي يعتمدها سيد السادات ﷺ.

فالإنسان يحتاج للصبر في حبس النفس عن المعاصي التي تراودها، ... وتستحسنها، ... قال ﷺ:

{ حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ }^{١٨٩}

هذه الشهوات تتجمل في عين الإنسان وتزين له

وتحتاج للصبر ليغض طرفه عن النظر إلى النساء، وهذه تحتاج لصبر جميل في جهاد النفس، ولكي يصم أذنه عن سماع أحاديث الغيبة والنميمة والقبل والقال، وهذه تحتاج إلى صبر جميل، وحتى يحبس لسانه عن الخوض في الأعراض، وعن الكلام الذي لا يُرضي رب العباد، وهذا كله يحتاج إلى صبر.

فيحتاج الإنسان إلى صبر عظيم في قطع النفس عن شهواتها، ويحتاج إلى صبر عظيم في إجبار النفس على الطاعة لرب العباد طمعاً في نيل الأمان والمراد، لأن الطاعات أيضاً شاقّة على النفس.

ويحتاج إلى الصبر عندما تتنابه الأقدار التي ينزلها الواحد القهار لكي يكون من أهل: ﴿ وَكَثِيرٍ الصَّابِرِينَ ﴾ ﷻ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

١٨٩ صحيح مسلم والترمذي عن أنس ﷺ

خصائص النبي الخاتم ﷺ فوزى مجد أبوزيد الكتاب ١١٤
رَاجِعُونَ ﴿ البقرة ﴾ وهؤلاء يا هناهم: ﴿ أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَيْكَ هُمْ أَلْمَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة) ١٥٧. أهم ما تتدرع به في سيرك إلى الله لبلوغ مقام الصديقية في جوار حبيب الله ومصطفاه الصبر، فلا بد أن توطن نفسك من البداية على الصبر الجميل الذي أمرنا به الله ﷻ.

تواضعه الجَمِّ

أكبر علامة نعرف بها الصالحين الصادقين اتباعهم في التواضع لسيد الأولين والآخرين ﷺ، فلا يُصابون بداء الغرور، ولا مرض العجب أي الإعجاب بالنفس، لأن مرض الغرور دليل على أن النفس حيّة، لم يتم جهادها جهاداً كاملاً في ذات الله. ومرض العجب - والعياذ بالله - أن يُعجب الإنسان بنفسه أو بعمله أو بحاله، وهذا يُجبط العمل، فلا يكون له أجرٌ ولا ثوابٌ ولا قربة عند العليّ الوهاب ﷻ. فما رأينا في السابقين ولا في المعاصرين رجلاً صالحاً يتباهى بنفسه، أو يختال إذا مشى مع غيره، أو يرى نفسه خيراً من أحد سواه، لأنه ملاً قلبه بجلال الله، وكبرياء الله، وتعظيم الله، فتواضع ظاهراً لجميع خلق الله، كما كان سيدنا رسول الله ﷺ. فكان صلوات ربي وتسليماته عليه لا يأنف وهو يمشي في الطريق أن يُكلم الأرملة والمسكين والفقير والصبيان، كان إذا مشى يُسلم على الصبيان. وكانت تأتيه المرأة وهو يمشي في الطريق وتقول يا رسول الله لي عندك حاجة، فلا يقول لها: اذهبي للمكتب، أو قابلي السكرتير وحددي ميعاد، أو تعالي الساعة كذا يوم كذا، بل يقول لها:

{ اجلسي في أي نواحي السكك شئت، حتى أجلس إليك }^{١٩٠}

اختاري المكان الذي يروق لك في الطريق واجلسي وأنا أجلس معك على الأرض أو بجوار حائط أو تحت شجرة، ما هذا؟! هذا التواضع الذي يُؤدّي إلى الرفعة، ولذلك قال لنا ﷻ:

١٩٠ سنن أبي داود ومسند أحمد

{ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ }^{١٩١}

وعلى هذا النهج كان أصحاب النبي رضوان الله ﷻ عليهم، والتابعون والصالحون إلى يوم الدين.

الإمام الحسن بن عليّ ﷺ وكرم الله وجهه أبيه، كان ماشياً في الطريق راكباً بغلته، فوجد نفراً من الفقراء من الذين يعملون باليومية يلتفون حول سفرة، والسفرة عندهم في لغة العرب فرشة على الأرض، وليست مائدة وكراسي، وكان عليها كسر خبز، وهم يأكلون منه، فقال: السلام عليكم، قالوا: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله، تفصّل، فنزل من على بغلته وربطها وجلس يأكل معهم، وبعد أن انتهى قال لهم: أنا أكلت معكم وليت الدعوة، فأنا أدعوكم لتأكلوا عندي غداً بعد الظهر إن شاء الله، وجهّز لهم مائدة مما تُجهّز للعُظماء، لماذا؟ ليكرمهم لوجه الله ﷻ، ولقول الحبيب ﷺ:

{ مَنْ لَقِمَ أَخَاهُ لُقْمَةً حَلْوَاءَ، صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَارَةَ الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{١٩٢}

من أطعم جائعاً أو فقيراً لقمة حلواء وقاه الله مرارة الموقف يوم القيامة، يعني أنت جاءك أحد الأغنياء وأحضرت له مثلاً جاتوه، فماذا تنال من الثواب؟! إنه غنيّ ويستطيع أن يأكل مثل ذلك وغيره، لكن متى يكون لك الأجر الكبير؟ إذا أطعمتها لفقير يشاهد هذه الأشياء في المحلات ولا يستطيع أن يأكلها، فلو أنك جئت بواحد من هؤلاء وأطعمتها له فيها هناك.

الموائد التي يُجهّزها الناس في الأفراح، وخاصة إذا كان يعملها في فنادق أو في قاعات معينة، ولا يدخلها أحدٌ إلا إذا كان معه دعوة رسمية، فإن الطعام الذي يفيض ويُلقى به يكفي بلاد، والرسول ﷺ عندما سنّ هذه الموائد قال:

{ سَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَى إِلَيْهِ الْأَغْنِيَاءُ، وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ }^{١٩٣}

لا بد وأن يكون فيه نصيبٌ للفقراء، حتى ولو أنك لا تستطيع أن تجلسهم في هذا المكان مع الأغنياء، أرسل لهم نصيبهم في بيوتهم، أو اصنع لهم مائدة في بيتك، ولكن لا بد وأن يكون في الوليمة نصيبٌ للفقراء ليكون الزواج زوجاً ميمون مبارك، وفيه بركة

١٩١ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

١٩٢ مكارم الأخلاق للطبراني وحلية الأولياء لأبي نعيم عن أنس ﷺ

١٩٣ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

من الله، وامتدادات ونظرات من سيدنا رسول الله ﷺ.

فكان ﷺ غايةً في التواضع، وكانت امرأة من الأنصار تدعوه إلى الغداء هو وأصحابه كل جمعة، فماذا كانت تُطعمهم؟ كانت تُطعمهم السلق، أو الحميض، هذا الطعام لم يعد شبابنا يعرفه، لكننا كنا نأكله في بلادنا، وهو من الأطعمة الطبية المُصلحة للمعدة، ومثله الرجلَة والجُعضيب وغير ذلك، فكل هذه أطعمة طيبة ومُصلحة للمعدة، ولكن أولادنا لا يطلبونها، ويطلبون اللحم والسمك فقط، فكانت هذه المرأة تدعو سيدنا رسول الله ﷺ هو ومن معه كل جمعة على السلق، وليس معه لحم ولا غيره.

وعندما ذهب ﷺ ليؤدي عُمرَة القضاء، فكانت ابنت عمه السيدة أم هانئ بنت أبي طالب أخت الإمام علي بيته بجوار المسجد، فدخل بيته وقال لها:

{ عِنْدَكَ طَعَامٌ أَكَلُهُ؟ فَقَالَتْ: إِنَّ عِنْدِي لِكِسْرًا يَابِسَةً، وَإِنِّي لَأَسْتَجِي أَنْ أَقْرَبَهَا إِلَيْكَ، فَقَالَ: هَلْمِيهَا. فَكَسَرَهَا فِي مَاءٍ، وَجَاءَتْهُ بِمِلْحٍ، فَقَالَ: مَا مِنْ إِدَامٍ؟ فَقَالَتْ: مَا عِنْدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، فَقَالَ: هَلْمِيهِ، فَلَمَّا جَاءَتْ بِهِ صَبَّهُ عَلَى طَعَامِهِ فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ حَمَدَ اللَّهُ ﷻ ثُمَّ قَالَ: نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ يَا أُمَّ هَانِي، لَا يَفْقَرُ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ }^{١٩٤}

هل يوجد أحد يأكل الخبز بالخل؟! لكنه أكل لكي يُسعدّها ويسرها، فانظر للأدب الحمدي في جبر خاطر المنكسرين والفقراء والمساكين، صلوات ربي وتسليماته عليه، فلم يقل لها: ما الذي جئت به؟! ألا تعلمين بقيمتي؟! أو كذا وكذا مما يحدث الآن، بل كان سيدنا رسول الله غاية في الأدب حتى في بيته.

البعض تُقدم له زوجته الطعام فلا يعجبه فيضربه بقدميه، ويقول لها: ما هذا الذي جئت به؟! لكن هي ماذا تفعل لك؟! عليك أن تُكَلِّف وهي تعمل لك ما تريد، ولن تتأخر عنك لأنها تريد أن تأكل أيضاً معك، لكن أنت تأخذ دخلك كله وتصرفه كما تشاء، وتعطيها شيئاً قليلاً وتطلب منها أن تتصرف!! وتتكفل بالبيت والأولاد والدروس والأكل والشرب وكل شيء، فماذا تصنع هذه المسكينة؟ .. هذا ما يحدث أحياناً، ومعدرة لو حدث هذا من الجاهلين فرمًا لا يكون عليهم ملامة، لكن هل يحدث هذا من السالكين لطريق الله؟! هذا لا يكون سالك، ولكنه هالك والعباذ بالله ﷻ.

١٩٤ شعب الإيمان للبيهقي والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

سيدنا رسول الله ﷺ لأدبه العالي إذا قَدِمَ له طعامٌ ولم يكن قد تَعَوَّدَ عليه، لأن كل واحد تَعَوَّدَ على أَكَلاتٍ معينة في بيئته، فيقول لهم: { أَجِدُنِي أَعَافُهُ }^{١٩٥}، أنا ليس لي رغبة في هذا الطعام، ويُنهي الأمر بذوق رفيع، وأدب بديع صلوات ربي وتسليماته عليه، تقول السيدة عائشة:

{ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَى كِسْرَةَ مُلْقَاةٍ، فَمَشَى إِلَيْهَا فَمَسَحَهَا، وَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا قَلَمًا نَفَرْتُ عَنْ أَهْلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ أَنْ تَرْجَعَ إِلَيْهِمْ }^{١٩٦}.

ولذلك علمونا أنه لو رأى الواحد منا كِسْرَةَ صغيرة من الخبز على الأرض يرفعها وينظفها ويقبلها، ويأكلها أو يضعها في جانب، وهل علمنا أولادنا هذا؟ لا بد أن نعلمهم احترام النعمة كما كان ﷺ يُعَلِّمُ أهل بيته الكرام، فكان ﷺ في تواضعه ليس له نظيرٌ ولا مثيلٌ في الأولين ولا في الآخرين، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت:

{ دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ قطيفة مثنية فبعثت إلى بفراش حشوه الصوف فدخل علي النبي ﷺ فقال: ما هذا يا عائشة؟ قلت: يا رسول الله فلانة الأنصارية دخلت فرأت فراشك فبعثت إلي بهذا. فقال: رديه يا عائشة فو الله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة. }^{١٩٧}.

وسئلت السيدة حفصة رضي الله عنها:

{ ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتك؟ قالت: مسحاً نثنيه ثنيتين فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلت: لو نثيته أربع ثنيات لكان أوطأ له، فثنيناه له بأربع ثنيات فلما أصبح قال: ما فرشتمولي الليلة؟ قالت: قلنا هو فراشك إلا أنا ثنيناه بأربع ثنيات، قلنا هو أوطأ لك، قال: ردهو لحالته الأولى فإنه منعتني وطأته صلواتي الليلة }^{١٩٨}.

١٩٥ البخاري ومسلم والطبراني عن خالد بن الوليد رضي الله عنه

١٩٦ معجم الطبراني والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

١٩٧ رواه البيهقي وابن سعد وأبو الشيخ في كتاب الأخلاق النبوية عن عائشة رضي الله عنها

١٩٨ أخرجه الترمذي في الشمائل عن حفصة رضي الله عنها. مسحا: هو كساء خشن من صوف، أوطأ له أي ألين له.

يُعطينا مبدأ لمن أراد الوصول إلى الله أن يمشي عليه ... فإذا أردت أن تتنعم بنعم الله فلا مانع، ولكن إياك أن تشغلك النعم عن المنعم، فتكون قد وقعت في خطأ فادح!!

تنام على سرير وعليه مرتبة وعندك مكيف فلا مانع، ولكن إياك أن تنام وتستغرق، ويؤذن الفجر وأنت مستغرق في النوم ولا تقوم لنداء الله وتطلب الصلاة والفلاح والنجاح من الله ﷻ، فيكون هذا الأثاث وهذا الرياش حُجْرَةً عليك يوم تلقى ربَّ العزة تبارك وتعالى.

تواضع الصالحين

وهذا تواضع رسول الله، وكذلك كان تواضع الصالحين رضوان الله ﷻ عليهم أجمعين، الإمام أبو العزائم ؓ كان في الخرطوم في السودان، وقال لأهل بيته: اصنعوا طعاماً فاخراً فسيحضر معنا الغداء بعد صلاة الجمعة جماعة من الوجهاء، فجهزوا طعاماً عظيماً يليق بالوجهاء، وبعد الصلاة وجدوا الإمام أبا العزائم قد أتى بجماعة من الفقراء والمساكين قادماً بهم إلى البيت، فأخذوا ينظرون ويتطلعون وهم مبهورون، فبعضهم أسرع إليه وسأله: أين يا مولانا الوجهاء؟ فقال لهم: ألا ترون؟! هذا وجيه في الدنيا والآخرة!!، وهذا عند الله وجيه!!، هم لا يعرفون غير وجهة الدنيا فقط، لكنه يقصد بالوجهاء عند الله، والوجهاء في الدنيا والدار الآخرة، وهؤلاء الأتقياء الأنقياء الذين يقول فيهم سيد الرسل والأنبياء ﷺ:

{ كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَعْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ }^{١٩٩}

تنظر إلى ملابسه تجدها أقل من العادية، وقد تكون متسخة لأنه يجاهد نفسه في سبيل الله، ولا أحد يلتفت إليه، ولا يبحث عنه أحد، مع أنه له جاه عند الله ﷻ، ولو قال: يا رب، يقول الله تعالى له: لبيك عبدي، ويصنع له ما يريد ... فهؤلاء الوجهاء عند الله ﷻ.

التواضع الذي كان عليه سيدنا رسول الله ﷺ ينبغي أن يسع المؤمن الفقراء من إخوانه المسلمين، والمساكين والمنقطعين الذين لا أنيس لهم، ولا زائر لهم، ولا عائل لهم من أمة سيدنا محمد ﷺ.

حسن عشرته لأهله ﷺ

أما حُسن عشرته ﷺ لأهله فحدّث عنها ولا حرج، فلم يرد عن النبي ﷺ أنه ضرب امرأة من نسائه قط، الرواية تقول: كان إذا اشتدَّ يمسك بالسواك، وهي قطعة صغيرة من الخشب ويقول:

{ لَوْلَا مَخَافَةُ الْقِصَاصِ، لَأَوْجَعْتُكَ بِهَذَا السُّوَاكِ }^{٢٠٠}

وهل السواك يوجع؟! لا، ولكن كل ما في الأمر أنه يُشعرها أنه حزينٌ منها، وهن كنَّ في غاية الحساسية، فكونها شعرت أن الحبيب حزن منها تجتهد كل الاجتهاد أن تزيل هذا الجفاء ليدوم الوصل بينها وبين الحبيب المصطفى ﷺ... ولم يروِ التاريخ أنه قال لإحدى نسائه لفظة نابية، أو كلمة جافية، أو يُعيّرها بشيء فعله معها، كما يفعل الكثيرون الآن، فالرجولة يُظهرها مع زوجته، والرجولة في نظره أن يكون صوته عالي، ويُسمع من في الشارع، ولا بد أن يتعالى عليها، وربما يتباهى وبأبي أمام الأولاد ويُسقط كرامتها ويُهينها أو يضربها، وهذا لا يجوز شرعاً ولا عرفاً ولا عقلاً.

أنت ستسافر يوم أو يومين هنا أو هناك، فمن الذي سيتولّى زمام هؤلاء الأولاد؟ هي، فلا بد أن يكون لها مهابة عندهم، وإن لم يكن لها مهابة فأنا أصنع لها هذه المهابة حتى أطمئن إلى ركن ركين وأنا مسافر هنا أو هنا.

لكن إن أهدتها أمام أولادها فما الكرامة التي بقيت لها بعد ذلك؟! فقد حطمتها نفسياً، ونجد حالياً أكثر من سبعين في المائة من الرجال متخصصين في تحطيم زوجاتهم نفسياً تحطيماً كاملاً، وبعد ذلك يريد منها أن تقبله وتبحث عنه، وهي التي تصالحه، وهي دائماً المُخطئة، فكيف يتأتى هذا الكلام؟!.. عاملها كإنسانة فقط لا أكثر من ذلك، وأي إنسانة لها مشاعر، وأنت مُطالب بالحفاظ على مشاعرها وإذا أردت أن تعاتبها في أمر فيكون بينك وبينها في حجرتكما الخاصة.

البعض في هذه الأيام ينام في حُجرة، وهي تنام في حُجرة، وهم أتوا بذلك من الغرب، ولا يأتينا من الغرب إلا الكرب، وما لا يسُر القلب، لكن سيدنا رسول الله كيف كان ينام؟ السيدة عائشة وغيرها وغيرها كانت تقول:

٢٠٠ المطالب العالبة لابن حجر والطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها

{ كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي لِحَافٍ وَاحِدٍ }^{٢٠١}

أنام أنا وهو في لحاف واحد وبعد أن يناما يأخذنا حظهما بعض الشيء يقول لها:

{ يَا عَائِشَةُ، أَتَأْذِنِينَ لِي أَنْ أَتَعَبَّدَ لِرَبِّي، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحَبُّ قُرْبَكَ،
وَلَأَحَبُّ هَوَاكَ }^{٢٠٢}

إني أحبك ولا أحب فراقك، ولكني أوتر هواك على هواي، وتأذن له، انظروا إلى أدب التعامل، يستأذن حتى يقوم ليُصلي في الليل، وينام هو وهي تحت لحاف واحد، وليس كل واحد في لحاف، أو كل واحد يلتحف ببطانية، فلا تكون عيشة هنية، لكن يجب أن ننام معاً تحت لحاف واحد في حضن بعضنا.

لماذا؟ لأن هذه الأمور تُعوضها التعب والمشقة والألم الذي عانت منه طوال النهار، يأخذها بين أحضانها فتشعر أن هذا الرجل يُقدِّرها ويكرمها وتنسى كل أسية.

لكن أنام في حُجرة وهي في حُجرة، فكيف أنفذ الآية القرآنية: ﴿ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ (النساء ٣٤) بهذا أنا قد هجرتها بدون سبب، مع أن الآية تعني أن تدير ظهرك عنها فقط وأنت بجوارها، ولكنك هجرت المكان كله، فأنا أعجب عندما أسمع من الشباب مثل هذا الكلام، وأحياناً يؤذيها ويضرها ويشتمها أمام أولادها أو أمام غيرهم، وآخر الليل يطلبها للفراش، هل يصح هذا الكلام؟! الحيوانات لا تفعل ذلك، لكن لا بد أن يكون بينهما مودة ومباينة، وبعد ذلك تسير الأمور طبيعية.

ظاهرة أخرى جعلت المشاكل الزوجية تحتدُّ بين الزوجين في عصرنا، فالرجل مع زملائه يأتي بالمنشطات الجنسية، مع أن المنشطات الجنسية في غاية الخطورة، فلا يجب استخدامها إلا بعد استشارة طبيب قلب، لأن استخدام المنشطات كالفياجرا بدون استشارة طبيب قلب، وكان الإنسان - لا قدر الله - مريض بالقلب وأعطوه في المستشفى حبة تحت اللسان يموت فوراً، والأمريكان عندما اخترعوها لم يذكروا هذه الحالة حتى يُرَوِّجوها، لكن آلاف من الشباب ماتوا بهذه الكيفية... فلا بد من طبيب القلب، وهو الذي يُحدد الصنف والنوع وعدد المرات لأراعي صحي وحالتي.

٢٠١ سنن البيهقي عن عائشة رضي الله عنها

٢٠٢ تنبيه الغافلين للسمرقندي عن عائشة رضي الله عنها

وأيضاً يجب أن أراعي صحة المرأة التي معي، فإن معها عمل إن كان في البيت، أو عمل رسمي ومُطالبة به، فيجب أن أراعي هذا الأمر.

لكن الشباب يتوسّع في استخدام المنشطات، ويريد الجماع في الليلة مرتين أو ثلاثة، وكل ليلة، فأين الصحة التي تقاوم هذا؟ وأين المرأة التي تستطيع ذلك؟ أنت تجعلها تكره هذا الأمر كراهية عمياء، لأن كل شيء يزيد عن حده ينقلب إلى ضده.

وإذا اعتذرت يغضب ويكشر ويشكوها لأهلها وغيرهم، ويقول: طلبتها لحقوقي الشرعية ورفضت، وهذه مشاكل وموجودة في المجتمع، وهل طلبتها بالطريقة الشرعية ورفضت؟! أنت استعملت معها أسلوب ليس موافق للهدى الإلهي، ولا للسنن النبوي، ولا حتى للتعليم الطبي، فأنت مخالف لكل هذه الأمور.

فالنساء أسيرات، وكل ما تحتاجه هي كلمة طيبة، تستحوذ بها عليها، وتُعطيك عينها وكل ما تريد، لكن إذا عاملتها بالشدّة والقسوة والضرب والطرْد، فهذا كله يولد الكراهية... فسيدنا رسول الله ﷺ علّمنا الأسلوب الأمثل والنموذج الأقوم، في معاملة النساء، والسيدة عائشة رضي الله عنها كانت تقول:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَنْصَرَفَ مِنَ الْعَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ،
فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ }^{٢٠٣}

كان ﷺ يطوف على نسائه جميعاً في بيوتهن بعد العصر، يجلس مع كل واحدة منهن يبسطها ويؤنسها، فكل واحدة لها ليلة يبيت عندها، لكن بعد العصر لا بد أن يمرّ عليهن جميعاً، لماذا؟ ليجلس معها ويكلّمها ويبسطها ويؤنسها.

بعض النساء الآن تقول: إن الرجل يخرج في الصباح ولا يأتي إلا عند النوم، يعني يجعل البيت كأنه فندق، ويلقي بالمسئولية عليها، تقول له: الأولاد؟ يقول لها: تصرفي معهم، تقول له: ساعدني، يقول لها: أنت فيك البركة، تقول له: اجلس معنا قليلاً، يقول لها: أنا مشغول، فمن الذي يؤنسهم؟ ومن الذي يبسطهم؟ هم محتاجين إلى المؤانسة أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن هذا ضرورة من الضرورات الحياتية الإنسانية التي سنّها لنا سيدنا رسول الله ﷺ جماعة المؤمنين، فلا بد أن يُعطيهم الإنسان وقتاً يبسطهم فيه، ويتكلّم معهم بأسلوب طيب هاديء هاشّ باشّ، ويمدحهم ويثني

٢٠٣ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

عليهم ويشجعهم، فيرى منهم كل الخير، فكان ﷺ يُؤنس نساءه جميعاً، وكان ﷺ في بيته كما تقول السيدة عائشة عندما سُئلت:

{ كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَلَا فِي الْبَيْتِ؟ قَالَتْ: أَلَيْسَ النَّاسُ،

بَسَامًا، ضَحَاكًا }^{٢٠٤}

نحن عندنا يقولون لا بد أن يكون الرجل في البيت عابساً لكي يخافوا منه، من الذي قال هذا الكلام!!؟

النبي ﷺ كان بساماً ضحاكاً مع نساءه، صلوات ربي وتسليماته عليه، ولذلك كن جميعاً يُحبينه حباً لا يستطيع أحدٌ وصفه ولا تقديره، لما رأين فيه من جميل المعاشرة، وحسن المؤانسة صلوات ربي وتسليماته عليه.

فعندما نزل عليه الوحي، وذهب مهموماً وهو يقول: دثروني دثروني زملوني زملوني، قالت:

{ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ

الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ }^{٢٠٥}

من هذه التي تتكلم؟ زوجته السيدة خديجة ﷺ وأرضها، هي عضده وسنده، وليس كما نرى الآن، تقول له زوجته: أين أنت ذاهب؟ يقول لها: أنا ذاهب إلى القاهرة لأحضر مع الشيخ، فيقول الأولاد والزوجة لبعضهم: الحمد لله سنستريح منه اليوم، لبيته يسافر كل يوم، لأنه موجود في البيت للمشاكل.

لكن سيدنا رسول الله ﷺ لم يكن هكذا، فعندما نزل عليه الوحي من أول من آمن به من النساء؟ زوجته السيدة خديجة، لماذا؟ ... للصفات العظيمة التي رأتها فيه، فأحبهت حباً جعلها تُؤمن به، وتصدق به، وتبايعه على طاعة الله، وعلى دين الإسلام، وعلى كتاب الله جل في علاه.

ولذلك كان ﷺ يحفظ لها الجميل، حتى عندما انتقلت إلى جوار الله وبأتيه شيء من فضل الله يبدأ بصويحباتها، تقول السيدة عائشة ﷺ:

٢٠٤ تاريخ دمشق لابن عساکر، والطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها

٢٠٥ البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: أَرْسَلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ }^{٢٠٦}

لماذا؟ اكراماً لها، فلما جاء لعمرة القضاء أمرهم أن ينصبوا خيمته بجوار قبر خديجة، لماذا؟ ليعلمنا الوفاء صلوات ربي وتسليماته عليه.

الاقتداء بالنبي في حسن معاشرته لأهله

فلا بد أن نتعلم حُسن المعاشرة، ونحن قُدوة يُقتدى بنا، وأئمة يُهتدى بنا، لمن حولنا في العمل، ولمن حولنا من الجيران، ولمن حولنا من الأهل، أعينهم ناقدة لنا ! يقولون: كيف يمسي فلان مع الصالحين ويقول لزوجته كذا وكذا، ويفعل فيها كذا وكذا؟! فانت لا تُسيئ لنفسك، ولكنك تُسيئ للصالحين. فلا تنسى أنك قُدوة!

وقدوة يعني لا بد أن تمشي على النهج الأول الذي كان عليه الحبيب الأعظم صلوات ربي وتسليماته عليه، والذي عليه الصالحون أجمعون من عصره إلى أن يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها.

إذا غضبت في البيت، إما أن تتوضأ وتُصلي ركعتين لتُطفى نار الغضب الذي عندك، أو تخرج من البيت ليستريحوا بعض الشيء وتفيق نفسك !!! لكن لماذا تُخرج همومك في هؤلاء المساكين الذين يحملونك ويحملون همك؟! .

يأتي الواحد من عمله متضايقاً لأنهم صنعوا معه في العمل كذا وكذا ولا يستطيع الكلام، فيضع همّه في زوجته، !!! وما ذنبها؟! هي التي تُعينك وتساندك.

فنحن نريد أن نكون القدوة الطيبة، والمثل القويم في اتباع سيدنا رسول الله الرؤوف الرحيم ﷺ في أحواله مع أهله ومعاشرته لهم.

وصلّى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلّم

الفصل السابع: خصائص النبي ﷺ النورانية^{٢٠٧}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي افتتح الوجود بكنز الهدى والسُعود؛ سيدنا مُحَمَّدُ الإمام الأعظم لكل موجود، والسيد السند العظيم لكل مولود، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه صلاة واسعة بوسعة مُلك الله الذي ليس له حدود، مملوءة بنور الله الممدود، من بدء الدنيا إلى يوم الخلود، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله الرُكع السجود، وورثته أهل الشهود، وأصحابه الذين كانوا في حياته ظلّه الممدود، وكل من مشى على عهده ولم ينقض العهود إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

تحدثنا عن الجانب الخَلْقِيّ لسيدنا رسول الله ﷺ في حلقة سابقة، وتحدثنا عن الجانب المعنوي والخَلْقِيّ في حلقة لاحقة لها، وسنتحدث اليوم عن الجانب النوراني للحبيب الأعظم ﷺ.

وربما لا تكفي حلقة ولا حلقات، للحديث في هذا الجانب الرفيع، ولكننا سنحاول الإيجاز على قدر ما يسمح به المولى تبارك وتعالى.

الحياة النورانية للحضرة المحمدية تقتضي الحديث عن الأطوار الإلهية التي نَقَلَ اللهُ تبارك وتعالى فيها الحقيقة المحمدية، فإن الله تبارك وتعالى نَقَلَ حبيبه ﷺ في أطوار نورانية، غير الأطوار الخَلْقِيَّة التي في بطن الأم.

فكان في الطور الأول يطوف بمفرده حول قدس ذي الجلال والإكرام، وانفرد في هذه العبادة لمدة لا يعلمها إلا الله، فلم يكن هناك زمانٌ ولا مكانٌ ولا أفلاكٌ ولا أكوان، وإليها الإشارة بقول حضرة الرحمن في القرآن: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ ﴾ (الزخرف) هو وحده الذي انفرد بهذه العبادة الخاصة، من بين المُكْرَمِينَ من طاعة رب العالمين، بما فيهم الكروبيين والملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، لأنه له الأولوية عليهم أجمعين.

الطور الثاني عندما خلق الله تبارك وتعالى أرواح النبيين والمرسلين وأخذ عليهم العهد والميثاق لحضرتة، وأشهدهم كما ذكر في كتابه الكريم جمال طلعتة، وأمرهم أن

﴿ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ ﴾ (١٢ طه) من الذي يكلمه هنا؟ مقام الربوبية: ﴿ إِنَّكَ بِاللَّوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (١٢ طه) وطوى يعني طويت فيك كل الحقائق، ﴿ وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ ﴾ (١٣ طه) صاحب مقام الربوبية يقول له: أنا اخترتك، ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ (طه) ادخل على مقام الحضرة، وعندما دخل سمع: ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١٤ طه).

فهل رأيتم الفارق بين المقامين؟ من الذي يؤهل؟ ومن الذي يُربي؟

سيدنا رسول الله ﷺ، في مقام الربوبية والتربية، والآية واضحة: ﴿ إِنِّي ءَأَنْسَتْ نَارًا لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ قبس تستضيء به القلوب، ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ يَمُوسَى ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ أنا مُرَبِّيك، ﴿ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ ﴾ والنعلان الدنيا والآخرة، اجعلهما وراء ظهرك حتى لا يكون إلا ريك فقط... لا بد له من مُعَلِّم يُعَلِّمُه أدب الدخول على ملك الملوك، والبروتوكول الذي يقابل به ملك الملوك، من الذي يُعلمه؟ المُربي

﴿ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ ﴾ ليس المقصود بهما النعلين التَّذَيْنِ نَمَشِي بهما على الأرض، ولكن النعلان إشارة لما تتعلَّق به نفس الإنسان من الدنيا أو من الآخرة.

﴿ إِنَّكَ بِاللَّوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (١٢ طه) أي المنزّه، ﴿ وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ ﴾ لهذا المقام ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ (١٢ طه) ادخل واستمع، فعندما دخل هل كانت نفس الحضرة السابقة أم غيرها؟ غيرها، وماذا سمع؟ ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١٤ طه) فمن الذي أهله حضرة الألوهية؟ المُربي ﷺ.

ونكتفي بهذا الكلام في هذا الأمر لأنه يحتاج لمن يتذوَّقه وليس فهماً فقط!!

حضرة (ألسْتُ بربكم)

فحضرة (ألسْتُ بربكم) هي الحضرة التي كنا فيها، وكنا فيها بحقيقتين: بحقيقتنا الروحانية، والحسُّ الروحاني - وليس الحسُّ الظاهر - الذي سمعنا به كلام الله، وشهدنا به جمال حضرة الله، ورددنا به على حضرة الله، هذا الحسُّ يقول فيه الله عن الآخرين الذين هم كالأنعام بل أضل: ﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَأَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ (١٧٩ الأعراف) وليست هذه الأعين التي معنا، ولكنها الموجودة

بالداخل: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤٦ الحج).

فهذه الأذان عندهم وحالتها مائة في المائة، والعين كذلك، لكن العين التي ترى الغيوب قد حجبها الذنوب، وطلسمتها العيوب، فأصبحوا لا يرون إلا عالم الظاهر والمظاهر، ولكننا في يوم (ألست بربكم) رأينا بعين الروح:

بعين الروح لا عين العقول شهدت الغيب في حال الوصول

سمعنا الخطاب ولكن بـ: ﴿ وَتَعْيَبُ أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ ﴾ (١٢ الخاقية) لكن هذه الأذن التي في الرأس إما أن تكون لاغية أو لاهية، فتسمع لغواً أو تسمع لهواً، ولا تسمع الكلام الآخر، لكن الأخرى هي الأذن الواعية.

والخطاب يقتضي ردُّ الجواب: " أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ " وكان الرد: " قَالُوا بَلَى " نطقوا، وهذا اسمه الحسُّ الملكوتي الذي نحتاجه في الدنيا لكي نرجع إليه مرة ثانية لننتهي بعالم الغيب الإلهي، وعالم القرب والتداني والتهاني، وهذا ما يبغيه كل العارفين والصالحين.

فكلنا كنا في هذا اليوم ولكن بحقيقتين، الحقيقة الأولى هي الروح، والحقيقة الثانية هي الحس الملكوتي النوراني الذي ندرك به عالم الأنوار ونستمع به إلى ما يُدار من الأسرار، ونتملئ بوجه الحق ﷻ ووجه الحبيب المختار.

هذه الحياة الأولى لنا، والطور الأول من حياتنا، وبعد ذلك يريد الله أن يُنزلنا إلى عالم الدنيا ليرقينا ويعطينا، يقول سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: ((ما أنزل الله آدم وذريته إلى الأرض إلا ليرقيهم، لأن الله قال في قرآنه: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٣٠ البقرة) ولم يقل في الجنة ولا في السماء)) فمقام الخلافة يأخذه في الأرض، فنزل لكي ينال مقام الخلافة عن الله ﷻ.

وهنا حدث الفرق، فالعالم الذي كنا فيه عالم الغيب، والعالم الذي نحن فيه هنا عالم الشهادة، والعالم الأول عالم الملكوت، والعالم الذي نحن فيه عالم الملك، والعالم الذي كنا فيه عالم لطيف وكل ما فيه لطيف، والعالم الذي نحن فيه عالم كثيف، وكل ما فيه كثيف.

ولكي ننال الخلافة فنحن الوحيدون في ملك الله الذين فينا مُمثل العالمين الإثنين، فقد خلق الله الملكوت بيد ﴿ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٨٨ المؤمنون) وخلق الملك بيد ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ (١ الملك) وجمع فينا الملك والملكوت ﴿ مَا مَتَّعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ

بَيْدَى ﴿٧٥﴾ فأنت الوحيد الذي فيك اليدان الإثنان، فيك الملك وفيك الملكوت.

ولكي تكون في عالم الملك، لو نزلت بالروح فقط ستكون مثلك مثل الملائكة، فالملائكة معنا هنا لكن من الذي يراهم؟ ومن الذي يسمعهم؟ ومن الذي يكلمهم؟ ومن الذي يجالسهم؟

هذا شيء يحتاج إلى جهاد حتى تخفُ الكثافة وتكون لطيفاً لتتكلم مع اللطيف وترى اللطيف.

فكان لا بد بمقتضى الحكمة الربانية، أن تقع الأطوار لحظة ظهورك في بطن الأم: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (٤١٤سوح) من أي شيء؟ من عناصر الأرض، فمرة يقول: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ (١١فاطر) ومرة يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢المؤمنون) المهم أن فيك العناصر الموجودة في الأرض، لأنك ستنزل إلى الأرض، فيكون طعامك منها، ولباسك منها، وعلاجك منها، وسكنك عليها لكن لو كنت في ثيابك النورانية فكيف تعيش على الأرض؟! فلا بد للإنسان أن يكون على هذه الشاكلة.

طور بطن الأم

الحقيقة الثالثة أو اليوم الثالث للإنسان هو يوم بطن الأم، فالإنسان له خمسة أيام إلهية، يوم الميثاق، ويوم بطن الأم، ويوم الحياة الدنيا، وبعد ذلك ينتقل إلى يوم البرزخ، وبعد ذلك يوم القيامة، فلا أحد يموت، ولكنك تنتقل من حياة إلى حياة، خلال خمس حيوات.

الحياة الأولى كنت نورانياً ومعك الحسُّ الملكوتي الذي هو بدء أو فجر ظهور الإنسان، ولذلك جاءت الصلاة الأولى صلاة الفجر، وعدد ركعاتها اثنان لأنك كنت مكوّن من حقيقتين.

ثم جئت في بطن الأم فكان لا بد أن يتكون الجسم، وهذا الجسم ما الذي يُديره ويقوم بكل طلباته؟ النفس، فكانت حقائقك في هذا الطور الجسم والنفس والروح والحسُّ الملكوتي، فهذه أربع حقائق وذلك عند ظهورك في بطن الأم، ولذلك سماها صلاة الظهر وعدد ركعاتها أربع ركعات لأنك مكون من أربع حقائق.

عصرك

ثم تنتقل لليوم الثالث، أو الحياة الثالثة: وهو عصرك الذي ستعيشه، أو فترتك الزمنية وهي فترة وجودك في الدنيا، والله ﷻ أقسم بما وقال: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (العصر) يعني يقول لك: وحياتك التي تعيشها كلها، هذا العصر الذي جئت فيه تجني ما طلبه منك رب البرية، وتُحقق الخلافة التي أقامك فيها بالنيابة عن حضرته العلية، فكم حقيقة نقصت منك من هذه الحقائق؟ لم ينقص شيء، فهي أربعة كما هي، ولذلك جاءت صلاة العصر أربع ركعات.

حياة البرزخ

فإذا انتهت حياتك تنتقل إلى حياة أخرى يقول فيها رب العزة: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٠٠ المؤمنون) وهي حياة البرزخ، والبرزخ يعني الحاجز بين الدنيا والآخرة، وهو عالم كبير يحوي كل أرواح السابقين واللاحقين معاً لأنهم كلهم فيه، وكلنا سنكون فيه، ولكن بالروح والحس الملكوتي، أما الجسم فتكون مهمته قد انتهت ويدخل القبر: ﴿مِمَّا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِمَّا خَرَجْتُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (٥٥ طه) فتنقص مني حقيقة واحدة عندما تغرب شمسي، وشمسي هي الروح، ولذلك المغرب ثلاث ركعات.

فعندما تغرب الروح قليلاً أنام، وعندما تغرب بالكلية أنام نومة طويلة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (٤٥ الفرقان) والشمس هي الروح، ﴿اللَّهُ يَخَوِّقُ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (٤٢ الزمر) عندما تشرق الشمس بعض الشيء يعود مرة أخرى فيكون نوماً، فإذا استمرت فتكون نومة طويلة إلى يوم الدين.

فعندما تغرب شمس الإنسان ينتقل من الحياة الدنيا، إلى الحياة البرزخية، فماذا نفعل؟ آخر شيء وآخر محطة يسافر منها هي البوابة التي يدخل منها إلى عالم البرزخ وهي القبر، فيقولون له: اترك سفينتك هنا والباقي يسافر، لكن هل تظل الروح في القبر؟ لا، بل تذهب على الفور إلى الملأ الأعلى.. وهو خارج من الحياة الدنيا إلى الحياة البرزخية لا بد أن يتصنّف ويتحدّد شأنه، كالدخول إلى المطار، إما أن يمشي على الخط الأحمر، أو يمشي على الخط الأخضر، أو إلى استراحة كبار الزوار.. يتحدد ذلك على

أي أساس؟ على السؤال الذي يسأله رجال الجوازات الذين على البرخ، فإذا كان السؤال للتشريف فيها هناء، وإذا كان السؤال للتعنيف فيها خيبة أمله، سيوضع في زنزانة انفرادية إلى يوم الدين، ويمنع من الحركة ذهاباً ومجيئاً.

لكن إذا كان من أهل التشريف فتكون روحه مطلقة، إما أن يذهب للجنة، أو يذهب للملكوت، أو يسرح في عالم الشرق، أو في عالم الغرب، أو يذهب هنا أو هناك، فله عالمٌ مُطلق، فلا موت هناك، فالموت عبارة عن انتقال من حياة إلى حياة، الحياة الدنيا نراها، لكن الحياة الأخرى لا نراها بهذه العيون.

والله تعالى أعطانا إشارة بسيطة لهذا الأمر لمن يفقه كلام رب العزة، فعندما ننظر في آخر سورة الفجر: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٤ الفجر) فهل قال قدمت لمماتي أم لحياتي؟ لم يقل لمماتي ولكن قال: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ فهذه هي الحياة، وهي الحياة الثانية التي قال فيها حضرة النبي:

{ إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ }^{٢٠٨}

الذي أريد أن أصل إليه أنه لا يموت أحد، والجهال الذين يقولون: أن حضرة النبي - حاشا لله - قد مات!!، فأنت نفسك لن تموت ولا أحد يموت، لكنك تنتقل فقط من دار إلى دار، ومن حياة إلى حياة.

الإمام الغزالي عندما حان وقت انتقاله للدار الآخرة، فالذين من حوله أخذوا في البكاء، فقال لهم: لم تكونون!!

قُلْ لِإِخْوَانٍ يَرُونِي مَيِّتًا لَيْسَ وَاللَّهِ الْمَيِّتُ أَنَا
أَنَا غُصْفُورٌ وَهَذَا قَفْصِي طَرْتُ مِنْهُ إِلَى دَارِ الْهِنَا
لَا تَرَعَكُمُ هَجْمَةُ الْمَوْتِ فَمَا هُوَ إِلَّا نُقْلَةٌ مِنْ هَاهُنَا

أنا قد حللت القيود، بعد أن كنتُ مسجوناً فيها، فأنت تنتقل من دار إلى دار، لكنها دارٌ واسعةٌ وفيها كلُّ السابقين، وكلهم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ (١٦٩ آل عمران).

وهل هذا أيضاً للكافرين؟ نعم، فالله ﷻ يتكلم عن قوم فرعون في القرآن فيقول: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ (٢٥ نوح) هؤلاء غرقوا في البحر وأكلهم السمك،

٢٠٨ جامع الترمذي عن أبي سعيد الخدري

ولكنهم دخلوا النار، قد يقول البعض: هذه النار في الآخرة، لكن الله قال: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (٤٦ غافر) وهل النار فيها غدواً وعشياً؟! لا، فهذا في الدنيا فقط، ويقول بعد ذلك: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٤٦ غافر) فأين هذه النار؟ هنا، وما هذه النار يا رب؟ قال: ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢١ السجدة) اسمه العذاب الأدنى أي الصغير.

وإلا لو كان الإنسان سيموت، والقبر لو كان حفرة من حفر النار فهل يشعر بالعذاب؟! لا لأنه ميت، ولو كان القبر روضة من رياض الجنة فهل يشعر بالنعيم؟! لا، فكيف يشعر؟ إذا كان حياً، ولكنها حياة أخرى لا نراها ولا نطالعها إلا لمن أكرمه الله ﷻ بأن مات عن حسه ونفسه وأصبح وهو في الدنيا كأنه ميتٌ يمشي على وجه الأرض. وهل يوجد أناسٌ من مثل هؤلاء؟ نعم يوجد أناسٌ مثلهم، فيكون معنا بجسمه وتسرّح روحه في عالم البرزخ، وفي عالم الملكوت، وهنا وهناك.

وبعد ذلك في الدار الآخرة ترجع الحقائق كلها لنا، فيرجع الجسم مرة أخرى: ﴿كَمَا بَدَأْتُمْ تَعُودُونَ﴾ (٢٩ الأعراف) فترجع الأربع حقائق مرة ثانية، ولذلك فالعشاء أربع ركعات، واسمها العشاء الآخرة وهذا إشارة إلى الدار الآخرة.

فالصلوات الخمس إشارة إلى الحيوانات الخمس التي يمر بها الإنسان، وينتقل خلالها الإنسان من حياة إلى حياة، والإنسان كما قال الله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ (٥٦ الدخان) لم يقل الله تعالى: كل نفس تموت، ولكن قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (٣٥ الأنبياء) تذوق فقط، وترجع مرة ثانية للحساب وسؤال الملكين.

حقيقة سؤال الملكين

ولذلك سؤال الملكين - لتعرفوا - ليس في القبر الذي ندفن فيه فلان، فلو أن إنساناً مات في بلد غير بلده وبقي خمسة عشر يوماً حتى يُحضروا جثمانه، فهل تنتظر الملائكة خمسة عشر يوماً ليأتون به ويضعوه في القبر؟! لا، فسؤال الملكين يتم وأنت خارج من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ، والجسم يُوضع كما يُوضع، وهذا تكريم له فقط: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (١٧٠ الإسراء).

فالسؤال يتم عند خروج الروح فوراً، وهذا إذا كانت سُئِلَ، وهل توجد أرواح لا تُسأل؟ نعم فهناك أرواح تخرج من الدنيا بلا سؤال ولا حساب ولا غيره، ويستقبلهم الحرس الرضواني الجنائي للتشريف: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (٦٤ يونس) وأول هذه البُشْرَى عند دخول الآخرة على الفور، فمن كانت له هذه البُشْرَى فهل يرى شيئاً من ذلك؟! ليس له شأن بهذه الأمور.

فأنت تخرج من الدنيا ولك باب تدخل منه إلى عالم البرزخ، وعند الدخول يتم التصنيف بعد سؤال الملكين، فقد يكون السؤال للتشريف أو للتعنيف.

أما الذي يذهب للحضرة الإلهية فهو مطلوب لملك الملوك ﷺ، من الذي يُوقفه أو يسأله؟ لا أحد، لأن هذا على الفور يخرج من هنا إلى جنان الخلد: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ أَلْمَلِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ (٣٢ النحل) أين يدخلون؟ ليس القبر، ولكن: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٢ النحل) مباشرة على الجنة.

إذا أي إنسان لا يموت إلا الموتة الأولى، لكنه ينتقل من حياة إلى حياة، الحياة البرزخية حياة مستقرة وقائمة، وفيها كل السابقين، وتسع كل اللاحقين، لأنها لا بد أن تسع كل ما يوجد على الأرض رب العالمين تبارك وتعالى.

فيها أرواحٌ مقيدة، وفيها أرواحٌ مطلقة تمشي في أي مكان وزمان تشاء، فلهم ما يشاءون عند ربهم في هذا العالم المطلق.

ولذلك حضرة النبي ﷺ أمرنا أجمعين بزيارة القبور، وعندما سألته السيدة عائشة ﷺ ماذا نقول؟ قال قولوا:

{ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ }^{٢٠٩}

لم يقل: السلام على المؤمنين، لكنه قال: السلام عليكم، بلغة الخطاب،... ولذا قال ﷺ في حديثه الآخر:

{ مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيَسَلُّمُ عَلَيْهِ،
إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ }^{٢١٠}

٢٠٩ صحيح مسلم والنسائي عن أبي هريرة ﷺ

٢١٠ تاريخ دمشق لابن عساکر وفوائد تمام الرازي عن أبي هريرة ﷺ

تحضر روحه وتردُّ الطَّيِّبَاتِ، وتأتنس به مادام واقفاً عند قبره، ولماذا حضرت روحه؟ لأنه - كما قلنا - الجسم في الموضع الذي هو باب عالم البرزخ بالنسبة لهذا الإنسان، لكن الروح في عالم البرزخ، فعندما تذهب للباب وتنادي فتحضر الروح لأنها مطلقة، وترد السلام، وتستأنس بالإنسان طالما واقفاً عند هذا القبر.

وهذا بالنسبة للخلق أجمعين، فما بالك بالشهداء؟! ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ ولم يكنفي بذلك بل قال: ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩ آل عمران) يعني أحياء ولهم رزق، صحيح أن هذا الرزق ليس من عالم الدنيا، كالطعام الذي تتغذى به، ولا الشراب الذي نشربه، ولا كأنواع المأكولات التي نراها، لكنها أرزاق معنوية نورانية شهودية، فيرزق من العلوم الإلهية، ويُرزق من المشاهدات الملكوتية أو الجنانية أو الحمودية أو الربانية .. يُرزق أرزاق لا نستطيع مهما أوتينا من فطنة بعقولنا الدنية أن نُدرِكها لأنها أمورٌ غيبية إلهية، لكن له أرزاق، فالشهداء كلهم أحياء عند ربهم يُرزقون.

إذا كان من يموت من الخلق جميعاً ينتقلون إلى الحياة البرزخية، والشهداء أحياء، ليس في عالم البرزخ، ولكن عند ربهم في أعلى وهو مقام العندية، فما بالك بالأنبياء؟ هل الأنبياء أموات؟! لا، قال حبيبي وقرّة عيني ﷺ:

{ الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ يُصَلُّونَ فِي قُبُورِهِمْ }^{٢١١}

وهل توجد صلاة بعد الموت؟ نعم، ولكن ليست تكليف، ولكنها تلذذاً وتفكهاً مع رب الوجود ﷻ، وقال ﷺ في الصحيح من روايات الإسراء والمعراج:

{ مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِي، عِنْدَ الْكَنْبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ }^{٢١٢}

الإسراء والمعراج له سبعة وستون رواية جمعهم الإمام السيوطي ﷻ وأرضاه، والرواية التي تُطبع في الأسواق وتُنسب لعبد الله عباس من الروايات الواهية، ولا ينبغي أن نأخذ بها ولا نحكيها، ولكن نأخذ من الروايات المعتمدة في كتب الأحاديث

٢١١ مسند البزار وابن عساكر عن أنس ﷺ

٢١٢ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ﷺ

الصحيحة، وشأنها شأن كتاب اسمه (قصة وفاة النبي لمعاذ بن جبل) وهل مُعاذ بن جبل أَلْف كتاباً في وفاة النبي؟! وهل ابن عباس أَلْف كتاباً عن الإسراء والمعراج؟! هذه كتب طبعتها بعض المكتبات ليكتسبوا منها فقط، وما أنزل الله بها من سلطان لأنها روايات مكذوبة.

فسيدنا موسى رآه النبي ﷺ قائم في قبره يُصلي، والأعجب أنه كان في استقبال النبي ﷺ في بيت المقدس وصلّى وراءه!، والنبين جميعاً أحياهم الله وصلّوا وراءه، والأعجب أنه عندما صعد إلى السماوات وجد الأنبياء في استقباله!!.

أمر غير طبيعي، لنعرف أن حياة الأنبياء حياة خاصة غير حياتنا نحن، ... فرآه في قبره، ورآه في بيت المقدس، ورآه في السماء السادسة، وأخذ يرُدّه في أمر الصلاة، وكذلك باقي الأنبياء رآهم يُصلون خلفه، ورآهم في السماوات، وتحدث معهم وتحدثوا معه، ولم يكونوا أشباحاً ولكن بأشخاصهم، ويقولون له:

مرحباً بالنبي الصالح، ويتكلمون معه.

الأمر الثالث: قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ }^{٢١٣}

فالأنبياء مُحَرَّمون وهم أحياء أن يمَسَّ أجسادهم كل الحيوانات المفترسة لأنهم في حفظ الله ورعاية الله، ولذلك عندما أتى أخوة يوسف بقميصه، وكانوا قد ذبحوا شاة ولطخوا بدمها القميص وقالوا لأبيهم: أكله الذئب، وهو الذي قال لهم عندما قالوا له: ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ﴾ (يوسف ١٢) فقال لهم: ﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّئْبُ ﴾ (يوسف ١٣) فهو الذي أعطاهم الفكرة، ...

وورد أن الله ﷻ آخذه على ذلك، وقال له: أخفت عليه من الذئب ونسيت أنه في حمايتنا؟! ولذلك كان يبكي على هذا الذئب، ... وهذا في حق الأنبياء، فجاءوا بالقميص وعليه دم كذب، فأراد سيدنا يعقوب أن يستطلع الأمر فنظر إلى القميص وقال: إنه ذئبٌ حلِيم، لم لا أرى مكاناً لأسنانه في القميص؟! فكيف يأكله الذئب والقميص كان يلبسه ولا يوجد فيه خرق؟!..

٢١٣ سنن النسائي وأبي داود عن أوس بن أوس

الفصل السابع: خصائص النبي ﷺ النورانية

وجاء الذئب مسرعاً، وأنطقه الله وقال: يا نبي الله أنت تعلم أن الله قد حرّم علينا لحوم الأنبياء، فالحوم الأنبياء محرمة على الحيوانات.

وسيدنا يونس عندما ابتلعه الحوت، والحوت يتلع الحديد ويهضمه، فماذا يأخذ الإنسان منه في الهضم؟! لكن رب العزة خاطبه وأوحى له:

{ أَنْ لَا تَخْدِشَنَّ لَهُ لَحْمًا، وَلَا تَكْسِرَنَّ لَهُ عَظْمًا }^{٢١٤}

لا تكسر له عظماً، أو تهري له لحماً، وإياك أن تنزل عصارات هاضمة تهضمه، فكان كأنه في مسجد يُصلي لله وأخذ يقول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٨٧ الأنبياء) وهو في بطن الحوت، فكان مسجداً متحركاً!!.

فالأنبياء وهم أحياء حرّم الله ﷻ على أجسادهم الحيوانات المفترسة، وكذا كَمَلِ الورثة من الأولياء، ولذلك عندما أوصت هند زوجة أبي سفيان عبدها أن يقتل الحمزة بن عبد المطلب، وأن يأتيها بكبده، فأخذت كبده لتأكله فلم تستطع أن تلوكه بلسانها أو تقطع منه شيئاً وألقت به مرة ثانية.

كذلك بعد واقعة أُحُد باثنين وأربعين عاماً حفر معاوية بن أبي سفيان عين ماء بجوار شهداء أحد، فذهب كل شهيد إلى أهله يقول لهم: أنقذونا من الماء، فذهبوا يبحثون ويحفرون، فسيدنا جابر بن عبد الله بن حرام وجد أباه كما هو، إلا أن الأرض أكلت بعض شعرات من لحيته، مع أن الشعر لا يتحمّل ويبل على الفور!!، وكان قد أُصيب في بطنه ووضع يده على موضع جرحه، فرفعوا يده فإذا بالدم يسيل، فأرادوا إيقافه فحشوه بقطن فلم يقف الدم مطلقاً، كلما وضعوا قطناً يمتلئ بالدم فيرفعوه ويغيروه ولم يتوقف الدم، فوضعوا يده على الجرح في مكانها مرة أخرى فتوقف الدم!!.

وكان أحدهم يحفر بمسحاة - وهي الفأس - فأصابته قدم الحمزة بن عبد المطلب، فأنزلت دماً بعد إثنين وأربعين سنة!!، وهذه هي العلامة التي نضعها لمن يُريد أن يُقيم ضريحاً ويقول: أن هذا من الصالحين، فإذا وجدته كما هو لم يتغير مع طول السنين فاعمل له ضريحاً لأنه وارث وراثته أكملية ولأنه من المقربين، وإذا وجدته قد أصبح تراباً فيكون رجلاً طيباً من أهل اليمين.

حياة أكمل الأنبياء ﷺ

فالأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، والورثة الكُمَّل من الأولياء، فالأنبياء أحياء، وإذا كان الأنبياء أحياء فما بالكم بسيد الرسل والأنبياء ﷺ؟! ألم يُخبرنا ﷺ أنه يرُدُّ سلام المسلم عليه في الصلاة في كل وقت وحين؟ ويقول لنا:

{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أُرَدَّ عَلَيْهِ }^{٢١٥}

أي مسلم شرقاً وغرباً من عصره إلى يوم الدين يُسلم عليه إلا وردَّ الله روحه حتى يرُدَّ ﷺ، ولماذا يرُدُّ له روحه؟ لأنه في جمع الجمع على الدوام مع حضرة الله، ولكي يرجع إلينا لا بد أن يكون في فرق الفرق، فيرده من حالة جمع الجمع إلى حالة فرق الفرق ليرد علينا السلام، فهو دوماً في حالة جمع جمع مع فرق فرق.

هل يخلو نفسٌ في الأربع والعشرين ساعة من مُصلي ومُسلم على النبي ﷺ في شتى بقاع الأرض؟! لا، وكل من يُلقي السلام يرُدُّ ﷺ، ألم يُخبرنا أن الله ﷻ ملائكة يُبلغونه سلام أمته عليه، فكيف يُبلغوه السلام لو كان ميت؟! ألم يُخبرنا أن أعمالنا تُعرض عليه؟ ويقول ﷺ:

{ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَعْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ }^{٢١٦}

تُعرض عليه الأعمال، وهذا معناه أنه حيٌّ حياة أكملية، وحياة حقيقية، وحياة كاملة يتحرك بها في كل الأكوان علواً وسفلاً شرقاً وغرباً بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

فحياة رسول الله ﷺ ثابتة وواضحة بنص الآيات القرآنية، وبنص الأحاديث النبوية، وبالتفصيل الذي ذكرناه للحياة البرزخية لكل من ينتقل في الدنيا من أهلها إلى الحياة البرزخية... هذه الحياة البرزخية حياة كاملة روحانية، وحياة نورانية كلها شفافية، يُربي فيها الرسول ﷺ أحبائه، يذهب لزيارة من يُريد أن يطمئننه على أمر، ومن يُريد أن يُبشره بقضاء حاجة، ومن يُريد أن يرفع عنه غُمة، ومن يريد أن يزيل عنه بلاء، فيراه في المنام، وأكبر دليل على حياته البرزخية الكاملة قوله ﷺ:

٢١٥ معجم الطبراني ومسنند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٢١٦ مسند البزار واتحاف المهرة عن عبد الله بن مسعود ﷺ

{ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ، فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي }^{٢١٧}

رؤية حقة، يعني في الصورة الحقية وليس في الصورة البشرية التي فيها كل الكمالات الإلهية، وكل المواهب الربانية، وقوله ﷺ:

{ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ، فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ }^{٢١٨}

لا بد أن يراه في اليقظة، وهذه هي بداية الوصول لكل عبد موصول، ومهمة الصالحين والعارفين السابقين والمعاصرين الصادقين، تنتهي عند توصيل السالك إلى الوصلة بسيد الأولين والآخرين، فيتولى سيدنا رسول الله ﷺ بعد ذلك إكمال تربيته حتى يوصله إلى أكمل مقامات اليقين، وأعلى درجات القرب من رب العالمين ﷺ.

ولذلك هذه هي العلامة التي عندنا لكل واحد منا، من لم يصل إلى هذه الدرجة ولم تكن له وُصلة برسول الله ﷺ، فلماذا يترك نفسه؟! فعليه بعبد موصول ويستمسك به حتى يصح له الوصول.

فإذا جعل من نفسه إماماً سيدخل في الأئمة الذين يضلون الأقوام والعياذ بالله ﷺ، لأنه لم يصل إلى شيء، فكيف يوصل غيره؟!.

ذهب رجلٌ إلى سيدي أبو الفتح الواسطي ﷺ في العراق وقال له: أريد أن أتتلمذ على يديك، وكانوا صادقين، فلا يريدون جمع ولا عدد من المريدين، ولا موكباً ولا غيره، وكل ما يطلبوه الكشف الذي أعطاه لهم سيد الأولين والآخرين.

فنظر الشيخ أبو الفتح في الكشوف - لأن معه الكشوف كلها - وقال له: أنت لست تلميذي، ولكنك تلميذ الشيخ عبد الرحيم القنائي بقنا في مصر، كمن يذهب إلى المدرسة ويسأل عن فصل ابنه، فإذا كان المدرس له صلة بالإدارة يقول لك: انتظرني حتى أنظر في الكشوف كلها، ثم يقول لك: هو في فصل كذا، وإذا كان على قدره يقول لك: هو ليس عندي، وينتهي الأمر، لأنه ليس معه إلا كشفه فقط.

فالرجل ذهب إلى سيدي عبد الرحيم القنائي، فسأله الشيخ: هل عرفت رسول الله ﷺ المعرفة الحقية؟ قال: لا، قال: عندنا لا يتم أمر المريد ويبدأ السير إلى الله ﷺ

٢١٧ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ؓ

٢١٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

حتى يعرف رسول الله ﷺ المعرفة الحقيقية، اذهب إلى بيت المقدس لتعرف حقيقة رسول الله ﷺ.... وانظر للمشقة التي كانوا يواجهونها، هل يوجد مرید في هذا الزمان يتحمل شيء مثل هذا؟! مریدو هذا الزمان يريدون من الطبيب أن لا يصف له دواء، ولا يدلّه على علاج، ولا يقول له: كل هذا ولا تأكل هذا، ولكن يتصرف بأي كيفية ويشفيه!! أو يريد أن تنفخ فيه نفخة فيكون من أهل الملكوت الأعلى وينظر في الملكوت وينتهي الأمر، كيف يكون ذلك!!؟ وهل نلغي المجاهدة!!؟ وإلا فمن يعمل بقوله ﷻ: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (١٧٨ الحج) كيف تتأتى بغير مجاهدة!!؟.

لو قلت لك هذا كنز، وفتحته لك ولم تبذل مجهوداً فستبذده، لكن لو جمعت بعض المال بالجهاد والمجاهدة والصبر فلن تُخرج القِرش إلا لضرورة، وكذلك الأسرار الإلهية هل تريدونها أن تتوزع في العوالم الأرضية على المصاطب والقهاوي وما شابهها!!؟ لا بد من الجهاد، ولن يأخذها أحد إلا إذا جاهد جهاداً شديداً، حتى يحفظ هذه الأسرار وإلا فهذا يُخشى عليه من غضب الجبار تبارك وتعالى.

فذهب الرجل إلى بيت المقدس وفوجئ بأنه رأى سيدنا رسول الله ﷺ، وأخذ يمتدُّ ويتسع حتى رأى العالم كله من العرش إلى الفرش مملوء برسول الله ﷺ، فهو روح الوجود، فكل الوجود جسم، وروح هذا الجسم هو سيدنا رسول الله ﷺ، فهو روح الوجود علواً وسفلاً، وهو روح كل ذي روح إن كان من العوالم العلوية أو العوالم الأرضية، وهو روح الأرواح صلوات ربي وتسليماته عليه...، وبعد أن رأى هذه الحقيقة عاد مرة ثانية إلى الشيخ عبد الرحيم، فقال له: نبدأ السير إلى الله تبارك وتعالى.

فالسير إلى الله ﷻ يحتاج من الإنسان أن يجاهد، ولكن بشرط أن يسلم للمرشد الرباني، ويكون مع المرشد على نفسه، وليس مع نفسه على مرشده، إلى أن يصل إلى باب الأمان، ويُسلم إلى النبي العدنان ﷺ، بعد ذلك يُقال له: أنت أصبحت أخواً لنا ومعنا في طريق الله ﷻ، لكن قبل ذلك يُخشى عليه من هفوات النفس، ويُخشى عليه من دسائس الشيطان، ويُخشى عليه من حب الظهور، ويُخشى عليه من عالم الوهم والخيال الموجود معه، فيُصور له حقائق غير موجودة وغير مورودة، لكن لكي يمشي على الطريق القويم لا بد أن تكون البداية مع الرؤف الرحيم ﷻ، فيتولاه في المنام وبعدها في اليقظة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

رؤية رسول الله في المنام وفي اليقظة^{٢١٩}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي وفقنا لما يحبه ويرضاه، والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه، ونور الله الدال بالله على حضرة الله، سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه، ... كنا قد تحدثنا في حلقة سابقة عن نورانية سيدنا رسول الله ﷺ، واليوم نستكمل هذا الموضوع، وإن شئت قلت: نستكمل موضوع نورانيته وشفافيته بالنسبة للسالكين والواصلين والصادقين المتمكنين في طريق رب العالمين.

تحدثنا عن حياة البرزخ، وكيف أن كل من يغادر الدنيا إلى الحياة البرزخية فيها حياة، ولكننا ليس معنا الأجهزة والمعدات التي نكتشف بها ونلاحظ بها هذه الحياة، .. وأعظمهم وأكرمهم في هذه الحياة الأنبياء، وقلنا أن الأنبياء كما قال سيد الرُّسل والأنبياء ﷺ:

{ الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ يُصَلُّونَ فِي قُبُورِهِمْ }^{٢٢٠}

يصلون لله ﷻ بأي كيفية؟! كيفية غيبية ليست في وسع طاقتنا العقلية أن ندركها، لأنها كيفية روحانية بينهم وبين رب البرية تبارك وتعالى.

رؤية رسول الله

وفي هذه الحلقة نتحدث عن رؤية سيدنا رسول الله ﷺ المنامية، ورؤيته في اليقظة، وقد اتفق الأئمة الأعلام الصالحون الصادقون أن مهمة المرشدين الروحانيين والربانيين والعلماء العاملين تهذيب المريدين، وثقل بواطنهم حتى يتأهلوا للدخول على سيد الأولين والآخرين ﷺ، ولا يبدأ السالك في الإشراقات الروحانية، أو في تلقي المواهب الإلهية إلا بعد اتصاله بسيد البرية ﷺ اتصالاً مباشراً، ولذلك يقول سيدي أبو العباس المرسي ﷺ:

((لا يتم للسالك أمره حتى يجتمع برسول الله ﷺ، ويشاوره في أموره كلها كما يشاور أحدكم شيخه)).

٢١٩ القاهرة - المعادي ١٧ من شعبان ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨/٥/٣ م

٢٢٠ مسند البزار وابن عساكر عن أنس ﷺ

وهذا بداية الفتح الإلهي، وقبل ذلك استعداد وتأهيل لهذا المقام الجليل الكريم؛ مقام الفتح الإلهي بالاتصال مباشرة بحضرة النبي ﷺ... حتى أنهم يشاورونه في أخص أموره، يقول سيدي عبد القادر الجيلاني: ((لقد كنت أشاور رسول الله ﷺ في أخص أموري، حتى أنني لم أتزوج إلا عندما قال لي: تزوج يا عبد القادر)).

أستاذ مرافق معه في كل أموره الظاهرة والباطنة، وقد يكون ذلك في بدايته مناماً، لكنه إذا ارتفع عنه الغطاء، وشفي من كل داء، يرى سيد المرسلين ﷺ يقظة لا مناماً، في أي زمان وفي أي مكان يكون فيه.

كان سيدي إبراهيم المدبولي ﷺ يرى رسول الله ﷺ مناماً، فيحكي لأمه، فتقول له: كل الناس يرونه مناماً، لكن لا تكون رجلاً حتى تراه يقظة!! - أما مربية - قال: فما زلتُ أجلو مرآة قلبي، وأصفي نفسي حتى رأيتُه يقظةً، وأخبرتُها، فقالت: الآن وصلت لمقام الرجولية!، لأنه رأى سيدنا رسول الله يقظة، فكان يشاور سيدنا رسول الله ﷺ في كل أموره، وكان يقول: ((خمسة كان يريهم رسول الله ﷺ بذاته، أنا، وأبو الحسن الشاذلي، وعبد الرحيم القنائي، وأبو مدين الغوث، وعبد القادر الجيلاني)).

ومعنى يريهم سيدنا رسول الله بذاته، يعني يريهم يقظة بدون منام، فإذا وصل العبد إلى هذا المقام اطمأن، ولذلك شيوخ العارفين ذوي قدم الصدق عند رب العالمين يظنون خائفين من تقلب أحوال المرید ما دامت معه نفسه، لأن نفس الإنسان قد تجعله بعد أن يرقى إلى أعلى الرتب العلية يتدحرج إلى أدنى الدرجات السفلية، فلا يطمئنوا ولا يأمنوا على المرید إلا إذا اتصل بسيدنا رسول الله ﷺ، غير ذلك تكون عيونهم عليه، لأن النفس وشهواتها وحظوظها قد تودي به في الهاوية.. فالنفس كما يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ: ((لا ينتهي جهاد النفس حتى مع كَمَل العارفين إلا مع خروج النفس الأخير)) ومن يُقَل أنه انتهى من جهاد نفسه فهذا يتوه على الفور.

الشيخ عبد العزيز الدباغ ﷺ كان من الأئمة الأميين، لا يقرأ ولا يكتب، وكان من فاس في بلاد المغرب، فكان يقول:

((شيخني جاءني في أول شهر رجب ومكث معي رجب وشعبان ورمضان وشوال وذي القعدة، وفي اليوم الثالث عشر من ذي الحجة رأيتُ رسول الله ﷺ، وإذا بشيخي يقول لي: الآن قد أمنتُ جانبك واطمأنت عليك، ولم أعد أخشى عليك شيئاً، واستأذن في الرحيل وتركه بعد أن أوصله إلى رسول الله ﷺ.))

ثم يُفسّر هو بعد ذلك هذه الحالة فيقول: إذا فُتح على العبد فقد يدخل عليه في فتحه زلّات النفس، أو وساوس الشيطان، ولا يأمن العبد بعد الفتح إلا إذا كان على وصلة بالنبي ﷺ، فإن ذاك يكون هو له الأمان من زلات النفس ومن وساوس الشيطان.

توجيه النبي للعارفين

ورسول الله ﷺ مع هؤلاء الأقوام له حالٌ عجيب، يوجههم، وقد يعاتبهم، وقد يؤاخذهم إذا فعلوا ما لا يُرضيه صلوات ربي وتسليماته عليه.

فعلى سبيل المثال سيدي مُحمّد أبو المواهب الشاذلي، وكان في مصر، وكانوا يطلقون عليه الشيخ التونسي، فكان يقول في بعض ما عاتبه به ﷺ: جلستُ مع قوم فأخذوا يغتابون الناس، وإذا بي أرى رسول الله ﷺ في المنام، فقال: ((يا مُحمّد إنا لا نجالس من يغتاب الناس.))

من يغتاب الناس كيف نجالسه؟! فلا بد أن يكون منزّة عن هذه المجالس، وبعيداً عن هذه النماذج السيئة: ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦٨ الأنعام).

ويقول ﷺ في مرة أخرى: فانشغلت بقراءة الأحزاب والأوراد عن الصالحين، وإذا بي أرى رسول الله ﷺ وهو يقول لي:

((يا مُحمّد ما هذه الوريقات؟! وما هذه الأوراد التي تقرأها؟! أين القرآن؟! عليك بالقرآن، ولا تنقص قراءتك عن حزبين في كل يوم وليلة.))

توجيه مباشر على الفور من رسول الله ﷺ، وبعد هذا التوجيه ماذا يفعل الرجل؟ مشى على هذا المنوال.

الشيخ أحمد السرهندي كان ولياً وعالمًا في بلاد الهند، يقول: نمت عن صلاة العشاء في ليلة نتيجة الإرهاق والتعب، وإذا برسول الله ﷺ يأتيني ويقول:

((يا أحمد نمت عن صلاة العشاء!!، إياك أن تُعود إلى هذا أبداً.))

كان هذا توجيه مباشر!!

وهنا أذكر حادثة يذكرها القوم وهي ليست صحيحة، يذكرون أن رسول الله ﷺ جاء لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ في المنام، وكان عمر قد قبّل وهو صائم، فرآه في المنام

معرضاً عنه، فقال: يا سيدي يا رسول الله لم تُعرض عني؟! قال: لأنك قبّلت وأنت صائم، لكن الأحداث الصحيحة لحياة عمر تتنافى مع هذه الرواية، لأن عمر نفسه أذن له ﷺ في حياته أن يقبّل وهو صائم، فكيف يأذن له في حياته في الروايات أن يقبّل وهو صائم، ثم يعاتبه في المنام؟! فهذا دليل التلفيق، لنتبه أن الروايات يجب أن نفحصها جيداً ونزّها بالموازن الصحيحة من كتاب الله، ومن سنة سيدنا رسول الله ﷺ.

فقد يأتي رسول الله ﷺ للسالك - وهذا في البداية - على سبيل التوجيه والإرشاد، وكُتِب القوم مليئةً بآلاف الحكايات والروايات في هذا الباب، والتي يضيق الوقت عن ذكرها، ومن أراد الاستزادة فعليه بكتب القوم وسيجد فيها الكثير في هذا الباب من رسول الله ﷺ.

وقد يأتيه رسول الله ﷺ في المنام مبشراً إذا كان يريد الله ﷻ أن يفتح عليه، فيبشّره بالفتح لنفسه، أو يبشّره بالفتح لنفسه وللمسلمين إذا كان أمراً هاماً يهم كل المسلمين.

بشريات النبي بالنصر

ولذلك لو تتبعنا المواقع العظيمة في تاريخ الإسلام تجد أنها كلها سبقها بشريات من الحبيب المصطفى بالنصر في هذه المعارك، حتى المعارك العصرية، فمثلاً في معركة العاشر من رمضان رأى الشيخ محمد خليل الخطيب رضوان الله عليه، وكان عالماً أزهرياً في طنطا، وضريحه الآن في مسجد المحافظة، فقد رأى سيدنا رسول الله ﷺ ومعه نفرٌ من الصحابة، ومعه نفرٌ من كبار الأولياء متجهاً إلى سيناء، وقال له: اتبعني، فأعلن الرؤيا للدكتور عبد الحلیم محمود، وعرف السادات في ذلك الوقت، والدكتور عبد الحلیم محمود أعلنها من على منبر الأزهر الشريف ليُفرح الناس بنصر المؤمنين.

وفي ذات الأيام قال فضيلة مولانا الشيخ محمد علي سلامة: رأيتُ مسجداً في سيناء، ويقف على باب المسجد سيدي أحمد البدوي، وسيدي إبراهيم الدسوقي، وسيدنا رسول الله ﷺ كان في صحن المسجد، فاستأذنت، فأذن لي بالدخول، فأخذتُ أشكو لرسول الله ﷺ حال المسلمين في هذا الوقت، ووضعهم الذي هم فيه، فقال ﷺ: أبشر فقد أطفؤوها يا بني، قال: فأخذتُ أقفز حتى كادت تلمس رأسي سقف المسجد

من شدة الفرح، وبشّرنا بأنه سيكون هذا العام عام النصر.

وسيف الدين قُطر الذي انتصر في معركة عين جالوت على التتار، وهو لا يزال شاباً رأى سيدنا رسول الله ﷺ في المنام وقال له: إنك ستملك مصر وتردّ التتار، وقد كان، ولذلك كان واثقاً من نصر الله له في هذه المعركة، وكما تعلمون أنه صاحب النداء الشهير: (وإسلاماه) لما حمت المعركة وعلا الوطيس أخذ ينادي بأعلى صوته في وسط الجيش، فتحقق النصر ببركة رسول الله ﷺ.

فكان رسول الله يأتيهم ليبشرهم بالنصر، أو يأتي لئيشرهم بقرب الورد على حضرته إذا كان في شدة شديدة وليس لها من دون الله كاشفة.

سيدنا عثمان ؓ عندما حاصره الأوباش في منزله، ودخل عليه سيدنا أبو هريرة وهو في الحصار، وكان فاتحاً للمصحف ويقرأ، فسأله: ما حالك؟ قال: رأيتُ رسول الله ﷺ في هذه الخوخة - يعني فتحة - وهذا معناه أنها كانت يقظة في هذا المكان، وقال: يا عثمان حاصروك، يا عثمان عطشوك، إن شئت نُصرت عليهم، وإن شئت تفطر عندنا، قال: قلت يا رسول الله بل أفطر عندكم.

فدخلوا عليه بعد ذلك، وقتلوه وهو يقرأ القرآن، وكانت هذه بداية الخوارج الذين تسبوا في نكبات الإسلام في كل زمان ومكان!!، يقتلون عثمان ذي النورين الذي قال في شأنه حضرة النبي:

{ مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ }^{٢٢١}

وقال فيه إلى ما شاء الله، وسبحان الله!! كان يقرأ في سورة البقرة، وأول قطرة دم نزلت منه نزلت على قول الله: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة ١٣٧) ومع ذلك لم يرتدعوا وأجهزوا عليه !!!

وعندما همّت زوجته أن تدافع عنه قطعوا أصابعها بالسيف، فكانوا هم بداية النكبات.

٢٢١ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن عبد الرحمن بن حباب ؓ، وتمام الحديث للعلم عن عبد الرحمن بن حباب، قال: { شهدت النبي وهو يخط على جيش الغنمة فقام عثمان بن عفان فقال علي مائة بغير بأخلاصها وأفتابها في سبيل الله، ثم خص على الجيش. فقام عثمان بن عفان فقال يا رسول الله علي مائة بغير بأخلاصها وأفتابها في سبيل الله، ثم خص على الجيش. فقام عثمان بن عفان فقال يا رسول الله علي ثلاثمائة بغير بأخلاصها وأفتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ينزل عن المنبر وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه. ما على عثمان ما عمل بعد هذه. }

ونفس هذا الأمر حدث مع الإمام الحسين ﷺ:

هجمت الجيوش على الحسين وكان في خيمته، فذهبت السيدة زينب ﷺ تنبهه، فقال: يا أختاه إني سأمت اليوم، قالت: كيف؟ قال: رأيتُ رسول الله ﷺ وقال: يا حسين عطشوك!، يا حسين حاصروك!، إن شئت نُصرت عليهم، وإن شئت أُفطرت عندنا، فاختر ﷺ أن يفطر عند رسول الله ﷺ.

ولعل الكثير يعجب من موقف الإمام الحسين، لكن موقف الإمام الحسين كان موقف الثبات على المبدأ، وهو الدرس الذي يُلقنه لكل المسلمين في كل زمان وزمان، فقد ثبت على مبدأه بعد أن تخلى عنه الجميع، ولم يحد عنه لأنه لا يرجو إلا رضا الله والعمل الذي يحبه ويرضاه الله تبارك وتعالى، فلا يرجو من عمله دنيا ولا رئاسة ولا منصب ولا مال ولا شيء من هذا القبيل، ولكن يرجو المبدأ الذي عاش من أجله ومات من أجله رضوان الله ﷻ عليه.

بداية السلوك للمريد

فرؤية حضرة النبي ﷺ ثابتة، وكان كثيرٌ من الصالحين - كما ذكرنا قبل ذلك - لا يبدأ في إعطاء المرید بعض نفحات الجود الإلهي، والعطاءات الربانية إلا بعد أن يتحقق بمرتبة الوصول إلى الحضرة الحمديّة.

وذكرنا لكم قصة الرجل الذي ذهب إلى سيدي أبو الفتح الواسطي في العراق وطلب أن يترجى على يديه، فقال له: أنت لست مریدی وإنما أنت مرید عبد الرحيم القنائي في قنا في مصر، فجاء الرجل إلى قنا وقال له سيدي عبد الرحيم ﷺ: هل عرفت رسول الله ﷺ المعرفة الحقيقية؟ قال: لا، قال: اذهب إلى بيت المقدس، فرجع إلى بيت المقدس، قال: فدخلتُ بيت المقدس وإذا بي أرى رسول الله ﷺ ونوره يمتد حتى مالأ الآفاق ومأ السبع الطباق، ومأ كل شيء في الوجود علواً وسفلاً، فرجع فقال له: يا بني هل عرفت رسول الله ﷺ المعرفة الحقيقية؟ قال: نعم، قال: عندنا لا يكمل المرید في الطريق ولا يكون الصديق صديقاً ولا الولي ولياً حتى يعرف رسول الله ﷺ المعرفة الحقيقية.

وماذا كان قبل ذلك؟ كان مُحباً، لكن من يدخل الدائرة لا بد أن تكون له وُصلة مباشرة مع حضرته صلوات ربي وتسليماته عليه قطب الدائرة هو سيدنا رسول الله ﷺ.

تربية رسول الله للأفراد

فتربية رسول الله ﷺ للأفراد واضحة، في كل الأفراد والأقطاب الصالحين قديماً وحديثاً ومذكورة وموجودة ومشهودة في كتبهم وفي أحوالهم رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين .. حتى أن بعضهم كان إذا سُئِلَ في أي سؤال لا يجيب حتى يسمع الإجابة من الحبيب، كان سيدي عبد الوهاب الشعراوي رحمته يذكر بعض المنن التي منَّ بها الله ﷻ عليه - وهي موجودة في كتاب اسمه (المنن الكبرى) فيقول: ومما منَّ الله ﷻ عليَّ به أن الله طوى المسافة بيني وبين رسول الله ﷺ، حتى أُنِي إذا احتجتُ إلى شيء أمدُّ يدي وأنا في مكاني على شباك، وأسأله فيجيبني!!

فالطُّيُّ مقام أكرام، لأن من كرامات وإكرامات الصالحين أن يطوي الله له الزمان، أو يطوي الله له المكان، فطوى الله له المكان بينه وبين رسول الله، فلا يحتاج لركوب طائرة ولا باخرة ولا أي شيء، وكان يقول أيضاً: ومما منَّ الله تبارك وتعالى عليَّ أني ما من مرة جلستُ بين يدي الله في الصلاة في التشهد وقلت: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، إلا وأراه أمامي وأسمعه وهو يقول: وعليك السلام يا عبد الوهاب.

وكذلك كان كثير من المشايخ والصالحين لا يجيبون السائلين إلا بعد أخذ الإجابة من فم سيد الأولين والآخرين رحمته مباشرة، وهذا أمرٌ ليس بمستغرب، لأن هذه الفتوحات الإلهية عطاءات وهبات ربانية يقول فيها الله في آياته القرآنية: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٩ص).

الإذن بالدعوة

ولم يأذن الله ﷻ مباشرة لأي رجل من الصالحين في الدعوة إلى الله، ولكن كان المُكَلِّفَ له بذلك سيدنا رسول الله ﷺ، فلا يوجد رجلٌ من الصالحين قام من خلوته ليدعو الخلق إلى الله إلا بعد إذن صريح من سيدنا رسول الله ﷺ.

ونأخذ نماذج منهم، على سبيل المثال سيدي عبد القادر الجيلاني رحمته وأرضاه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ فقال: يا عبد القادر حدِّثْ الناس لينتفعوا بعلمك، فقلتُ: ياسيدي يا رسول الله أنا رجلٌ أعجمي - لأنه كان من بلاد فارس - ولا أُجيد العربية، قال: افتح فاك، ففتحتُ فمي، فتفل فيه سبع مرات، ثم ذهبتُ إلى المسجد لصلاة

الظهر، وإذا بالناس بعد الصلاة يجتمعون حولي ويقولون: حدّثنا بما فتح الله به عليك، وفي هذا يقول الصالحون: ((إذا أقامك أعانك)) وآتوني بكرسي فأجلسوني عليه، قال: فأخذتني الهيبة لأن المسجد ممتلئ، وإذا بي أرى الإمام عليّ، فقال: يا جنيد حدث الناس لينتفعوا بعلمك، قال: قلت يا سيدي أنا رجل أعجمي ولا أُجيد العربية، قال: افتح فاك، فتفل في فمي ست مرات، فقلت: يا سيدي لم لم تُكمل السابعة؟! قال: أدباً مع رسول الله ﷺ!!.

وهذا كله يقظة وليس مناماً!، قال فبدأت بالحديث، وكان ﷺ يتحدث ويُسمع حديثه كل القرى التي حول بغداد بدون مكبرات صوت ولا وسائل تكنولوجيا ولا شيء من هذا القبيل، وإنما إعانة من الله ﷻ، إذا أقامك أعانك.

سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ كان محتلياً بالله في جبل يُسمّى جبل شاذله بقرب قرية في بلاد تونس تُسمى شاذله، وجلس في هذا الجبل سبع سنين يعبد الله، والصالحون أجمعون عندهم الخلوة مع الله أعظم من البقاء مع خلق الله، لأن الخلوة تكون جلوة فيها صفاء، وفيها نقاء، وفيها مشاهدات، وفيها مكاشفات، وفيها نعيم، لكن الخلق ليس معهم غير المشاكل والمتاعب والمتاهات، لكنه لا بد أن ينزل لهم، ولذلك الإمام أبو العزائم ﷺ قال: ((الجدبة تمنها كبار الأولياء - ليعيش في هذا الهناء - ولكن الله ارتضى لكمّل أوليائه أن لا يصلوا إليه إلا بطريق المجاهدة)) لأن هذا الأشق وكذلك الأنبياء والمرسلون.

فجاءه هاتف من الحق وقال له: يا علي انزل اهدي الناس إلينا، فقال: يا سيدي تتركني هذا يطعمني وهذا يجرمني، فقال: يا علي أنفق وأنا المليّ إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب، فنزل إلى تونس وأخذ يدعو الخلق إلى الله.

فجاءه رسول الله ﷺ فقال: يا علي اذهب إلى مصر فإن لك بها حالاً وسُتري بها أربعين رجلاً، وأعطاه كشافاً بأسمائهم، قال: يا سيدي الطريق طويل، والجو صيف وحرار، والطريق ليس به ماء، فقال: عناية الله تحرسك - ما دام يُقيمه فلن يتركه، ضع يدك في جيبك ستجد كل ما تطلب ولن ينتهي، أو ينزل طازجاً من الغيب - فمشى ومعه رفاقه من تونس إلى الإسكندرية وسحابة تظلمهم من حرارة الشمس، وكلما نفذ ما معهم من ماء أمطرت السحابة حتى يشربوا ويغتسلوا ويملأوا الأسقية التي معهم، لماذا؟ لأنه أخذ الإذن من سيدنا رسول الله ﷺ.

أيضاً سيدي أحمد البدوي ﷺ وأرضاه :

كان يتعبد في غار حراء في مكة، ومكث فيه سبع سنين، إلى أن جاءه سيدنا رسول الله ﷺ وقال له: إذهب إلى طنطدا في مصر فإنك ستُرى فيها أربعين رجلاً: عبد العال وعبد المجيد وأعطاه أيضاً كشف بأسمائهم.

فذهب إلى الحرم، وتعرف عليه رجلٌ في الحرم، وقال له: تعال لتزورنا في بلدنا وتنزل ضيفاً عندي، قال له: من أي بلد أنت؟ قال: أنا من بلدة اسمها طنطدا في مصر، وأنا شيخ هذه البلدة!! فذهب معه لأنه إذا أقامك أعانك، فالإقامة من رسول الله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ (٤٦: الأحزاب) لا بد من الإذن من رسول الله ﷺ.

شيخ الطائفة الإمام الجنيد ﷺ وأرضاه، أحبابه الذين كانوا معه في الطريق ذهبوا لشيخه وكان خاله وهو الشيخ السري السقطي، وقالوا له:

نرى الجنيد وقد فتح الله عليه، فنريد أن يحدثنا بما فتح الله عليه، فقال: يا جنيد حدث إخوانك بما فتح الله عليك، قال الجنيد: فقلت في نفسي لا أتحدث حتى يأتي الإذن من رسول الله ﷺ.

وفي نفس الليلة جاءه رسول الله ﷺ وقال: يا جنيد حدث الناس بما فتح الله عليك، فاستيقظ قبل الفجر بساعة وذهب ليُعرِّف شيخه، وعندما دقَّ الباب: قال الشيخ: قد سألنا الله ﷻ لك أن يُرسل لك حضرة النبي ليأذن لك بالكلام!! ذهب إلى المسجد، وكان في هذا الوقت المسلمون العرب يعملون بحديث حضرة النبي ﷺ:

{ الْعَمَائِمُ تَيْجَانُ الْعَرَبِ } ٢٢٢

فكانوا يتعمَّمون، وهذا كان يحدث لوقت قريب وقد حضرناه، فكان آباؤنا والكبار لا بد أن يلبسوا العمامة، وخاصة يوم الجمعة ويوم العيد وفي المناسبات، لماذا؟ لأنهم كانوا متنبهين لتنفيذ الحديث، وكما ورد في بعض الأثر: ((تعمموا فإن الشياطين لا تعمم))، وكان في أيام الجنيد الخارجي عن الملة وهم النصارى أو اليهود لا يلبسون العمامة، ولكن المسلمين يعرفون أن العربي يلبس العمامة، فدخل رجل على الجنيد قبل صلاة الظهر وقبل أن يبدأ بالحديث والمسجد امتلأ بالناس، فقال له: يا جنيد ما معنى قول رسول الله ﷺ:

٢٢٢ مسند الشهاب عن علي بن أبي طالب ﷺ

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ } ٢٢٣

والرجل كان معمماً، يعني معناه أنه عربي ومسلم، فسكت الجنيد قليلاً ورفع رأسه وقال: معناه أنه آن أو ان إسلامك يا نصراني!، قال: صدقت يا تاج العارفين، فقد سألتُ قبلك سبعين رجلاً ممن يدعون المعرفة فلم يعرفوني، والمدعي هو الذي جعل نفسه شيخاً، لكن ليس معه الشفافية الروحانية.

إِذَا حَتَّى الْإِذْنَ بِالْدَعْوَةِ لِكَمَلِ الرِّجَالِ لَا بَدَّ وَأَنْ يَأْتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرُّ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٦٤ الأَحْزَاب).

فرؤية رسول الله ﷺ هي التربية على يديه، وهي الغاية العظمى، والمُنِيَّة الكُبرى، والأمل الذي يراود دائماً وأبداً كَمَل السالكون وأئمة الصالحين، لأن التَّربِيَّ على يد رسول الله ﷺ هو الأمان، وبعد ذلك لا يخشى النفس ولا يخشى الشيطان.

كشف الكروب

بعض الناس قد يأتيهم سيدنا رسول الله ﷺ ليكشف عنهم كرباً، كما حدث مع صاحب البردة الإمام البوصيري:

فالإمام البوصيري ﷺ أُصِيبَ بِمَرَضِ الشَّلْلِ النِّصْفِيِّ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَرَّكَ، وَكَانُوا يَسْمُونَهُ بِمَرَضِ الْفَالِجِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ، وَأَنْشَدَهُ بِرَدَّتِهِ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ بِرَدَّتِهِ، وَالْبَرْدَةُ هِيَ الْعِبَاءَةُ، وَأَكْمَلَ لَهُ بَيْتاً مِنَ الْآيَاتِ كَانَ قَدْ وَقَفَ عِنْدَهُ، قَالَ: ((فَمِبلغ العلم فيه أنه بشر)) ووقف، فقال له ﷺ: ((وأنه خير خلق الله كلهم)) فهذه الشطرة الذي قالها هو سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك الذين يتغنون بالبردة حريصون أن يقولوها بعد كل بيت: ((مولاي صلِّ وسلِّم دائماً أبداً على حبيبيك خير الخلق كلهم)).

فقام من نومه صحيح البدن معافى، وجاء أولاده وطرقوا الباب ففوجئوا أنه قام ماشياً على رجله ليفتح لهم الباب!!.

وانظر الى عجائب الصالحين، وغرائب أصحاب الأحوال من العارفين، أنه فوجئ

برجل من الصالحين جاءه وقال له: قل لي البردة التي أنشدتها لحضرة النبي في المنام، فقال له: ما هذه البردة؟! فقال له: ألم تقل لحضرة النبي:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِرَانٍ بِنَدِي سَلِمٍ مَزَجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مَقْلَةٍ بَدَمٍ

وأُشِدُّ لَه الْقَصِيدَةَ الَّتِي قَالَهَا لِحَضْرَةِ النَّبِيِّ فِي الْمَنَامِ!!، فالرجل كان حاضراً في عالم الأرواح، حتى نعرف أن عالم الأرواح عالم واسع ويروا بعضهم بعضاً، كما كان يقول سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ وأرضاه:

عَلَى الدُّرَّةِ الْبَيْضَاءِ كَانَ اجْتِمَاعُنَا وَفِي قَابِ قَوْسَيْنِ اجْتِمَاعُ الْأَحِبَّةِ

فاجتماع الأحبة الروحاني على الدوام في قاب قوسين، على الدوام مع بعضهم، هل هذا الرجل حضر البردة؟! هي كانت في المنام، فكيف سمعها؟! لأنه كان حاضراً في المنام وجاءه ليذكره بالبردة التي ذكرها لحضرة النبي في المنام، لنعرف أن أحوال الصالحين ليس عليها ملام، لأنها أحوال عالية، وخاصة إذا كان الإمداد من حضرة النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فكانت القلوب كلها صفاء ونقاء وهيام في حبيبنا وقررة أعيننا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

ورؤية النبي ﷺ المنامية يشترط فيها الصالحون أن ترى فيها شيئاً من أوصافه النورانية الجسدية التي وُصف بها في السيرة الزكية، حتى لا يضحك عليك الشيطان.

صحيح أنه ﷺ قال:

{ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ، فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي }^{٢٢٤}

لكن قال الصالحون: إذا سمعت كلاماً أثناء رؤية حضرة، فأعرض هذا الكلام على شريعته، لأن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بهيئة حضرة، لكنه قد يُسمعك في أذنك كلاماً غير كلام حضرة، فيلبس عليك.

ولذلك لا بد أن تعرض هذا الكلام على الشريعة، فما وافق الشريعة فبها ونعمت، كما تكلمنا عن مقولة سيدنا عمر وما حكوها عنه، وهذا دليل على أنها مُدْلِسة، إذا سمعت كلام يناقض شرع سيد الأنام ﷺ، فتعرض عن هذا الكلام ولا تُنفذ إلا ما يوافق شرع الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

٢٢٤ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

التأهل لرؤيته ﷺ

ما الذي يوصلنا لهذا المقام ويجعلنا أهلاً لرؤية النبي ﷺ حتى ولو في المنام؟

أول شيء الحب الذي وصفه رسول الله لصحبه الكرام:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }^{٢٢٥}

لا بد أن يكون في الدرجة الأعلى من الحب، الناس كلهم يدعون حب رسول الله، لكن هل حبه أكثر أم حب المال؟! وهل حبه أكثر أم حب الزوجة والأولاد؟! من هنا يتضح الحب، ولذلك لكي ينال الإنسان هذا المقام لا يكون حب في قلبه يعدل حب الحبيب المصطفى ﷺ، هذا الحب يقول فيه سيدنا حسان بن ثابت ؓ:

أحبك حباً لو يُفاض يسيره على الناس مات الناس من شدة الحب
وما أنا موفٍ بالذي أنت أهله لأنك في أعلى المراتب من قلبي

ما علامة صدق هذا الحب؟ المتابعة الجامعة لحضرته، في كل ما ورد من سنته وفي كل ما جاء من شريعته.

لكن أقول أنا أحب رسول الله ﷺ، ثم ما يعجبني من سنته أمشي عليه، .. وما لا يعجبني أضعه خلف ظهري!! فهذا لا يجوز: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران).

وبين الله ﷻ أن هذا الحب وهذه المتابعة هي التي تبلغ الإنسان المراد فقال: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (الأنعام) لم يقل: فامشوا عليه، ولكن قال: (فاتبعوه) إذاً الصراط المستقيم هنا هو سيدنا رسول الله ﷺ.

نتبعه في ماذا؟

في أحواله الظاهرة، وفي أحواله الباطنة، وفي كل حركاته وسكناته، لأنه كما قال الله: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (النجم) فكذلك لا يتحرك عن الهوى، وما يسكن عن الهوى، ولا يفعل شيء عن الهوى، وإنما هواه لمولاه.

ووضع النبي ﷺ لنا ميزاناً نزن به هذا الهوى فقال ﷺ:

٢٢٥ سنن النسائي عن أنس ؓ

الفصل السابع: خصائص النبي ﷺ النورانية

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }^{٢٢٦}

فأنا ليس لي هوى، ومن يكن له هوى غير هوى حضرة النبي ﷺ يهوي به هواه في منازل البعد عن حضرة رسول الله ﷺ.

ولكن لا بد وأن يكون هواه هو هوى سيدنا رسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه... فالحب الصادق وحسن المتابعة لحضرته ﷺ وخدمة المحبين والصالحين، وأن يكون للمرء عملاً خاصاً يعمل به حسبةً لوجه الله ﷻ مع أهل الله في حياته الدنيا.

قربات الصالحين

ولذلك لو نظرنا للصالحين في كل زمان ومكان، ماذا كانوا يفعلون؟

- منهم من يسقي الناس في المسجد في الزحام.
- ومنهم من يوزع عليهم الطعام.
- ومنهم من يذهب ليعود المرضى الذين لا زائر لهم ولا أنيس لهم من أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.
- ومنهم من يحرص على نظافة المساجد، وما حولها من المرافق الخاصة بها ...
- وهذه هي الأحوال التي توصل الإنسان لمراتب الصالحين، ويكون أهلاً لهذا النور واليقين ... الرجال الذين مشوا خلف سيدي أحمد البدوي وكانوا يعاونوه:
- منهم الرجل الذي كان يُشرف على السطح الذي كانوا يجلسون فيه ويجهزه ويجعله نظيفاً، سمّاه (السطوحي) وهذا أصبح وليّ من أولياء الله وأصبح شيخ طريقة اسمها (الطريقة السطوحية) .
- والرجل الذي كان يتعهد الجمال والغنم ويرعاها ليذبحها للأحباب والمحبين، فكانوا يسمونه (الراعي) وهذا الراعي صار من كبار الصالحين لأن وظيفته أنه كان يعمل هذا العمل لوجه الله ﷻ، وهو من بلده بجوار ميت غمر، وله طريقٌ إلى الآن يتوارثه أولاده ..

٢٢٦ معجم السقرو شرح السنة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

- والرجل الذي كان يكنس البيت والمكان الذي يدخل فيه الأحباب، أصبح شيخ طريقة، اسمها (الطريقة الكناسية) لأنه كان قد وظّف نفسه في خدمة الرجل الصالح لوجه الله رحمته الله.

فلا بد للإنسان أن يكون له عملٌ خالصٌ لله لا يبغى به إلا وجه الله ورضاه.

الإنسان الذي شغلته الدنيا، ولا يريد أن يفرغ نفسه للحظات لوجه الله لعمل الله، فهذا وأمثاله نعاهم الله في كتاب الله وقال في شأنهم يقولون:

﴿ شَغَلْتَنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ (١١١ الفتح) ..

وفضحهم الله، فقال: ﴿ يَقُولُونَ بِآلِسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (١١١ الفتح).

لا بد أن يكون للإنسان عمل خاص لله، لا يرجو من ورائه إلا وجه الله ..

- يعين أحباب الله والصالحين من عباد الله على إبلاغ دعوة الله رحمته الله، وهذا كان الباب الأعظم في هذا الباب.

○ الشيخ عبد الوهاب الجوهري رحمته الله وأرضاه:

كان من أتباع سيدي أحمد البدوي، وكان تاجر جواهر، وسيدنا أحمد البدوي كان معه حال يخطف الأرواح المحبوبة لحضرة الفتاح، يعني إذا مرّ على واحد منهم يتعلق به ولا يتركه، ... فتعلق هذا الرجل به، وقال له: أريد أن أمشي معك، قال له: لن تصلح معنا، فأنت مشغول بالذهب الذي عندك، فقال له: لن أتركك ..! فقال له: هات الذهب الذي عندك وتعالى، وأمره أن يُلقي بالذهب في الساقية التي كان قد صنعها ليتوضأ منها المريدين.

ماذا يصنع مع هذا المرفق؟ قال له: أنت تدير هذه الساقية مرة، والثور يديرها مرة أخرى لتخرج مياه الوضوء للمريدين، واستمر على ذلك حتى حدثته نفسه مرة وتيقظت وقالت له: أنت كنت مرفقاً ومن الأعيان ثم تعمل في هذه الساقية كهذا الثور؟! وإذا بالشيخ يأتي، والصالحون يلهمهم الله فيعرفون الخواطر، فقال له: املاً هذا الدلو بالماء، فوجد ذهبه كله في الدلو، فقال له: خذ ذهبك ولا نريدك معنا.

فقال: أنا تبتُ إلى الله يا سيدي، فقال له: لم تعد تُفكّر في الذهب ونسيتته؟ قال: وبعد فترة قال له: نريد أن نريقك بعض الشيء، ماذا يفعل؟ قال له: تغسل مراحيض

المسجد، وليست كمراحيض هذا العصر، ولكنها مراحيض الزمن الماضي.

فذات يوم نفسه عادت فحدثته مرة ثانية، فلمّا حدثته أخذ بلحيته ويريد أن يكنس بها المراحيض، ليُذِل نفسه، لكنه وجد يداً تمتد تحت لحيته وتمنعه من ذلك، فذهب للشيخ فقال له: ذلتها فأعزّزناك، طالما أنك ذلتت نفسك فعلينا أن نُعزّك.

رأينا كثيراً من إخواننا المريدين من أهل الكشف، تخرجوا من غسل مراحيض مسجد سيدنا الحسين أو مسجد السيدة زينب، وليسوا تابعين للأوقاف، ولكن لوجه الله، فيوظف نفسه في وظيفة من هذه الوظائف لوجه الله.

وراثه الأحوال

هذه هي الأعمال التي تورث هذه الأحوال:

○ فالعبادات إذا كانت خالصة تورث الجنات ..

✓ لكن الأحوال تحتاج هذه الأعمال التي كان يعملها هؤلاء الرجال الوارثين لأصحاب النبي ﷺ في هذا المجال.

من الذي ورث أحوال حضرة النبي؟

الذين كانوا معه، فمنهم من كان يحمل عصاه، ومنهم من كان يحمل نعله في كفه ليحافظ عليه، ومنهم من كان حريصاً على أن يأتيه بالوضوء، ومنهم من كان حريصاً على خدمة الضيوف ... فهذه هي الأعمال التي تورث هذه الأحوال لمن أراد يكون من الرجال الذين قال فيهم الواحد المتعال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (١٢٣ الأحزاب) لماذا؟

لأن هذه الأعمال هي التي عليها المعول الأكبر في جهاد النفس.

فمن السهل أن أقف في أي مسجد وأصلي حتى الفجر، لكن من الصعب في مجلس مثل هذا:

- أن أمسك بصينية وأوزع الشاي ..

- أو أجمع فوارغ الشاي، فهذه تحتاج إلى جهاد النفس ..

- أو أمسك بمكنسة وأكنس المكان، فهذا يحتاج إلى جهاد نفس أكبر ..
- أو أجهز مكان الحمام الذي يدخله الأحياب، فهذا يحتاج لجهاد نفس أكبر.
- أو كما كان يفعل بعض المريدين، فيأتي بأرقام ويضع رقم في مكان الحذاء ويُعطي الضيف رقم مثله، ويقف لينظمهم ويرتبههم ويعطيك حذاءك عندما تطلبه منه، فهذه وظيفة من الوظائف التي يصل الإنسان بها إلى كمال الذل بين يدي الله، ولا نصر عند الله إلا بهذا الذل لله:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ (١٢٣ آل عمران) ..

ولكن:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (٢٥ التوبة)

وطريق الله لا ينال الإنسان فيه الفتح إلا إذا ذل نفسه لله - وليس للخلق - ولكن لمولاه، حتى يُعزه الله فيكون عزيزاً بالأحوال التي يرثها من سيدنا رسول الله ﷺ.

- ومثلها الأعمال الخيرية لأمة المصطفى خير البرية ﷺ:

فهذه تحتاج إلى جهاد نفس شديد، فكونك تتطوع في أي زمان أو مكان، كحل مشكلة إنسان مريض يحتاج للعلاج، وليس معه إمكانيات، فتتكلم مع هذا وتخاطب هذا من أجل ذلك، فهذا الجهاد الأكبر في أمة الحبيب المصطفى.

- وقس على ذلك بقية هذه الأعمال، وهي الأعمال التي يصل بها كُمل الرجال رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا على جهاد نفوسنا وأن يفتح لنا فتحاً مبيناً، وأن يهدينا صراطاً مستقيماً، وأن ينصرنا على أنفسنا نصرأً عزيزاً، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

الفصل الثامن

خصائص النبي ﷺ في الدنيا

- ❖ مواقع النجوم
- ❖ القرآن الكريم
- ❖ السبع المثاني والقرآن العظيم
- ❖ مقامات تلاوة القرآن
- ❖ أحوال الصادقين
- ❖ الحياة الحقية
- ❖ صور من خصائص النبي ﷺ في الدنيا
- ❖ بين موسى ونبينا
- ❖ الجمال اليوسفي والجمال المحمدي
- ❖ رؤيته لجبريل
- ❖ معجزة القرآن الكريم تلاوة القرآن
- ❖ التعريف بحضرة النبي ﷺ
- ❖ نورانية النبي الأخلاق المحمدية
- ❖ رسول الله ميزان قبول الأعمال

الفصل الثامن

من خصائص النبي ﷺ في الدنيا^{٢٢٧}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ رَاقِرٌ أَنْ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِعَذَابِنَا أَسْفَهْتُمْ أَنْتُمْ مَدَّهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الواقعة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أنزل القرآن على قلب النبي العدنان سيدنا محمد، وجعله ﷺ رمانة الميزان لكل أهل عالين، ولكل الكائنات في العالم الدان، صلى الله عليه وعلى آله أهل الاصطفاء، وأصحابه الذين خُصُّوا بالاجتباء، ومن تبعهم على هذا الهدى والنور إلى يوم العرض والجزاء، واجعلنا معهم ومنهم بفضلك ومنك وجودك يا أكرم الأكرمين.

ونحن ما زلنا نتكلم عن خصائص نبينا ﷺ نُعْرَجُ تعريجاً سريعاً على الآيات التي معنا من سورة الواقعة.

كان من خصائص نبينا ﷺ أنه كان يقول لصحبه المباركين عندما يوجههم بعد انتهاء الصلاة وهم خلفه فيعجبون، فيقول لهم:

{ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ، وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي، وَمِنْ خَلْفِي }^{٢٢٨}

٢٢٧ القاهرة - المعادي ٢١ من شوال ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/٧/٥ م

٢٢٨ صحيح مسلم والنسائي عن أنس ؓ

{ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى مِنْ خَلْفِي كَمَا أَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ }^{٢٢٩}

وخصوصيته في هذا المقام ألحنا إليها في أنه ﷺ ليس يطَّلَع على من في خلفه في الصف فقط، ولكن يرى من خلفه من كل ما خلقه الله إلى بدء البدء، ويرى من أمامه من كل ما يحدث في الأكوان، وفي البرزخ، وفي الدار الآخرة، وفي الجنان، لأنه ينظر بعين الحي القيوم تبارك وتعالى. ولذلك كان يصف أحوال السابقين من النبيين والمرسلين، ويصف كل شيء سيحدث للاحقين من أهل أمته إلى يوم الدين، ويحدث عما رآه في عالم البرزخ بيقين، وحدث عن كل ما سيحدث في عالم البعث والنشور والقيامة والحساب، وتحدث عن أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار، وكان يحدث عنها عياناً كشفاً إلهياً ربانياً كشفه له الله ﷻ.

والله ﷻ يقول لمن يعجب في ذلك: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ (التكاثر) سترون هذا وهذا، وهذا كلام الله واضح وليس فيه فصال.

وأعطى الله ﷻ لورثته الكُمَّل شميماً من هذا المقام، فكان الإمام أبو الحسن الشاذلي ﷺ يخبر أحبابه الذين يصلون خلفه بما أحدثوه في الصلاة، تأسيساً بسيدنا رسول الله ﷺ.

مواقع النجوم

وكان الإمام أبو العزائم ﷺ يحدث أحبابه الذين يصلون خلفه بالخواطر الإلهامية في المعاني للآيات القرآنية التي وردت عليهم في الصلاة، حدثني أحدهم رحمة الله ﷻ عليه أنه كان يُصلي خلف الإمام أبو العزائم ﷺ وسمع الآية التي معنا الآن: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ قال: فجاء في خاطري أنه رسول الله ﷺ، وبعد انتهاء الصلاة أردتُ أن أتحدث مع الإمام أبو العزائم فقال لي: إنه هو.

فالآية واضحة لأن القرآن نزل نجومًا، يعني منجمًا مفرقًا، أين نزل؟

إذاً فمواقع النجوم هنا غير مواقع النجوم التي في السماء في عالم الفلك.

فمواقع نجوم الآيات القرآنية الإلهية نزلت على قلب المصطفى خير البرية صلوات ربي وتسليماته عليه، ولذلك قال الله ﷻ في شأنها:

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ لو عرفتم هذا القصد.

ثم زاد الله الإيضاح: ﴿ إِنَّهُ ﴾ ﴿ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ﴿ فِي كِتَابٍ قَدْسِي ﴾ إلهي ﴿ مَكْنُونٍ ﴾ ﴿ لَا يَمَسُّهُ ﴾ يعني لا يمَسُّ معانيه وأنواره وأسراره ﴿ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ الذين طهَّروهم الله ﷻ ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

واعلم علم اليقين أن كل وصف وصفه رب العزة لكتاب الله في آيات كتاب الله له مغزاه وله معناه وله فحواه وله نوره وبهائه الذي خصَّ به الله ﷻ الكُمَّل من عباد الله ﷻ.

وهذا قرآن، وقرآن ثان يقول فيه الله: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١٧٢﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (البروج) وما أكثر الأوصاف القرآنية، وليست مترادفة، وإنما كل وصف له معنى يخصه، وله نورٌ يخصه، وله سرٌّ يخصه، لا يطلع عليه إلا من طهَّر الله لهم قلوبهم، ومملك بنوره وحبه أسرارهم، وجعلهم ينظرون بنور الله إلى ما يحبه الله ﷻ ويرضاه من نور حضرته، وبهائه حبيبه ومصطفاه.

والمعنى الظاهر لا نشك فيه ولا نرتاب فيه كما اتفقنا من قبل، لكن هذه إشارات لأهل المقام العالي:

خذ ما صفا لك من إشارة عارف فالعارفون كلامهم يُشفي السقام

والمعنى العام في ذلك لا نشك فيه، فنسمع من الدكتور الفندي وغيره وغيره في علم الفلك، ومواقع النجوم في السماء، وهذه أيضاً ترى فيها عظمة الله وقدره الله ولكن لأهل العقول، وليس لأهل القلوب والأرواح، لأنها أمور علمية فلكية موجودة وثابتة، والكل يدل على قدرة رب البرية ﷻ.

لكن الحقيقة المكنونة التي أشرنا إليها أن رسول الله ﷺ هو الذي تنزل القرآن على قلبه في مواقع من هذا القلب، وأشار إليها سيدي محي الدين بن العربي ﷻ - وإن

كان كلام محي الدين كلام عالي ولا يستطيع أي إنسان أن يفكِّه - وضعها في كتاب وسماه (مواقع النجوم) وعندما تقرأ في هذا الكتاب لا تجد فيه الثريا ولا الشمس ولا القمر ولا هذه المواقع، لكن مواقع النجوم النورانية، والنجوم المعنوية التي تنزلت على قلب خير البرية ﷺ.

والنجوم أشار إليهم الحبيب فقال:

{ أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيْهِمْ أَفْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ }^{٢٣٠}

فكما يهتدي أهل الدنيا في البر وفي البحر، وفي الظلمات بالنجوم ليعرفوا الطريق الذي يسرون فيه، يهتدي أهل الحق إلى طريق الله الذي لا تراه العيون، ولا تمسه الأحاسيس، وإنما هو طريق جوهري معنوي يطَّلعون عليه بالعلامات التي وضعها لهم الله، بالنجوم الذين أشار إليهم حبيب الله ومصطفاه ﷺ: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (الحل ١١٦) يعني يهتدون إلى الطريق الموصل إلى الله، وليس إلى الساحل أو الشاطئ أو الطريق الذي يمشون فيه في عالم الدنيا، وإنما إلى الطريق الذي سيوصلهم إلى حضرة الله ﷺ.

ولذا رُوي أن سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ، وكان تلميذه النجيب سيدي أبو العباس المرسي ﷺ، أراد أن يدخل عليه يوماً فمنعه الخادم، وإذا بالشيخ يصيح من الداخل ويقول للخادم: أتمنع أبا العباس، والله لأبو العباس أعلم بطرق السماء منك بطرق الإسكندرية!.

من سمعها من أهل العقول ظنَّ أن في السماء طرقاً، وأن أبو العباس يعلمها أكثر من معرفة هذا الرجل بطرق الإسكندرية، لكن هؤلاء القوم كلامهم كله تلويح وليس بتصريح، لأنهم إذا صرَّحوا فقد باحوا بالسر، ومن يبوح بالسر بعد العلم طاح، ولكن يلوِّحون بإشارات وليس بعبارات لا تُفكُّ إلا لمن له عند الله ﷻ مكانةً ومنزلةً يصرِّح له بهذا البيان الإلهي على هذا الرجل النوراني الرباني.

فكلمة السماء يعني السمؤ، والسمؤ يعني العلو، فأبو العباس أعلم بالطرق التي تسموا بالإنسان، وتوصِّله إلى مقام الرضوان، أو توصله إلى مقام الكشف والعيان، أو توصله إلى مقام المعاينة للنبي العدنان، أو توصله إلى مقام الرضا عن حضرة الرحمن، أو

٢٣٠ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر عن جابر بن عبد الله ﷺ

تفتح له ميادين الجنان فيرى ما فيها عين عيان .. كل هذه الطرق من يعرفها؟ هذا الرجل، فهي الطرق التي يشير إليها، فالسماء ليس فيها طرق كطرقنا، لكن الطرق التي تسموا بالإنسان، وترقى بالإنسان، وتبلغه ما يطلبه وما يبغيه وما يرجوه من حضرة الرحمن تبارك وتعالى.

القرآن الكريم

﴿ إِنَّهُ ﴾ ﴿ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ في أخلاقه، كما أخبرت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت:

{ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ }^{٢٣١}

كان خُلُقُه القرآن، وأوصافه أوصاف القرآن، فالقرآن الذي نقرأه في المصحف قرآنٌ مكتوبٌ، والقرآن الحي الذي يُحيي القلوب هو الحبيب المحبوب ﷺ.

السبع المثاني والقرآن العظيم

ولذلك قال له ربه: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ (١٨٧ الحجر) الذي تحدث به العظمة لذات الله وجلال الله في قلوب من استمعته، فهو القرآن العظيم الذي يسمعه الإنسان من رسول الله ﷺ، فالذي يسمع القرآن من رسول الله يحدث له من التعظيم لجلال الله ولكمال الله ما لا يستطيع أحدٌ وصفه.

لكن كثير من الناس في زماننا هذا يقرأونه أحياناً تشدُّ الأذان، ولكن هل تصل إلى القلوب؟ نادراً منهم من يصل إلى هذا المقام ..

وكان الإمام أبو العزائم رحمه الله يقول عن أمثال هؤلاء:

يا حبيبي القرآن في كل واد أفسدته النغمات بالأحان

يغنون، ولا بد من المقامات الموسيقية، وكل واحد منهم يجعل لنفسه عدة أغاني في مواضع معينة ولا بد أن يعيدها مرتين وثلاثة مثل المغنيين، وهل هذا قرآن؟!.

٢٣١ مسند أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله عنها

لكن سيدنا رسول الله ﷺ عندما كان يقرأ القرآن تهتّر له السموات السبع، والأراضين السبع، وتخضع له الجبال، فما بالك بالقلوب التي يحبها حضرة علام الغيوب ﷺ!؟

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾ (١٨٧ الحجر) البعض وصف السبع المثاني على أنها آيات الفاتحة لأنها سبع آيات، لكن أهل الحقيقة قالوا: السبع المثاني هي السبع صفات الإلهية، والسبع صفات البشرية التي اختص بها وحده خير البرية ﷺ، فإن الله كمله في الأوصاف البشرية، فلا يوجد أكمل منه في نعوته ولا أوصافه:

وأجل منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء

وأعطاه مع ذلك أوصافه الإلهية: ﴿ لِثَرِيهٌ مِّنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء) والإشارة إلى رسول الله ﷺ، إنه هو السميع بسمع الله، والبصير ببصر الله، لأن الله تفضل عليه وأعطاه ذلك، وإذا كان الله يعطي ذلك لمن عداه:

{ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهٗ، وَلَئِن سَأَلَنِي لِأُعِيدَنَّهٗ }^{٢٣٢}

فما بالنا بسيدنا رسول الله كيف يكون!!؟ فكان ﷺ يسمع بسمع الله، ويُبصر ببصر الله، بعد أن تجأى عليه مولاه، ومنحه هذه الأوصاف الإلهية لعزة مقداره، ولعلو شأنه عند ربه تبارك وتعالى.

وهذا هو الشأو الأعظم الذي لم يبلغه أحد سواه، لا من النبيين والمرسلين، ولا من الملائكة المقربين، ولا من أي كائن من كائنات رب العالمين ﷺ، فهو صاحب هذه الخصوصية الإلهية: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴾ (١٨٧ الحجر).

ولذلك يعني لو تتبعنا حتى الرويات التاريخية في السيرة النبوية نجد أن الحبيب ﷺ عندما كان يقرأ - أو يقرع كما يقول البعض - بعض الآيات حتى على الكافرين، كانوا يرتجفون لها، وتهتز قلوبهم وأجسامهم لسماعها، وينفعلون بها ..

لماذا؟

٢٣٢ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ؓ

لأن الله أعطاه القرآن العظيم الذي به يعظم القرآن في قلوب السامعين لحضرته
 ﴿١﴾ إن كانوا من الجن أو كانوا من الإنس، أو كانوا من الملائكة:
 ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ (الجن) وعجباً يعني ليس عادياً، يعني ليس كقرآننا هذا:
 ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ (الجن)

مع أنهم يسمعون أصحابه يقرأون في القرآن كل زمان ومكان، لكن هذا القرآن له
 وصف آخر، فعجبوا أنه دخل إلى قلوبهم فوراً بدون استئذان، وحرك أوتار القلوب،
 وشدها إلى حضرة علام الغيوب ﷺ: ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ (الجن).

فالقرآن العظيم هو سيدنا رسول الله ﷺ، لأنه هو وحده الذي عظم جلال الله
 وقدر الله كما كان ينبغي، قال ﷺ:

{ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ، وَأَتَّقَاكُمْ لَهُ } ٢٣٣

ولذلك إذا قرأ تلوح الخشية من قلبه على فيه، فتدخل مباشرة إلى قلوب سامعيه،
 فتكشف كل رانٍ وكل غينٍ وكل بينٍ على آذان القلوب وتجعلها تسمع كلام الله ﷻ
 وتقبل على حضرة الله ﷻ مباشرة بلا لغٍ ولا تعبٍ ولا أي شيء من هذا القبيل.

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٢﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾
 والكتاب لا يطلع عليه إلا من أعطاه الله باصرة خارقة ليقرا هذا الكتاب، لأنه لا يقرأ
 بأعين الرؤوس:

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿٢﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٣﴾
 ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (المطففين)

يشهده أم يقرأه؟ يشهده المقربون.

كتابٌ شهودي، يشهدون فيه آيات الله بأنوارها وأسرارها وحقائقها العلية التي
 نزلت بها على قلب الرؤوف الرحيم ﷺ.

هؤلاء القوم عندما يقرأون القرآن لا يقرأوه كما نقرأه باللسان، وإنما يقرأوه
 بالقلب والجنان، وتكون شاشة القلب في حالة مشاهدة وعيان لما لاح لهم من جمالات

أحوال الصادقين

وأشار إلى مقامٍ كريمٍ يقول فيه الله:

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٢﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾

ثم اسمع وع:

﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨١﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

الذي ليس عليه ديون من المعاصي والذنوب والخطيئات والسيئات، هل يريدُ الله له طلباً؟ لا !!..

هل يؤخر الله له حاجة؟ لا !!.. هل الله ﷻ لا يبلغه ما يريد مع قوله ..

﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (٢٢ الشورى) لا .

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٢﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾

الذي ليس عليه ديون ماذا يفعل؟

﴿ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

يعني الصادق مع الله ﷻ قد يتجلى الله ﷻ له وعليه فيعطيه إحياء موتى القلوب، ... !!

فموتى الأجسام ليس من شأن الحبيب ﷺ وأُمَّته، وإن كان لا يستكثر ذلك عليهم لأنها كرامة دانية

لكن الكرامة الأعلى:

- أن يُحي الله موتى القلوب ...

- ويرزقهم الحياة الروحانية الإيمانية التي بها كمال القرب من رب البرية ﷻ.

الحياة الحقية

ولذلك قال الله ﷻ لنا :

﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اَسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ اِذَا دَعَاكُمْ لِمَا حُمِّىَكُمْ ﴾ (١٢٤ الأنفال)

- أو لسنأ أحياء!؟

نحن نعيش: ﴿ وَمَنْ اَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَاِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ (١٢٤ طه)

لكن الحياة تكون لمن استجاب لله ولرسوله: ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾ (٧٠ يس) ...

- من يستجيب له الحي الذي أحيأه الحي ﷻ بسر حياة الحبيب ﷺ.

○ يُحْيِيهِ اللهُ ﷻ :

✓ الحياة الإيمانية.

✓ ثم الحياة القلبية.

✓ ثم الحياة الإحسانية.

✓ ثم الحياة الشهودية.

✓ ثم الحياة العرفانية.

حياةً بعد حياة بعد حياة حتى يكون في الحياة الكبرى التي يتمتع فيها بالقرب؛

قرب القرابة من رب البرية:

﴿ اَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ ﴾ (١٦٩ آل عمران) ...

إلى ماشاء الله تبارك وتعالى.

هذه لمحات قد تكون عالية القدر، ورفيعة المقام، لكن هذا ما أذن به الوقت، وسمح به الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فإذا قبلتها فاحمد الله ﷻ واشكره على عطائه، وإذ لم تستطع قبولها فلا تعترض، وسل الله ﷻ أن يرزقك القبول، حتى تقبل هذا النور الذي في كتاب حضرة العزيز الغفور.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

صور من خصائص النبي ﷺ في الدنيا^{٢٣٤}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي خصَّنا وجعلنا من أمة حبيبه ومصطفاه؛ سيدنا مُحَمَّد، وأكرمنا الله برؤياه، وجعلنا يوم القيامة تحت لواه، وجعلنا في الجنة من أهل القرب من حضرته والمناجاه، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين آمين، واجعلنا في الدنيا له من خيار المتبعين، وفي الآخرة من أعظم المقربين وفي الجنة من الذين يتمتعون برؤيته في كل وقت وحين أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ دائماً حديثٌ شهِّي، يجد الإنسان له حلاوة في قلبه، واستشفاءً في صدره، وقبولاً في عقله، وخيالاً عالياً في ذهنه، لأنه صورة الحق التي اختارها الله ﷻ لتُقَرَّب الخلق إلى الحق.

وقد خصَّه الله ﷻ بخصائص انفراد بها ...

وحاول أكابر الأمة الإتيان ببعضها لأن الكل عجز عن جمعها ...

فلا يستطيع أحدٌ في الأولين ولا في الآخرين جمع الخصائص التي خصَّ بها الله ﷻ سيدنا رسول الله ﷺ:

سواءً كانت خصائصه في عالم الأزل القديم، أو خصائصه التي ظهرت مع النبيين والمرسلين، أو خصائصه التي ظهرت لأمة شريعته، أو خصائصه التي ظهرت لأهل قربه ومودته، أو خصائصه التي يُبيحها الله تعالى للمجتبين من أحبته، أو خصائصه التشريعية، أو خصائصه الصفاتية، ... أو خصائصه القدسية، ... أو خصائصه الأخروية، ... أو خصائصه الجنانية ... خصائص لا عدَّ لها ولا حدَّ لها، ... نحاول أن نقطف منها بعض ثمارها تشويقاً للأرواح إلى طلعة رسول الكريم الفتح ﷺ، وبكفي في ذلك قول الإمام البوصيري رحمه الله:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها يُظهرن أنوارها للناس في الظلم

بين موسى ونبينا

فكل ما أوتي المرسلين والنبين بعض ذرة مما خصَّ به الله ﷻ رسولنا صلوات ربي وتسليماته عليه، ومن ذلك على سبيل المثال عندما خرج موسى كليم الله عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام بقومه من مصر وتبعه فرعون وقومه، وعبروا خليج السويس، والعبور ليس للبحر الأحمر ولكن العبور كان لخليج السويس، لأنهم لو كانوا عبروا البحر الأحمر لذهبوا إلى الأردن والجزيرة العربية، ولكنهم ذهبوا إلى سيناء فيكون العبور لخليج السويس، ومكان العبور موجود إلى وقتنا هذا.

فعبروا إلى سيناء، وقد وعدهم الله ﷻ بدخول بيت المقدس، لكنهم رغم الآيات التي رأوها في العبور إلا أنهم كانوا أهل إنكار وجحود لله ﷻ، ولرسوله سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

وأنتم تعرفون المعجزات، فسيدنا موسى كان على حافة الخليج، وقد لحق به فرعون وقومه، وسيدنا موسى كان معه بنو إسرائيل، وبنو إسرائيل أبناء يعقوب، فإسرائيل يعني يعقوب، وإسرائيل يعني عبد الله، ف (إسرا) يعني عبد و (إيل) يعني إله، باللغة العبرية، وأولاده كانوا اثنا عشر، وهم سيدنا يوسف وإخوته، وكل واحد من الإثنا عشر أصبح له قبيلة، وكان في وقت سيدنا موسى عدد كل قبيلة خمسين ألفاً، يعني كانوا ستمائة ألفاً وهم الذين خرجوا مع سيدنا موسى.

وأثناء وجودهم على شاطئ البحر نظروا فوجدوا فرعون وراءهم، فقالوا: ﴿ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (٦١ الشعراء) أي أنهم قد لحقوا بنا، فقال لهم: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٦٢ الشعراء) أنا معي ربي فلا تخافوا.

وهنا - من باب الإشارة - فارق في العبارة بين ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٦٢ الشعراء) وبين سيدنا رسول الله عندما كان معه الصديق وقال له: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٤٠ التوبة) وليس معي، فسيدنا موسى قال: ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ﴾ ولكنكم بعيدين ومعه مقام الربوبية، لكن سيدنا محمد أدخلنا كلنا في مقام الألوهية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ يعني إن الله بكل أسمائه وصفاته معنا، مع الأمة السابقين والمعاصرين واللاحقين إلى يوم الدين، فنحن معنا معية أكرم الأكرمين ﷺ.

ولذلك لا يوجد أحدٌ منا زلَّ ولا ضلَّ ولا خلَّ في العقيدة، ... ومعنا سيدنا رسول الله ﷺ.

المهم أنيه ضرب البحر بعصاه فانشق البحر اثني عشر طريقاً: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلِقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (٦٣ الشعراء) وبين كل طريق وطريق مياه، فجمد الله الماء فنزلت كل عائلة في طريق، وكيف يمشون وقاع البحر طيناً؟ ﴿فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ (٧٧ طه) جاف، كيف؟ سلط الله الشمس بجرارتها القوية على قاع البحر فجففته في الحال ليتحمل هؤلاء الرجال وما معهم من أثقال.

ومشت كل عائلة من طريق، وبين من كان على اليمين ومن كان على الشمال جدار من الثلج، فقالوا: يا موسى نريد أن نرى بعضنا ونكلم بعضنا، فضرب البحر بعصاة مرة ثانية فأصبح كل جدار به نوافذ، فمشوا وأخذوا يكلمون بعضهم ويتسامرون مع بعضهم حتى عبروا البحر .. آيات بينات!!.

فرعون كان حكيماً، ولم يكن رجلاً عادياً فكان يعيش على الموز، لأن الموز ليس له فضلات حتى لا يكون كالناس العاديين، فالناس يدخلون الخلاء كل يوم مرة، وهو كان لا يدخل إلا كل بضعة أيام مرة، والموز كما يقول العلماء يؤدي إلى تغذية الفكر، وهو طعام الحكماء، ولذلك كان طعام الفلاسفة والحكماء وأمثالهم، ولذلك ينصحون بأن يأكله الأطفال لأن مثله مثل اليود الموجود في السمك الذي يقوي الذاكرة.

فكان فرعون عالماً وليس رجلاً عادياً، ولذلك كان يفعل أموراً تميزه عما سواه، وعندما جمع السحرة وكان في يوم شديد الحرارة: ﴿وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (٥٩ طه) فكان في وقت الضحى في يوم شديد الحرارة، فجمع السحرة الموجودين في مصر عندما وجد عصا موسى تصنع له غرائب، فأحياناً تتشكّل حية، وأحياناً يخرج يده فيجدها بيضاء، فقال: هذا سحر، فجمعوا السحرة كلهم.

والسحرة سحرهم كما قال فيه الله في القرآن: ﴿فَإِذَا حِبَاهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ تُسْعَى﴾ (٦٦ طه) يعني يُخِيلُ على النظر ولكنها لا تسعى حقيقة، فماذا يصنعون؟ أحضروا حبلاً ولقوها على عصيٍ ودهنوها بالزئبق، والزئبق عندما يتعرض للحرارة الشديدة في الشمس يتمدد، فيكون شكله كأنه حية تسعى شكلاً وتخبيلاً، ... لكن الحقيقة لا.

فألقى موسى العصا، فوجدوا العصا حية حقيقية وابتلعت كل الحبال وكل العصي، ولم يظهر عليها شيء، أين ذهب كل ذلك؟! وأين البطن التي ابتلعت كل هذه الأشياء؟! وفرعون كان واقفاً في شرفة قصره ينظر، فوجد الحية قد ذهبت تجاه القصر والجزء العلوي من فكها فوق القصر، والجزء السفلي من فكها تحت القصر، وكأنها ستبلع القصر، وفي هذه اللحظة حدثت له حالة فرح وهلع حتى أنه قضى حاجته على نفسه!، لأن الحية ستبتلعه، وفي هذه اللحظة آمن، فلم تبتلعه، ولكنه عاد وكفر.

ولكن في المرة الثانية عندما آمن عند الغرق: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بُنُوًا إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٩٠-يونس) قال الله له: ﴿ ءَأَلْقَيْنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ (٩١-يونس) تركناك في المرة السابقة، فعدت مرة ثانية للكفر وادّعاء الألوهية.

فعندما رأى هذا الوضع عرف أنه وضع إلهي وغير طبيعي، وهذا ما جعل السحرة عندما رأوا ذلك آمنوا أجمعين.

وهذا يعطيك انطباعاً لعظمة الإيمان عند حضرة الرحمن، فقد آمنوا، وبعد أن آمنوا ماذا فعل بهم فرعون؟ ربطهم في جزوع النخل، وعذبهم وقتلهم، فكم ركعة صلواها؟! وكم تسيحة سبحوها؟! وكم يوم صاموه؟! لا شيء، ولكن كونهم آمنوا فقد ضمن الله ﷻ لهم الجنة، لأنهم آمنوا بالله ولم يغيروا الإيمان طرفة عين ولا أقل.

وفرعون عندما رأى آية البحر خاف أن ينزل البحر، فقدّر الله وهو قدير أن فرسه التي يركبها تنزل إلى أرض البحر خلف موسى وقومه، وكان عنده تكبر، فهل ينزل الفرس ويرجع هو مرة ثانية؟! لا، فمشى ونزل وراءه قومه.

وكان الجيش في وقته لا يقل عن مليون شخص، لأن في عصر فرعون كانت كل أرض مصر تُزرع: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ (٥١-الزخرف) وليس نهراً واحداً بل أنهار.

وفي هذه الأيام كشفوا عن بعض هذه الأنهار، فالنهر كان يمشي من البحر الأحمر، ثم إلى أسيوط، ثم إلى الوادي الجديد، ووجدوا لذلك آثاره لوقتنا هذا، ولكن ليس به ماء الآن، فكانت المياه تنزل على جبال البحر الأحمر كما ستعود مرة أخرى في السنين القادمة إن شاء الله، وليس نهر النيل فقط بل كانت أنهار كثيرة.

فكانت أرض مصر كلها سواء الصحراء الشرقية والصحراء الغربية أرض زراعية وفيها خيرات يقول فيها الله ﷻ على لسان سيدنا يوسف: ﴿ أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ (٥٥ يوسف) وليست خزائن مصر، بل خزائن الأرض كلها في مصر، سواء في جوفها أو على ظهرها.

كم بين زمن سيدنا موسى وبين زمن سيدنا يوسف؟ كل واحد من يوسف وأخوته أصبح من ذريته خمسين ألفاً، فيكون بينهما أكثر من ألف سنة.

فنزل فرعون وجيشه في البحر، ومع آخر رجل خرج من قوم موسى من البحر كان آخر واحد نزل من قوم فرعون في خليج السويس، فضرب سيدنا موسى البحر بالعصا مرة ثانية فعلى الفور: ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٥٥ الزخرف) في هذا الوقت قال فرعون: ﴿ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ (٩٠ يونس) فقال الله له: ﴿ ءَأَلْسِنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ (٩١ يونس).

ومع ذلك - لنرى رحمة ربنا - سيدنا جبريل يحكي لحضرة النبي ﷺ ويقول له: كنا نأتي بالطين ونسد به فم فرعون حتى لا يقول: يا رب اغفر لي، فيغفر الله ﷻ له، لأننا نعرف أن الله رحيم وكريم وعطوف وحنان ومنان، ولأننا نعلم أن الله يحب التوابين ويجب المتطهرين.

من الذي رأى هذه المعجزات؟ بنو إسرائيل، وبمجرد أن خرجوا من البحر وجدوا جماعة يعبدون أصناماً، وسيدنا موسى تعجّل وقال لأخيه هارون: ابق معهم حتى أذهب فأناجي ربنا على جبل الطور في سيناء.

وبمجرد أن مشى سيدنا موسى قالوا لهارون: ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ (١٣٨ الأعراف) بعد هذه الآيات التي رأوها يريدون آلهة من الحجارة!! - قاتلهم الله ﷻ.

والله ﷻ له حكم لا تُعد ولا تُحد ومنها: ما أخذ إنسان مالا لا يحل له، إلا وحرمه الله من الانتفاع به، فهذه سنة الله، فبنوا إسرائيل عندما أرادوا أن يمشوا، كان سيدنا موسى حكيماً، فقال لهم: نخرج في يوم عيدنا حتى لا ينتبه الأعداء لنا عند خروجنا.

لكنهم هدام الله قالوا: هل نخرج ونترك دورنا وأموالنا وحاجاتنا بدون شيء نكسبه؟ فاتفقوا على أن كل واحدة من نسائهم تذهب لجارتها المصرية وتقول لها: أقرضيني ذهبك لألبسه غداً في العيد، فبذلك نكون قد خرجنا بشي من المصريين، كان

ذلك دون علم سيدنا موسى، ولذلك بعض المحامين رفع دعوة على إسرائيل بالمطالبة بذهب المصريين الذي أخذوه منهم.

فأخذوا الذهب من المصريين ومشوا، فقيض الله لهم موسى السامري، وسبحان الله! موسى الكليم تربى في بيت فرعون، وفرعون يذبح كل مولود يولد، ويقول له القادر: سنريه في بيتك، وليس عند أحد آخر!!.

وموسى السامري أمه كانت قد خافت عليه، فذهبت به إلى الغابة، فأنزل الله له الأمين جبريل، وكلما جاع يأتيه بغزاة فترضعه، فرأى جبريل ويعرفه، ولذلك قالوا:

فموسى الذي رباه جبريل كافر وموسى الذي رباه فرعون مُرسَلٌ

لنعرف أن العناية هي سرُّ البداية والنهاية، ولذلك نسأل الله دائماً العناية، فالعناية ليست بالآباء ولا بالأجداد ولا بالأحساب ولا بالأنساب، وإنما فضلٌ من كنوز الملك الوهاب تبارك وتعالى.

وكما تحكي الروايات: أن سيدنا جبريل نزل راكباً فرسة أنثى، ومن الذي يعرفه؟ السامري، والفرسة ظلت تُعري الفرس حتى نزل وراءها، فموسى السامري أخذ حفنةً من التراب من تحت أقدام الفرس: ﴿فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (٩٦طه) لأنه يعلم أن هذه الفرسة التي يركبها جبريل لو لمست شيئاً ميتاً أحيتها، ولو لمست جماداً حركته، لأنها أخذت صفة الملائكة.

فأخذ هذه الحفنة من التراب وقال لهم: أنا أصنع لكم هذا الإله بشرط أن تجمعوا لي كل الذهب الذي معكم، وكما قلنا: حتى لا ينتفعوا به، فأخذ كل ما معهم من ذهب وصهره وصنع منه إله على هيئة عجل ووضع عليه حفنة التراب، وجعله أجوفاً فإذا دخل فيه الهواء يصنع صوتاً، وقال لهم: هذا إلهكم.

أين الذهب؟ ذهب، وأخذ معه الإيمان وأصابهم بالعطب، ولكي يعاقبهم الله، فيماذا عاقبهم؟ جعلهم يتيهون في صحراء سيناء أربعين سنة يمشون، ومع ذلك جعل فيهم رحمة، لأن معهم سيدنا موسى وسيدنا هارون وبعض الصالحين، فجعل سحابة تظلمهم طوال سيرهم في سيناء، ولكن كلما اقتربوا من الخروج من سيناء يتيهوا في الطريق فيعودون مرة أخرى كما كانوا.

تاهوا في سيناء أربعين سنة، وكلما جاعوا يُنزل الله لهم السلوى، والسلوى هو طير السمان، وينزل مشوياً وجاهزاً للأكل، فيأكلون سمان فقط، وإذا أرادوا أن يأكلوا شيئاً حلوا يُنزل الله لهم المن، والمن هو عسل ينزل من شجر معين وموجود في سيناء وفي بلاد الشام، ويخرج منه عسل كعسل النحل.

ومع ذلك قالوا: قد مللنا يا موسى فنريد أن نأكل فول وعدس وبصل!!:
 ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِهِمْ وَإِنَّا لَنَآرِكُمْ مُخْرَجِينَ ﴿٦١﴾ وَلَيْسَتْ مِصْرًا
 أَدْنَىٰ مِنْ بَابِلَآءَ وَقَدْ بَآءُهَا وَفُومَهَا وَعَدْسُهَا وَمَا كَانَ لِأَهْلِهَا مِنَ الْغَنَاءِ فَخِرًا يَأْكُلُونَ الْبُخَارَ
 أُدْنَىٰ مِنْ بَابِلَآءَ ﴿٦٢﴾﴾ (البقرة ٦١) فقال لهم: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ (البقرة ٦١) وليست مصرنا
 هذه، ولكن يعني أي إقليم من هذه الأقاليم الزراعية: ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ (البقرة ٦١).
 يعني لا يوجد رضا عن الله مع وجود هذه المعجزات والكرامات ...
 التي يعيشون فيها!!.

موسى أكرم بتظليل السحاب في زمن نبوته، ورسولنا ﷺ أكرم بتظليل السحاب
 قبل بعثته ونبوته، لتعرف الفارق بهذه الخصوصية، ونحن نذكر هذا الكلام لتعرف
 خصوصية سيدنا رسول الله ﷺ.

السيدة خديجة بنت خويلد ﷺ سمعت أن القوافل قادمة من بلاد الشام، ولها
 معهم قافلة، فوقفت في شرفتها في بيتها لترى القافلة وهي تأتي من بعيد، ومعها بعض
 النسوة، فرأت رسول الله ﷺ وسحابة تظله.

فلما جاءها عبدها الذي كان يرافقه واسمه ميسرة، قالت له: قد رأيتُ كذا، فقال
 لها: هذه السحابة كانت معه طوال الرحلة، في ذهابنا وفي رجوعنا، فكان السحاب يُظله
 قبل زمن بعثته ونبوته.

بل إن الله ﷻ أعطى ذلك لرجال كُمَيل من رجال أمته، فسيدي أبو الحسن
 الشاذلي ﷺ وأرضاه كان في تونس، وجاءه سيدنا رسول الله ﷺ وقال له: يا علي اذهب
 إلى مصر فإنك ستُري بها رجلاً، وأعطاه كشافاً بأربعين رجلاً، قال: قلت: يا سيدي
 الطريق طويل والجو صيف، والشمس قريبة من الرءوس، والماء في الطريق قليل، فقال له
 ﷺ: يا علي إن شئت تأخذ من الغيب، وإن شئت تأخذ من الجيب، قالوا: فمشى ﷺ
 ومن معه وسحابة تظلمهم حتى وصلوا إلى الإسكندرية، وكانوا إذا شحَّ الماء، جادت

السحابة بالماء، فيشربون ويستسقون ويملأون ما معهم من آنية يدخرون فيها الماء حتى وصلوا إلى الإسكندرية، ولذلك قال ﷺ:

{ عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ }^{٢٣٥}

مثلهم في الفضل الإلهي والكرم الرباني.

الجمال اليوسفي والجمال المحمدي

سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام لما أشيع في مصر بين نساء الأكابر أن امرأة العزيز تراوده عن نفسه، وكانت متزوجة من ابن عمها عزيز مصر، وابن عمها كان عِيناً لا يأتي النساء، لكنها ولكونه ابن عمها استحت أن تذكر ذلك لأحد.

فجهزت لهن تفاحاً ودعتهن إلى الطعام، وأعطت كل واحدة منهن تفاحة وسكيناً لتقطع به التفاحة وقالت: ﴿ أَخْرِجْ عَلَيْنَّ فَكَا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ (٣١ يوسف) تقطن أيديهن وهن لا يدرين ولا يشعرن، وهن يظن أنهن يقطعن التفاح، لكنهن كن يقطعن أصابعهن دون أن يشعرن بذلك من شدة جمال يوسف، والنبي ﷺ يقول:

{ أُعْطِيَ يُوسُفُ شَطْرَ الْحَسَنِ }^{٢٣٦}

يعني نصف الحسن، فمن الذي أُعطي الحسن كله؟ سيدنا رسول الله ﷺ، ولماذا كان لسيدنا يوسف شطره؟ لأن يوسف أُعطي الحسن الظاهر، ورسول الله أُعطي الحسن الظاهر والحسن الباطن، فلماذا لم يُفتن الناس به كما فُتنت النسوة بيوسف؟ لأن الله غلب روحانية باطنه على ظاهره، فُتنت به أهل القلوب، وتعلقوا به، ولذا يُؤذون في الله ولا يتغيروا ولا يتبدلوا لما رأوه من جمال الحبيب المحبوب ﷺ.

فأعطاه الله ﷺ الجمال الظاهر والجمال الباطن، وغطى الجمال الظاهر بالجلال حتى لا ينكشف إلا لأهل الكمال، ومن يُريد الله أن يُذيقهم لذة الوصال، حماية له من المبعدين والبعيدين وأهل الزلل وأهل الضلال الذين قال الله فيهم:

٢٣٥ الفوائد المجموعة للشوكاني

٢٣٦ مسند أحمد والحاكم في المستدرک عن أنس بن مالك ﷺ

لا يرون الجمال الذي فيك، ولا يرون إلا الهيكل الظاهر، أما الجمال الظاهر
 الفاخر فقد حرمهم الله ﷻ منه، وجعله خصوصية لأهل الإيمان الذين امتلأت قلوبهم
 بتقوى حضرة الرحمن، والحب الصافي الخالص للنبي العدنان ﷺ.

فكان ﷺ أصل كل جمال، وأصل كل كمال، والحاوي لأجمع وأكمل الخصال التي
 خلق الله عليها المرسلين والمقربين والملائكة وكل أهل عالين وعالين، فهو إمامهم صلوات
 ربي وتسليماته عليه.

وسيدنا أويس القرني ﷺ أشار إلى هذه الحقيقة عندما أبلغ رسول الله ﷺ سيدنا
 عمر وسيدنا علي ومن معهم من صحبه الكرام وقال لهم:

{ يَا أَيُّهَا عَلِيُّكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أُمَّدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنِ، كَانَ
 بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ
 لَأَبْرَهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَعْفِرَ لَكَ فَاَفْعَلْ }^{٢٣٧}

وفي رواية أخرى:

{ لَيْشْفَعَنَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي لِأَكْثَرِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَمِنْ مِصْرَ، وَإِنَّهُ أُوَيْسُ الْقَرْنِيِّ }^{٢٣٨}

فسيدنا عمر كان كل عام يُرسل في الحج لأهل اليمن: يا أهل اليمن أفياكم
 أويس؟ فيقولون: لا يوجد أحد، حتى قالوا له ذات مرة: ليس عندنا أحد غير رجل يرمى
 لنا الجمال واسمه أويس، فسألهم: أين هو؟ قالوا: في المكان الفلاني، فأوماً إلى سيدنا علي
 يعني لا تكشف أمرنا، وذهب هو وسيدنا علي دون أن ينتبه أحدٌ لهذا الرجل.

وكان سيدنا رسول الله قد أعطاهم إشارة أو علامة فقال لهم: كان عنده مرض
 جلدي وشُفي إلا موضع درهم، فقالوا له: اكشف لنا عن هذا الموضع،
 فوجدوا أثر المرض.

فسألهم سيدنا أويس: هل رأيتم رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم، وأخذ سيدنا علي

^{٢٣٧} صحيح مسلم والحاكم عن عمر بن الخطاب ﷺ

^{٢٣٨} كرامات أولياء الله عز وجل للألكاني عن أبي هريرة ﷺ

يصف رسول الله، طوله ووجهه وملامحه وأعضاؤه، فقال لهم: إنكم لم تروه، فاحتاروا، فذهبوا يسألون السيدة عائشة، فقالت:

{ اسْتَعْرْتُ مِنْ حَفْصَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ إِبْرَةَ كُنْتُ أَحْيِطُ بِهَا ثَوْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَسَقَطَتْ مِنِّي الْإِبْرَةُ، فَطَلَبْتُهَا فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهَا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فَتَبَيَّنْتُ الْإِبْرَةَ مِنْ شُعَاعِ نُورٍ وَجْهَهُ }^{٢٣٩}

وهذا يقول فيه الإمام أبو العزائم رحمته الله:

لم يَرَ الصديق منه غير هيكله المباح
ومعانيه تعاليت عن عقول ذوي الصلاح
ذاك بعض مقام طه نادى حى على الفلاح

فخص رحمته الله بأنه أجمل الناس حساً ومعنى، وأكمل الناس خُلُقاً وهدياً، وأجمل الناس استقامة مع ربه رحمته الله ووصلاً، فهو الجمال الكلي الظاهر عن نور المولى العلي، ليظهر جمال الله رحمته الله لكل قلب تقى نقي صلوات ربي وسلامه عليه.

رؤيته لجبريل

وخص رحمته الله بأنه وحده الذي رأى الأمين جبريل على هيئته، وعلى حقيقته، والمرات التي ذكر فيها هذه الرؤيا في السيرة المباركة لا تُعد ولا تُحَد، فهو وحده رحمته الله الذي أعطاه الله الإطاقة لأن يرى جبريل، وينعم برؤية جبريل، ولا يحدث له ما يحدث لغيره، لأن الله تَبَّته وأَيَّده صلوات ربي وتسليماته عليه.

الذي كان يرى جبريل من أصحاب حضرة النبي؛ كان لا يراه في صورته الملكوتية لأنه لن يتحمل، لكن كان بعضهم يراه إذا جاء في صورة بشرية، فكان يأتي في صورة الصحابي دحية الكلبي رحمته الله.

لكن في هيئته النورانية لم يره أحد إلا سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وكان طفلاً صغيراً، يقول:

٢٣٩ تاريخ دمشق لابن عساکر، ودلائل النبوة للأصبهاني عن عائشة رضي الله عنها

{ كُنْتُ مَعَ أَبِي عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ يُنَاجِيهِ، فَكَانَ كَالْمُعْرِضِ عَنِ أَبِي، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالَ لِي أَبِي: أَيُّ بَنِيٍّ، أَلَمْ تَرَ إِلَى ابْنِ عَمِّكَ كَالْمُعْرِضِ عَنِّي؟ فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، إِنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ رَجُلٌ يُنَاجِيهِ، قَالَ: فَرَجَعْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ: كَذَا وَكَذَا، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ كَانَ عِنْدَكَ رَجُلٌ يُنَاجِيكَ، فَهَلْ كَانَ عِنْدَكَ أَحَدٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَهَلْ رَأَيْتَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ ذَاكَ جَبْرِيْلُ، وَهُوَ الَّذِي شَغَلَنِي عَنكَ }^{٢٤٠}

وفي رواية أخرى:

{ ذَاكَ جَبْرِيْلُ، أَمَا إِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَذْهَبَ بَصْرُهُ، وَيُؤْتَى عِلْمًا }^{٢٤١}

وقد حدث، كُف بصر سيدنا عبد الله بن عباس قبل موته ... لأن الأجهزة البصرية لم تستطع أن تتحمل رؤيا ذات ملكوتية ..

فالذات الملكوتية كيف تراها الأجسام البصرية الحسية؟! فإذا كانت الأشياء الحسية في الكون لا نستطيع رؤيتها، فعند خسوف القمر أو كسوف الشمس ينصح العلماء ويقولون: لا تديم النظر إلى القمر أو الشمس بالعين المجردة لأن هذا يُصيب العين بأدواء، ومن الذي يستطيع إدامة النظر إلى الشمس بالعين المجردة؟! لا أحد، مع أنها أجهزة حسية كونية

فما بالك بنورانية الملائكة، وهم نورانيون خلقهم الله ﷻ من نور قدرته، ونبينا من نور حضرة ذاته وعزته صلوات ربي وتسليماته عليه. فكان ﷺ من البداية يرى جبريل في هيئته الكلبية إشارة إلى أن الله جهَّز ذاته ظاهره وباطنه لكل المشاهدات النورانية والقدسية والعلوية، لأنه وحده هو فرد ذات الله ﷻ.

ومن سواه من النبيين كلٌّ يرى على قدره ..

لكن سيدنا رسول الله ﷺ ... لا يقدر قدره أحد ... إلا الواحد الأحد الفرد الصمد تبارك وتعالى.

٢٤٠ مسند أحمد ودلائل النبوة للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

٢٤١ معجم الطبراني ودلائل النبوة للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

معجزة القرآن الكريم

أما آية الآيات والمعجزة السارية في الكون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها هي معجزة القرآن الكريم.

ومعجزة القرآن تحتاج إلى أحاديث يعجز عنها الوقت والزمان والمكان.

فإن أردت أن تعرف قدرة الله في أي أمر من أمور الأكوان فارجع إلى القرآن، فترى مدى دقة كلام الله ووصفه ﷺ الذي أعجز السابقين واللاحقين والمعاصرين.

وأنا أنصح أحبائي بالنظر إلى بعض مظاهر إعجاز القرآن الكريم ولكن التي ثبتت وغير متقلبة، لكن مظاهر الإعجاز التي مازالت في طور الملاحظة والتجريب فليس لنا شأنٌ بها... فأنت تحتاج أن تساير القرآن على الدوام لكي ترى فيه طلاقة القدرة الإلهية، إن كان في الأكوان، أو إن كان في الإنسان، أو إن كان في أي مخلوق خلقه حضرة الرحمن ﷺ، طلاقة القدرة موجودة في كتاب الله ولا يحدها حد ولا يعدها عد، دليل على أن هذا الكلام كلام الواحد الأحد الفرد الصمد ﷺ.

كل ما أريد أن أنبه عليه إخواني أنه انتشر في هذا الزمان كثير من المنتسبين إلى العلم، فإذا صلى رجلٌ بالناس إماماً وأخطأ في القراءة، أو لحن في كلمة، فبعد انتهاء الصلاة مباشرة يسارع أحدهم بالتشنيع عليه، أو يسارع بعتابه عتاباً شديداً شاقاً أمام الجميع ليهينه، فيقول له: أنت لا تعرف أن تقرأ، وما الذي يعرضك للإمامة!!

وهذا الكلام انتشر على المستوى العام، وفقد الناس الحكمة في معالجة الأمور نتيجة انتشار التيارات الظلمانية التي نَحَّتْ الآداب الإسلامية جانباً، وأخذت العنجهية الجاهلية، وباسم الإسلام يحاولون تطبيق هذا الكلام، مع أن النبي ﷺ قال:

{ إِنَّ مَلَكًا مُوَكَّلَ بِالْقُرْآنِ فَمَنْ قَرَأَ مِنْهُ شَيْئًا لَمْ يَقُومْ هُوَ قَوْمَهُ الْمَلَكُ وَرَفَعَهُ }^{٢٤٢}

من قرأ القرآن فأخطأ فإن الله ملكٌ يُصحح قراءته قبل أن تصعد إلى حضرة الله!!، فماذا تريدون بعد ذلك؟! وفي الحديث الآخر:

{ الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعَتَعُ فِيهِ

وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ { ٢٤٣

ولكن هنا ملاحظة واحدة، أننا نحاول أن نطبق الحديث الذي يقول:

{ يَوْمُ الْقَوْمِ، أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ { ٢٤٤

أنا موجود وبوجد شخص أقرأ مني فلا يصح أن أتقدم أمامه، لأني أكون قد خالفت الهدى الإسلامي وأستحق ما يحدث لي، لكن لو لم يوجد أحدٌ غيري، أو أصلي مع زوجتي في البيت، وأخطأت غير عامد، فهنا كما قال سيدنا رسول الله:

{ إِنَّ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِالْقُرْآنِ فَمَنْ قَرَأَ مِنْهُ شَيْئًا لَمْ يَقَوْمْهُ قَوْمُهُ الْمَلَكُ وَرَفَعَهُ { ٢٤٥

وهناك رواية أخرى تقول:

{ إِذَا قَرَأَ الْقَارِئُ الْقُرْآنَ فَأَخْطَأَ أَوْ لَحَنَ أَوْ كَانَ أَعْجَمِيًّا كَتَبَهُ الْمَلَكُ كَمَا أُنزِلَ { ٢٤٦

فماذا أفعل؟ أتقرب إليه وأنصحه بهدوء وأقول له: راجع الآية التي قرأتها، كما رأيتموني عندما يقرأ أحدٌ ويخطأ فأقول له: الله يا شيخ فلان أعد لنا هذه الآية، فيعيد الآية ويتذكر، فإذا لم يتذكر أقول له: الآية التي تقول كذا أعدها علينا مرة ثانية، فيتنبه على الفور، لأن من يحفظ عندما تقرأ عليه حرفاً واحداً يتذكر على الفور الخيط ويعيد الآية كاملة.

لكن هل أخرجته وأقول له: أنت أخطأت وأنت كذا؟! لا ..

لأن الإسلام دين الذوق الرفيع، والأدب البديع، ولا يوجد شيء في الدنيا أبداً يعالج إحراج مسلم، فكسر خاطر المسلم له وقعٌ عظيمٌ عند رب العزة تبارك وتعالى، فكيف أكسر خاطر مسلم؟! أو أجرح مشاعره؟! أو أسفهه؟! أو أجعله أمام الآخرين يقف وهو محتار ويريد مكاناً يختفي فيه؟! فهذا ليس من الإسلام.

نحن معلمين، فهل المعلم القدير الذي يُخرج التلميذ أمام الطلاب، أم من يعالج الخطأ بطريقة لطيفة لا تلفت انتباه الطلاب؟! لأنه ربما يصنع له عُقدة نفسية ولا يجب

٢٤٣ صحيح مسلم وسنن الترمذي عن عائشة رضي الله عنها

٢٤٤ صحيح مسلم والترمذي عن أبي مسعود الأنصاري

٢٤٥ كنز العمال للمتقي الهندي، والرافعي في تاريخه عن أنس

٢٤٦ فردوس الأخبار، وأخرجه أبو عبيد في فضائله، وأورده السيوطي في الجامع وعزاه للدبلي

أن يحضر للفصل مرة ثانية، ولا يُحِبُّ أن يحضر للأستاذ فلان، لماذا؟ لأنه أخرجته: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (١٧٨ج) لكن القرآن الكريم كما قال رحمته الله:
 { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَادِبَةٌ لِلَّهِ فَأَقْبَلُوا مِنْ مَادِبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ }^{٢٤٧}

تلاوة القرآن

كل الذي تريده موجود في مآدبة القرآن، ولذلك جعل سادتنا الصالحين الورد الأساسي لأي سالك يتجه إلى الله قراءة ما تيسر من كتاب الله، وإياك ثم إياك أن تفرط في هذا الورد، إياك أن يكون أحدكم له أسبوع أو غيره لم يقرأ القرآن، فلماذا أخذت أجازة من قراءة القرآن يا أخي؟! القرآن فاتح الخير لك في الدنيا والآخرة، وأصحاب حضرة النبي كان الواحد منهم كل يوم إذا أصبح ولم يفتح كتاب الله يظل متشائم طوال اليوم، لأنه لم يفتح يومه بما تيسر من كتاب الله.

فلا بد للإنسان أن يقرأ ما تيسر من كتاب الله مع التمعن، وكتاب الله هو الدستور والتشريع الذي أنزله لنا الله حتى نعمل به، فنحيا حياة طيبة في الدنيا، ونفوز برضاء الله يوم نلقاه رحمته الله.

إياك أن تسمح لنفسك فتقدم لك الأعذار في ترك تلاوة القرآن، وهي الآفة التي يقع فيها كثير من السالكين، ويقول: أنا مشغول، ومشغولي كثيرة، وأنا أريد أن أحضر طلبات الأولاد، وغير ذلك، والقرآن لن يأخذ منك كل هذا الوقت، والله قال لك: ﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾ (٢٠المزمل) وقال رحمته الله ليُريحنا:

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطِرِينَ }^{٢٤٨}
 وبكفي قوله رحمته الله:

{ أَفْضَلُ عِبَادَةٍ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ }^{٢٤٩}

٢٤٧ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رحمته الله
 ٢٤٨ سنن أبي داود وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
 ٢٤٩ شعب الإيمان للبيهقي ومسنند الشهاب عن النعمان بن بشير رحمته الله

سيدي أحمد بن إدريس ؓ وقد نشأ في بلاد المغرب العربي يقول: رأيت رسول الله ﷺ فقلت له: يا سيدي يا رسول الله، أقرأ القرآن أم أشغل بذكر الله؟ قال: فقال لي: القرآن القرآن يا أحمد.

وسيدي أبو المواهب الشاذلي وشهرته سيدي التونسي ؓ وأرضاه، كان يقول: جاءني رسول الله ﷺ وكنت أقرأ أورايد وأحزاب الصالحين، قال: فقال لي: يا أحمد ما هذه الوريقات؟! وما هذه الأحزاب التي تقرأها؟! أين أنت من كتاب الله؟! عليك بكتاب الله.

وسيدي أحمد حجاب ؓ وأرضاه وكان يريبه سيدي أحمد البدوي وهو في البرزخ، فكان يتكلم معه في البرزخ، فيقول: احترت يوماً من الأيام هل أشغل بالذكر أم بالقرآن؟ فإذا بسيدي أحمد البدوي يقول لي: القرآن القرآن يا أحمد، وهذا الكلام ذكره في كتاب عن سيدي أحمد اسمه: (العظة والاعتبار آراء في حياة سيدي أحمد البدوي الدنيوية والبرزخية)، ولذلك وردنا الأساس القرآن، قال ﷺ:

{ أَفْضَلُ عِبَادَةٍ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ } ٢٥٠

فلا بد أن يكون لك:

- ✓ نصيبٌ من التلاوة.
 - ✓ ونصيبٌ من التمعن.
 - ✓ ونصيبٌ من العمل بالقرآن.
 - ✓ ونصيبٌ من الدعاء الموجود في القرآن.
 - ✓ ونصيبٌ كامل من مائدة القرآن التي اختارها لنا الله، وأنزلها على سيدنا رسول الله، لأنها المائدة التي فيها الحياة الإيمانية، والأطعمة الروحانية النورانية الهنية التي لا يشبع منها أهل التقى والنقى، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.
- وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

التعريف بحضرة النبي ﷺ ٢٥١

الكلام عن سيدنا رسول الله ﷺ في حياته الكريمة الدنيوية لا يستطيع أحد من الأولين ولا من الآخرين استيفاءه، كل يتكلم على قدره بما شرح الله تعالى به صدره، أما كمالات هذا الدرّي المنير الممنوحة من العلي الوهاب، ففوق الإدراك والتصوير.

ورسول الله ﷺ تولى الله بذاته في مُحكم آياته التعريف بحضرتة، حتى لا نترك لنفوسنا أن تسرح في هذا المجال، وربما تزَل أو تضَل، فأخذ الله ﷻ يشرح أحواله، وبترتيب عجيب، حتى أن القرآن ذكره في كل أحواله، ولم يترك له حالة في دُنياه أو مآله إلا ووضّحها وبَيَّنّها بياناً تفصيلياً رب البرية ﷻ.

ولذلك رُوي أن سيدي عمر بن الفارض ﷺ - ويُسمونه سلطان العاشقين - رآه أحد رفقائه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى في المنام، وقال له: ياسيدي لقد أثبتت على الله ﷻ كثيراً، فلم لم تمدح النبي ﷺ بقصائدك؟ فأجابه مناماً بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى وقال:

أرى كل مدح في النبي مُقصراً وإن بالغ المثني عليه وأكثره
إذا كان الله أثنى بما هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الوري

من الذي يمدحه بعد مدح الله حبيبه ومصطفاه ﷺ!!؟

نورانية النبي

أظهر الله ﷻ لأهل الدنيا وأهل الأكون كما أظهر في آدم لملائكة حضرة الرحمن، من أهله الله ﷻ للإيمان، وكان مسجلاً عنده في اللوح المحفوظ أنه من أهل السجود لحضرة الرحمن، أماط الله عنه بشرية النبي العدنان، وأشهده النورانية التي خصّه بها حضرة الرحمن، فأهل الإيمان الصادق كسيدنا عبد الله بن عباس ﷺ كان يقول:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِيهِ } ٢٥٢

٢٥١ القاهرة - المقطم - قاعة مناسبات مجمع الفائزين الخيري ١٤ من ربيع الأول ١٤٤٠ هـ ٢٢/١١/٢٠١٨ م

٢٥٢ معجم الطبراني وسنن الدارمي

الفصل الثامن: خصائص النبي ﷺ في الدنيا

والثنايا هي الأسنان الأمامية المخصصة للضم، فكانوا يرون النور يخرج من فمه وهو يتحدث معهم صلوات ربي وتسليماته عليه، وكانوا يشاهدون أنه ﷺ إذا مشى في ضوء شمس أو قمر أو مصابيح، لا يرى له ظل، والشيء الذي لا يرى له ظل هو النور فقط، لكن أي شيء له جرم من عالم الأرض لا بد أن يكون له ظل، والأمر كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

أبرزته يد العناية كوناً وهو نورٌ في صورة آدمية

نور ولكنه متوارٍ في الصورة الآدمية حتى لا يراه الجاهلون، الغافلون، والمشركون، ولذلك قال الله فيهم: ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف: ١١٩٨) .. ينظرون ويدققوا النظر فيك لكنهم لا يرون النور الذي فيك، بل يشاهدون الظاهر.

ووقفوا عند المظاهر، وقال بعضهم: ﴿ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (الفرقان) إن مثله مثلنا: ﴿ أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ ﴾ (القمر) ٢٤) .. هل نتبع بشراً مثلنا؟! فهؤلاء الذين حُجبوا عن نور الله الذي ظهر في هيكل سيدنا رسول الله ﷺ، وقد وصفه الله ﷻ بمحكم صريح القرآن بأنه نور، فقال لنا: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (المائدة) ١٥) لو أن النور هو الكتاب المبين لما جاء بينهم بالواو، ولقال: قد جاءكم من الله نورٌ كتابٌ مبين، فيكون صفةً له، ولكن الواو تقتضي أن ما قبلها غير ما بعدها.

فعندما أقول: جاء عليٌّ وعثمان، فهذين شخصين اثنين، لكن لو قلت: جاء علي عثمان، فهذا شخصٌ واحد اسمه علي ولقبه عثمان، فالواو في اللغة العربية تقتضي أن ما قبلها يغير ما بعدها، لذلك النور في هذه الآية هو نور رسول الله ﷺ.

وقد كان ﷺ من هديه المبارك في صلاة الصُّبح كل يوم أن يدعو بهذا الدعاء:

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَاجْعَلْنِي نُورًا }^{٢٥٣}

وفي رواية أخرى:

٢٥٣ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ وَنُورًا فِي شَعْرِي، وَنُورًا فِي بَشْرِي، وَنُورًا فِي لَحْمِي، وَنُورًا فِي دَمِي، وَنُورًا فِي عِظَامِي، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ لِي نُورًا، وَأَعْظِمِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا }^{٢٥٤}

ودعاؤه مجاب لا شك في ذلك، فعندما نسمع (واجعلني نورًا) فهل يوجد شك بعد ذلك أنه ﷺ كله نور.

فإن الله ﷻ نور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور ٣٥) والقرآن نور: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (الشورى ٥٢) والحبيب ﷺ نور: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة ١٥) ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (النور ٣٥).

فكان ﷺ في شفافته ونورانيته لا يدري قدره إلا خاصة خاصة أحبته، حتى أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه ذات يوم:

{ يَا أَيُّهَا عَلِيُّكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أُمَّدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ }^{٢٥٥}

فكان سيدنا عمر ﷺ في كل موسم من مواسم الحج يخرج إلى الحجج وإلى أهل اليمن، ويقول: يا أهل اليمن أفيكم أويس؟ قالوا: لا !!!

وفي إحدى المرات قالوا: ليس معنا إلا شاباً يرعى أغنامنا يُسمى أويس، قال: أين هو؟ فدلوه على مكانه، وكان معه في هذا الوقت سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ وكرم الله وجهه، فأوماً إلى سيدنا علي حتى لا يعرف أحدٌ بذهابهما إليه.

فذهبوا إلى أويس القرني، فقال لهم: هل رأيتم رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم، قال: صفوه لي، فأخذ سيدنا علي ﷺ يصف الوصف الجسماني الحسي لسيدنا رسول الله، فقال لهم: إنكم لم تروه، فاحتاروا، فذهبوا يسألون السيدة عائشة، فقالت:

{ اسْتَعْرْتُ مِنْ حَفْصَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ ابْنَةَ كُنْتُ أَخِيضُ بِهَا ثُوبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ }

٢٥٤ جامع الترمذي عن ابن عباس ﷺ

٢٥٥ صحيح مسلم والحاكم عن عمر بن الخطاب ﷺ

فَسَقَطَتْ مِنِّي الْإِبْرَةُ، فَطَلَبْتُهَا فَلَمْ أَقِدِرْ عَلَيْهَا، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فَتَبَيَّنْتُ الْإِبْرَةَ مِنْ شُعَاعِ نُورِ وَجْهِهِ {^{٢٥٦}

مع أن الوصف الجسماني كان يُخبر كل قريب من حضرته وداني، لماذا؟ سيدنا رسول الله في الوصف الجسماني كما ورد في الصحاح كان ربعة، وربعة يعني ليس بالطويل ولا بالقصير، وكانوا يقولون: ما كان يمشي مع قوم إلا كان أطولهم مهما كان طولهم!!، ولا يجلس مع قوم إلا كان أعلاهم كتفاً مهما كان علوهم، وهذا الأمر غير طبيعي مع هذا الوصف الظاهر.

أما بصره ﷺ فكان كما تقول السيدة عائشة ؓ في شأنه: ((يُصِرُّ فِي الظلام التام كما يُصِرُّ فِي ضوء الشمس)) ومن منا يرى في الظلام؟! لكنه كانت هيئته التي أوجدها الله ﷻ عليها على هذه الهيئة.

وكانت رائحة عرقه أطيب من رائحة المسك، وأين في الدنيا الآن أو قبلاً من لا يُخفي رائحة عرقه بوضع العطور والمزيلات وغير ذلك!!، لكنه كان عرقه أطيب من رائحة المسك، حتى عندما كان يُقبل عند السيدة أم سليم ؓ - وكانت من الصالحات - وكان إذا نام يغزر عرقه، فاستيقظ ذات مرة فوجد معها قوارير وعصا صغيرة، فتأخذ من عرقه وتملأ هذه القوارير، فقال لها:

{ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟، قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ، نَجَعَلُهُ فِي طِبِينَا،
وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ {^{٢٥٧}

وفي رواية أن نساء الأنصار كن يطلبن منها عرق النبي ﷺ، ولما سُئِلْنَ عن ذلك، فقلن: نُصَلِّحُ بِهِ طِبِينَا وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ، يعني طيبنا الذي رائحته غضة قليلاً نضع عليه بعض قطرات من عرق سيدنا رسول الله ﷺ فتصير رائحته أطيب من رائحة المسك صلوات ربي وتسليماته عليه، وكما ورد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ، يَقُولُ:

{ جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا
أَخْبَرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوبًا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غَفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ

٢٥٦ تاريخ دمشق لابن عساکر، ودلائل النبوة للأصبهاني عن عائشة رضي الله عنها

٢٥٧ البيهقي والطبراني عن أنس ؓ

مَنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا، فَإِنِّي أَصَلِي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوِّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: { أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لِكَيْيَ أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }^{٢٥٨}

فكان من سنته ﷺ مع طاقاته اللامحدودة أن يمشي على الوسطية رفقا بأتباعه من الأمة المحمدية، مع أن الله أعطاه طاقات لا عد لها ولا حد لها، لكنه علمنا الاقتصاد والاعتدال، وكما ورد في الأثر: ((سيروا على قدر ضعفائكم))... انظر للضعيف وامشي على قدره، وإياك أن تمشي على قدر الشديد، فمثلاً إنسان يريد أن يُصلي ويصلي في الصلاة، فصلِّ وحدك كما تريد، لكننا نريد أن نُصلي في جماعة لذلك لا بد أن تكون صلاتنا متاحة للجميع.

فرسول الله ﷺ كان نوراً يمشي في هيكل آدمي في دنيا الناس، لا يرى هذا النور إلا من فتح الله له عين بصيرته، وكشف الغطاء عن سريره، فأصبح يرى نور النبي ظاهراً وفي مُهجته،... لكن المنافقون والحاقدون لا يرون شيئاً من نور الله الذي خصَّ به الله حبيبه ومصطفاه سيدنا رسول الله ﷺ.

الأخلاق المحمدية

الكلام في ذات رسول الله في الدنيا طويل، لكننا في حاجة أن نقف عند الجانب الذي نال به وسام الألوهية في الآيات القرآنية، وليت كل واحد منا في هذه الأيام يراجع أخلاقه على أخلاق الحضرة المحمدية، وينظر أين هو من رسول الله، لأننا في حاجة إلى هذه المراجعة في كل وقت وحين.

فلو راجعنا أنفسنا على أخلاق الحبيب فهل ستوجد أي مشكلة بيننا إن كان في بيت أو في عمل أو في شارع أو في سوق أو في أي مكان،؟! فنحن نحتاج لمراجعة أنفسنا عسى ربنا يُدخلنا معه، ونُوصف بمن مدحهم الله معه فقال:

٢٥٨ البخاري ومسلم عن أنس ؓ

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٢٩ الفتح) وكلمة (معه) فتحها الله، فلم يقل في زمانه ولا في عصره، ولكن معه إلى يوم القيامة لمن كانت فيه هذه الأوصاف.

ما هذه الأوصاف؟ ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢٩ الفتح) وانتبه معي، لأن البعض جعل كل همه في الركوع والسجود، لكن الله قبل الصلاة ذكر لنا هذه الأخلاق، أولاً رحماء بينهم، ثم بعد ذلك: ﴿ تَرْتَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ (٢٩ الفتح)

فما نحتاجه لإظهار جمال الله، وجمال دين الله، وجمال أخلاق كتاب الله، وجمال الحضرة المحمدية، أن نتخلق ولو حتى بخلق الرحمة مع بعضنا، إن كان في بيوتنا، وفي متاجرنا، وفي أسواقنا، وفي أعمالنا، وفي مساجدنا، وفي كل عمل، يعني المؤمن باختصار يساوي كلمة (رحيم) مع المؤمنين، وهذا المجتمع كله اسمه مجتمع الرحماء.

أما الشدة والغلظة والفظاظة فليس لنا شأن بها، لأنها للذين غضب الله عليهم: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩ آل عمران).

كيف تكون هذه الرحمة؟ عندك المرأة، فانظر لنفسك في مرآة الرحمة الإلهية وهو سيدنا رسول الله، ووازن بين تعاملاتك ومعاملاته هو، كيف كان يعامل أبناء ابنته والشرح يطول، ومع زوجاته ماذا كان يفعل والشرح يطول، حتى أن رحمته وصلت لأعدائه، وماذا كان يفعل معهم؟! ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧ الأنبياء).

فحتاج كلنا في هذه الأيام المباركة أن نراجع أخلاقنا، ونزغها بأخلاق سيدنا رسول الله، وبصفة خاصة خلق الرحمة، لقوله ﷺ:

{ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَّن فِي السَّمَاءِ }^{٢٥٩}

نسأل الله ﷻ أن يُجملنا جميعاً بالأخلاق الإلهية، ويكملنا بالأخلاق القرآنية، ويُخَلِّقنا بالأخلاق المحمدية، ويجعل أحوالنا كلنا قرآنية نبوية في كل حياتنا الدنيوية، ويجمعنا على حبيبه ومصطفاه في الدار الأخروية، ويجعلنا من أهل رفقته في الدار الجنانية أجمعين، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

رسول الله ميزان قبول الأعمال ٢٦٠

يجب على كل مؤمن أن يحتفي برسول الله في نفسه وفي كل أنفاسه، بحيث لا يغيب عنه رسول الله طرفه عين ولا أقل، لأنني وأنت في كل نفس أنتنفسه لي حركة أو سكونه، إما حركة باللسان، أو حركة بالجوارح، أو حركة بالبدن، أو حركة بالقلب ... كل هذه الحركات لكي أصل فيها إلى مرضي الله لا بد أن تكون موزونة بميزان رسول الله.

لا بد أن أنظر هل هذه الحركة أتشبه فيها برسول الله، أم دخل فيها شيء من الحظ أو شيء من الهوى؟! حتى تقبل عند الحضرة العلية.

فمن هو ميزان قبول الأعمال عند ملك الملوك ﷺ؟ هو سيدنا رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب) في كل الأحوال.

من اختلفت صلواته عن صلاة سيدنا رسول الله هل يستحق القبول من مولاه؟

لا...!!

- فلا بد أن يتشبه تشبهاً كاملاً بسيدنا رسول الله ..
- فإذا تشبه به ظاهراً فبها هنا، لأنه تشبه بظاهر رسول الله ...
- لكنه إذا تشبه به ظاهراً وباطناً يُحقق الله له كل مناه، لأنه أكمل التشبه الكامل بسيدنا رسول الله.

- ظاهراً القيام والركوع السجود والتلاوة والتسبيح.
- لكن باطناً الخشوع والخضوع والإخلاص والصدق مع الصلاة عند أدائها لحضرة الله ..

وهذا كمال التشبه برسول الله ﷺ ...

ومثلها الصيام، ومثلها الحج، ومثلها الزكاة، ومثلها كل أحوال رسول الله. ولذلك الصالحون الأكابر كسيدي أبي العباس المرسي وسيدي أبو الحسن الشاذلي، كان الواحد منهم يقول:

((بقى لي أربعين عاماً لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين !!
ما عددت نفسي من المؤمنين !!))

الغافلون يهياً إليهم أن هذه الأربعين عاماً كانوا يرونه دائماً، لكن الأمر ليس كذلك، فترجمان السادة الشاذلية الشيخ ابن عطاء الله السكندري قال:
هو في كل نفس له عمل، ولا بد أن يتشبه برسول الله ﷺ في أداء هذا العمل.
لذلك لا يغيب عنه رسول الله لأنه يستحضره في كل عمل!
يعني يستحضر كيف كان يعمل هذا العمل ليعمله مثله، ..
فيستحضره كيف كان ينام؟
كان يتوضأ وينام على جنبه الأيمن ويذكر الله حتى يظن من حوله أنه قد نام.
لكنه كما يقول:

{ تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي }^{٢٦١}

فيتشبه به أيضاً في هذا الأمر مع أنه نوم!
فيتشبه برسول الله في كل أحواله، وهذا الذي يجعله دائماً على باله ولا يغيب عنه طرفة عين ولا أقل.
فكل فرد من الأفراد مُطالب في كل أنفاسه أن لا يغيب عنه رسول الله ...
طرفة عين ولا أقل:
لا يغيب النور عن أهل اليقين كيف ذا والنور في الأفق المبين
شمسنا طه الحبيب المصطفى لم تغب يا طالب الحق اليقين
من يقل غابت فذاك لحجه كيف يخفى نور رب العالمين
فهؤلاء يحيون أنفاسهم كلها مع رسول الله، وليس في أيام ربيع فقط، بل أيامهم كلها ربيع
والقلب إذا احتيا بنور الله لا يفعل طرفة عين عن ذكر مولاه ...

وتكون حياته كلها ربيعاً في ربيع مع الله ومع حبيب الله ومصطفاه،

ولكننا على الأقل نحاول أن نُحيي ليالي ربيع بالصلاة على حضرته، وبمطالعة أحواله وسيرته، وبمحاولة الاقتداء به في سُنَّته، وبمحاولة التطبيق الفعلي لشريعته، وبمحاولة الاستئناس بوجهه عند المنام حضوراً في حضرته .. فنحاول في هذه الأيام أن نكون مع رسول الله ﷺ.

ومن كان مع رسول الله بهذه الشاكلة فنهناؤه بالعطاء العظيم من حضرة العظيم، والفتح الكريم من عند الرؤوف الرحيم ...

لأن سيدنا رسول الله ﷺ أعطاه الله ﷻ كنوز المعاني، وكنوز الأسرار، وكنوز الأنوار، وكنوز المكاشفات والمؤانسات والملاطفات يوزعها على الأطهار والأخيار، وليست كنوز الدنيا، فهذه يأخذها من يستحق ومن لا يستحق كالذهب والفضة وغيره، لكن هذه كنوز خاصة لمخصوصين؛ كنوز معنوية، وكنوز نورانية، وكنوز روحانية، وكنوز ربانية من يد المصطفى للمخصوصين من حضرته المحمدية

﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (ص٣٩).

والعطاء غير الخير ...

فلم يقل: هذا خيرنا، لأن الخير نراه في الدنيا، العطاء شيء معنوي نوراني رباني للقلوب التي تجملت بجمال الحبيب المحبوب، واصطفاه الله ﷻ في الأزل وهم ما زالوا في عالم الغيوب، وجهزهم لتناول هذا العطاء، قال فيه ﷺ:

{ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ }^{٢٦٢}

هو عليه التوزيع، وهو لا يُوزَع إلا بإذن من ربه، ولا يتحرك حركة إلا عن إشارة واضحة جليلة من الله تبارك وتعالى.

لذلك نحن محتاجون كلنا أن نتعرض في هذه الأيام العظيمة للعطاءات والنفحات والهبات، ليست نفحات الأجسام من الطعام والشراب، ولكن نفحات القلوب التي يُكشف عنها الحُجب وتليح لها الغيوب، فهذه هي النفحات المطلوبة والتي يبحث عنها المطلوبون:

٢٦٢ البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

إذا تعرض عبيدي لنيـل فضلي تحـمـي
 بحلة الحُسن مني وبالشهود تمـحـي
 يُجبه كل خلقٍ والحُب مني قـبـلا
 يُجبه كل قلبٍ مُطهرٍ لي صـلـى

فإذا تعرض الإنسان لهذه العطاءات فيا هناه ويا مناه لأن الله ﷻ سيجعل له نصيباً من عطاء سيدنا رسول الله ﷺ.

ونحن نفرح أولادنا لنذكّرهم بسيدنا رسول الله، ونشتري لهم حلوى حسنة بمناسبة ميلاد سيدنا النبي، ونحكي لهم شيئاً عنه، لأن هذه هي السنة:

{ أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حُب نبيكم، وحُب أهل بيته،
 وقراءة القرآن }^{٢٦٣}

حبّهم في حضرة النبي لأنك أنت المسئول ...

ولكي يشعر الناس بالميلاد السعيد:

نصنع بعض الزينات والأضواء:

لكننا نريد حلاوة الإيمان

التي تنذوقها القلوب التي انشغلت بالكلية بحضرة الرحمن:

{ ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً }^{٢٦٤}

نريد نوراً من عالم النور يدخل على تجاويف قلوبنا فيملأها بالسرور والحبور ...

نورٌ يأتينا من قول الله ﷻ:

{ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا } (٨التحرير)

متى يتمُّ النور؟

إذا وقع نور الإيمان في القلب مع نور حضرة الرسول ...

^{٢٦٣} أورده السيوطي في الجامع الصغير عن علي بن أبي طالب ﷺ

^{٢٦٤} صحيح مسلم ومسنند أحمد عن العباس بن عبد المطلب ﷺ

فأصبح نوراً على نور ..

لأنه سينجلي ويزهو ويبهى ،،،،

ويكون نوراً كاشفاً لكل ما في مملكتك ...

ونوراً كاشفاً لكل ما حولك ...

ونوراً كاشفاً لكل ما في الأكوان

لأنه استضاء بنور حضرة الرحمن، ونور النبي العدنان عليه السلام.

نريد أن نُزين القلوب بزينة الحبيب المحبوب التي أمرنا الله بها في القرآن:

﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (١٣١ الأعراف)

ما الزينة التي يريدنا الله منا؟

- الخشوع .

- والحضور .

- والحب الخالص لوجه الله ..

- والعشق لحبيبه ومصطفاه ...

فهذه الزينة التي يُريدها الله منا عليه السلام لنظهر جمال الحبيب لكل إنسان يُحب أن

يكون له في كرمه وجوده وفضله أكبر نصيب.

نسأل الله عليه السلام أن يعمنا بأنواره ...

وأن يملأ قلوبنا بأسراره ...

وأن يُواجهنا بوجهه الشريف ...

وأن يجعلنا دائماً وأبداً إليه واصلين، وبه متصلين، ومنه مستمدين ...

حتى يجمعنا به ظاهراً وباطناً في الدنيا ...

ونكون تحت لوائه وفي معيته يوم الدين، آمين يا رب العالمين.

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

الفصل التاسع

خصائص النبي ﷺ الذاتية

- ❖ خُصَّ بالإسراء والمعراج ورؤية الباري
- ❖ سر الخلافة
- ❖ بصيرة في الإنسان
- ❖ لا حول ولا قوة إلا بالله
- ❖ جمال حضرة الله
- ❖ من إشارات المعراج
- ❖ بين معجزاته ﷺ ومعجزات الأنبياء
- ❖ خاتم النبيين
- ❖ كثرة أتباعه
- ❖ رسول الإنس والجن والملائكة
- ❖ حكمه بالباطن والظاهر

الفصل التاسع: خصائص النبي ﷺ الذاتية^{٢٦٥}

الحمد لله الذي لا يُحمد على خير أو برِّ سواه، والصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، والسر الممدود، والكوثر المشهود؛ سيدنا مُحَمَّد وآله أهل السبق في الكمالات الإلهية والشهود، وأصحابه وُرَّاثه ونوابه في الوجود، وكل من اقتفى بأثره وحافظ على هذه العهود، وعلينا معهم أجمعين .. آمين يا رب العالمين.

مازلنا نتدبر على قدرنا لا على قدر نبينا، بعض قطرة مما أفاض الله تبارك وتعالى من نعمائه، ومن كنوز فضله وخيره وبهائه، على سيد رُسله وأنبيائه، والحديث عن فضل رسول الله ﷺ لا يستطيعه أي أحد، لأنه ليس له حد:

فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ وأنه خير خلق الله كلهم
وكل آي أتى الرُّسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها يُظهرن أنوارها للناس في الظلم
فإن فضل رسول الله ليس له حدٌ فيُعرب عنه ناطقٌ بفم

ونحن نتكلم في الخصوصيات الذاتية التي اختصه بها الله ﷻ دون أهل عالين وعليين، بل والأنبياء والمرسلين.

خُصَّ بالإسراء والمعراج ورؤية الباري

ومن أعظم هذه الخصوصيات أنه وحده ﷻ الذي خُصَّ بالإسراء والمعراج ورؤية الباري تبارك وتعالى.

وإن كان قد ورد أن لبعض الأنبياء إسراءً ومعراجاً فإنما كان لمحات معدودات في المنام أو في اليقظة إلى مقام محدود، وكأنهم يقولون كما قال ملائكة الله: ﴿ وَمَا مِثْلًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ (١٦٤ الصافات).

لم يثبت لنبي ولا لصفى ولا لولي أنه عُرج به بجسمه وروحه وكله إلى عالم الملكوت الأعلى، ولا أنه مُتَّع برؤية الله ﷻ، مع أن الله بلاكمٍ ... ولا كيفٍ ولكن بأنوارٍ تعالت معنوية.

هذه الخصوصية في ذاتها تبين لنا قدر المزية التي منحها الله ﷺ لرسولنا
خير البرية ﷺ.

ذكر الله تعالى في قرآنه أنه خصَّ إبراهيم خليله بالخلَّة، وذكر موسى كلمه بالكلام، وذكر عيسى روحه بأنه كان روحانياً تاماً، وخصَّ سليمان بمنطق الطير، والركوب على البساط، وتسخير الجن، وخصَّ داود بالقوة والفتوة وألان له الحديد، وكانت الجبال والطير والوحش تُردد معه عندما يناجي الله ويذكره بمزاميره، والمزامير يعني المناجاة التي كان يتوجَّه بها لله، وكان لا يقولها إلا بصوت طليٍّ لأنه يعلم أن الله ﷻ يجب صاحب الصوت الطليِّ.

سر الخلافة

لكن الله ﷻ لم يُكرم أحد منهم بالعلوُّ بروحه وجسمه إلا حبيبه سيدنا محمد صلوات ربي وتسليماته عليه.

وآيات القرآن تُثبت ذلك، فإن الله أول ما بدأ آية الإسراء بدأها بالتسبيح (سبحان) والتسبيح يعني التنزيه، وبدأها بالتنزيه لنعلم أن الله في علو قدره وعزة شأنه لا يحويه زمانٌ، ولا يُحيط به مكان، ولا تراه حدقةٌ ولا عينان، وإنما من أراد أن يُجهزه لحضرته يقول كما قال خاصة أهل محبته:

إذا تجلَّى حبيبي بأي عينٍ أراه بعينه لا بعيني فما يراه سواه

فأنت فيك العبودية وما فيك من أسرار العبودية لا يستتير ولا يحيا ولا يتحرك إلى بما فيك من أوصاف الألوهية، وهي السر الذي فيك، ولذلك قال إمامنا أبو العزائم ﷺ: ((أحبُّ ما فيك منه فهو المحبوب له لا أنت)) إياك أن تُحب نفسك، ولكن أحب ما فيك من أوصاف الجميل تبارك وتعالى.

وأوصاف الكريم ﷺ هي سرُّ الخلافة، فإن الله تجلَّى على آدم، وعلى أبناء آدم الذين وصلوا إلى مقام الخلافة بأسمائه وصفاته تبارك وتعالى.

ونوضِّح الحقيقة لمن يُحب أن يكشف الله ﷻ له أنوار الطريقة، أنا وأنت ما أصلنا؟ أصلنا في الدنيا:

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ (٢٠ المرسلات)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَانٍ مِنْ طِينٍ ﴾ (١٢ المؤمنون)

﴿ وَمِنْ عَائِنْتِهِمْ أَنْ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ (٢٠ الروم)

فالإنسان تكونت أعضاؤه الظاهرة من التراب، أو من الماء المهين، أو من الطين. والتراب والماء المهين والطين - كما نرى - لا يسمع ولا يُبصر ولا يتكلم ولا يجيا ولا يتحرك، فمن أين جاءته هذه الأوصاف؟ تجلّى الله ﷻ عليه من أوصاف ذاته، فعندما ظهرت فيه أوصاف الحق ﷻ ظهر فيه كل ما نراه.

أنت كما يقول الإمام عليّ ؑ وكرم الله وجهه في عظته البليلة:

(يا ابن آدم تُبصر بشحمة، وتسمع بعظمة، وتنطق بلحمة، تُنتنك العرقه، وتفتلك الشرقة، وتؤملك البقة، وأنت مع ذلك تواجه القوي ﷻ بالمعصية).

بصيرة في الإنسان

تبصرك فيما فيك يكفيك:

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢١ الذاريات)

هذه الشحمة التي تنظر بها أين تذهب عندما يفارق الإنسان الحياة الدنيا؟ هل تغادر هذه العين الجسد؟! لا، فلم لا تبصر؟ لأن صاحب السر أخذ سره.

إذا أنا كنت أبصر بسر البصير وليس بسر هذه الأداة التي سخرها لي البصير ﷻ، لأنه لو كان البصر بهذه الأداة ما توقف عند خروج نفسي الأخير من الحياة.

وأين أجهزة السمع في هذه العظام؟! وهل كشفها العلم الحديث أم لا؟ الكل يتوقف لأن الإنسان لا يسمع إلا إذا تجلّى عليه الله باسمه السميع.

فخلق الله ﷻ الإنسان من سلالة من طين، والسلالة يعني نبات أو حيوان أو غذاء أو فاكهة نبتت من الطين، تغذى بها الأب، وتكونت منها النطفة في ظهره، وهي فيها صفات الكون؛ التراب والماء والهواء والنار.

التراب إذا أضفنا عليه الماء يكون اسمه طيناً: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَانٍ

﴿مِنْ طِينٍ﴾ (١٢ المؤمنون) ... وإذا أضفنا إليه الهواء والنار ... أصبح فخاراً:
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (١٤ الرحمن) .

وهذه عناصر الإنسان التي كونه منها حضرة الرحمن ﷻ .

ولكنه كرم الإنسان لأنه تجلّى عليه بأسمائه العُلّيا الحسان تبارك وتعالى، فتجلّى على السمع باسمه السميع فسمع، وتجلّى على البصر باسمه البصير فرأى، وتجلّى على جسمه كله باسمه الحي فاحتيا وأخذ صفة الحياة من الحي القيوم الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نوم.

ولذلك دائماً العارفون الصادقون هم في أنفسهم يقفون عند هذه المحطة، ويطلبون من الأتقياء والأتقياء من محبيهم أن يديموا النظر إلى هذا المقام، لكي يعرف حقيقته، فعندما ينظر إلى نفسه يخاطب نفسه ويقول لها:

أكنت سميعاً أو بصيراً وعالمًا ولكنني أحسنتُ بالمدار

فهذا إحسان الله ﷻ، فهو الذي تولاني بهذه الجمالات وهذه الكمالات:

- وهل يحق لي أن أتباهي بقوة بصري وجمال عيني؟! وهل أنا الذي صنعته؟! وهل أنا الذي قويته وحددته?!
 - هل يصح لي أن أتباهي بدقتي في سماع الأصوات؟! ومعرفتي لكذا وكذا من أصناف اللغات?!
 - وهل أنا أملك القدرة على تحريك هذه المعدات في أذني لتلتقط هذه الأصوات ثم ترسلها إلى المخ فيترجمها إلى هذه الكلمات?!
 - أتباهي بفصاحتي وعلوّ صوتي أو جمال أدائي، وهل أنا الذي صنعتُ الأوتار التي تُنشد أو تقرأ القرآن بصوت شجي يُعجب الحُصّار?!
- وإذا أخذ الصانع شيئاً من صنعته ماذا أصنع؟ وماذا أفعل؟

وقد تكونوا قد قرأتم عن نماذج من العظماء الذين ليس لهم شبيه ولا مثيل من القراء، وفجأة أوقف الله الأوتار فانتهدت حكاية هذا الإنسان، فماذا يصنع الطب وماذا يصنع الحكماء؟! انتهى الأمر.

- حتى الكلمات، فأنا أتكلم الآن، من الذي يُجهز المادة العلمية في ذهني ويُلهمني بها ويُطلق بها لساني؟! الله، فلو تخلى عني طرفة عين ماذا سأقول!!؟ لا شيء.

فعندما ينظر الإنسان إلى ما فيه من جمال حضرة الرحمن يرى أنه بدون مولاه كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً:

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (الإنسان).

ولذلك ينبغي للإنسان أن يقف عند ذلك، لماذا؟ لأن هذا تحصيل من الغرور، ومن الإعجاب بالنفس، وهما أكبر آفتان تعوق السالكين في طريق حضرة الرحمن، فالغرور مرض إبليس، فقد قال: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ (الأعراف) وكان طاووس الملائكة، فبمجرد أن اغترَّ قال: أنا، وقد قالوا: من قال أنا فقد نأى.

لا حول ولا قوة إلا بالله

فلا ينظر العبد إلى نفسه ولا إلى فعله ولا إلى عمله، وإنما ينظر إلى فضل الله عليه، وإكرام الله له، وعون الله له، وتوفيق الله له، فيقول على الدوام: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) وهي كما قال ﷺ:

{ أَكْثَرُ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَثُرَ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ }^{٢٦٦}

ولذلك من جملة عبادات العارفين: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ولكنه لا يكررها بلسانه، ولكنه يكررها بحاله، حتى يُجَمَّلَ بالجمال الإلهي والكمال الذي يُحبه المولى تبارك وتعالى في عباده المؤمنين والصالحين، فإذا تجلَّى الله على عبد أخذه من نفسه، وبدل أوصافه البشرية بأوصافه الإلهية، فيصبح كما يقول الحق ﷻ في حديثه القدسي:

{ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ }^{٢٦٧}

٢٦٦ جامع الترمذي ومسنده أحمد عن أبي هريرة

٢٦٧ صحيح البخاري وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة

جمال حضرة الله

إذا أبصر به فهل يُجرب عن مشاهدة جماله؟! ولذلك قال في حبيبه: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ (٣٨ مريم) لا تسمع بنفسك، ولكن أسمع بالله، قيل للإمام مالك رضي الله عنه: كيف رأى محمد ﷺ ربه؟ فقال: ((غاب محمد رسول الله عن نفسه وحسه وجسمه، وبقي بأوصاف ربه، فرأى بما فيه من أوصاف الله جمال الله وكمال الله في غيبة محمد رسول الله)).

فمن الذي يرى جمال الله؟

أوصاف الله !!

وأين أوصاف الله؟

فيك أنت، ولكن تحتاج أن تتبدّل

فإذا بُدلت الأوصاف، وجاءك الإسعاف، وأتاك الكبير المتعال بالإتحاف، فعلى الفور أصبحت تسمع بالآلات الربانية، وترى بالعين الإلهية، فلا يغيب عنك شيء في الحياة الكونية ولا البرزخية ولا الأخروية، بل وتحظى بفضل الله ومشاهدة الذات العلية، لكن لا بكم ولا بكيف وإنما بأنوار تعالت معنوية، ولا يستطيع أحد وصف هذه المشاهد، ولا يلاحظ هذه المنازل.

فالمخصوص بهذا المقام دون الأنام كان الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، ولذا قال الله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِكَ﴾ (الإسراء) ما دام نزه الذات الإلهية فلا تعجب من أي أمر يُحدثه الله لأهل الخصوصية، فما بالك بالحضرة المحمدية، لا تعجب فإن الذي أسرى هو الذي خلق، وهو الذي رزق، وهو الذي يميت، وهو الذي يُحيي، وهو الذي بيده مقادير كل شيء، وهل يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؟!.

ثم بين عظمة صاحب هذا المقام، فلم يقل بنبيه ولا رسوله وإنما قال: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ لكي يبين أنه كان بالروح والجسم ... فعبد يعني جسم فيه روح!

إذا خرجت الروح من الجسم فماذا نقول؟ جثة، وإذا اجتمعاً معاً فهذا نسميه عبد، ولذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه في هذا المقام:

لفظ عبد يقتضي الجسم الذي فيه روحٌ بل وحسنٌ والخيال

فكلمة عبد تفتضي كل هذه الأمور...!!

فكان ﷺ بروحه وبجسمه يرى ما أعدّه الله ﷻ له من جماله وكماله.

من إشارات المعراج^{٢٦٨}

والإسراء والمعراج منه ما لاح في الكتب لأهل الإطلاع، ومنه ما خصّ به الحبيب ﷺ الأرواح عند دنوها وقربها وهذا لأهل المشاهدات، وهذه خصوصيات لا تُوجد في كتب، ولا في مجلدات، ولا في أي أمر من الأمور المحسوسة.

روى سيدي محي الدين بن العربي ﷺ في إشرافاته: قال الله تعالى: يا مُحَمَّدُ تعالَى أعرفك معنَى عُرُوجِك إِيَّيَّ، إِيَّيَّ أَرْسَلْتِك لِلنَّاسِ كَافَّةً شَهِيداً وَمُبَشِراً وَنَذِيراً - والشاهد مُطالِب بِحَقِيقَةِ مَا يَشْهَدُ بِهِ - فَأَشْهَدُكَ جَنَّتِي لَتَرَى مَا أَعَدَدْتُ فِيهَا لِأَوْلِيَائِي، وَأَشْهَدُكَ نَارِي لَتَرَى مَا أَعَدَدْتُ فِيهَا لِأَعْدَائِي، وَأَكْشِفُ لَكَ عَن جَمَالِي لِتَعْلَمَ أُنِي مَنْزَرَةٌ فِي كَمَالِي عَن النُّظِيرِ وَالْوَزِيرِ وَالْمَشِيرِ وَالضُّدِّ وَالتَّيْدِ، فَرَأَاهُ ﷺ بِالنُّورِ الَّذِي قَوَّاهُ بِهِ اللهُ، إِهْلاً وَاحِداً أَحَداً، لَا فِي شَيْءٍ، وَلَا مِن شَيْءٍ، وَلَا عَلَى شَيْءٍ، وَلَا مَفْتَقِراً إِلَى شَيْءٍ، وَلَا مَحْمُولاً عَلَى شَيْءٍ، لَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ.

فكانت الرؤية خصوصية للحضرة الحمديّة؛ بالروح والجسد، وليست بالروح فقط كما يدّعي البعض، فالإسراء والمعراج بالجسم والروح وهي خصوصية لسيدنا رسول الله. ورؤية ذات الباري كانت مطلب الأنبياء حتى الكليم: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۗ قَالَ لَنْ تَرَنِي ۗ ﴾ (الأعراف ١١٤٣) فالمخصوص بالرؤية سيأتي بعد: ﴿ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَاءً آتَيْتَكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الأعراف) .. خذ ما آتيتك .. وقل الحمد لله على ذلك، لكن درجة الرؤية ليست لك.

فدرجة الرؤية لفرد واحد جهزه الله ﷻ من الأزل القديم، وهو وحده الذي يتحمّل أنوار ذات الله ﷻ، ولا يستطيع أحدٌ في الكونين أن يتمتع ببعض جمال الله إلا على شاشة سيدنا رسول الله.

لكن لكي نرى الجمال والكمال بلا مثال فهذا مستحيل، هل أحدٌ منا جميعاً الآن

يستطيع أن يدخل تيار كهربائي عنده من الضغط العالي؟! فكل الأجهزة والمصابيح التي عنده ستحترق في الحال، ولكن لا بد له من محوّل.

والمحوّل الأعظم للأنوار الإلهية على قدر ما تتحمّله القلوب البشرية هو سيدنا محمّد ﷺ، وهذا محوّل من طراز مخصوص، لأنه يُعطي لكل واحد ما يتحمّله وما يطيقه من أنوار ذي الجلال والإكرام ﷺ.

لكنه وحده هو الذي واجه مولاه، وهو الذي تمتع برؤية ذات حضرة الله صلوات ربي وتسليماته عليه.

بين معجزاته ﷺ ومعجزات الأنبياء

ولذلك عندما ننظر إلى معجزات الحبيب ﷺ، نرى أن الله جمع له كل معجزات الأنبياء السابقين وزاد عليها، حتى المعجزات الحسية، فالمعجزات الحسية التي تروبوها كتب السيرة والحديث حوالي ثلاثة آلاف معجزة لرسول الله ﷺ، وقد جمعها الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله وأرضاه في مجلدين كبار ذكر فيهما معجزات رسول الله ﷺ الثابتة الصحيحة.

كل ما روي عن الأنبياء السابقين أتى به سيد الأولين والآخرين وزاد على الجميع لما خصّه به الله ﷻ.

فإذا كان موسى عندما أشار إلى البحر انقلب، فإن سيدنا رسول الله أشار إلى القمر فانشق، وأيهما أكرم؟! وأيهما أعظم!؟.

وإذا كان موسى كانت تُظلل أمتة بالغمام في زمن نبوته، فإن نبينا ظلّله الله بالغمام قبل بعثته.

وإذا كان موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتمّ السلام آزره الله بهارون، فإن نبينا لم يرضى الله له بوزير غير ذاته العلية، وهي المعنية في قول الله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (٤الشرح) ومعناها أي قرن اسمي باسمك

فلا تُقبل (لا إله إلا الله): ... إلا إذا وُضع بجوارها (محمّد رسول الله) وهذا شرف ما بعده شرف لسيدنا رسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه.

وإذا كان الله أجرى لنوح السفينة على الماء، فإن الله أجرى لنبينا الحجر على الماء، فقد روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان على شط ماء، ومعه عكرمة بن أبي جهل، فقال: لئن كنت صادقاً فادع ذلك الحجر الذي هو في الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق، فأشار الرسول إليه، فانقلع الحجر الذي أشار إليه من مكانه، وسبح حتى صار بين يدي الرسول ﷺ، وسلم عليه، وشهد له بالرسالة، فقال النبي ﷺ: يكفئك هذا؟ قال: حتى يرجع إلى مكانه، فأمره النبي عليه الصلاة والسلام، فرجع إلى مكانه^{٢٦٩}.

وكل معجزات الأنبياء السابقين تجدها مُفصلة في أحوال سيد الأولين والآخرين ﷺ، ناهيك عن القرآن العظيم الذي هيمن على كل شيء، وهو المعجزة الباقية الخالدة إلى يوم القيامة.

خاتم النبيين

وخصَّه الله ﷻ بخصوصية ربانية قال له فيها ﷺ فيما ورد في بعض الأثر: (يا رب لم جعلت أمتي في آخر الأمم؟ فقال ﷻ: حتى لا يطول مُكثهم في القبور، وحتى يطلعوا على مساوي الأمم السابقة، ولا يطلع على مساوئهم أحد غيري).

فعندنا الآن كل أخبارهم، لكن هل سيأتي أحد بعدنا ليعلم أخبارنا؟ لا أحد، فقد دخلنا في ستر الستار تبارك وتعالى من ستره.

فجعل الله ﷻ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأول النبيين في الحساب والبعث يوم الدين، قال ﷻ:

{ نَحْنُ الْآخِرُونَ، الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٢٧٠}

الآخرون في البعث، والأولون في الحساب يوم القيامة، حتى لا يطول أيضاً مُكثنا في الحساب فضلاً من الله، وإكراماً لرسول الله ﷺ.

وجعل الله شريعته هي الشريعة الوحيدة التي اكتسبت صفة التمديد إلى يوم

٢٦٩ مختصر المواهب اللدنية للقسطلاني في صحيح سيرة النبي ﷺ

٢٧٠ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي هريرة ؓ

القيامة، فإن كل نبي كانت شريعته تنتهي بلحقاق هذا النبي إلى الرفيق الأعلى، لكن الشريعة التي لا انتهاء لها إلى يوم القيامة شريعة رسول الله، لأنها صالحة لكل زمان ومكان، وفيها مرونة تسع الملائكة والإنس والجن، بل تسع الإنسان في كل مكان، لأنها الشريعة الخاتمة التي خصّنا بها، وخص رسولنا بها الله ﷻ.

كثرة أتباعه

ومع أنه ﷺ لم يعمر كثيراً كالأنبياء السابقين، إلا أنه أكثر الناس أتباعاً يوم القيامة، قال ﷺ:

{ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٌّ أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا }^{٢٧١}

يعني كل الأنبياء السابقين أربعين صفّاً، ونحن ثمانين صفّاً، والصف لا يعلم مداه إلا الله، فليس له حد، ولا أول ولا آخر، لا يعلم أوليته ولا آخريته إلا الأول والآخر ﷻ.

فأكثرية هذه الأمة دليلٌ على خصوصيته بالنبوة، وخصوصية هذه الأمة بأنها الأمة التي يقول فيها الله: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (١١٠ آل عمران).

رسول الإنس والجن والملائكة

وخصّ ﷺ دون الأنبياء أنه رسول الله إلى الإنس والجن والملائكة، فإنه ﷺ عندما كذّبه أهل الطائف عوّضه الله وأرسل إليه وفداً من جن نصيبين وآمنوا به، وآمن به نفرٌ كثيرٌ من الجن، لأنه مُرسلٌ إلى الجن.

حتى أنه ﷺ عندما خاف أصحابه من الجن جمع عظماء الجن ووضع لهم موثقاً وعهداً وحدوداً بينهم وبين الإنس، حتى لا يتعدوا على بعضهم.

والملائكة أيضاً كما قيل فإن معراج حضرة النبي إلى الملكوت الأعلى كان بُناءً على طلب الملائكة ليتمتعوا برسول الله ﷺ، ويجددوا الإيمان به بعد رسالته وبعثته.

٢٧١ مسند أحمد والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن مسعود

فكان في كل سماءٍ يجتمع أهلها، والرسول ﷺ يبين لهم، ويأخذ العهود عليهم، لأنه رسول الله لكافة الإنس والجن والملائكة: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (س٢٨) قال ﷺ فيما معناه:

{ كل من في السماوات والأرض يؤمن بي إلا عتاة الإنس والجن }

شهادة الجمادات والنباتات والحيوانات لحضرته بالرسالة

بل أنتم تعلمون جميعاً أنه ﷺ حتى النباتات والحيوانات في عصره وفي زمانه كانت تظهر أمام أصحابه الإيمان به، حتى الجمادات، فهذا جذع النخلة الذي كان ﷺ يسند ظهره إليه واقترح عليه بعض أصحابه أن يصنعوا له منبراً من ثلاث درجات، ففي أول يوم صعد فيه هذا المنبر سمعوا للجزع صوتاً وخواراً كخوار البقر، فنزل رسول الله ﷺ واحتضنه وربت عليه وقال ﷺ:

{ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ، لَمَا زَالَ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }
حُزْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ { ٢٧٢

وروي أنه صلوات ربي وتسليماته عليه قال للجزع:

{ اخْتَرْتُ أَنْ أَعْرِسَكَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَتَكُونَ كَمَا كُنْتُ، وَإِنْ شِئْتُ أَنْ أَعْرِسَكَ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْرَبَ مِنْ أَنْهَارِهَا وَعُيُونِهَا فَيَحْسُنُ نَبْتُكَ، وَتُتِمَّرُ فَيَأْكُلَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ ثَمَرَتِكَ وَنَخْلِكَ فَعَلْتُ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ:
اخْتَارَ أَنْ أَعْرِسَهُ فِي الْجَنَّةِ { ٢٧٣

اختار أن يكون نخلة في الجنة يأكل من غراسها المؤمنون، غير أنه طلب - كما ورد - أن يُدفن تحت منبر النبي ل يتمتع بما يتمتع به المؤمنون.

والحصي كان يمسكه النبي في يده فيسبح، ويضعه في يد أبي بكر فيسبح بالفاظٍ صريحة، ويضعه في يد عمر فيسبح، وفي يد عثمان فيسبح، وفي يد علي فيسبح، وفي يد

٢٧٢ سنن الدارمي وابن خزيمة عن أنس ؓ

٢٧٣ سنن الدارمي عن بريدة بن الحصب ؓ

غيرهم فلا يُسبح، يقول في وصف هذا الأمر سيدنا أبو ذر رضي الله عنه:

{ إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَلَقَةٍ وَفِي يَدِهِ حَصِيَّاتٌ فَسَبَّخَنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُمْ مَنْ فِي الْحَلَقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّخَنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلَقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّخَنَ فِي يَدِهِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلَقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى عُثْمَانَ فَسَبَّخَنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبَّخَنَّ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا }^{٢٧٤}

وضع النبي ﷺ الحصى في كفه فكأهمن مستنطقات، يعني ينطقن ويسمعن الكلام كما نتكلم نحن، وليس تسبيح بالحال كما يدعي البعض، لكنه تسبيح بالصوت، وكلهم يسمعون، فأين لسانه؟! وأين أوتاره؟! وأين حنجرته؟! لكن: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٤٤ الإسراء).

وعندما وقف النبي ﷺ على جبل أحد فرح الجبل، واهتز من شدة الفرح لوقوف النبي عليه، فقال له النبي ﷺ:

{ اثْبُتْ أَحَدٌ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ }^{٢٧٥}

ثبت الجبل في مكانه، والأغرب يقول فيه النبي لأمة النبي:

{ أَحَدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ }^{٢٧٦}

وهل الجبل يُحب؟ لكي نعرف علو قدر هذا المقام، فإذا أحببناه فهذا جائز، لكن كيف يُحب هو؟! يُعرِّفنا أن كل ذرات الوجود فيها حياة، ولكن حياة لا يعلمها إلا الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

وكل ذرة فيها حياة لا بد أن تؤمن برسول الله ﷺ، إن كان في الأكوان العالية، أو الأكوان الدانية، أو في الأرواح السامية، الكل مطالب بأن يؤمن ويصدق برسولنا الأكرم صلوات ربي وسلامه عليه.

^{٢٧٤} دلائل النبوة لأبي نعيم ومعجم الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه

^{٢٧٥} صحيح البخاري والترمذي عن أنس رضي الله عنه

^{٢٧٦} معجم الطبراني ومسنند أحمد عن سويد الجهني رضي الله عنه

حكمه بالباطن والظاهر

ومن عجائب ما خصّه به الله ﷻ - وهي خصوصية لحضرتة - أنه وحده له أن يحكم بما في السرائر.

فأي حكم صحيح لا بد وأن يكون بالظاهر، ويكون شيء نراه بأعيننا، لكن القلوب يتولاها الله، لكنه قال له الله: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (النساء ١٠٥) ليس بما تراه بعينيك، ولكن بما أراك الله.

ولذلك من الأعاجيب في ذلك أن رجلاً سرق في عصره ﷺ، فقال ﷺ مرّتين:

{ اِقْتُلُوهُ، فَقَالُوا: إِنَّمَا سَرَقَ، قَالَ: فَاقْطَعُوا يَدَهُ، فَقُطِعَ، ثُمَّ سَرَقَ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ فَقُطِعَ، ثُمَّ سَرَقَ فَقُطِعَ، ثُمَّ سَرَقَ فَقُطِعَتْ قَوَائِمُهُ كُلُّهَا، ثُمَّ سَرَقَ الْخَامِسَةَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْلَمُ بِهَذَا حِينَ أَمَرَ بِقَتْلِهِ، أَذْهَبُوا بِهِ فَاقْتُلُوهُ }^{٢٧٧}

أمرهم الرسول أن يقتلوه، لكنهم راجعوا رسول الله وقالوا: يا رسول الله إنه سرق، فلنقطع يده، ولما وجد الإلحاح قال: اقطعوا يده...!!! وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى، فسرق الرجل بيده الأخرى، فُقطعت قدمه، فسرق للمرة الثالثة، فُقطعت يده الثانية، فسرق للمرة الرابعة فُقطعت رجله الثانية،...!! فسرق الخامسة، والحكم هنا أن يُقتل، فقال أبو بكر ﷺ: صدق رسول الله ﷺ حيث قال: اقتلوه وهو أعلم به منا!!

فقد كان يعرف أن هذا يجب قتله من البداية.

فأعطاه الله ﷻ خصوصية الحكم بالظاهر والباطن:

- له أن يحكم بالظاهر.
- وله أن يحكم بالباطن، مع أن البواطن والسرائر لا يعلمها إلا من يقول للشيء كن فيكون، لكن كما قال له الله:
﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء)

ما دام علمه الله فهل يغيب عنه شيء من العلم.

قال ﷺ في حديث طويل:

{ وَصَّعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيْ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْ،

فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ }^{٢٧٨}

وتفسير هذا الحديث لا تطيقه العقول:

ولذلك احتار فيه أهل النقول!!!

فلم يعرفوا تفسيره، فهم أخذوها على المحسوسات، وسيدنا رسول الله يتكلم في أعلى المعنويات، فيد الله هنا يعني يد تجليه التي يتجلى بها لأهل خصوصية ذاته، فأحسَّ ببرد التجليات في صدره.

تجليات - نسأل الله أن يُذيقنا إياها أجمعين - لها برد، وليس كبرد الدنيا ولكنه يعني سكينه ورضا واطمئنان وحب وفرح ووهان يحس بهم الفرد ويشعر بنشوى في هذا الوقت والآن، قال ﷺ في هذا الحديث لنأتي بالجزئية التي نريد أن نبينها:

{ فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ }^{٢٧٩}

أعطاه الله ﷺ علم كل شيء صلوات ربي وتسليماته عليه كما قال له في القرآن: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ (النساء) ...

وما دام الذي علمه هو العليم فقد انتهى الأمر.

الحكم بالباطن لم يتحقق إلا للخضر مع موسى ...

لكنه كان لنبينا صلوات ربي وتسليماته عليه ...

لأن الله أعطاه الحكم بالظاهر وبالباطن.

وكان ﷺ له في هذا المجال وقائع لا تُعد ولا تُحَد يضيق النطاق عن ذكرها.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

٢٧٨ جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن معاذ بن جبل ؓ

٢٧٩ جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن معاذ بن جبل ؓ



❖ ثانياً: الوظائف الخاصة لأُمَّته

❖ مقام تلاوة الآيات

❖ عبادة التفكير

❖ مقام تزكية النفس

❖ مقام علوم القرآن

❖ مقام الحكمة

❖ العلم الوهبي

الفصل العاشر: وظائف النبي في كتاب الله ٢٨٠

أولاً: الوظائف العامة لجميع الخلق

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤١﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٢﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (الأحزاب).

إن في كتاب الله ﷻ عندما يتحدث ربنا ﷻ عن حضرة النبي سيدنا محمد ﷺ لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَبَابِ، فقد خصَّه الله تعالى بخصائص إلهية لم يخص بها سواه حتى من الأنبياء والمرسلين، فهو نبي وهو رسول.

تكليف الله للنبي

وتكليف الله ﷻ له كنيّ ذكره الله في القرآن، وهذا خطاب التكليف الإلهي لحضرة النبي الرؤوف الرحيم سيدنا محمد، بماذا كلفه؟ ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ ﴾ انظر إلى عظيم النداء للحبيب، مرة يقول: يا نوح، ومرة يقول: يا إبراهيم، ومرة يقول: يا داود .. كل رجل من الأنبياء ناداه باسمه، لكن عند سيد الأنبياء قال ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ ﴾ تعظيم من حضرة العظيم لهذا النبي الرؤوف الرحيم ﷺ ولذلك أنا أعجب عندما يقول بعض المسلمين لقوم يُحبون حضرة النبي: أنتم تعظمون النبي أكثر من اللازم، وهل يستطيع أحد في الأولين أو الآخرين أن يعظمه قدر تعظيم رب العالمين له؟! مستحيل.

الشيخ عمر بن الفارض ﷻ له قصائد لا تُعد ولا تُحَد في مناجاة ذات الله، وفي الإعلان عن شدة عشقه وشوقه لمولاه، وبعد أن انتقل إلى جوار الله رآه أحد إخوانه في المنام، فقال له مناماً: يا سيدي لم لم تمدح بشعرك رسول الله ﷺ؟ فأجابه مناماً:

أرى كل مدح في النبي مقصراً وإن بالغ المثني عليه وأكثره
إذا كان الله أثنى بما هو أهله عليه فما مقدار ما يمدح الوري

من الذي يمدح بعد مدح الله لحبيب الله ومصطفاه ﷺ من الأولين والآخرين؟! لم

ولن يستطيع أحد أن يقترب من مديح حضرة الله وثنائه على حبيبه ومصطفاه:
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ :

خذ خطاب التكليف والتعريف ...

التكليف لحضرتة، والتعريف لأمتة، لأنه سَيُنْفَذُ ما كُلف به، ونحن نعرف ما الذي كلفه به الله لكي نسمع له ونطيع ونخضع له ونسلم له تسليماً، لأن الله قال لنا:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء ٦٥) إيماننا لن يكون أرقى ولا أتقى ولا أنقى إلا إذا سلمنا لحضرتة فيما جاءنا به من عند الله، لأنه لم يأتي بشيء من عنده: **﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾** (النساء ٧٨)، ولا يكون في صدورنا اعتراض ولا امتعاض ولا اشمئزاز لأي أمر أمرنا به وكلفنا به حضرة النبي، وإنما نقول: **﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾** (البقرة ٢٨٥) ..

ولن نستطيع أن ننفذ يا ربنا التنفيذ المطلوب: **﴿ عَفْرَأَنَّكَ رَبَّنَا ﴾** (البقرة ٢٨٥) يعني سامحنا يا رب في التقصير وعدم القيام بالواجب الذي يُرضي العلي القدير كما أخبر البشير النذير ﷺ.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ :

حضرة الله يتكلم عن نفسه، فيقول: **﴿ إِنَّا بِجَمِيعِ أَسْمَائِنَا، وَجَمِيعِ صِفَاتِنَا، بِجَالِنَا وَجَمَالِنَا وَكَمَالِنَا وَبِكُلِّ حَيْطَاتِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَسُرَادِقَاتِ الْعِزَّةِ الْجَبْرُوتِيَّةِ، أَرْسَلْنَاكَ. ﴾**

وظائف النبي

ما الوظائف التي كلفه بها الله؟ في هذه الآية التي معنا التكليف لجميع الخلق:

أولاً: **﴿ شَهِدًا ﴾**

ثانياً: **﴿ وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾**

ثالثاً: **﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾**

رابعاً: **﴿ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾**

خامساً: **﴿ وَنَذِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ هُمْ مِّنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾**

خمس وظائف لا بد أن نعرفهم لكي نعرف مهمة حضرة النبي، وهل هذه الوظائف انتهت من الكون؟ لا، ولكنها حتى تقوم الساعة، لأنه نبي الختام ولا نبي بعده، فقامت بهذه الوظائف بذاته، أو بنواب عن حضرته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقبل أن أوضّح بعض هذه الخصائص والوظائف العامة، فإن الله ﷻ لحبه لهذه الأمة، وتفضيلها على جميع الأنام من البدء إلى الختام، خصّه لنا بوظائف خاصة لنا جماعة المؤمنين، غير هذه الوظائف العامة والتي هي للكل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبا. ٢٨).

ما هذه الوظائف التي يجب أن نتعلمها من حضرته، أو ممن ينوب عن حضرته؟

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٥١) خمس وظائف خصوصية للأمة غير الوظائف العامة التي كلفه الله بإبلاغها لجميع الأنام من البدء إلى الختام.

الوظائف العامة لم تبدأ من حين بعثته، ولكن تبدأ منذ خلق الله الخلق، ونبأ آدم وأعطاه نبوته، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كيف؟

مقام الشاهد

نظر في أول وظيفة: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا ﴾ :

هل يجوز أن يشهد ولم ير شيئاً؟ لا، وإلا سيكون شاهد زور، ولكن الشاهد لا بد أن يشاهد حقيقة ما يشهد به.

سيشهد علينا، وعلى الأنبياء والمرسلين وأممهم، وعلى كل من جاء بعده من أمته إلى يوم الدين ونحن قد خصنا الله بالشهادة في آية لنا:

﴿ لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِدًا ﴾ (البقرة ١٤٣)

فنحن سنشهد على الأمم السابقة، والذي يشهد علينا سيدنا رسول الله ﷺ، وعلى أي شيء يشهد؟

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٥ التوبة) وكلمة

(فسيرى) أي في المستقبل، فهو سيري أعمالكم كلها، ولذلك قال حبيبي وقره عيني ﷺ:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تَحَدَّثُونَ وَيَحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ نَعْرَضُ عَلَيَّ
أَعْمَالِكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَعْفَرْتُ
اللَّهَ لَكُمْ } ٢٨١

لأن الله كلفه، وهو لا ذنب له، لأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لكن من الذي له ذنوب؟ نحن، فقال له الله: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (١٩ محمد) كلنا داخلين في هذه الآية، لأننا من المؤمنين، فكلنا سيستغفر لنا رسول الله ﷺ.

ولذلك علمنا الله الأدب مع حضرته فأخبر أن من يُخطئ ومن يُذنب ومن يُقصر ويريد أن يغفر له الله ذنوبه وتقصيره ويتوب عليه يذهب لحضرة النبي ليستغفر له، فينال مغفرة الله على اليقين: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (٦٤ النساء)

هل هذه للمعاصرين له فقط أم للأمة كلها!؟

لو كانت للمعاصرين في زمانه لرفعت من القرآن، لكنها إلى قيام الساعة: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ أين يذهبوا؟ ﴿ جَاءُوكَ ﴾ ماذا يفعلون؟ ﴿ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ﴾ وهذا يكفي، لكن لا بد من تركية من رسول الله:

﴿ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾.

سيدنا رسول الله ﷺ أعلن أنه ذاهب لاستئصال يهود بني قريظة في المدينة بعدما خانوا العهد، وكانوا متحالفين معه، ولكنهم وقفوا مع الكافرين والمشركين المحاربين لحضرته، فطلب اليهود من النبي أن يرسل لهم رجلاً يتفاوضون معه ...

فسألوهم من تريدون؟ قالوا: نريد أبو لبابة، لأنه كان صديقهم في الجاهلية قبل الإسلام. فذهب سيدنا أبو لبابة إليهم، وكان راكباً ركوبة، فبعض منهم تسرع وسأله: ما الخبر؟ ماذا سيفعل بنا النبي؟ فبدون أن يتكلم أبو لبابة أشار بأصبعه ومر به على رقبته

- يعني أشار بذبحهم - فأحس فوراً أنه خان الله ورسوله، لأن هذا سرٌّ من الأسرار النبوية ولا ينبغي أن يكشفه لغيره، ماذا يفعل؟ رجع إلى مسجد رسول الله وربط نفسه في عامود من أعمدة المسجد وقال: لن يُجلُّ هذا الرباط حتى يغفر الله لي، يعني سأظل هكذا مقيداً أستغفر الله وأستشعر الندم والحجل من حضرة الله إلى أن يغفر لي الله.

فاستبطأ حضرة النبي أبا لُبابة، لأنه كان في مهمة ولم يرجع، فسأل عنه، فقالوا له: فعل كذا، ماذا قال رسول الله ﷺ؟ قال:

{ أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ جَاءَنِي لَأَسْتَغْفَرْتُ لَهُ، أَمَا إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ، فَمَا أَنَا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ، حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ }^{٢٨٢}

يعني لماذا لم يأتيني فأستغفر له، فيغفر الله ﷻ له؟!.

والذي لا يستطيع أن يذهب إلى حضرة النبي يفعل كما فعل آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، عندما ألهمه الله بكلمات رواها عن حضرة النبي سيدنا عمر بن الخطاب ؓ وقال:

{ يَا رَبِّ، أَسَأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَيَّ اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لِأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ادْعُنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ }^{٢٨٣}

وفي بعض الأثر: ((ما نظرتُ إلى شيء في الجنة إلا ووجدتُ اسمه بجوار اسمك)) كل ورقة عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وكل ثمرة عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وصدور الحور العين مكتوب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) والقصور والأنهار والأشجار كلها عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

٢٨٢ جامع البيان للطبري

٢٨٣ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن عمر بن الخطاب ؓ

لماذا أقول هذا الكلام؟ لأن الذي لا يستطيع أن يذهب إلى رسول الله يسأل الله بحق رسول الله فيغفر الله له، ويستجيب دعاءه مولاه، ويحقق له في الدنيا والآخرة كل مناه، لأنه لجأ إلى الله، وتوسّل إليه بحبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ.

شاهد على أمته

سيدنا رسول الله شاهد علينا، ولذلك دائماً المؤمن اليقظ القلب لو سوّلت له النفس الذنب يقول لها: إن رسول الله سيطلع على هذا العمل، فكيف يكون شأنى يوم القيامة وقد رأى عملي واطلع عليه؟! ولا أستطيع أن أطلب منه أن يترافع عني، ولا أحد يستطيع أن يترافع في أي قضية إلا المصطفى خير البرية، أو من يوكله من أمة الختام، وهي الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة لنفر من بني آدم.

فيسأل الله تعالى بحقه ويقول لنفسه دائماً: يا نفس ارجعي عن غيِّك لأن النبي يرى هذا العمل، والله ﷻ يطلع على هذا العمل فضلاً عن الكرام الكاتبين وعامة المؤمنين، فيستحي من الوقوع في الذنب لأنه يعلم ذلك علم اليقين.

فهو شاهدٌ على أمته، وشاهدٌ على الأمم السابقة أجمع: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ (٤١ النساء) وهو نبي الأمة: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١ النساء) فيكون شهيداً على جميع الأنبياء وأممهم فضلاً عن أمته، فهو شهيد على الكل من البدء إلى الختام.

شهوده وجه الله

وهو ﷺ وحده الذي خصّه مولاه دون أنبيائه ورسله، وكشف له الحجب وأشهده جماله، فلم ينل منزلة قاب قوسين أو أدنى إلا هو، ليرى ويُخبر عما رأى عن يقين صلوات ربي وتسليماته عليه، فقال الله تعالى له كما أورد القسطلاني في المواهب اللدنية:

{ يا محمد قد أعطيتك نوراً تنظر به جمالي، وسمعاً تسمع به كلامي، يا محمد إني أعرفك بلسان الحال معني عروجك إليّ، يا محمد أرسلتك إلى الناس شاهداً ومبشراً ونذيراً، والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به فأريك جنّتي لتشاهد

ما أعددت فيها لأوليائي، وأريك ناري لتشاهد ما أعددت فيها لأعدائي، ثم أشهدك جلالتي، وأكشف لك عن جمالي، لتعلم أني منزه في كمالتي عن الشبيه والنظير والوزير والمشير، فرأه ﷺ بالنور الذي قواه من غير إدراك ولا إحاطة، إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً، لا في شيء، ولا من شيء، ولا قائماً بشيء، ولا علي شيء، ولا مفتقراً إلى شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير {

فشاهد جمال الله، وشاهد ما أعد الله للمؤمنين في جنة الله، وشاهد ما جهز الله للكافرين والجاحدين من عذاب الله، ولذلك كان يحكي شيئاً من هذه الأمور لأصحابه، فيقول:

{ يَا بِلَالُ حَدَّثَنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةٍ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ { ٢٨٤، وفي رواية أخرى: { سَمِعْتُ فِي الْجَنَّةِ حَشْحَشَةً أَمَامِي، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: بِلَالٌ، فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: بِمَا سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْدَثْتُ إِلَّا تَوَضُّأْتُ، وَلَا تَوَضُّأْتُ إِلَّا رَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ أُصَلِّيَهُمَا، قَالَ: بِهَا { ٢٨٥

وقال مرة أخرى لسيدنا عمر ؓ:

{ وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟، فَقَالَ لِعَمْرٍ: فَارَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظَرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَعَارُ { ٢٨٦

رأى منازل أصحابه، وذات مرة جاء التجار بمناديل حريز رقيقة لينة من عُمان وكانت مملوكة في هذا الوقت فأروها لحضرة النبي وهم مندهشين من رقة ونعومة هذه المناديل، فقال ﷺ:

٢٨٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

٢٨٥ مصنف ابن أبي شيبة والطبراني عن بريدة بن الحصيب ؓ

٢٨٦ البخاري ومسلم عن أحمد بن جابر ؓ

{ **أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ قُلْنَا، نَعَمْ، قَالَ: مَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا** }^{٢٨٧}

فرأى الجنة، ورأى النار، ورأى بما قواه الله به الله جمال الله، وكمال الله، على قدره لا على قدر ذات الله ﷻ، وهذا مقام شاهد، شاهد هذه الأشياء العالوية.

شهوده خصائص الأشياء

أشهده الله ﷻ خصائص الأشياء كلها، فلا يرى نبات إلا ويعرف خصائصه، ولا يرى طائر إلا ويعلمه الله نعوته وأوصافه وخصائصه، ويعلم أصحابه،... حتى قال سيدنا أبو ذرٍّ رضي الله عنه:

{ **لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا** }^{٢٨٨}

لا يطير طائر في السماء إلا وذكر عنه علماً... من الذي علمه؟
{ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** } (١١٣ النساء).

مقام التبشير والانذار

{ **وَمُبَشِّرًا** } :

ومبشراً للمؤمنين بما وعدهم الله به في كتابه المبين من العلو في الأرض والتمكين إذا صلحوا، ومن الرفعة في المقامات العلية الجنانية إذا واطبوا على ذلك حتى يُختتم لهم بالإيمان، ويرتقوا إلى مرافقة النبي العدنان رضي الله عنهم.

{ **وَنَذِيرًا** } :

مُحَذِّرًا للكافرين والمشركين والمبغضين من عذاب الجحيم،... !!!
لأنه رسول الله ﷺ إلى الناس كافة.

٢٨٧ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

٢٨٨ مسند أحمد ومعجم الشيوخ عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه

مقام الدعوة إلى الله

فإذا كان مبشراً ونذيراً، فما سر قوله:

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾؟

التبشير والإنذار دعوة إلى الهداية، وإلى الإيمان، وإلى الإستكثار من العمل الصالح، وإلى النزود للآخرة، لكن هناك أناس عندهم رغبات أعلى وأرقى ويريدون أن يصلوا إلى بعض ما وصل إليه، ويتملئوا بالنظر إلى وجه الله، لأن الله وعدهم وقال في كتاب الله: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (القيامة).

ولذلك في القرآن الحكيم مرة يقول له الله:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ (النحل ١٢٥) ...

ومرة يقول له:

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ ﴾ فهل هذا كهذا؟! لا ..!

الدعوة هنا إلى الله مباشرة، لكن السبيل يعني الطريق الموصل إلى مرضاة الله، والجنة والنعيم والمتاع الهني والعيش الرضي وغيرها من ألوان النعيم وأصناف التكريم التي يحظى بها الإنسان عند مقابلة الكريم في جنة النعيم ...

نسأل الله أن نكون أهلاً لذلك أجمعين.

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾:

هذه تجعلك تعرف وتعلم علم اليقين أن كل لفظ نطق به سيد الأولين والآخرين، إياك أن تشك فيه، وإياك أن تعترض عليه، وإياك أن يكون في صدرك حرج منه، لأنه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥١﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم) ...

من الذي علمه؟

ليس جبريل، ولكن:

﴿ عَالِمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ (النجم) الذي علمه هو الله ﷻ.

فيدعو إلى الله بإذن من الله ﷻ، لا يتحرك من نفسه، وليس له هوى مستكن

يتحكم في عاداته حتى وطبعه، وإنما كما قال الله:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام).

مقام السراج المنير

﴿ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ جعله الله ﷻ لمن اهتدى من أمته إلى إجابة دعوته والسير على طريقته سراجاً منيراً، يظهر بأنواره وأسراره في قلوبهم، فيشهدون منه ﷺ عجائب العلم الإلهي، وأسرار القرآن الكتاب الرباني، وأشياء لا يستطيع الإنسان عدّها ولا احصاءها، كلها خصوصية هؤلاء الأقبام من رسول الله ﷺ.

مقام التبشير للمؤمنين

ثم أمره الله تعالى أن يُبشّرنا ويُبشّر المؤمنين من زمانه إلى يوم الدين:
﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ :

ونحن منهم، فكل من مشى على المنهج القويم، وتخلق بأخلاق النبي، ومشى على الصراط المستقيم، لا بد لحضرة النبي ﷺ أن يأتيه ويُبشّره بفضل الله وإكرام الله وتوفيق الله وعناية الله ورعاية الله، إما أن يأتيه مناماً في هذه الحياة، أو يقظة إذا اكتمل حاله وأصبح من الرجال الكُمَّل عند الله، وإما عند ساعة خروج النفس الأخير من الدنيا لا بد أن يأتيه سيدنا رسول الله ﷺ ويُنَبِّئُه بالقول الثابت، ويُفَرِّحُه بفضل الله وإكرامه حتى يخرج من الدنيا فرحاً مستبشراً، لأن النبي ﷺ بشره.

والإنسان المؤمن النقي يظل يجاهد ويجاهد حتى ينال هذه البشريات:

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (٦٤ يونس) :

ولذلك حضرة النبي علمنا وعرفنا أن لا يخلط أحدٌ بين رؤية حضرة النبي وبين الأحلام، فالأحلام من الشيطان، لكن لا يوجد شيطان يستطيع أن يأتيك في المنام ويتشبه بالحبيب المصطفى، قال ﷺ:

{ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ، فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي }^{٢٨٩}

لا يوجد شيطان يستطيع أن يتمثل برسول الله ﷺ.

والإنسان المؤمن يجد ويكد ولا يغفل لحظة عن الجهاد حتى يفوز بهذا المراد ..

وإذا فاز بهذا المراد أيضاً لا يتوقف !!

لأن سيدنا أبو بكر بُشِّرَ ببشريات كثيرة في القرآن وعلى لسان النبي العدنان:
{ ثَانِيًا أَتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } (٤٠ النوبة)
كم مرة ذكر سيدنا أبو بكر في هذه الآية مع رسول الله؟ خمس مرات، وبشره ببشريات
لا يسعها الأوقات، لكنه كان يقول: (والله لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في
الجنة)^{٢٩٠} لماذا؟ لأنه كلما ارتقى الإنسان في تقوى الله، كلما زاد خوفه من مولاه ..

قال ﷺ:

{ قَوْلَ اللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُم بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشِيَّةً }^{٢٩١}

أنا أقربكم من الله، وأشدكم له خشية ..!!

فمن يتظاهر بالقرب وليس معه نصيب من الخشية فهذا مدعي، لأن علامة
القرب خشية الله في السر والعلانية، وفي الظاهر والباطن، وفي الغيب والشهادة، وأمام
الخلق وفي الخلوة حيث لا يطلع عليه إلا حضرة الحق.

لكن الذي يتظاهر بالخشية أمام الخلق، وإذا اختلى يكون كأنه شيطان مرید أو
سبع مفترس، فهذا لا يزال دنس، ويحتاج إلى طهارة النفس، ويحتاج إلى صفاء الروح،
ويحتاج إلى جهاد كلي ليرتقي إلى هذه المقامات العالية.

إذاً لا بد للإنسان أن يصل إلى مقام الخشية ليُبشره النبي العدنان ﷺ.

{ وَبُشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ هُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا } :

وهذا أسلوب الله الذي اختاره لرسوله، والذي اختاره لنا في دعوة الله لمن يتعرض

٢٨٩ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

٢٩٠ تمام المنة بأحكام البدعة والسنة للشيخ علي بن أحمد عبد العال الطهطاوي

٢٩١ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

لدعوة الخلق إلى الله، ماذا يفعل؟ يُبشرهم، فيذكر لهم البشريات التي ذكرها الله في القرآن ووضحها لهم، ويعد لهم البشريات التي ذكرها لنا النبي العدنان ويُفسرها لهم.

لكن يأتي لأهل البشريات ويسوق لهم الإنذارات !!!، ويأتي لهم بألوان العذاب في جهنم !!!، وأصناف السعير وسقر وغيرها!! ما للناس وما لهذا الكلام!؟

نحن اسمنا في القرآن أصحاب الجنة:

﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ (الحشر) ..

هذه لها أصحاب، وهذه لها أصحاب، أصحاب النار كل من مات كافراً أو مشركاً ولم يؤمن بالله تبارك وتعالى ولو نفساً.

وأصحاب الجنة هم المؤمنون المسلمون الصادقون المتابعون لسيدنا رسول الله ﷺ.

- الأولين (الصف الأول) نخوفهم من جهنم ليرجعوا ويؤمنوا ..

- لكن الآخرين نعرفهم الجنة، فنصفها لهم، ونصف لهم ألوان النعيم وأصناف التكريم التي تحدث لهم من الكريم، ليُقبلوا على الله تعالى وهم فرحين، ولا أجعل أحد منهم يصل إلى اليأس أو القنوط ...

ولذلك العالم الذي يُيأس أحد من رحمة الله، أو يُقنطه من إكرام الله ومن فضل الله، فهذا في نظر الله جاهلٌ وليس بعالم.

من العالم؟

الذي يفتح للناس أبواب البشريات التي بشرنا بها الله، وبشرنا بها رسول الله ﷺ.

نسأل الله ﷻ أن ينفعنا بما علمنا، وأن يُعلمنا ما ينفعنا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يرزقنا في هذه الدنيا الاستقامة، وعند لقائه وفي الآخرة أعلى درجات الكرامة، ويرزقنا جوار حضرة النبي وشفاعته، ويكتب لنا نصيباً عظيماً لنُسقى من يده الشريفة من كوثره شربةً هنيئةً مريئةً لا نظماً بعدها أبداً، ونسأل الله ﷻ أن يتولانا بولايته، وأن يتوجنا دائماً بتاج عنايته، حتى نخرج من الدنيا ونحن مبهجين فرحين برحمته، ندخل شاكرين له على إكرامنا بجنته، وعلى مرافقة خير بريته

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل العاشر: وظائف النبي ﷺ في كتاب الله

ثانياً: الوظائف الخاصة لأُمَّته ٢٩٢

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٥١ البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله على كنز الهدى، ومصباح الدُّجى، شمس
التحقيق، ونور أهل الطريق، سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وكل من اهتدى بهديهم إلى يوم
الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

سيدنا رسول الله ﷺ كما ذكرنا خصَّه الله بخصائص عامة لجميع الأمة، وأمة سيدنا
مُحَمَّد ﷺ؛ أمة الإجابة، وأمة الدعوة:

أمة الإجابة لأننا نحن الذين اتبعناه وصدقناه وآمنا به، وأمة الدعوة من آدم إلى
يوم القيامة، فهؤلاء كلهم أُمَّته، وأنبياء الله ورُسُله نوابٌ عن حضرته يُبلغون رسالات الله
إلى أُمَّهم بالنبابة عن سيد الأولين والآخِرين ﷺ:

الرُّسُل من قبل الحبيب مُحَمَّد نوابه وهو الحبيب الهادي
موسى وعيسى والخليل وغيرهم يرجون منه نظرةً بؤدادٍ
رغبوا يكونوا أُمَّةً لمُحَمَّدٍ وبفضله فازوا بكل مرادٍ
ومحکم القرآن عاهدهم له أن يؤمنوا بسراجة الوقادِ

والقرآن أثبت ذلك:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَهُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ (٢٨١ آل عمران)

والنبوة قبل التكليف بالرسالة للخلق ...

حالة تربية إلهية للأنبياء لتأهيلهم لحمل الرسالة الربانية:

يتلقَّى فيها من الله، ويعيش بكله مع مولاه، حتى يؤهله لتلقي الوحي الذي يُبلِّغه
لمن حوله من عباد الله، أما الرسالة فبعد التكليف، يُكلفه الله بإبلاغ الرسالة.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ (آل عمران: ٨١)

وهم في عالم الدر.

﴿ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ (آل عمران: ٨١)

فهو رسول المرسلين وني النبيين، وينبغي عليهم أن يعملوا بقول الله:

﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ﴾ (آل عمران: ٨١)

كل الرسل تؤمن بسيد الأولين والآخرين لأنه إمامهم في الدنيا، ومُنقذهم وخطيبهم وشفيعهم يوم الدين.

﴿ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾

وكيف ينصرونه؟

يلبغون قومهم بصفاته ونعوته، ويأمروهم باتباعه عند ظهور دعوته صلوات ربي وتسليماته عليه.

فيكون بنص القرآن أخذ الله عليهم العهد.

وكان لهم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام مطلب عند الله؛ أن يجددوا هذا العهد عند ظهور بشريته وتكليفه ببعثته... ولذلك أحياهم الله بالبشرية، لأنهم في حياة نورانية روحانية على الدوام، فأحياهم الله بالبشرية، وجمعهم له في بيت المقدس حتى يجددوا العهد على إمامهم سيدنا رسول الله ﷺ.

صَفُّوا وِرَاءَكَ إِذْ أَنْتَ الْإِمَامُ لَهُمْ قَدْ بَايَعُوكَ عَلَى صَدَقِ الْمَتَابَعَةِ
أَبُوهُمْ أَنْتَ يَا سِرَّ الْوَجُودِ وَلَا فخر وسرهم قبل المعاينة
صَلَّيْتَ مَتَوَجَّهًا لِلَّهِ مَعْتَصِمًا بِاللَّهِ حَتَّى بَدَأَ نُورَ الْمَفَاضِلِ

تجمعوا كلهم،... ثم أخذ بيده سيدنا جبريل وقال له:

تقدم صلِّ بهم فأنت إمامهم !! فجددوا العهد في حالة البشرية في ليلة الإسراء في بيت المقدس، وكانوا مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ورسول، في سبعة صفوف صُفُّوا خلف رسول الله ليُصلي بهم إماماً.

والصلاة كانت في هذا الوقت على ملة إبراهيم، يعني الدعاء ..
وليست كهيئة صلاتنا، فهذه الصلاة خصوصية لنا فضلاً من الله تبارك وتعالى لنا.

مقام تلاوة الآيات

فخصنا الله ﷻ بهذه الأوصاف التي في سورة البقرة، ولذلك يقول لنا:
﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ :
ما وظيفته؟ ﴿ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾ .

الحقيقة قرأت كل كتب التفسير فقالوا:

﴿ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾ يعني آيات القرآن ...
لكنه ذكر بعدها: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ ﴾ :

الإمام أبو العزائم رحمه الله وهو إمام العارفين الذين يتلقون العلم الوهبي من لدن رب العالمين مباشرة قال إن الآيات المذكورة في كتاب الله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١٩٠ آل عم — ران) آيات لأولي الألباب:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٥٣ فصلت).
فتلاوة الآيات هنا :

التذكير بما في الآفاق، وبما في النفس من أشياء تدل على إبداع صنعة الله، وبلغ قدرة الله، حتى يترسخ الإيمان بالله في قلب العبد المؤمن، وهذا درس التوحيد الفريد الأول الذي كان عليه الأصفياء والأنقياء ولا يزالون إلى يوم الدين، والذي قال فيه سيدنا أبو ذرٍ كما ذكرنا:

{ لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا }^{٢٩٣}

وهذا علم الآيات الذي كان سيدنا رسول الله يعلمه لهم، الآيات الدالة على قدرة

الله، والآيات الدالة على كمال إبداع صنع الله، أين هي؟ هما في كتابين، كتاب مجمل، وكتاب مفصل.

الكتاب المجمل هو أنت، وتفصيلك الكون كله، فالكون كله إنسان كبير، والإنسان كونٌ صغير:

أترعم أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
دواؤك فيك وما تُبصر دواؤك منك ولا تشعر

عبادة التفكير

لو تدبرت بعين الفكر تجد كل شيء في الكون له رمزٌ عندك، فأنت كالريموت الذي فيه مفاتيح كل خزن فضل الله في الملك والملكوت، هي معك ولكنها تحتاج للعبادة الأولى التي كان سيدنا رسول الله يُعلّمها لصحبه المباركين وهي التفكير.

وهو ﷺ بنفسه أول ما توجه إلى الله في غار حراء، وصفه أصحابه ماذا كان يصنع؟ فقالوا كان يقف يتفكر، وهي عبادة الأنبياء والمرسلين، وكذلك عبادة أئمة الصالحين، يقول فيها ﷺ:

{ تَفَكَّرْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ }^{٢٩٤}

وفي رواية أخرى: { فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً }^{٢٩٥}

والساعة في حديث رسول الله يعني لحظة ..

ذهب بعض الخوارج لأم الدرداء يسألونها عن عبادة أبي الدرداء، والخوارج يشتهرون بالعبادات التقليدية ولا يساويهم فيها أحد، من قيام الليل والصيام وتلاوة القرآن، فقالت لهم: ليست عبادته كعبادتكم، ولكنه يجلس يتفكر، وورد أنهم سألوها:

{ ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء؟، فقالت: التفكير والإعتبار }^{٢٩٦}

٢٩٤ الفوائد المجموعة للشوكاني

٢٩٥ العظمة لأبي الشيخ عن أبي هريرة ؓ

٢٩٦ الدر المنثور والزهد لأبي داود والزهد لوكيع وغيرها عن عون بن عبد الله، وأخرج الديلمي عن أنس، وابن

سعد عن أبي الدرداء وأبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس قولهم { تفكر ساعة خيرٌ من قيام ليلة }.

٢٩٦

وهو جالس يتفكّر في صنْع الله في الإنسان، وفي الأكوان، تجد العجب العُجاب من قدرة الله ﷻ حتى يتبين له أنه الحق:

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٢١ الداريات).

لا بد أن تسلط الكاميرات التي معك على مملكتك لترى فيها إبداع صنْع الله، وقدرة الله تبارك وتعالى، وهذه بدايات العارفين، ومن لم يذُق البدايات فلن يصل للنهايات، فترى تجليات الله ﷻ على أعضائك وعلى الأكوان في كل وقت وحين:

أكنت سميعاً أو بصيراً وعالمًا ولكنني أحسنتُ بالمدرار

بماذا ترى؟ سيدنا الإمام علي يقول في هذا الشأن:

(يا ابن آدم تُبصر بشحمة، وتسمع بعظمة، وتنطق بلحمة، تُؤمك البقعة، وتنتك العرقة، وأنت مع ذلك تواجه القوي ﷻ بالمعصية!!)^{٢٩٧}

شحمة العين من أين أتاها البصر الذي فيها!!؟

يقولون حديثاً أن حدق العين (النخي) يمر منها الضوء ليسقط على حوالي اثنين ٢ مليون خلية أو كاميرا!! أين هذا!!؟ وأين حدودها!!؟ والصور التي تتحمض أين تتحمض!!؟ وكيف تستدعيها عندما تتذكر موقفاً من المواقف!!؟ وتقول: أنا رأيتك من قبل في المكان الفلاني!! أين العلم وذاك!!؟ العلم يعجز عن هذه القدرات الباهرة.

كيف تسمع عظمة الأذن هذه!!؟ وكيف تنطق هذه اللحمة!!؟

هذه الأشياء هي التي تُوقف الإنسان عند حدّه، فيعرف من هو: ﴿ فَالْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ (الطارق) انظر وتفكّر في أصلك، طين أم ماء مهين أم تراب؟ واختلاف الدرجات في الترقيات.

وهذه الأشياء هل ترى أو تتكلم أو تتحرك!!؟ لا !!

لكن فيك أوصاف الله، وهي التي أعطتك أسرار هذه الحياة ..

تجلّى السميع على سمعك فسمعت، وتجلّى البصير على بصرك فأبصرت، وتجلّى

٢٩٧ وقيل قالها ابن السماك إذ ورد في شعب الإيمان للبيهقي ثنا الأضمعي، قال: سَمِعْتُ ابْنَ السَّمَكَ، يَقُولُ لِرَجُلٍ " تَبَارَكَ مَنْ خَلَقَكَ، فَجَعَلَكَ تُبْصِرُ بِشُحْمٍ، وَتَسْمَعُ بِعَظْمٍ، وَتَتَكَلَّمُ بِلُحْمٍ " ولا تعارض، فربما حفظها ابن السماك من قول الإمام علي واستعملها.

المتكلم على لسانك فنطقت، وتجلّى الحى عليك فاحتيتت .. كل هذه تجليات أسماء الله وصفاته والتي استخلفك بها على الأرض وجعلك خليفة عن الله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة ٣٠) خليفة عن الله في أسماء الله وأوصاف الله التي تتجلى عليه ويمشي بها في الأكوان بإذن من يقول للشيء كن فيكون.

فتلاوة الآيات عبادة الأنبياء والمرسلين والصالحين.

أنّ الإنسان دائماً عليه أن ينظر إلى دلائل قدرة الله في الكون، فإذا جلس ينظر إلى عجائب قدرة الله في نفسه، ولذلك يقول الله:

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف ١٠٥)

ليست آيات القرآن، ولكنها آيات الأكوان، فأيات الأكوان:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

فلما جاء سيدنا أبو الدرداء حكى له زوجته ما حدث، من أمر هؤلاء، وكيف

أنهم استقلوا عبادته، فقال ﷺ:

{ يَا حَبْدًا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ، كَيْفَ يَعْيبُونَ سَهَرَ الْحَمَقَى وَصِيَامَهُمْ،

وَلَمَثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ بَرٍّ مِنْ صَاحِبٍ تَقْوَى وَيَقِينٍ أَفْضَلُ وَأَرْجَحُ وَأَعْظَمُ مِنْ

أَمْثَالِ الْجِبَالِ عِبَادَةً مِنَ الْمُغْتَرِبِينَ }^{٢٩٨}

الله يريد القلوب، فهو ينظر إلى قلوبكم، لا إلى أموالكم وأجسامكم، لأنه هو الذي خلق الأجسام وأعطى الأموال، فلماذا ينظر إليها؟! ولذلك يقول الإمام أبو العزائم لأهل هذا المقام: (أحب ما فيك منه، فهو المحبوب له لا أنت) ماذا يفعل بك؟ هل يحتاج لتسيحك؟! لا ...

الملائكة تملأ السماوات والأرض بالتسيح، وكل شيء يُسبح له:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (٤٤ الإسراء).

فيظل الإنسان يتدرج في دائرة الفكر، حتى ينتج له حقيقة الذكر، فتصفوا آذان

القلوب، وينتقل الإنسان من إنسان محبوب ومعيوب، إلى إنسان حاضر مع حضرة

٢٩٨ رواه ابن أبي اليقين في الدنيا، وأبو نعيم في الحلية، وأحمد في الزهد وكلهم عن أبي الدرداء ﷺ.

علام الغيوب، فنتستمع آذان القلب إلى تسبيح الكائنات، وحتى نطق الجمادات وهي تُسبح الله ﷻ بألفاظ صريحة فصيحة، هذه التسبيحات تكون خمرة التي تُسكره عن الدنيا وما فيها من زينة وبهجة وغيرها:

نغمات تسبيح الكيان مدامي يصغى لها قلبي يزيد هيامي

والكيان هو الجسم ..

فوجد كيانك كله يُسبح، ولكنك لا تسمع شيئاً، العين تُسبح، والأذن تسبح، والشعر يُسبح، وكل جزء في هيكلك يُسبح الله ﷻ وأنت لا تدري، فعندما تسمع تجد لذة لم يجدها الأولون ولا الآخرون:

نغمات تسبيح الكيان مدامي يصغى لها قلبي يزيد هيامي

قلبي لدى التسبيح يصغى واجداً وجد المؤله من فصيح كلامي

يسبحون بألفاظ فصيحة، وأنتم تعرفون أن سيدنا رسول الله ﷺ كان يُعطيهم الأمثلة، يقول سيدنا أبو ذر ؓ:

{ إِنِّي لَشَاهِدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَلَقَةٍ وَفِي يَدِهِ حَصِيَّاتٌ فَسَبَّحَنَ فِي يَدِهِ، وَفِينَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُمْ مَنْ فِي الْحَلَقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَبَّحَنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلَقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَسَبَّحَنَ فِي يَدِهِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلَقَةِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَى عُثْمَانَ فَسَبَّحَنَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبَّحَنَّ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا }^{٢٩٩}

بيان أن هؤلاء أهل مقام عالٍ.

سيدي أبو الحسن الشاذلي ؒ وأرضاه يقول:

كنتُ في الصحراء ذات مرة، فرأيتُ كل شيء حولي نوراً، وسمعتُه يذكر الله ﷻ، فأخذني حصر البول فاحترت كيف أتبول؟! هل أتبول على نور؟! فقلتُ يا رب أحجب

٢٩٩ دلائل النبوة لأبي نعيم ومعجم الطبراني عن أبي ذر ؓ

عني هذا المقام، فنوديتُ: لو سألتنا بكل أنبيائنا ورُسُلنا ما حجبناك، ولكن سلنا أن نقويك، فسألتُه أن يقويني، فصرتُ أشهدُ بالعينين، وأرى المشهدين، عين الرأس ترى المظاهر، وعين القلب ترى نور الله في هذا المظهر ظاهر.

عين الرأس ترى الآيات ..

وعين القلب ترى ما فيها من أنوار بيّنات ...

وهذا ما يسمونه أبا العينين.

سيدي أحمد الرفاعي ﷺ :

كان يتيماً، وكان يتربَّى على يد خاله سيدي منصور الباز البطائحي ﷺ، والشيخ منصور كتب وصية بأن من يخلفه في القيام بأمر الطريق ابن أخته أحمد، فغضبت زوجته وقالت: كيف تترك أبنائك وتُعطيها لابن أختك؟!.

ولم تقف عند هذا الحد، بل أخذت تُحرك كبار الأحياء وتقول لهم: كيف يترك الشيخ أولاده ويُعطيها لابن أخته، فكلموه، ولما أكثروا عليه من الكلام قال: اتنوني بالإثنين، فأحضروا الإثنين وقال لهما: أريد من كل واحد منكما أن يأتيني بجمل من الحشائش الخضراء، وهو نبات تأكله الحيوانات.

فأسرع ابنه وأخذ معه منجل وحصد حشيشاً كثيراً من الصحراء، وحمل الحمار فوق طاقتَه وجاءه وقال له هاهو الحشيش.

أما ابن أخته أحمد فتأخر حتى انتصف النهار، فقال الشيخ: اذهبوا وانظروا لماذا تأخر أحمد؟! فجاءوا به وليس معه شيء، فسأله الشيخ: لماذا تأخرت يا بني؟

قال: يا سيدي كلما أردتُ أن أقطع نبتةً سمعتها تذكر الله، فأستحي من الله أن أقطعها وهي تذكره!! وصل إلى هذا المقام وهو مقام السماع: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤) لكن هناك من يفقه وهو من هؤلاء القوم، كيف يقطعها وهو يسمعا تذكر الله ﷻ!!!.

إذاً تلاوة الآيات لأهل البدايات الذين قدّر الله لهم العناية، يدخل في هذا المقام على يد الحبيب المصطفى، أو من ينوب عنه من الورثة الكرام، ولذلك قال الله:

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا ﴾ والرسول قد يكون النبي أو يكون من ينوب عن
حضرة النبي، ومعه رسالة مكلف بها ...
وهو ﴿ مِنْكُمْ ﴾ : يعني موجود في زمانكم وعصركم وأوانكم.

مقام تزكية النفس

﴿ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا ﴾ :

وبعد تلاوة الآيات يُدخلنا مدرسة تزكية النفوس وطهرتها.

﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ :

وبعد تزكية النفوس يُعلّمنا أحكام الكتاب وأسرار الكتاب التي أنزلها الكريم
الوهاب ليقوم بها الإنسان كما ينبغي.

لماذا أغلب الناس يقول: الغائبة لا تأتيني إلا في الصلاة، والمشغل كلها تأتيه وهو
في الصلاة، وهذا في السابقين واللاحقين؟؟؟

الإمام أبو حنيفة جاءه رجلٌ وقال له: كنتُ قد ادخرتُ مبلغاً من المال ونسيت
مكانه، فماذا أفعل؟ قال له: صلّ ركعتين بإخلاص لله ﷻ، فذهب الرجل وهم يرونه
فصلّى الركعة الأولى، ثم أسرع في الثانية، فقال الإمام أبو حنيفة: الآن عرف أين المال،
وبعد أن أنهى الصلاة قال الرجل: وجدته، فقال له الإمام: أبعده الركعة الأولى؟ قال:
نعم، قال: ما كان الشيطان ليتركك تتلذذ بمناجاة الله ﷻ!!

لماذا يحدث هذا؟

لأننا نصلي على غير المنهج الذي رسمه لنا الحق، فكيف نصلي يا رب؟

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (الأعلى):

و(قد) للتحقيق، من الذي أفلح في العبادات والأذكار والصلاة؟ الذي زكّى نفسه
أولاً على يد المرشد الدال على الله بالله، وبعد طهارة النفس يذهب اللبس، وستذهب
كل الأغيار وتمتلئ ساحة القلب بالأنوار، ومثل هذا عندما يقف بين يدي مولاه يكون
على بساط المناجاة في حال المواجهة مع مولاه:

أقيم صلاتي إن تجردتُ عن نفسي فأفنى به عني بمشهده القدسي
لديها يواجهني بوجهٍ مقدسٍ أكون أنا عرش التنزل والكرسي
عليّ يُصلي في صلاتي لأنني تشبّهت بالمختار في الجسم والنفس

وهذه صلاة الإتصال والوصول بعد تزكية النفس، فإذا زكت نفسه وطهرت
ستغمُرهُ الأنوار، وتفاض عليه الأسرار، ويؤايليه بذاته النبي المختار، ولا يكون له ليلٌ
ونهار، وإنما يعيش في نهار دائم مع الواحد القهار ﷻ: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ
وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ (١٢٢ الأناجيم).

فتزكية النفس يعني طهرتها، من الصفات الجبلية، والأخلاق الرديئة، والأوصاف
التي حذر الله منها في آياته القرآنية، ونوّه النبي ﷺ عنها لأهل القلوب التقيّة النقية.

مقام علوم القرآن

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ :

بعد ذلك يتعلم القرآن؛ أحكام القرآن من صلاة وصيام وزكاة وحج، وهذا ما
فعله حضرة النبي مع صحبه، متى فرضت الصلاة؟ في ليلة الإسراء والمعراج، وكان ذلك
قبل الهجرة بسنة، وقد مكث النبي ثلاث عشرة سنة في مكة، فكان في الإثني عشر سنة
كل شغله مع أصحابه في تلاوة الآيات وطهرة النفوس، وبعد ذلك نزلت الصلاة،
فكانوا يصلون صلاة لا يشعرون فيها إلا بوجه الله، ومناجاة الله تبارك وتعالى.

مقام الحكمة

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ :

بعد أن يتعلم الكتاب ويعمل خالصاً مخلصاً لهذا الجناب يهبه الله الحكمة:
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٢٦٩ البقرة)
فهذه هبة من الله، وتفضل من الله، وعطاء من الله ... لمن علم، ... وعمل بما
علم بعد طهرة النفس.

العلم الوهبي

بعد ذلك يرتقي إلى درجة:

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥ الكهف) ..

﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٥١ البقرة).

نسير خلف مَنْ لنصل إلى هذه الأمور؟

نسير خلف الرجل الذي فيه هذه الأوصاف، والذي معه هذه البضاعة، ..

وهو الذي معه توكيل من حضرة النبي، في صرف بضاعة النبي، لمن يُجهم النبي!!

- فيكون معه علم تلاوة الآيات.

- ومعه علم تركية النفوس.

- ومعه علم الكتاب والأحكام الشرعية كلها.

- ومعه الحكمة.

- ومعه العلم الوهبي ...

- والذي ليس معه هذه العلوم، فيجب عليه أن يدخل هذه المدرسة ليتعلم.

لأن هذا الوارث الكلي لرسول الله:

الذي بيده مفاتيح القلوب

ومؤيدٌ ظاهراً وباطناً من حضرة علام الغيوب ...

والنبي ﷺ كشف عنه الحُجب وأطلعه على الغيوب ...

وأشار إليه إلى أنه هو الذي يُوصل القلوب إلى حضرة علام الغيوب.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلّم

- ❖ مغفرة الله له وهو يمشي حيًا صحيحًا
- ❖ رفع الله ذكره في الدارين
- ❖ إكرامه برؤية القبل والبعد
- ❖ أكرم الخلق على الله
- ❖ مقام السيادة
- ❖ حوض الكوثر
- ❖ المقام المحمود
- ❖ تواضعه ﷺ
- ❖ أسلم قرينه من الجن
- ❖ زوجاته وبناته أفضل نساء العالمين
- ❖ أصحابه خير الأصحاب
- ❖ خصوصية مدينته ومسجده
- ❖ صلاة الله على نبيه

الفصل الحادى عشر

من خصائص النبي المروية في القرآن والحديث^{٣٠٠}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا وأكرم الوجود الروحاني كله بسيدنا محمد حبيب الله ومصطفاه، والصلاة والسلام على من خصه الله بالتحية والإكرام، وأنزل عليه خاصة دون سائر الأنبياء والرسل الكرام: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١٥٦ الأحزاب ...)

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد روح الوجود علواً وسفلاً، وسر الهداية الربانية لمن اختارهم الله تبارك وتعالى ليكونوا من هذه الأمة النورانية، سيدنا محمد وآله وصحبه والناهجين على هديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين ..

آمين آمين يا رب العالمين ما زلنا نسير في ذكر بعض الخصائص التي خصَّ الله ﷺ بها نبينا سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وهذه الخصائص إما مذكورة في كتاب الله بنصها، وإما ذكرها الحبيب ﷺ في حديثه بمعناها، ومن جملة هذه الخصائص المباركة قوله ﷺ:

{ فَضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ - وذكر منها - وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ }^{٣٠١}،

وفي رواية أخرى: { نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ }^{٣٠٢}

سلاح الرعب

أي أن الله نصره بسلاح لا يخطر على البال، وهو سلاح الرعب؛ يلقيه الله في قلوب أعدائه، وبينه وبينهم مسافة مسيرة شهر في عالم الحياة الدنيا.

والرسول ﷺ ختمه الله على ظهره مقابل قلبه من الناحية اليسرى بخاتم النبوة، وخاتم النبوة كان خاتماً من النور، وأنبت الله فيه شعرات مكتوب فيها هذه الكلمات: { تَوَجَّهَ حَيْثُ شِئْتَ فَإِنَّكَ مَنْصُورٌ }^{٣٠٣}.

٣٠٠ القاهرة - المقطم - مسجد مجمع الفائزين الخيري ١٧ من صفر ١٤٤٠ هـ / ٢٥ / ١٠ / ٢٠١٨ م

٣٠١ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ؓ

٣٠٢ البخاري ومسلم عن جابر ؓ

٣٠٣ البداية والنهاية وسير أعلام النبلاء

فخصه الله ﷻ بالنصر، والله ﷻ خصَّ بالنصر الأنبياء والمرسلين والمؤمنين:

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ (٥١ غافر).

لكنه خصه ﷻ أن الله يُلقي في قلوب أعدائه الرُعب:

فقد جهَّز ملك الروم جيشاً يتكون من مائتي ألف جندي، وتحرك بهم، وكان موطنه آنذاك في بلاد الشام، وزعم أنه يذهب بهذا الجيش ليقضي على نبينا ﷻ قضاءً مُبرماً فجاءت الأنباء من السماء ...

والرسول كما نعلم في كل أموره يقول: ﴿ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (٣ النحر) الله يُنبئه أولاً بأول، فنبأه بهذا الجيش وقوته، فجهَّز النبي ﷻ جيشاً من حوالي اثني عشر ألف مقاتل، فماذا يصنع اثنا عشر ألفاً وأسلحة لا تكافئ من قريب ولا من بعيد الأسلحة المدجج بها جيش الروم.

فتحرك النبي ﷻ من المدينة تجاه بلاد الشام، والسفر من المدينة إلى بلاد الشام كان يستغرق شهراً في هذه الأيام، لأنهم كانوا يسافرون على ظهور الإبل أو مشياً على الأقدام، لكن بمجرد أن تحرك الجيش من المدينة المنورة إذا بالرُعب ينزل في قلب ملك الروم هرقل وجنده فيرجع القهقري ويترك الميدان، لأن الرسول ﷻ تحرك هو وجنده.

فكان الله ﷻ ينصره بالرُعب، وهذا سلاحٌ من فضل الله سلَّح الله به في كل زمان ومكان أهل الإيمان الصادق:

﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ (٢٦ الأحزاب) ...

إذا صدقوا يتحقق النصر على الفور.

وقد عشنا هذا في موقعة ١٩٧٣ وفيها استخدم هذا السلاح:

لأن اليهود أُلقي في قلوبهم الرُعب، حتى أنهم اضطروا إلى ربط الطيارين بجنازير في كراسيهم وإغلاقها بمفتاح، وعدم تركه مع الطيارين حتى لا يهربون وينزلون بالبراشوت من الطائرات، وهذا من شدة الخوف الذي اجتاحتهم، وأشياء كثيرة كانت في هذه المعركة كل ذلك من سلاح الرُعب الإلهي الذي أيَّد الله به النبي، وأيَّد الله تبارك وتعالى به أتباع النبي الصادقين الذين دخلوا في قول رب العالمين:

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٢٣ الأحزاب).

الهيئة

وهذا السلاح يُعطيه الله كذلك لكل مؤمن تقيٍّ نقيٍّ:

وهو ما نُسّميه بالهيئة ..

فيكون له هيئة، وراثة عن حضرة النبي ﷺ، فقد كان ﷺ كما وصفه الإمام عليّ ﷺ وكرّم الله وجهه:

{ مَنْ رَأَهُ بِدَيْهَةٍ هَابَةٍ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ }^{٣٠٤}

أي إنسان كان يراه لا بد أن تحدث له هيئة، ... حتى أن امرأة ذهبت إليه، وفي رواية أخرى:

{ رَجُلٌ كَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَأَخَذَتْهُ الرَّعْدَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَأَنَّ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ }^{٣٠٥}

والقديد هو اللحم المجفف، لكن كان من يراه تحدث له رعدة أو هيئة من الهيئة التي كساها الله تبارك وتعالى له.

هذه الهيئة يتفضّل الله بها على الأتقياء الأنقياء فيكسوهم بها وهم في حياتهم الدنيا ميراثاً لسيد الرسل والأنبياء ﷺ.

جوامع الكلم

وكان من جملة خصائصه ﷺ قوله صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ }^{٣٠٦}

جمع الله له الكلام الكثير، والمعاني الكبيرة في ألفاظ قليلة لأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وكل أحاديثه صلوات ربي وتسليماته عليه من هذا الباب.

٣٠٤ جامع الترمذي عن علي بن أبي طالب ﷺ

٣٠٥ الحاكم في المستدرک وابن ماجة عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ

٣٠٦ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

حكمة عالية، وأحاديث سيدنا رسول الله ﷺ لا يستطيع أحد من الأولين ولا الآخرين حصرها ولا جمعها!!.

الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله جمع ألف ألف حديث عن رسول الله ﷺ، وكلهم عن فلان عن فلان عن فلان إلى رسول الله، ومع ذلك كان يقول: لم أجمع كل أحاديث رسول الله ﷺ.

لأن كل أحاديثه يقول فيها الله:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم)

وكان ﷺ ليئين قيمة هذه الأحاديث يقول:

{ أَعْطَيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَاخْتَصِرَ لِي الْحَدِيثُ اخْتِصَارًا } ٣٠٧

ولذلك الرجل الحكيم في كل زمان ومكان :

هو الذي يكون كلامه نذرًا، فلا يتكلم إلا قليلاً، لكن الذي يتكلم كثيراً لا بد أن يخطأ، لكن الرجل الحكيم الذي يفكر قبل أن ينطق:

فيهديه الله ﷻ إلى أحسن الخطاب، وإلى أفضل الجواب بكلمات معدودة ومحدودة يكون فيها الغناء عن الكلام الكثير.

المؤمنون الذين على هذا المنوال يقول فيهم الله:

﴿ وَهَدُوا إِلَىٰ الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (الحج ٢٤) يتخيرون الكلام الطيب فقط، سيدنا

عمر رضي الله عنه وأرضاه يصف أصحاب رسول الله ﷺ المباركين - وهو منهم - الذين مشوا على هذا الهدى، فيقول: (كنا ننتقي أطيب الكلام، كما تنتقون أطيب الطعام) يعني لا ينطق بالكلمة مباشرة.

فعندما يتكلم الإنسان يأتيه المعنى في عقله، والكلمات تدور في فكره، فيبحث في الكلمات حتى ينتقي أفضل الكلمات التي ينطق بها هذه العبارات، فلا ينطق بما يخطر على باله مباشرة، وإلا سيكون بينه وبين صدق الإيمان طريق طويل، لكن ينتقي أولاً، فينطق بالكلمة التي تُرضي الله، والتي تُرضي خلق الله، وهؤلاء الحكماء الذين قال فيهم الله في كتاب الله:

٣٠٧ سنن الدار قطني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

خصائص النبي الخاتم ﷺ فوزى مجد أبوزيد الكتاب ١١٤
﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (٢٦٩ البقرة).

فكان ﷺ لا يقول إلا الكلام الطيب، الجامع للمعاني التي لا تُعد ولا تُحَد ..
ويكفي أن نعلم جميعاً أن كلامه ﷺ هو المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم، فعندما
نريد زيادة إيضاح في كتاب الله، وزيادة بيان في كلام الله، فأين نذهب؟
نذهب للمذكرة التفسيرية، ولذلك قال ﷺ:

{ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ }^{٣٠٨}

وفي رواية: { أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ
مَعَهُ }^{٣٠٩}

ومثله يعني كلامه ﷺ، ولذلك ذهب كثير من العلماء الأجلاء في تفسير قول الله
عن وظيفة رسول الله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (١٦٤ آل عمران) فقالوا: الكتاب هو
القرآن، والحكمة هي السنّة النبوية، وهذا رأي أغلب العلماء، فكل كلامه حكمة
صلوات ربي وتسليماته عليه.

أُعْطِي مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ

ومن جملة خصائصه ﷺ التي عاد بها الله على أمته، ورأيناها في عصرنا واضحةً
وضوح الشمس، قوله ﷺ:

{ إِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ }^{٣١٠}

لو نظرت نظرةً عابرةً في عالم الكون الآن تجد أن معظم الخزائن ذات القيمة عندنا
في بلادنا، لماذا يجتمع العالم كله علينا؟ من أجل الخزائن التي عندنا، والتي ليست
عندهم، فمعظم خزائن الأرض في بلادنا.

حتى أن سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عندما رشّح
نفسه لملك مصر ليتولى وزارة الخزانة، ماذا قال؟

^{٣٠٨} سنن أبي داود ومسند أحمد عن المقدم بن معدي ﷺ

^{٣٠٩} مسند أحمد عن المقدم بن معدي ﷺ

^{٣١٠} البخاري ومسلم عن عقبة بن عامر ﷺ

الفصل الحادي عشر: خصائص النبي المروية في القرآن والحديث (٢٦٧)

لم يُقل خزائن مصر، ولكن خزائن الأرض، لأنها كلها عندنا، ولكننا غير متبهين لذلك، لأن الدنيا شغلنا ونبحث عن القشور، لكن الآخرين الذين معهم الإمكانيات المادية والتكنولوجية حجوا عنا هذه المعارف بالكلية حتى لا نصل إليها.

نحن لم نعرف أن عندنا بترول أو غاز إلا في هذه الأيام، لكنهم يعرفون ذلك منذ فترة طويلة، ولم نعرف أن عندنا ذهب إلا في هذه الأيام، فهناك حوالي خمس وثلاثون منجماً من الذهب أقلهم شأناً هو المنجم الوحيد الذي يُستخرج منه الذهب الآن، والباقي لم يُفتح بعد.

خزائن لا تُعدُّ ولا تُحَدُّ، وليس نحن فقط بل العالم الإسلامي كله، فنحن عندنا خزائن الأرض، وهذا سبب تهافتهم علينا لأنهم ليس عندهم شيء، فاليابان ليس عندهم سوى بعض الجزر، وليس فيها مقومات ولا أي شيء إلا القليل، وأوروبا نفس الشيء، وأمريكا فيها بعض الشيء، ولكنها ليست مثلنا لأن عندنا خزائن الأرض، فعندما يقول سيدنا رسول الله:

{ إِيَّيَّ قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ }^{٣١١}

فينبغي علينا أن ننق في فضل الله، وأن نظمئن إلى إكرام الله لنا، وجود الله علينا، ونحاول أن نفتح هذه الخزائن بالمفاتيح التي حضرها وكرّمها وذكرها لنا الفتح ﷺ.

الإيمان والتقوى مفتاحا الخزائن الإلهية

ما مفاتيح هذه الخزائن؟

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾

(١٩٦ الأعراف) ... الإيمان والتقوى مفتاح هذه الخزائن:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق).

هل نترك الأسباب؟ .. لا،

لكن الأسباب يأتي معها دعم الكريم الوهاب ...

وهو ما نسميه البركة، فنعيش في خير وبركة على الدوام.

فإذا ذهبنا للأسباب وتركنا التقوى وما يُوجب صدق الإيمان فسيعطينا الأرزاق بدون بركة، وهو ما يحدث الآن:

فلا الكثير يكفي ولا القليل يُوفي، لأن هذا وذاك لن يكفي ولن يُوفي إلا بعد أن تحل فيه البركة وهي الدعم؛ دعم العناية الإلهية الربانية التي تنزل في كل الأشياء، وتجعل الإنسان يعيش منعماً مكرماً في بركات الله التي تنزل عليه من السماء، وتخرج له من الأرض بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

وفي حياة النبي وأصحاب النبي آلاف النماذج والأمثلة على هذه الحياة الطيبة التي أكرمنا بها الله، وجعلها وقفاً علينا جماعة المؤمنين، وليس للكافرين ولا المشركين ولا غيرنا فيه نصيبٌ أبداً، ...!!!

وإنما هي خصوصية لنا بتقوى الله والعمل الصالح الموصل إلى رضاه.

الوحي وأنواعه

ومن إكرام الله ﷻ لنبيه ﷺ، ومما خصّه به مولاه، أن الله ﷻ كلّمه بكل أنواع الوحي الإلهي، التي كلّم بها أنبياء الله ورُسل الله، والوحي له شدة شديدة يقول فيها الله:

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل) ... شديداً.

سيدنا رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي وهو راكب ناقته تبرك ولا تستطيع الوقوف والحركة حتى ينفصم عنه الوحي من شدة ثقل الوحي على رسول الله ﷺ.

وكان ﷺ جالساً ذات يوم مترعباً، وركبته على قدم سيدنا أبي بن كعب ﷺ - وكان من كتاب الوحي - فنزل عليه الوحي، يقول سيدنا أبي عن هذه الواقعة:

{ كادت رجلي تنكسر من شدة ثقل رجل رسول الله ﷺ لولا أن الله تداركني فانفصم الوحي عنه! }^{٣١٢}

٣١٢ وروى مثلها في زيد بن ثابت قال زيد: { نزل الوحي على النبي ﷺ وفخذه على فخذي حتى كادت أن ترض فخذي } أحكام القرآن لابن عربي.

ولذلك كان الوحي يأتيه ﷺ في الليلة الشاتية القاسية البرودة، فينفص عنه وقد اشتد عرقه من شدة ثقل الوحي الذي يُنزله الله تبارك وتعالى عليه.

الرؤيا الصالحة

والوحي أنواع كثيرة ..

- النوع الأول: الرؤيا الصالحة، بأن يُكلّمه الله مناماً، تقول السيدة عائشة ؓ:

{ أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهٖ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ }^{٣١٣}

يعني كما ترى الأشياء في وضوح النهار، وهذا بداية الوحي، وسيدنا رسول الله ﷺ بين قيمة الرؤيا الصالحة بالنسبة للوحي ككل، فقال ؓ:

{ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ }^{٣١٤}

الرؤيا الصالحة التي يراها ﷺ، أو يراها الرجل الصالح أو ترى له، حتى لا يقف عندها أحدٌ ويجعلها الغاية والنهاية، لكنها هي البداية وما بعدها لا يُعد ولا يُحد من الكمالات الإلهية والعطاءات الربانية.

الوحي عن طريق الملك

- النوع الثاني: وحي عن طريق الملك الموكل به، فيقول ﷺ في أشباهه:

{ إِنَّ الرُّوحَ الأَمِيْنَ قَدْ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوْتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوِي رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ }^{٣١٥}

فهذا وحي عن طريق الملك الموكل بالإنسان، ونحن لكل واحد منا كذلك ملكٌ موكل به يُلهمك ويُسدّدك، فعندما تجد عندك نزعة إلى عمل الخير، وإلى عمل البر تعرف

٣١٣ صحيح البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

٣١٤ صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري ؓ

٣١٥ مسند الشافعي والبيهقي

أن هذا إلهام من الملك الذي سخره لك الله لئيسدك ويُلهمك بما يُجبه الله تبارك وتعالى ويرضاه، فكما ورد في الأثر: (لكل آدمي ملكٌ يُسدده وشيطانٌ يُوسوس له). هذا موجود وهذا موجود، وأنت تُرَجِّح هذا، أو تُعين هذا على ذلك، ولذلك تُؤجر على هذا الجهاد من الله تبارك وتعالى.

صلصلة الجرس

- النوع الثالث: الوحي كصلصلة الجرس ...

{ سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا، فَقَالَ: كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟
قَالَ: يَأْتِينِي أحيانًا لَهُ صَلْصَلَةٌ كَصَلْصَلَةِ الْجَرَسِ }^{٣١٦}

يسمعون صوتاً كصلصلة الجرس فيعرفون أن هذا وحي نازل على رسول الله ﷺ فيلتزمون بالهدوء والسكينة حتى ينفصم الوحي عن حضرته صلوات ربي وتسليماته عليه.

الروح الأمين

- النوع الرابع: وحي عن طريق ملك الوحي المكلف بالنزول على الأنبياء:

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (١٩٣-١٩٥ الشعراء)

وهذا الوحي كان قسمين: فأحياناً كان يأتيه سيدنا جبريل بصورته الحقيقية ويراها كهيئته، ولا يتحمل أحدٌ من البشر جميعاً أن يراه كهيئته، عن بن عباسٍ ﷺ قَالَ:

{ كُنْتُ مَعَ أَبِي عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ يُنَاجِيهِ، فَكَانَ كَالْمُعْرِضِ عَنِّي، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالَ لِي أَبِي: أَيُّ بَنِيٍّ، أَلَمْ تَرَ إِلَى ابْنِ عَمِّكَ كَالْمُعْرِضِ عَنِّي؟ فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، إِنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ رَجُلٌ يُنَاجِيهِ، قَالَ: فَرَجَعْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ: كَذَا وَكَذَا، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ كَانَ عِنْدَكَ رَجُلٌ يُنَاجِيكَ، فَهَلْ كَانَ عِنْدَكَ أَحَدٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَهَلْ رَأَيْتَهُ يَا عَبْدَ

٣١٦ مسند أحمد والطبراني عن عائشة رضي الله عنها

اللَّهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ ذَاكَ جِبْرِيلُ، وَهُوَ الَّذِي شَغَلَنِي عَنْكَ^{٣١٧}، وفي رواية: { ذَاكَ جِبْرِيلُ، أَمَا إِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَذْهَبَ بَصَرُهُ، وَيُؤْتَى عِلْمًا^{٣١٨} }

وفعلًا سيدنا عبد الله بن عباس قبل وفاته كُفَّ بصره، لأن رؤية ملك الوحي جبريل لا يستطيع أي إنسان أن يتحملها إلا إذا قوّاه مولاه وأعانه على ذلك بفضل الله وإكرام الله تبارك وتعالى.

وكما ورد في كتب التفسير أن مدائن قوم لوط كانوا سبعة مُدن، في كل مدينة خمسمائة ألف، رفعهم جبريل على ريشة من جناحه حتى وصل بهم إلى عنان السماء، حتى سمعت الملائكة صياح الديكة ونباح الكلاب، ثم قلبهم!!.

أين هم الآن؟ في البحر الميت الموجود في الأردن، ولذلك ليست فيه حياة، لأن فيه هؤلاء الأقوام الذين حملهم جبريل على ريشة من جناحه، فكم جناح له؟ سبعون ألف جناح، فإذا كانت ريشة من جناحه حملت هذه السبع مُدن فكم تكون قوته؟ هذا شيء لا يستطيع إنسان أن يُحسبه أو أن يدركه لأن هذا شيء فوق العقل، لأن الله هو الذي خلقه وتولاه وقواه.

الوحي الإلهي المباشر

فأحياناً كان يرى جبريل على هيئته، وأحياناً كان جبريل يريد أن يُوجه أصحاب النبي بلطف، فيأتي في صورة واحد منهم، وكان منهم رجل اسمه دحية الكلبي وكان شديد الجمال، فكان يأتي في صورته، كما جاء ذات مرة لحضرة النبي والصحابة موجودون معه، وجلس أمام حضرة النبي كجلسة التشهد في الصلاة ووضع يديه على رجليه.

وهنا كثير من العلماء يُخطئ ويقول: أن جبريل وضع يده على رجلي حضرة النبي، لكن جبريل كان في غاية الأدب، فجلس جلسة التشهد أمام حضرة النبي ووضع يديه على رجليه من شدة الأدب، وسأله - كما ورد - عن الإسلام والإيمان والإحسان، وبعد أن أنهى وانصرف قال النبي ﷺ لعمر:

٣١٧ مسند أحمد ودلائل النبوة للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

٣١٨ معجم الطبراني ودلائل النبوة للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

الفصل الحادى عشر: خصائص النبي المروية في القرآن والحديث

{ يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ،
أَنَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ }^{٣١٩}

فجاءهم في صورة دحية الكلبي الصحابي، حتى لا ينزعج من حضر من الصحابة، ولا يحدث لهم كرب أو شدة، لأنه لا يستطيع أحد منهم مهما أوتي من قوة قلب أن يتحمل رؤية الأمين جبريل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.
وأحياناً كان الوحي يأتي إلى رسول الله ﷺ في عالم اليقظة من الله ﷻ مباشرة، يقول ﷺ:

{ قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَتَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى اسْتَثْقَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَهَا ثَلَاثًا، قَالَ: فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيِي، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكُفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَالْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ، قَالَ: فِيمَ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قَالَ: سَلْ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَقَّفِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا، ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا }^{٣٢٠}

فهذه أنواع الوحي التي كان لها خصوصية عند سيدنا رسول الله ﷺ، ومعها أن الله أتاه علوم الأولين وعلوم الآخرين، وقال له بعد ذلك:

{ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } (النساء: ١١٣)

٣١٩ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ

٣٢٠ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن معاذ بن جبل ﷺ

مغفرة الله له وهو يمشي حياً صحيحاً

ومن ضمن الخصوصيات العظيمة لهذا النبي العظيم الرؤوف الرحيم أن الله غفر له وهو ما زال يمشي حياً صحيحاً في الدنيا، وهذا لم يحدث قط لنبي من الأنبياء السابقين. ولذلك ورد في الأثر أنه لما نزلت سورة الفتح والتي فيها: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (٢ الفتح) ^{٣٢١} نزل الأمين جبريل وقال: يا مُحَمَّد الملائكة يباركون لك أن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، يعني يباركون لك بهذه الخصوصية العظيمة، أن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، .. وهو لم يتقدم له ذنب، ولم يتأخر له ذنب، لكن اكراماً له، وتفضيلاً له، فإن الله ﷻ بعد أن تاب على النبيين السابقين تاب عليه، فعرفهم أنه ليس له ذنب ليتوب عليه، ومع ذلك قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال ﷻ:

{ إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ } ^{٣٢٢}

سيدنا أبو الحسن الشاذلي ﷻ قال: توقفت عند هذا الحديث الشريف، فكيف يُعان على قلب رسول الله؟! والغين يعني الشيء المغاير لحضرة الله ﷻ، والذي يجب المرء عن المشاهد العالية والأحوال الراقية، قال: فجاءني رسول الله ﷻ - لما وجده واقفاً عند الحديث ولم يفهم فحواه - فقال لي: (غين الأنوار لا غين الأغيار يا مبارك) ^{٣٢٣} .. وماذا يعني ذلك؟ يعني أن سيدنا رسول الله ﷻ يرتقى في مقامات القرب بين يدي مولاه على الدوام، فكلما ارتقى إلى مقام، يرى أن المقام الذي كان فيه كان حجاباً له عن المقام الذي ارتقى إليه، فيتوب إلى الله منه، لكن لا يتوب من الذنوب أو العيوب، لأنه ليس له ذنوب ولا عيوب، ولا شيء يخالف الله ﷻ في نفس ولا أقل، وإنما دائماً في رُقِّي وعلوِّ إلى الله ﷻ في كل أنفاسه.

والله ﷻ لا غاية لمتنها، وكذلك لا غاية لمقامات القرب من حضرة الله، فليس لها

٣٢١ عبد بن حميد، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: إن الله فضل مجداً على أهل السماء وعلى الأنبياء، قيل: ما فضله على أهل السماء؟ قال: إن الله قال لأهل السماء: {وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ} (الأنبياء: ٢٩) وقال لمحمد: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} (الفتح: ٢) فكتب له براءة من النار؛ قيل: فما فضله على الأنبياء؟ قال: إن الله يقول: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ} (إبراهيم: ٤) وقال لمحمد: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ} (سبأ: ٢٨) فأرسله إلى الإنس والجن. تفسير الشوكاني.

٣٢٢ صحيح مسلم وأبي داود عن الأغر المزني ﷻ

٣٢٣ مرقاة المفاتيح للملا القاري وفيض القدير للمناوي وحاشية الصاوي وغيرها باختلاف ألفاظ ومعنى واحد

نهاية أبدأ، فكلما زاد الإنسان في القرب من الله، رأى نفسه أنه جاهلٌ بحضرة الله ﷻ، فيستغفر مما كان فيه من المقامات والترقيات، ويتوب إلى الله ﷻ من هذه الحالات.

رفع الله ذكره في الدارين

ومن خصائصه ﷻ أن الله رفع ذكره في الدارين في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فلا تُقبل شهادة أن (لا إله إلا الله) إلا إذا ذكر معها (محمدٌ رسول الله) فهل تُقبل شهادة (لا إله إلا الله) فقط؟ لا، لا بد أن يُقرن معها (محمدٌ رسول الله) وهذا سر قول الله في كتاب الله: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (٤:الشرح).

أي لا أذكر إلا وتذكر معي، فلا يُذكر اسم الله إلا ويُذكر معه حبيب الله ومصطفاه، وحتى في عوالم القبل، أي قبل خلق الأرض، فقد ورد أن آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام لما وقع في الخطيئة وأهبط إلى الأرض قال:

{ يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَيَّ اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لِأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ادْعُنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ }^{٣٢٤}

وفي بعض الأثر: (ما نظرتُ إلى أي شيء في الجنة إلا ووجدتُ اسمه بجوار اسمك، فعلمتُ أنه أعزُّ الخلق عندك).

أما في الدار الآخرة فإن الله ﷻ إذا بعث الخلق للحساب، وتعرض أهل الموقف لألوان العذاب، وبخثوا عنمن يُنقذهم من هذا العذاب ويبدأ الحساب، قال ﷻ:

{ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَا جَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ

مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيَّكُمْ بِعِيسَى، فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ
عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيَّكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا }^{٣٢٥}

لماذا لم يذهبوا لرسول الله من البداية؟ ليظهر الله مكانته، وبين الله عظيم درجته،
لأنهم لو ذهبوا له من البداية لقالوا: لو ذهبنا لأي نبي من الأنبياء لقمنا بنفس المهمة،
لكنهم ذهبوا للأنبياء السابقين أجمعين وأظهروا العكس، ليظهر الله أن صاحب هذا
المقام هو الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، قال ﷺ:

{ أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَقِدُوا، وَأَنَا مَبَشِّرُهُمْ
إِذَا أَيْسُوا، لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ }^{٣٢٦}
، وقال: { أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءِ الْحَمْدِ وَلَا
فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي }^{٣٢٧}

فهو صاحب المقام المحمود، وصاحب الشفاعة العظمى لكل الخلق أجمعين يوم
الدين، لنعرف أن هذا النبي الكريم أعلاهم مقاماً، وأسماهم درجة، وأرفعهم منزلة عند
رب العالمين ﷺ، فهو وحده الذي حُصَّ بهذا التكريم من الكريم، وهم جميعاً دونه، بل
تحت لوائه له خاضعين، وهو ﷺ وحده صاحب هذه المنزلة عند رب العالمين.

إكرامه برؤية القبل والبعد

ومن إكرام الله ﷺ لهذا النبي الكريم، أن الله أكرمه فكشف له كل شيء سيحدث
لأُمَّته إلى يوم القيامة، بل وكشف له كل شيء حدث قبله إلى آدم، فرأى كل شيء
يحدث في هذه الأمة، فقد ورد عن عمرو بن عمرو بن أخطب ﷺ قال:

{ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ
الظُّهْرُ، فَتَزَلَّ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ،
فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا

٣٢٥ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

٣٢٦ جامع الترمذي والدارمي عن أنس ﷺ

٣٢٧ جامع الترمذي ومسنده أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

وفي رواية أخرى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:

{ قَامَ فِيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ } ٣٢٩، ثُمَّ قَالَ حَذِيفَةُ: { وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَائِدٍ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقُضِيَ الدُّنْيَا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلَاثَ مِائَةٍ فَصَاعِدًا إِلَّا قَدْ سَمَاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ } ٣٣٠

فذكر النبي ﷺ كل ما سيحدث لأُمَّته إلى يوم القيامة، ومن جملة ما ذكر:

{ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُنَاءٌ كَغُنَاءِ السَّيْلِ وَلَيُرْعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةِ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ } ٣٣١

وهذا ما نراه في عصرنا، بوصف نبينا صلوات ربي وتسليماته عليه.

خصائص هذا النبي ينبغي أن تعلمها أمة النبي لتُعْظِمَ وتُكْرِمَ النبي لأن الله ﷻ أمرنا بتعظيمه، وأمرنا بتكريمه، وأمرنا بتبجيله، وقال لنا:

{ لَتَتَّوَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ } (٩الفتح)

وتعزروه يعني تنصروه وتساعدوه.

فينبغي أن نُبَجِّلَهُ وأن نكريمه كما أمرنا الحق ﷻ ... نسأل الله ﷻ بأن يُفْقِهنا في ديننا، وأن يُلْهِمنا رُشْدنا، وأن يُعَلِّمنا ما لم نكن نعلم، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه

٣٢٨ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عمرو بن أخطب رضي الله عنه

٣٢٩ صحيح مسلم وسنن أبي داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

٣٣٠ الشفا بأحوال المصطفى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

٣٣١ سنن أبي داود ومسند أحمد عن ثوبان رضي الله عنه

أكرم الخلق على الله ٣٣٢

ومن جملة الخصوصيات التي خصَّ بها الله ﷺ رسولنا الكريم؛ سيدنا محمد ﷺ أنه أكرم الخلق جميعاً عند الله تعالى، أكرم من الملائكة، والجن، والإنس، وكل عوالم الله ﷻ العالية والدانية، فقد قال الله تعالى في حديثه القدسي:

{ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْهُ } ٣٣٣

فهو أكرم الخلق عند الله تبارك وتعالى، ولذا جعل الله تبارك وتعالى له من الإكرام ما لم يتوفَّر لغيره، لا من الملائكة المقربين، ولا حتى لأولي العزم من النبيين والمرسلين، فإن الله ﷻ بيَّن قدره ومنزلته العظيمة في كتابه الكريم، وسمع معي بأذنٍ واعية إلى خطاب الله عن أولي العزم من الأنبياء والمرسلين، فالأنبياء كافة مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، قال سيدنا أبو ذرٍّ يا رسول الله: كم عدد النبيون؟ فقال ﷺ:

{ مِائَةٌ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ } ٣٣٤

﴿ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ (٧٨ غافر) فليس كلهم موجودون في القرآن، ولكن الخاصة منهم المذكورين في القرآن وعددهم خمسة وعشرون نبي، فهم الذين ذكرهم الله بأسمائهم ونعوتهم في القرآن.

وخاصة الخاصة منهم اسمهم أولو العزم، وهم أصحاب العزيمة القوية، والذين يقول فيهم الله لحضرة النبي ﷺ:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (١٣٥ الأحقاف) ...

يعني أنا أريد أن يكون صبرك قدر صبر أولي العزم جميعاً من الرسل!!

وأولي العزم قال الله في شأنهم:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ ﴾ (١٧ الأحزاب)، الذين أخذ الله عليهم الميثاق المخصوص، وليس الميثاق العام، وبعد ذلك أتى به ﷺ أولاً: ﴿ وَمِنْكَ ﴾ حتى نعرف

٣٣٢ القاهرة - المقطم - مسجد مجمع الفائزين الخيري ٢٠ من ربيع الآخر ١٤٤٠ هـ ٢٧/١٢/٢٠١٨ م

٣٣٣ حلية الأولياء لأبي نعيم، والسنة لابن أبي عاصم عن أنس ؓ

٣٣٤ الحاكم في المستدرک والطبري

الأفضلية ﴿وَأَدْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ﴾ ... وبعد ذلك ذكرهم حسب الترتيب الزمني لنشأتهم في الأكوان: ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (الأحزاب) ذكرهم على حسب الترتيب الزمني، فسيدنا نوح أولاً، وبعده سيدنا إبراهيم، وبعده سيدنا موسى، وبعده سيدنا عيسى، والعجب في قول الله فيهم: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب) فكان من المفترض أن يقول: (وأخذنا منكم) لكنه ﷺ خارج هذا الميثاق، فالميثاق الغليظ على هؤلاء الأنبياء فقط: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب).

فَمَنْ أَكْرَمَ أُولَى الْعِزْمِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ؟

سيدنا محمد ﷺ.

مقام السيادة

وأعطاه الله ﷻ، وتفضل عليه الله بمقام السيادة فقال ﷺ:

{ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرٌ }^{٣٣٥}

هو سيد ولد آدم كلهم، ونبئنا إلى أنه قال ذلك بأمر من ربه، لا فخراً بنفسه ولا اعترافاً بشخصيته، فقال: (ولا فخر) يعني أنا لا أقول هذا الكلام لأتباهى به، أو أفخر به، ولكنه يفتخر بما مدحه به مولاه، وبما أتى عليه ربه في كتاب الله، فهو يفتخر ويتباهى بالعبودية لله تبارك وتعالى، فمع أن الله أعطاه مقام السيادة والزعامة والرئاسة على كل الأنبياء والمرسلين، إلا أنه كان لا يخطر هذا المقام على قلبه، ولا على نفسه وإنما يتباهى بالعبودية التي وصفه بها ربه في ثلاثة مواضع من كتاب الله.

الموضع الأول في أول سورة الإسراء:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء).

والموضع الثاني في أول سورة الكهف:

٣٣٥ سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ

والموضع الثالث في أول سورة الفرقان:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعٰلَمِيْنَ نَذِيْرًا ﴾ (١ الفرقان).

وانتبه لقول الله: (لِلْعٰلَمِيْنَ) من الأولين والآخرين، وكل الخلائق في الدنيا إلى يوم الدين، فعندما يقول: (أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ) يعني لا فخر لي بالسيادة، وإنما الفخر بالعبودية؛ بأنه عبد لله ﷻ، وهو سيد العبيد في الدنيا، ويوم لقاء الحميد المجيد ﷻ.

هذه السيادة ستظهر على حقيقتها يوم يجمع الله الناس ليوم لا ريب فيه، فقد قال ﷻ في الأوليات التي خصه الله تبارك وتعالى بها:

{ أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيْبُهُمْ إِذَا وَقَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيَسُّوا، لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وُلْدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ }
 ، وفي رواية أخرى: { أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءِ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي }^{٣٣٦}
 كلهم تحت لواء سيد الرسل والأنبياء ﷻ ..

وزاد الأمر بياناً واتضحاً صلوات ربي وتسليماته عليه حينما حكى لأمته ما يحدث من الهرج والمرج يوم القيامة؛ حينما تدنو الشمس من الرؤوس وتكون على قدر ميل، فنحن بيننا وبينها الآن حوالي ثلاثة وتسعين مليون ميل، وهذا يعادل ١٥٠ مليون كيلومتر، ولو اقتربت منا ميلاً واحداً لاحترق كل من على سطح البسيطة!، ولو بُعدت عنا ميلاً واحداً لتجمد كل من على ظهر الأرض!.

ولكن شاءت إرادة الله أنهما كما ترون، تخرج في وقت معلوم، وتتحول إلى جهة أخرى في وقت معلوم، لا يتأخر يومٌ لا تظهر فيه، ولا تتحول عن ميعادها الذي حدده لها الله، حتى ولو بشوان معدودة، أو دقائق معدودة: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٣٨ يس).

٣٣٦ جامع الترمذي والدارمي عن أنس ﷺ

٣٣٧ جامع الترمذي ومسنده أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

لكن يوم القيامة سيكون بيننا وبينها ميلٌ واحدٌ، فكيف تكون الحرارة؟! وستكون الأرض من فضة، لأن التراب ربما يمتص الحرارة، ومعها الماء، ومعها الهواء، لكن هناك لا تراب ولا هواء والأرض من فضة.

فيشتد الأمر بالقوم الذين يكونون في أرض القيامة، حتى قال ﷺ:

{ تَدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرْقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرْقُ إِلْجَامًا، وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ }^{٣٣٨}

من الناس من يصل عرقه إلى فخذيه، ومنهم من يصل عرقه إلى حقويه، ومنهم من يصل عرقه إلى صرته، ومنهم من يصل عرقه إلى صدره، ومنهم من يتغطى بعرقه، ويلهث الناس من شدة العطش، حتى أن من الناس من يتلوّى لسانه وينزل حتى يدوسه بقدمه من شدة اللهث ومن شدة العطش.

حوض الكوثر

من الذي ينجو من هذا اللهث؟ نسأل الله أن نكون منهم أجمعين ..

الذين يقول الله فيهم: ﴿ وَسَقَلْتُمْ رَهْمَ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١١ الإنسان): الذين يسقيهم الله من حوض الكوثر، وحوض الكوثر خصوصية لحضرة النبي، يقول فيه ﷺ:

{ حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَأْوُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْرَانُهُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا }^{٣٣٩}

يعني طوله مسيرة شهر، وعرضه مسيرة شهر، وزواياه سواء، ومأوه أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وأبرد من الثلج، عليه كيزان بعدد نجوم السماء.. من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، فلا يُصيبه عطش بعد ذلك طوال الموقف العظيم.

٣٣٨ صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود ﷺ

٣٣٩ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

الفصل الحادى عشر: خصائص النبي المروية في القرآن والحديث (٢٨١)

والعجب أن هناك أناس يشربوا منه في الدنيا وليس في الآخرة فقط، فالسيدة أم أيمن مُرضعة الرسول ﷺ، وكانت تخدم السيدة آمنة بنت وهب، وكانت هي التي تحضن رسول الله وتحمّله وترت عليه، ولذلك حتى كانت معها وهي ذاهبة لتزور قبر أبوه عبد الله في المدينة المنورة، ولما ماتت السيدة آمنة في طريق العودة إلى مكة هي التي رجعت برسول الله، والتي قال حضرة النبي فيها:

{ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَرَوَّجَ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلْيَتَرَوَّجْ أُمَّ أَيْمَنَ }^{٣٤٠}

مع أنها كانت سمراء، لكن قلبها أبيض من الحليب، فليس المهم هذا اللون، ولكن المهم لون القلوب، فاللون قد يكون في الدنيا كنور الشمس، لكن يأتي يوم القيامة كما قال الله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ﴾ (٦٠ الزمر) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌُ﴾ (١٠٦ آل عمران) بحسب النوايا والأعمال الصالحة عند ذي الجلال والإكرام تبارك وتعالى.

السيدة أم أيمن نوت الهجرة إلى النبي ﷺ بعد هجرته المباركة إلى المدينة المنورة، فخرجت وحدها - انظر لعزائم النساء أكبر من عزائم الرجال في عصرنا - تخرج للصحراء وحدها فارةً بدينها لحضرة النبي ﷺ!!، لم يهملها ظلمة الليل، ولا وحشة الطريق، ولا إنفرادها في الصحراء الجرداء، ولا حارس، ولا أنيس.

وجدت قافلة من اليهود؛ رجل يهودي ومعه زوجته وأولاده، فمشت معهم، ولما أن عرف هذا الرجل أنها مسلمة، أعطى لأهله تعليمات وحدّثهم أن يُعطوها طعاماً أو شراباً!! فاليهود قلوبهم كلها حقّ وغلظة وشدة، ولا تجد في القلوب رحمة ولا مودة ولا محبة إلا إذا امتلأت بالإيمان بالله تبارك وتعالى، لكن أي قلبٍ فارغٌ من الإيمان لن يكون فيه إنسانية ولا شفقة ولا حنان، فأمرهم أن لا يواكلوها ولا يُسقوها، وزاد في الأمر فجاء على الأسقية التي معهم وعلمها حتى لا يأخذ منها أحدٌ مياه بدون علمه ويُسقيها.

تحكي بنفسها وتقول: اشتدّ بي الأمر حتى كاد سمعي يذهب من شدة العطش، واشتدّ الأمر حتى كاد بصري يذهب من شدة العطش، فلمن تلجأ؟ لمن يقول للشيء كن فيكون، قالت: فإذا بدلوا بتدلي من السماء بحبل حتى وقف أمامي، فشربتُ، ثم هممت أن أستزيد فنزع الدلو إلى أعلى!!

٣٤٠ سير أعلام النبلاء عن سفيان بن عتبة

يعني حتى من يسقيها يراعي الحكم الطبية التي وضحتها خير البرية ﷺ، ما سبب إصابة كثير من الناس بمرض الكبد؟ أن يكون عطشاناً في يوم شديد الحرارة، ويشرب ماءً شديداً البرودة مرة واحدة، والكبد مطبخ الجسم، فيأخذ ما نأكله ويجهزه لكل عضو من الأعضاء، فهذا الطعام للعين، وهذا الطعام للأذن، وهذا الطعام للمخ، وهذا الطعام لليد، وهذا الطعام للرجل، وكل عضو من الأعضاء له غذاءً خاصاً به!! ولذلك كله حرارة، فعندما يشرب الإنسان مرة واحدة ينزل الماء البارد على الكبد، فيصاب الكبد بأضرار بالغة، ولذلك نصحنا نبينا ﷺ فقال:

{ إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَمِصَّ مَصًّا، وَلَا يَعْْبُ عَبًّا فَإِنَّ الْكِبَادَ مِنَ الْعَبِّ }^{٣٤١}

أي لا تشرب الماء مرة واحدة، لأن السبب الأساسي لمرض الكبد أن يشرب الإنسان الماء البارد بشراهة مرة واحدة، والبعض يأكل الثلج ولا يدري أنه يحرق مطبخه الذي هو الكبد.

فرب العزة ﷺ عندما أنزل إلى السيدة أم أيمن ؓ الإغاثة الربانية راعى فيها القواعد الصحية الإلهية، فبمجرد أن شربت قليل من الماء رفع الدلو، ثم نزل مرة ثانية بعد قليل، فشربت قليلاً ثم ارتفع مرة ثانية، تقول: وفي المرة الثالثة شربت حتى ارتويت، ورششت منه على جسيمي وعلى رأسي وعلى كلي، فمشت بالنظام النبوي الصحي الإلهي الذي أنزله الله على حبيبه ومصطفاه ﷺ.

اليهودي نظر فوجد ملابسها عليها أثر الماء، ووجهها ورأسها عليهما ماء، فأسرع للذين معه، وسألهم: من الذي سقاها؟ قالوا: لا أحد، وعابن الأسقية فوجدها كما هي، فسألها: من أين شربت؟ فحككت له ما حدث لها، فأمن ومن معه أجمعين للمعجزة التي رأوها، والكرامة التي خصَّ بها الله مرضعة النبي أم أيمن ؓ، الشاهد أنها قالت: ما وجدت عطشاً بعدها أبداً، فكنت أتحرى اليوم الشديد الحر وأصوم، لعلي أجد طعم العطش فلا أجد ذلك، وكنت أتحرى أن أطوف بالبيت في وقت الظهيرة في شدة الحرارة، لعلي أجد ألم العطش فلا أجد ذلك، وبهذا تكون قد دخلت في الحديث الذي يقول:

{ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا }^{٣٤٢}

شربت من حوض الكوثر: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (١ الكوثر) ومن يشرب من حوض الكوثر - نسأل الله أن نكون منهم أجمعين - لن يشعر بعطش ولا ظمأ ولا جوع طوال يوم القيامة، والذين يشربون من حوض الكوثر يكون كل واحد منهم على قدره، فمنهم من يسقيه الملائكة المقربون أو يسقيه الصحابة والصالحون ومنهم من يسقيه نبي من الأنبياء أو المرسلون، ومنهم من يشرب من يد سيد النبيين ﷺ، ولذلك الصالحون دائماً يدعون الله ويقولون: (واسقنا بيده الشريفة - أو بيمناه - شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً) فهنيئاً لمن يشرب من يد حضرة النبي ﷺ في هذا اليوم العظيم.

المقام المحمود

في هذا اليوم العظيم سيظهر الله ﷻ فضل هذا النبي الكريم على كل الأنبياء والمرسلين، فالناس في أرض الموقف يمر عليهم يوم القيامة كمقدار خمسين ألف سنة: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٤ المعارج) لكن أمة النبي ﷺ كما حكى في حديثه الشريف، فقد قيل لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

{ يَوْمًا كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ!، مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا }^{٣٤٣}

فضلاً من الله، واکراماً لأمة حبيبه ومصطفاه ﷺ، أما الآخرون فيكونون في شدة الحرارة، وفي شدة الظمأ، وفي شدة اللهث، وفي شدة الجوع، ويريدون الخروج من هذا المكان، كما قال ﷺ:

{ إِنَّ الْكَافِرَ لَيُلْجِمُهُ الْعَرَقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: أَرِحْنِي، وَلَوْ إِلَى النَّارِ }^{٣٤٤}
يقولون: يا رب خَلِّصْنَا مِنْ مَوْقِفِنَا هَذَا وَلَوْ إِلَى جَهَنَّمَ، مِمَّا هُمْ فِيهِ،
فأين يذهبون؟ قال ﷺ:

{ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَآجِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ،

^{٣٤٣} مسند أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري ﷺ

^{٣٤٤} صحيح ابن حبان ومسند أبي يعلى عن عبد الله بن مسعود ﷺ

فَيَقُولُونَ: أَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى، فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا} ٣٤٥

يذهبون إلى آدم، فيقول: أنا خرجت من الجنة بذنوب، فكيف أشفع لكم عند ربي تبارك وتعالى؟! وهو خرج من الجنة بذنوب واحد، فكيف ندخلها بكل هذه الذنوب الكثيرة؟! ... فيذهبون لسيدنا نوح فيقول لهم: أنا دعوت على أهل الأرض كلهم، فلا أستطيع أن أشفع عند ربي تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (نوح ٢٦) وأنى بالأسباب: ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح ٢٧) ليس هناك أمل فيهم، حتى لمن في ظهورهم، فكل من سيأتي منهم سيكون كافراً ابن كافر، فيذهبون إلى سيدنا إبراهيم، فيقول: أنا كذبت ثلاث كذبات، وسيدنا رسول الله قال:

{ لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ ﷻ، قَوْلُهُ {إِنِّي سَقِيمٌ} وَقَوْلُهُ: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا} وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةٌ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلْ إِلَيْهِ فَسَأَلْهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ: يَا سَارَةُ: لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ} ٣٤٦

هذه الثلاث كذبات في الله، وهي ليست كذبات ولكن نسميها في اللغة وفي العلم (معاريض) يعني يقول الإنسان كلاماً يقصد به شيئاً، والسامع يصل إليه معنى آخر غير الذي يقصده، ... وهذه المعاريض قال لنا فيها حضرة النبي:

{ إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكُذِبِ } ٣٤٧

٣٤٥ البخاري ومسلم عن أنس ؓ

٣٤٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

٣٤٧ سنن البيهقي والشهاب عن عمران بن الحصين ؓ

مخرج للمؤمن يلجأ إليه، فقد كان أحد الصالحين يُحب الانفراد بربه، والخلوة بخالقه، فعندما يأتيه أحد يشغله عن الله كانت زوجته تمد أصبعها خارج المنزل، وتقول لهم: إنه ليس هنا، وهي تقصد أنه غير موجود بالخارج، وهم يفهمون أنه غير موجود بالداخل، وهي كانت امرأة صالحة وذكية فلجأت للمعاريض حتى لا تكذب، لأنه لا يوجد نبي ولا صالح يكذب أبداً، لا لغواً ولا سهواً ولا لعباً، لأن المؤمن صادق في كل أحواله.

فسيدنا إبراهيم لما خرج في يوم عيد قومه قالوا له: تعال معنا، فقال ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٨٩ الصافات) وسقيم يعني أنه مريض منهم ومن أصنامهم ومن عبادتهم لها، وليس مريضاً بمعنى المرض الجسماني، وأمسك بالفأس؛ وكسّر الأصنام، وترك الكبير وعلقت في رقبتك الفأس، فلما رأو ذلك قالوا: ﴿ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِمَا هَيَّبْنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (٦٣) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴿ (الأنبياء) وأشار إلى أصبعه جهة الصنم، يعني الذي فعل أصبعه، وهم يظنون أنه يقصد الصنم وهو يقصد أصبعه، وهي واحدة من ضمن المعاريض التي وقع فيها سيدنا إبراهيم، وعندما دخل مصر، والمملك كان قد أوقف جنوده على الحدود، وإذا دخل رجلٌ ومعه زوجته وكانت جميلة يأتيه بها، وإذا كان معه أخته يتركوها، فقال سيدنا إبراهيم للسيدة سارة: أنت أختي في الإسلام، وهي أخته لأن المؤمنين أخوة، فسألوه: من معك؟ فقال: أختي، فتركوهما، وهو يقصد أنها أخته في الدين، وهم فهموا أنها أخته من أمه وأبيه، فكانت هذه المعاريض لسيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

ثم يتركوه ويذهبوا لسيدنا موسى، فيقول لهم: أنا لا أقدر فقد قتلت نفساً زكيةً بغير حق، فالرجل الذي كان من بني إسرائيل وتشاجر مع الرجل المصري، واستغاث بموسى، وسيدنا موسى كان شديداً، فدفع الرجل، ولم يضره، فمات الرجل: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (١٥ القصص) ووكزه يعني دفعه فقط، لكنه مات، ولم يكن يقصد قتله! .. فيذهبوا لسيدنا عيسى فيقول لهم: ﴿أَتُخَذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (١١٦ المائدة) ولا يحق لي أن أسأل في الشفاعة، فاذهبوا لحمد، فيذهبون لسيدنا رسول الله ﷺ فيقول: أنا لها أنا لها أنا لها: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٦٧ الإسراء) وهذا المقام الذي سيحمده عليه الناس كلهم في الموقف، ويثنون عليه به، لأنه هو الذي سيُنقذ الناس، وهذه اسمها الشفاعة العامة في الخلائق أجمعين، أما الشفاعات الأخرى فلها حديث آخر إن شاء الله تبارك وتعالى.

تواضعه ﷺ

ومع أنه أكرم الأولين وأكرم الآخرين، إلا أنه ﷺ من أدبه الجمُّ كان يقول لصحبه المباركين:

{ لَا يَتَّبِعِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى }^{٣٤٨}

يعني لا تفضلوني على يونس بن متى، وفي رواية:

{ لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ }^{٣٤٩}

يعني لا يتكلم أحد في تاريخ الأنبياء ويقول: هذا أحسن، وهذا أفضل، مع أن الله فضَّل بعض النبيين على بعض، ولكن من الذي فضَّل؟ الله، لكننا لا نتجاوز حدودنا، فلا نفضل نبياً على نبي، ولا رسولاً على رسول.

وكان سيدي عبد الوهاب الشعراوي ﷺ وأرضاه يقول: (كما لا نفرق بين أحدٍ من رسله، كذلك لا نفاضل بين أحدٍ من أوليائه) فلا نقول الولي فلان أفضل من الولي فلان، ولا أقول: شيخك أفضل من شيخي، ولا شيخي أفضل من شيخك، لأن: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد: ٢٩).

لا شأن لي بذلك، فهذا أمر خاص بحضرة الألوهية، ولا يجوز لي ولا لغيري - أدباً مع الله تبارك وتعالى - أن أتدخل في هذه الخصوصيات النبوية، أو خصوصيات الصالحين التي خصَّهم بها رب العزة ﷻ. فكان ﷺ يُعلِّم أصحابه المباركين كيفية التواضع الجمِّ، الذي حمده عليه مولاه ﷺ..

{ فَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

ذَاكَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ }^{٣٥٠}

انظر إلى الأدب الرباني!، يريد أن يصرفهم عن نفسه، لأن إبراهيم أبو الأنبياء، وكان ﷺ عندما يدخل عليهم يقول:

^{٣٤٨} البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

^{٣٤٩} البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

^{٣٥٠} صحيح مسلم والترمذي عن أنس ﷺ

{ لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ، يُعَظَّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا }^{٣٥١}

بعض الناس أخذ الحديث على ظاهره، فقال: لا يصح القيام لرسول الله أبداً، مع أن أصحابه لم يقولوا ذلك، فقد قال لهم: لا تقوموا لي، وكانوا يقومون، وعندما سئل أحدهم عن ذلك؟ فقال ﷺ:

قيامي للحبيب عليّ فرضٌ وترك الفرض ما هو مستقيم
عجبتُ لمن له عقلٌ وفهمٌ يرى هذا الجمال ولا يقوم

والحديث واضح:

- يعني لا تقوموا لي كما تقوم الأعاجم ملوكها:
 - والأعاجم يعني الفرس غير العرب، كانوا يقومون ملوكهم خوفاً ورهبة،
فنهاهم أن يقوموا له خوفاً ورهبة.
 - ولكن لو أردتم القيام محبة فلا مانع.
 - أو تقوموا إعزازاً وتكريماً فلا مانع، ورغبة وطلباً للقرب من الحبيب ﷺ.
 - ولكن لا تقوموا خوفاً ولا رهبة لأنه ﷺ الرحمة العظمى لجميع العالم.
- إذاً رسول الله ﷺ مع تكريم الله له ورفع شأنه عنده إلا أنه ﷺ كان غاية في التواضع مع خلق الله.

تقابلته امرأة في الطريق، قيل: وكان بعقلها شيء، يعني عندها خلل، فقالت:

{ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ لَهَا: اجْلِسِي فِي أَيِّ نَوَاجِي السِّكِّ شِئْتِ، حَتَّى أَجْلِسَ
إِلَيْكَ، قَالَ: فَجَلَسْتُ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا }^{٣٥٢}.

وهذا من التواضع والأدب الجمُّ لرسول الله ﷺ، وكان ﷺ له هيبة:

{ مَنْ رَأَهُ بِدِيَهَةً هَابَهُ }^{٣٥٣}

٣٥١ سنن أبي داود ومسند أحمد عن أبي إمامة ﷺ

٣٥٢ سنن أبي داود ومسند أحمد

٣٥٣ جامع الترمذي عن علي بن أبي طالب ﷺ

ولكنه كان يُخفف هذه الهيبة عن أصحابه ..

فدخل عليه ذات مرة أحدهم ومن شدة الهيبة ارتعد وارتعش وسقط على الأرض
هيبةً من رسول الله، فقال له:

{ هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ فُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ }^{٣٥٤}

والقديد يعني اللحم المجفف، وكان يأكله الفقراء، ولم يذكره بالنبوة ولا بالرسالة،
ولكن ذكره بأنه رجلٌ فقيرٌ ليذهب عنه هذه الهيبة التي كساه بها العلي الكبير ﷺ.

أسلم قرينه من الجن

من إكرام الله ﷺ لرسوله ﷺ أن الله ﷻ جعل قرينه من الجن يُسلم، قال ﷺ:

{ فَضَّلْتُ عَلَى آدَمَ بِخَصْلَتَيْنِ: كَانَ شَيْطَانِي كَافِرًا فَأَعَانَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ حَتَّى
أَسْلَمَ، وَكُنَّ أَرْوَاجِي عَوْنًا لِي، وَكَانَ شَيْطَانُ آدَمَ كَافِرًا، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ عَوْنًا لَهُ
عَلَى خَطِيئَتِهِ }^{٣٥٥}.

وقال ﷺ:

{ مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا لَهُ شَيْطَانٌ، فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: وَأَنَا، وَلَكِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ فَأَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ }^{٣٥٦}

وكلمة (أسلم) قال فيها السادة العلماء الأجلاء، تحتمل معنيين:

- أسلم يعني سلّمني الله من شروره، ومن وسوسته، ومن هواجسه فلا يوسوس
لي قط !!

- أو أسلم بمعناها الظاهري، يعني أسلم الوجه لله ﷻ.

فهذا معنى وهذا معنى، وكلا المعنيين يصحان في حضرة النبي ﷺ.

٣٥٤ الحاكم في المستدرک وابن ماجة عن أبي مسعود الأنصاري

٣٥٥ رواه البيهقي والخطيب في التاريخ عن ابن عمر رضي الله عنهما

٣٥٦ صحيح مسلم وأبي داود عن عائشة رضي الله عنها

زوجاته وبناته أفضل نساء العالمين

وكانت زوجاته ونسأؤه وبناته أفضل العالمين قبلاً وبعداً، دنيا وآخرة، فأما زوجاته
ﷺ فقد كشف الله ﷻ عن فضلهن في القرآن الكريم:

﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلَ صَالِحًا نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ
وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٦٦﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيَّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ
اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا
مَعْرُوفًا ﴿٦٧﴾ ﴾ (الأحزاب)

- التي تعمل صالحاً تنال الأجر مرتين.
- والتي تعمل غير ذلك تأخذ العقاب أيضاً مرتين، ولم يحدث هذا ... فكلهنّ
والحمد لله صالحات قانتات تائبات عابدات لله ﷻ.
- أما بناته ﷺ فخير من زوجاته: لأن النبي ﷺ عندما عرض عمر ابنته حفصة
على سيدنا عثمان، فقال: لا يبدو لي الزواج الآن، وكانت زوجته بنت النبي
الأولى، ولما توفت خطب الثانية، فذهب عمر إلى النبي فقال ﷺ:

{ تَزَوَّجَ حَفْصَةَ خَيْرٍ مِنْ عُمَانَ، وَتَزَوَّجَ عُمَانَ خَيْرًا مِنْ حَفْصَةَ }^{٣٥٧}

- فالنبي تزوج حفصة.
- وعثمان تزوج بنت النبي.
- وبنات النبي خير من زوجات النبي لأنهن ينتسبن إلى النبي ﷺ.

وكان ﷺ يقول:

{ كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ، وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ،
وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ }^{٣٥٨}

ولأن الله ﷻ أكرم نساء النبي، فجعل لهن خصوصية من أجل اتباعهن لحضرة

^{٣٥٧} صحيح البخاري وابن حجر عن ابن عمر رضي الله عنهما

^{٣٥٨} جامع البيان عن تأويل آي القرآن عن أبي موسى الأشعري ﷺ

النبي ومساعدته له في إبلاغ دعوة الله، فإن الله جعلهن أمهات للمؤمنين أجمعين من عصره إلى يوم الدين، فيحرم على أي مسلم أن يتزوج زوجة تزوجها النبي لأنها أمه، ولا ينبغي لرجل أن يتزوج أمه:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦).

أصحابه خير الأصحاب

وكما أكرم الله النبي بناته وزوجاته، أكرم الله النبي بأصحابه، فقال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَىٰ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ سِوَى النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ }^{٣٥٩}

هم خير أصحاب في أي زمان ومكان من بدء الدنيا إلى نهايتها، ولذلك ألزما النبي بالأدب معهم، فقال:

{ إِذَا ذَكَرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا }^{٣٦٠}

يعني لا تخوضوا فيهم، ولا في شئونهم، ولا فيما دار بينهم، ولا فيما حدث بينهم وبين بعضهم، فإن لهم أفضلية عند رب البرية، وقال ﷺ:

{ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ }^{٣٦١}

يعني لن يبلغ قدح، ولا نصف قدح تبرع به وتصدق به رجل منهم، وإن كان من شعير!، لأن لهم عند الله ﷻ منزلة عظيمة ببركة صحبتهم للبشير النذير ﷺ، وبين النبي ﷺ أفضليتهم مرة أخرى فقال:

{ خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي }^{٣٦٢}

٣٥٩ شرح السنة للطبري والشريعة للأجري عن جابر بن عبد الله ﷺ

٣٦٠ معجم الطبراني والبيهقي عن ثوبان ﷺ

٣٦١ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٣٦٢ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

الفصل الحادى عشر: خصائص النبي المروية في القرآن والحديث (٢٩١)

خير القرون عليّ مرّ الزمان القرن الذي كان فيه حضرة النبي، لأنه كان فيه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (٢٩ الفتح)، ولذلك لا ينبغي للمسلمين أجمعين أن يُثيروا الفتنة بتأليب ما حدث بين رجال الصحابة المباركين في أي أمرٍ من الأمور، لأنهم رجالٌ رباهم الله على يد حبيب الله ومصطفاه، ويكفيهم أنهم كانوا يشاهدون وجه الحبيب، ويتعلمون منه في كل وقتٍ وحين، فلهم منزلةٌ لا تُبارى لا ينبغي لأحدٍ منا أن يتعرض لأمثالهم أبداً، مهما كانت الأمور.

خصوصية مدينته ومسجده

أيضاً خصَّ الله نبينا ﷺ بخصوصيةٍ خاصة من أجل حضرته، فقد أمره أن يُهاجر من مكة إلى المدينة، واتخذ له مسجداً مباركاً في المدينة، بياناً لخصوصيته.

فلو ظل في مكة، وكان مثواه في البيت الحرام، لكان الكل يقول: أنا ذاهبٌ لزيارة البيت الحرام ومعها زيارة النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، لكن الله خصَّه بزيارةٍ مخصوصة، وأعلمنا ﷺ أن مسجده له عنايةٌ إلهية خاصة، قال ﷺ:

{ صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ }
إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ} ^{٣٦٣}

يعني مسجد النبي له أفضلية، وحتى المدينة المباركة جعل الله لها من أجله ﷺ خصوصية، فبين قدرها فقال وهو خارجاً من مكة مهاجراً:

{ اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيَّ، فَأَسْكِنِّي بِأَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَيْكَ } ^{٣٦٤}

فأخبرنا أنها أحب البلاد إلى الله ﷻ، ولما حرم إبراهيم مكة، قال النبي ﷺ:

{ اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَكَ، وَنَبِيِّكَ، وَإِنَّكَ حَرَمْتَ مَكَّةَ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ، اللَّهُمَّ وَأَنَا عَبْدُكَ وَنَبِيِّكَ، وَإِنِّي أَحْرَمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا } ^{٣٦٥} يعني: المدينة، ودعا

٣٦٣ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن جابر ﷺ

٣٦٤ الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة ﷺ

٣٦٥ سنن ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

للمدينة فقال: { اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفِي مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ }^{٣٦٦}

دعا للمدينة بالخير والبركة، وحرّم عليها ما حرّمه الله ﷻ على لسان إبراهيم في مكة، لنعلم أن الله اختار له هذه المدينة وبارك فيها بسبب وجوده ﷻ:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

(الأنفال ٣٣)

- بل إنه رسول الله ﷺ جعل العمل في هذه المدينة يُضاعف أضعافاً كثيرة ..

قال ﷺ:

{ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ بِالْمَدِينَةِ كَصِيَامِ أَلْفِ شَهْرٍ فِيمَا سِوَاهَا، وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ بِالْمَدِينَةِ كَأَلْفِ فِيمَا سِوَاهَا }^{٣٦٧}

لماذا؟ تفضيلاً لهذا المكان الذي شهد مسير النبي العدنان وأصحابه المباركين، وشهد نزول الوحي من السماء، وشهد تنزل الملائكة وأمينهم جبريل، فهو مكان مبارك بأمر الله، وبدعاء رسول الله ﷺ.

- بل إن البقعة التي دُفن فيها حضرة النبي ﷺ أفضل بقعة في الأرض وفي السماء، بل قال الإمام مالك ﷺ: هي أفضل من أي موضع في السماء، لأن النبي قال فيما بين بيته ومنبره:

{ مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ }^{٣٦٨}

فما بال المكان الذي هو فيه!!؟

سيكون أعلى من الجنة

لأنه إذا كان ما بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة:

فإن المكان الذي وُضع فيه أعلى من الجنة بنصّ حديثه ﷺ، ولذلك فإن الملائكة يحفون به آناء الليل وأطراف النهار..

^{٣٦٦} البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

^{٣٦٧} معجم الطبراني والبيهقي عن أنس ﷺ

^{٣٦٨} البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

{ فقد ورد أن كعب الأخبار دخل على عائشة فذكروا رسول الله ﷺ، فقال كعب: ما من فجر يطلع إلا وينزل سبعون ألفاً من الملائكة، حتى يحفوا بقبر رسول الله، يضربون بأجنحتهم، ويصلون على النبي ﷺ، حتى إذا أمسوا عرجوا، وهبط سبعون ألفاً حتى يحفوا بالقبر، يضربون بأجنحتهم فيصلون على النبي ﷺ، سبعون ألفاً بالليل وسبعون ألفاً بالنهار، حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يزفونه }^{٣٦٩}

صلاة الله على نبيه

والله ﷻ لم يصل على نبي في كتاب سابق، ولا في حديث قدسي، ولا في أي موضع إلا في كتاب الله، على حضرة النبي الصفي وحده:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ (٥٦ الأحزاب).

وإذا كان الله يصلي على النبي، فهل النبي ﷺ في حاجة إلى صلاتنا؟ حاشا لله ﷻ، بل نحن الذين في أمس الحاجة إلى هذه الصلاة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦ الأحزاب).

نصلي عليه لفضائل لا نستطيع عدداً ولا احصاءها .. ويكفي كما قال ابن عطاء السكندري ﷺ:

(إذا كان من يصلي على النبي مرة يصلي الله عليه عشراً، فكيف يكون حال هذا المصلي عند الله ﷻ؟!)، كما قال ﷺ:

{ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا }^{٣٧٠}

ونحن لا نعلم كيفية صلاة الله على نبيه ولا علينا ...

ولذا قال الله تعالى: ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦ الأحزاب)

٣٦٩ سنن الدارمي، وشعب البيهقي، ولبتذكرة للقرطبي عن كعب الأخبار ﷺ
٣٧٠ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

لأن هذا أمرٌ غيبي لم يكشفه الله تبارك وتعالى لجنِّي ولا إنسيٍّ لأنه أمرٌ يتعلق بالمولى العلي تبارك وتعالى.

- يكفي أن الذي يُصلي ويُسلم عليه يكون أهلاً لشفاعته، قال ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمَسِّي عَشْرًا ؛
أَدْرَكَتُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٣٧١}

- بل إن من يُصلي عليه يكون أقرب الناس في المنزلة لديه يوم القيامة، لقوله ﷺ:

{ إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ أَكْثَرُكُمْ عَلَيَّ صَلَاةً فِي الدُّنْيَا }^{٣٧٢}

- بل إن الصراط الذي سنمشي عليه وهو على جسور جهنم شديد الظلمة، وليس عليه نورٌ إلا نور الأعمال الصالحة، وقال فيه ﷺ:

{ الصَّلَاةُ عَلَيَّ نُورٌ عَلَى الصِّرَاطِ }^{٣٧٣}

- بل إن الصلاة على النبي ﷺ تغفر الذنوب ..

- وتكفي الإنسان كل همٍ وكل غمٍ في دنياه، قال أبي بن كعب:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ قَالَ:
مَا شِئْتَ، قُلْتُ الرُّبْعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ،
قُلْتُ: فَالْنِصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: فَالثَّلَاثِينَ؟
قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟
قَالَ: إِذَا تُكْفِي هَمَّكَ، وَيُغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ }^{٣٧٤}

- فإذا كان الإنسان عنده أي همٍ مشغولٌ به في دنياه، فإن الذي يُذهب هذا الغم هو الإكثار من الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ.

٣٧١ معجم الطبراني والصلاة على النبي لابن أبي عاصم عن أبي الرداء ﷺ

٣٧٢ البيهقي في شعب الإيمان، وبان عساكر في التاريخ عن أنس ﷺ

٣٧٣ الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين عن أبي هريرة ﷺ

٣٧٤ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن أبي بن كعب ﷺ

- وإذا كان الإنسان ارتكب ذنباً يخشى عُفْرانها:

○ فليكثر من الصلاة على النبي ...

○ فإنه ببركة الصلاة على النبي يغفر الله تبارك وتعالى له هذه الذنوب.

- وقد يقول بعض القوم:

○ ولم نُصلي على النبي ولا نذكر الله تبارك وتعالى؟! وهؤلاء نسوا أن

الصلاة على النبي هي في الحقيقة ذكرٌ لله تبارك وتعالى ..

- فمن منا استطع أن يُصلي على النبي؟ ..

○ لا أحد .. !!

○ ولذلك عندما سألوا النبي ﷺ:

{ أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَا، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ:

{ قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ

وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ }^{٣٧٥}

- واللهم صلِّ يعني : يا الله صلِّ

○ فأنا عندما أصلي على النبي:

✓ أسأل الله أن يُصلي بذاته على النبي.

✓ بالكيفية التي يراها مناسبة لحضرة النبي.

- لذلك هل هناك أحدٌ منا يُصلي على رسول الله؟

○ لا، ... لكن أنا كمن يعمل توكيلاً لرب العزة، وأقول له:

✓ أنا عاجز عن الصلاة على نبيك ...

✓ فصلِّ عليه بما شئت وكيف شئت.

فالصلاة على النبي:

- لا يُوفق لها... والقيام بشأنها.. إلا من يُرد الله له الخير في الدنيا.. والعفو في الآخرة.... لأنها صلاة....:

- ولكنها لا تحتاج إلى طهارة ووضوء.
- ولا تحتاج إلى مسجد.
- ولا تحتاج إلى الإتجاه إلى القبلة.
- صلاة أصلية وأنا ماشي في الطريق وعلى غير وضوء، بل أصلية وأنا على جنابة يجوز، فليس شرطاً الطهارة والوضوء.
- أصلية في أي زمان ومكان.
- ويقبلها حضرة الرحمن رحمته الله.
- ويصلي عليّ بها عشراً...

فالمؤمن السعيد الذي يُكثر من الصلاة والسلام على النبي رحمته الله.

نسأل الله رحمته الله :

أن يُعلِّمنا ما ينفعنا ..
وأن ينفعنا بما علَّمنا ...
وأن يُعيننا على ذكره وشكره وحُسن عبادته ...
وأن يجعلنا من خيار المصلين على سيد رُسله ..
وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه

الفصل الثاني عشر

خصائص النبي ﷺ المشتركة مع أمته

- ❖ مقام الشهادة
- ❖ مقام رفع الحرج
- ❖ مقام اليسر
- ❖ أحلت لنا الغنائم
- ❖ جعلت لنا الأرض مسجداً وتربتها طهوراً
- ❖ خصصنا بالوضوء الأكمل
- ❖ الماء الصالح للطهارة
- ❖ خصوصية التيمم
- ❖ خصوصية المسح على الخف والخمار
- ❖ خصوصية إزالة النجاسة بالماء
- ❖ خصوصية الصلاة
- ❖ خصوصية مغفرة الذنوب
- ❖ خصوصية الأذان والإقامة



- ❖ خصوصية التكبير
- ❖ خصوصية التأمين
- ❖ خصوصية الاتجاه للكعبة في الصلاة
- ❖ صفوفنا كصفوف الملائكة
- ❖ خصوصية يوم الجمعة وساعة الإجابة فيه
- ❖ خصوصية التحية بالسلام
- ❖ خصوصية صلاة التهجد
- ❖ خصوصية صلاة العيد
- ❖ خصوصية صلاة الكسوف والخسوف
- ❖ خصوصية صلاة الوتر
- ❖ خصوصية القصر والجمع في الصلاة
- ❖ خصوصية صلاة الخوف
- ❖ خصوصية الأضحية



- ❖ من خصائص الأمة المحمدية
- ❖ في شهر رمضان^{٣٧٦}
- ❖ الخصائص للسيوطي
- ❖ خصوصية صيام شهر رمضان
- ❖ تلاوة القرآن في شهر رمضان
- ❖ خصوصية خلوف فم الصائم أطيب عند الله
- ❖ من ريح المسك
- ❖ خصوصية صلاة القيام
- ❖ خصوصية تعجيل الفطر وتأخير السحور
- ❖ خصوصية الصيام من الفجر إلى غروب الشمس
- ❖ خصوصية النهي عن صيام الوصال
- ❖ تصحيح حديث وضع النبي للحجر على بطنه
- ❖ خصوصية ليلة القدر

الفصل الثاني عشر

خصائص النبي ﷺ المشتركة مع أمته^{٣٧٧}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي اصطفى هذه الأمة واجتباها، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، والصلاة والسلام على سر هذه الخيرية، وباب كل العطاءات الإلهية في الحياة الدنيا وفي الآخروية، سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه، وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين بِمَنِّكَ وجودك يا أكرم الأكرمين.

يا من اصطفاكم الله تبارك وتعالى واجتباكم ورقاكم وحباكم وأدناكم، وقال لنا وفيها، ومن ينتسب إلى نبينا أجمعين: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (١١٠ آل عمران) وكنتم يعني منذ الأزل القديم قبل خلق الخلق، وقبل إيجاد الأرض ومن عليها، وقبل إيجاد الكائنات اختار الله ﷻ هذه الأمة، ووسمها بوسام الخيرية (خير أمة أخرجت للناس).

ونحن نتكلم عن خصائص خصَّ الله بها نبينا ﷺ، فتحدثنا سابقاً عن خصائصه في الأولية، ثم تحدثنا عن خصائصه في حياته النبوية، ثم تحدثنا عن خصائصه الذاتية التشريعية... واليوم نتحدث عما تميَّز به ﷺ، ومعهُ أمته التقية النقية؛ الخصائص المشتركة التي نلناها لأننا أمة حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

مقام الشهادة

هذه الأمة يكفيها شرفاً وفخراً أن الله ﷻ أقام أفرادها مقام الأنبياء والمرسلين، فإن الله ﷻ جعل الأنبياء والمرسلين شهداء على أممهم يوم القيامة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰئُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤١ النساء) كل نبي شهيد على أمته، والرسول ﷺ شهيد على الشهداء؛ علي الأنبياء والمرسلين، أعطانا الله ﷻ تفضلاً منه وكرماً هذا المقام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (١٤٣ البقرة) فهذا نفس المقام.

بل إن كل نبي سيشهد على أمته، لكننا بفضل الله سنشهد على جميع الأمم

السابقة، لتكونوا شهداء على الناس من البداية إلى النهاية.

وكما كان الرسول شهيداً عليهم، فهو شهيدٌ علينا صلوات ربي وسلامه عليه.

ومقام الشهادة يُفصله رسول الله ﷺ في حديثه الطويل فيقول:

{ يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عَلِمَكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ، أَنَّ الرَّسُلَ قَدْ بَلَغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " }^{٣٧٨}

يأتي النبي ومعه الجماعة، ويأتي النبي ومعه الواحد: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦ الذاريات) بيتٌ واحد آمن بهذا النبي ...

فيسأله الله ﷻ: ألم تُبلغ رسالتي؟ يقول: بلى يا رب، فيقول الله ﷻ: ألم يُبلغكم رسولي؟ فيكذبون، ويقولون: لم يُبلغنا بشئ!!!

فيقول الله تبارك وتعالى للنبي: من يشهد لك، فيقول:

أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ.

قال ﷺ مبيناً مكانة هذه الأمة:

{ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ }^{٣٧٩}

أنتم عُدولٌ بين الناس ...

أنتم القضاة العادلون الذين يفصلون في هذه القضية يوم الدين أمام رب العالمين، وكلامكم مصدقٌ بأمر أحكم الحاكمين ﷻ.

٣٧٨ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٣٧٩ البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ

الفصل الثاني عشر: خصائص النبي المشتركة مع أمته

مقام رفع الحرج

مقام آخر أنزلنا فيه الله تبارك وتعالى منازل الأنبياء، فقد ورد عن قتادة، قال: (أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ مَا لَمْ يُعْطَهُ إِلَّا نَبِيٌّ، كَانَ يُقَالُ لِلنَّبِيِّ: اذْهَبْ فَلَيْسَ عَلَيْكَ حَرْجٌ، وَقَالَ اللَّهُ: " وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ ")^{٣٨٠}

يعني لا حرج ولا مشقة على هذا النبي وحده، لكن قال الله لنا جميعاً: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ ﴾ (الحج ١٧٨) لا مشقة أبداً في الدين.

لا يوجد أي أمر من الأمور التي كلفنا بها الله فيه مشقة ولا عنت ولا شطط في التكليف: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة ٢٨٦) على حسب الوسعة، ولذلك تجدد تشريعنا كله تيسير وليس فيه تعسير أبداً.

مقام اليسر

المقام الثالث: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ﴾ (البقرة ١٨٥) يريد اليسر في كل التعليمات الإلهية، والتشريعات الربانية، ولذلك الذي يأتينا باليسر فهو يمشي على ما يحبه الله، وعلى ما كان عليه حبيب الله ومصطفاه.

ومن يترك اليسر ويأتينا بالعسر، فهذا يمشي على عكس القضية الإلهية، وعكس ما كانت عليه الحضرة النبوية، لأن أمورهم كلها كانت على اليسر، فكان ﷺ يقول لأصحابه:

{ يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا }^{٣٨١}

ويقول للدعاة والمرشدين: { إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ }^{٣٨٢}

أنت اسمك مُبَسِّرٌ وليس مُعَسِّرٌ، وهذا للدعاة والمرشدين الذين يرشدون الخلق إلى الطريق الصحيح الموصل لرب العالمين تبارك وتعالى.

٣٨٠ تفسير الطبري وعبد الرزاق

٣٨١ البخاري ومسلم عن أنس ؓ

٣٨٢ صحيح البخاري وجامع الترمذي عن أبي هريرة ؓ

لأن هذه الأمة أمة التيسير، ولم يُعسر الله ﷻ عليك في أي أمر صغير أو كبير:
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١٧٨ الحج) في الدين كله، إن كان أخلاق أو
 تشريعات أو عقيدة أو عبادات أو معاملات، فكله ليس فيه أي حرج ولا مشقة لأي
 مسلم مهما كان ضعف جسده، ومهما كانت حالة قوته، فإن الله جعل لكل مسلم
 نصيب في شرع الله بالتيسير الذي نزل به سيدنا مولانا رسول الله ﷺ.
 فلما يسر الله تبارك وتعالى لهذه الأمة خصمها بخصائص لا تجدها في السابقين أبداً،
 أشار إليها رسول الله ﷺ.

أحلت لنا الغنائم

قال ﷺ في أولها:

{ أَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمَ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي }^{٣٨٣}

والغنائم هي المكاسب التي نحصل عليها نتيجة الحروب التي بيننا وبين المعتدين
 الذي يعتدون علينا، لأنه لا يوجد حرب جماعية في الإسلام يبدأ بها المسلم، ولكن
 المسلم يجارب دفاعاً عن نفسه، ودفاعاً عن دينه، ودفاعاً عن أرضه، ودفاعاً عن عرضه.
 فإذا حارب ونصره الله تبارك وتعالى، كان ما حصَّله من الأعداء إن كان أسلحة،
 أو خيرات من أي نوع أو صنف من الأصناف، فهذه نسميها غنيمة.
 هذه الغنائم لم تُحلَّ إلا لحضرة النبي وأمته، أما قبل حضرة النبي، فكانت الغنائم
 يذهب بها النبي أو أمة النبي ويضعونها على قمة جبل، فإذا قبلها الله تنزل سحابة من
 السماء تحتويها وتمشي بها وتذهب بها عن الأعين، وإذا لم يتقبلها الله تنزل ناراً فتحرقها،
 فيعرفون من ذلك هل قبل الله هذه الغنيمة أم لم يقبلها.
 بماذا انتفعوا!؟

لم ينتفعوا بشيء، وكل ما في الأمر أنهم علموا أن الله قبل منهم هذه الغنيمة أم لم
 يقبلها... وكما تعلمون قصة قاييل وهابيل على سبيل المثال، فسيدنا آدم عليه وعلى
 نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، لم يكن موجوداً إلا هو وزوجته على الأرض، ولكي

٣٨٣ صحيح البخاري وابن حبان عن جابر بن عبد الله ﷺ

يُعَمِّرُ اللهُ بِكَ الْأَرْضَ جَعَلَ حَوَاءَ تَلَدَ فِي كُلِّ بَطْنٍ وَلَدٌ وَبِنْتُ، وَالْوَلَدُ الَّذِي وُلِدَ فِي بَطْنٍ الْعَامِ الْمَاضِي مِثْلًا يَتَزَوَّجُ بِالْبِنْتِ الَّتِي وُلِدَتْ هَذَا الْعَامِ، وَلَيْسَتْ تَوَأْمَتَهُ، لِأَنَّهَا حَرَامٌ عَلَيْهِ، وَالْوَلَدُ الَّذِي وُلِدَ هَذَا الْعَامِ يَتَزَوَّجُ بِالْبِنْتِ الَّتِي وُلِدَتْ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ، وَهَذَا كَانَ تَشْرِيْعَ مَبْدِئِي لِعِمَارَةِ الْكُوْنِ.

فَقَابِيْلُ كَانَتْ أُخْتَهُ التَّوَأْمُ جَمِيْلَةٌ، وَهَابِيْلُ كَانَتْ أُخْتَهُ التَّوَأْمُ بِالنِّسْبَةِ لِقَابِيْلٍ دَمِيْمَةٌ، لِأَنَّهَا أَدْوَاقُ!، فَقَالَ: أَنَا أَنْزَوَّجُ أُخْتِي تَوَأْمِي الَّتِي وُلِدَتْ مَعِي، وَهَذَا كَانَ حَرَامًا فِي شَرْعِ آدَمَ.

فَلَمَّا اخْتَلَفُوا قَالُوا: نَقْدُمُ قَرِيْبَانًا إِلَى اللَّهِ، هَذَا يَقْدُمُ قَرِيْبَانًا، وَهَذَا يَقْدُمُ قَرِيْبَانًا، وَالَّذِي يَقْبَلُ اللَّهُ قَرِيْبَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَزَوَّجُ الْجَمِيْلَةَ أُخْتِ قَابِيْلٍ.

وَقَابِيْلُ كَانَ صَاحِبَ زِرَاعَةٍ، وَهَابِيْلُ كَانَ صَاحِبَ غَنَمٍ، لِأَنَّ سَيِّدَنَا آدَمَ كَانَ رَجُلًا مَنظَمًا، حَتَّى لَا يَنَافِسَا بَعْضُهُمَا أَخْذَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حِرْفَةً مُخْتَلِفَةً.

فَهَابِيْلُ أَخَذَ أَفْضَلَ كَبِشٍ عِنْدَهُ فِي الْغَنَمِ وَوَضَعَهُ عَلَى الْجَبَلِ، وَقَابِيْلُ أَخَذَ الثَّمَارَ الْفَاسِدَةَ عِنْدَهُ وَوَضَعَهَا عَلَى الْجَبَلِ!!، لِأَنَّ النَّفْسَ شَحِيْحَةً!، فَنَزَلَتْ سَحَابَةٌ وَأَخَذَتْ الْكَبِشَ، وَلِذَلِكَ يُرْوَى أَنَّ هَذَا الْكَبِشَ ظَلَّ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى نَزَلَ وَفُدِيَ بِهِ سَيِّدُنَا إِسْمَاعِيْلُ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيْنَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَأَمَّ السَّلَامِ!. فَقَابِيْلُ لَمْ يَعْجَبْ هَذَا الْأَمْرَ، وَمَا زَالَ مَصْرًا عَلَى أَنَّ يَتَزَوَّجُ أُخْتَهُ تَوَأْمَتَهُ حَتَّى مَعَ الْإِحْتِكَامِ لِلَّهِ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدَّمَ إِلَى اللَّهِ ﷻ غَنِيْمَتَهُ!!، فَلَمَّا وَجَدَ الْأَمْرَ هَكَذَا نَوَى قَتْلَ أَخِيهِ، فَانْتَظَرَ حَتَّى نَامَ وَأَتَى بِحَجْرٍ كَبِيْرٍ وَرَمَاهُ بِهِ عَلَى رَأْسِهِ فَقَتَلَهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ:

{ لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ }^{٣٨٤}

يَعْنِي كُلَّ إِنْسَانٍ سَيُقْتَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ سَيَكُوْنُ عَلَى قَابِيْلٍ وَزَرَ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي سَنَّ هَذِهِ السَّنَةَ السَّيِّئَةَ.

مَنْ الَّذِي أَحَلَّتْ لَهُ الْغَنَائِمُ؟

سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ ﴾ (١١ الأنفال) كَيْفَ نَقْسَمُهَا؟

الكتاب ١١٤ فوزى مجد أبو زيد رحمته الله خصائص النبي الخاتم رحمته الله
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ السَّبِيلِ﴾ (٤١ الأنفال).

فأول خصوصية خصَّ بها الله تبارك وتعالى حضرة النبي، والأمة المحمدية أنه أُحلت
له الغنائم، ولم تُحلُّ لأحدٍ قبله، قال رحمته الله:

{ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي }^{٣٨٥}

فهذه خصوصية للرسول رحمته الله، ومعه أمته أيضاً:

{ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ } (٤١ الأنفال) كلكم مشتركون معه في هذه الغنائم.

جُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ مَسْجِداً وَتَرَبَّتْهَا طَهُوراً

الأمر الثاني الهام لنا أجمعين، قال فيه رحمته الله:

{ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِّنْ أُمَّتِي،
أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ }^{٣٨٦}

وهناك رواية أخرى أرجو أن تنتبهوا إليها:

{ وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِداً، وَجُعِلَتْ تَرَبَّتْهَا لَنَا طَهُوراً
إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ }^{٣٨٧}

وانتبهوا للروایتين، فليست له وحده ...

ولكن كما قال: (وَجُعِلَتْ لَنَا) يعني له ولأمته.

أهل الأديان الأخرى - كما ترون - لا يُصلُّون إلا في مكان محدد، وبنظام دقيق
رسمة لهم أساطينهم وأحبارهم ورهبانهم، لكن أنتم في أي زمان، وفي أي مكان، ما دامت
الأرض طاهرة - وليس شرطاً أن تكون مفروشة - فتتوجه جهة القبلة قدر الاستطاعة،
وتنوي الصلاة، وتُصلي لله رحمته الله، وهذا من التيسير الكبير لهذه الأمة المحرومة؛ أمة رسول

٣٨٥ صحيح البخاري وابن حبان عن جابر بن عبد الله رحمته الله

٣٨٦ صحيح البخاري وابن حبان عن جابر بن عبد الله رحمته الله

٣٨٧ صحيح مسلم والبيهقي عن حذيفة رحمته الله

الفصل الثاني عشر: خصائص النبي المشتركة مع أمته (٣٠٧)

وهنا ملحظٌ دقيقٌ نلفت أنظاركم إليه، فإن أئمة الشريعة رضوان الله ﷻ عليهم لفقهم سرُّ التيسير، قالوا: لا يتعمى الإنسان في التحقق من اتجاهه إلى القبلة، فيكفي أن يتجه نحوها: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (١٤٤ البقرة) فيتوجَّه إلى البيت الحرام، ولا بأس إن انحرف قليلاً يميناً أو شمالاً، المهم أن يتولَّى جهة البيت الحرام، لكن الذي يتعمى فهو يُشدِّد على نفسه، قال ﷻ:

{ لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ }^{٣٨٨}

من شدِّد شدِّد عليه!!، لكن اليسر جعله الله ﷻ سيممة هذه الأمة المحرومة؛ أمة رسول الله ﷻ.

فالأرض كلها مسجد، ما دامت تربتها يابسة وجافة، وخالية من النجاسات، فتكون كلها مكاناً مهزَّجاً للصلاة إلى الله ﷻ.

خُصِّصْنَا بِالْوُضُوءِ الْأَكْمَلِ

وُخِّصَّتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ لِلصَّلَاةِ بِالْوُضُوءِ الْأَكْمَلِ الَّذِي بَيَّنَّهُ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ أَرَادَ ﷺ أَنْ يَشْرَحَ لِأَصْحَابِهِ الْمُبَارِكِينَ كَيْفِيَةَ الْوُضُوءِ، فَكَمْ مُحَاضِرَةٌ أَخَذَهَا فِي شَرْحِ الْوُضُوءِ؟! أَخَذَ دَقَائِقَ مَحْدُودَةً، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

{ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَقَالَ: هَذَا وَضُوءٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ الصَّلَاةَ إِلَّا بِهِ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ: هَذَا وَضُوءٌ مَنْ أُوتِيَ أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، فَقَالَ: هَذَا وَضُوءِي وَوُضُوءُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي }^{٣٨٩}، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: { وَتَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، وَقَالَ: هَذَا أَسْبَغُ

٣٨٨ سنن أبي داود وابن حجر عن أنس بن مالك
٣٨٩ سنن البيهقي والدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما
الفصل الثاني عشر: خصائص النبي المشتركة مع أمته (٣٠٨)

لكن هناك ماء واحد تتغير فيه صفة من هذه الصفات ويكون صالح للوضوء، وهو ماء البحر، لأن طعمه مالح..

{ فقد سأل رجلُ النَّبِيِّ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَزَكِبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَتَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُوَ الظُّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ }^{٣٩٣}

وماء البحر كما ورد لا يُنجَس، فنُلقي فيه جيف، أو حمير ميتة، أو غيره، فما دام البحر جاري فلا يُنجَس، وأتوضأ منه وأنا مطمئن.

نفرض أن هذا الماء عندنا في البيت، أو في مكان ما، وهو ماء قليل، فحضرة النبي أعطانا الميزان، قال ﷺ:

{ إِذَا كَانَ الْمَاءُ قَلْتَيْنِ لَا يَنْجُسُ }^{٣٩٤}

وقلتين حسبها العلماء على عهد حضرة النبي فقالوا: ما يعادل خمس قرب، والقربة شيء كان يُملأ به الماء في السابق، فإذا كانت المياه قدر خمس قرب فلا تُنجَس، وتكون طاهرة ليتوضأ الإنسان منها، وكانت المساجد في القرى قبل الحضارة الحديثة - وقد رأيت ذلك - كان في كل مسجد يجعلون مكان كحوض كبير ويملأوه بالماء، وكل الذي يُريد أن يتطهر من الجنابة ينزل ويغطس في الماء، ثم يأتي الثاني والثالث، ولا تتغير، لأن هذا الماء هنا لا يُنجَس.

وكان الصالحون المباركون كسيدي علي الخواص ﷺ مع أنه كان رجلاً أُمياً، لكن فتح الله بصيرته، فكان إذا وقف على الحوض ينظر ويقول: هذا غُسل فلان، وهذا غُسل فلان، وهذا غُسل فلان، مع أنها كلها مياه، لكنه ينظر بنور الله، وهي أحوال الصالحين!! وكان إذا جيء له بدواة مملوءة حبراً، فينظر في الحبر داخل الدواة ويقول: هذه الدواة سيُكتب بها كذا وكذا وكذا، وكل ما سيُكتب بها إلى آخر قطرة من الأحبار التي فيها!!، ما هذا؟! هذا فضل الله على أهل ملة رسول الله، ببركة حُسن الاتباع لحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فإذا غطست في البحر، أو اغتسلت في البيت، فهل أتوضأ؟

^{٣٩٣} سنن أبي داود والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

^{٣٩٤} سنن أبي داود وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما

ما دامت المياة عمّمت الجسم كله فإن هذا يُجزئ عن الوضوء وتصح الصلاة،
فهذه أمور التيسير التي علمها لنا البشير النذير ﷺ.

خصوصية التيمم

لو كنا في أيام الشتاء، وأنا ضيفٌ عند أخ لي، وليس عنده مياه ساخنة، وأنا
عندي ظروف ولا أستطيع أن أتوضأ بمياه باردة، أو مسافر وليس معي ماء، فماذا أفعل؟
{ فَتَيَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا } (المائدة: ٦).

{ وَجَعَلَتْ تَرْبُئُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ }^{٣٩٥}

وبماذا أتطهر؟ بالتراب الطاهر، والتراب الطاهر شرطه الوحيد أن لا يكون دخله
النار، فلا يصح أن أتيمم بطوب أحمر لأنه دخل النار، لكن أتوضأ بالتراب إذا كان
موجوداً في الشارع، أو إذا كان موجوداً في البيت.

لكن أردتُ شيئاً أفضل من ذلك، أحضر حجر صغير (زلطة)، وأغسلها وأجففها
وأجعلها في البيت عندي، ولذلك كل مسلم يجب أن يكون عنده واحدة كهذه جاهزة
لأي ظروف، ولا يخلو أحدٌ فينا من الظروف، فربما يحدث للإنسان - لا قدر الله -
مرض ويمنع من استخدام الماء، فيحتاج إلى التيمم.

والتيمم يكون للوضوء، ورفع الجنابة إلى حين وجود الماء، يعني لو حدث لي
جنابة، ولا يوجد ماء، أو كنت مسافراً وحدث لي جنابة، فماذا أفعل؟

أتيمم وأصلي، فالتيمم يرفع الحدث الأصغر والأكبر، لحين توفر الماء، وهذا فضل
الله ﷻ علينا.

كيف أتيمم؟

أسم الله، ثم أمسح بيدي على الحجر، وأمسخ بها مرةً واحدةً فقط على وجهي،
ثم أمسح الحجر بيدي مرةً ثانية، ثم أمر باليد اليسرى أسفل اليد اليمنى إلى المرفقين،
وأرجع بها من أعلاها، وأمر باليد اليمنى على اليسرى بنفس الكيفية، فالتيمم ضربة

٣٩٥ صحيح مسلم والبيهقي عن حذيفة ؓ

نفرض أن إنساناً مسافراً بالقطار، والقطار ربما ليس به ماء، فماذا يفعل؟ يكون معه هذا الحجر ليتمم به ويصلي، وكيف يُصلي في القطار؟ أتحرى عندما أكبر تكبيرة الإحرام أن أتوجه جهة القبلة قدر استطاعتي، ثم أصلي وأنا جالس في أي اتجاه: ﴿فَأَيُّكُمْ تَوَلَّوْا فَمَنْ وَجَّهَ اللَّهُ﴾ (البقرة ١١٥) فهذا تيسير الأمة الذي يسره لنا الله ﷻ.

سيدنا عمرو بن العاص ؓ كان في غزوة ومعه أصحاب رسول الله ﷺ، وكان الجو شديد البرودة، وحدث له جنابة في هذه الليلة، لأن الجنابة تحدث لأمر، إما لشدة البرد وعدم كفاية الغطاء، وإما لشدة الحرارة تحت العامود الفقري من أسفل، إذا كان الإنسان نائماً على مكان شديد السخونة، أو إذا نام الإنسان وقد ملأ بطنه من الطعام والشراب، فقام من النوم فتيمم، فاعترض من كان معه من أصحاب رسول الله ﷺ بالكلام فقط، وذهبوا لرسول الله ﷺ بعد أن عادوا للمدينة وسألوه، فتبسم ﷺ وأقرَّ عمرو بن العاص ؓ على ذلك لأن الله يقول لنا: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة ١٩٥).

خصوصية المسح على الخف والخمار

نحن كأمة رسول الله ﷺ اختصنا الله ﷻ مع حبيبه ومصطفاه، بكمال الوضوء (الوضوء الأكمل)، وبالتميم، وبالمسح على الخف.

فهذه خصوصية لنا، فإذا كنتُ مسافراً ثلاثة أيام، أو أنا في البيت والجو بارد ولا أستطيع خلع الجورب لأتوضأ، فيصح لي لمدة يوم وليلة في الإقامة في البيت، وثلاثة أيام في السفر المسح على الجورب عند الوضوء، ولكن بشرط أن أكون قد لبستُ الجورب على وضوء، ويكون الجورب سميك لا يوصل الماء إلى القدمين.

بل زوي عن رسول الله ﷺ عن بلال ؓ قال:

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَسَحَ عَلَى الْخُفِّينِ وَالْخِمَارِ }^{٣٩٦}

وهذا ما استندت عليه بعض الآراء الفقهية، بأن السيدة أو البنت إذا كانت في مكان عمل، أو مسافرة ولن تستطع رفع الخمار لتمسح شعرها، فما دامت لبست ما

فوق شعرها وهي على وضوء فيجوز لها أن تمسح على العطاء الذي على الرأس.
فالمراة العاملة تيسيراً لها تستطيع المسح على الخمار، وتمسح على الخفين، وأظن
هذا تيسيراً عظيماً للأمة المحمدية ببركة خير البرية ﷺ.

خصوصية إزالة النجاسة بالماء

ومن جملة هذا التيسير أن الله ﷻ جعل لنا جماعة المؤمنين إزالة النجاسة بالماء،
فقد كان اليهود قبلنا ومن على شاكلتهم إذا أصيب بنجاسة في ثوبه، فلا بد أن يقرض
هذا الثوب ليُطَهَّره، ولكن الله يسر لنا واكتفى لنا ﷻ أن نغسل هذا الثوب بالماء إن
كان فيه نجاسة.

وهنا بينت السيدة عائشة رضي الله عنها ﷻ حكماً للرجال وللنساء من مصابحتها للرسول ﷺ،
فإذا نزل ماء الرجل المسمى بالمني فإن هذا الماء ذاته طاهر وليس بنجس، لأنه خلق منه
أكرم مخلوق على وجه البسيطة وهو الإنسان، فإذا أراد أن يصلي وكان موضع المني فيه
بلل غسله، وإذا وجدته قد جف يفركه ولا يغسله، هكذا بينت السيدة عائشة رضي الله عنها،
أما المزي وهو الماء الذي ينزل من الرجل عقب التفكير، أو عقب النظرات المحرمة فهذا
نجس، ولا بد من غسله لأنه غير طاهر، وهذا من تيسير الله ﷻ لهذه الأمة المحرومة أمة
رسول الله ﷺ.

خصوصية الصلاة

ومن أعظم هذه الخصائص التي خص الله تعالى بها النبي ﷺ وأُمَّته الصلاة، فإن الله
ﷻ جعل الصلاة تكفير الذنوب، وتغفر السيئات، وقال في شأنها في كتاب الله ﷻ:
﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ ﴾ ينادي علينا، لماذا؟
﴿ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ (١٠٠ البراهيم) ليغفر لكم الذنوب.

فالذنوب التي بين صلاتين يغفرها الله ﷻ إذا اجتنبت الكبائر، والكبائر هي
الأمر التي تحتاج إلى توبة نصوح قال ﷻ:

{ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى

مَنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ
الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا {^{٣٩٧}

ودرنه يعني أوساخه، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال:

{ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا
فَأَقِمَهُ عَلَيَّ، قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ، قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ
فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ، قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ
حَدًّا، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللَّهِ، قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ
اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ {^{٣٩٨}

فالصلوات جعلها الله تعالى مكفراتاً للذنوب، وقال في شأنها في كتاب الله:
{ **إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا** }
(٣١ النساء)، سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو ترجمان القرآن قال: { **إِنْ
تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** } بالصلوة.

فالإنسان إذا اجتنب الكبائر، مثل شهادة الزور والسرقة، والقتل والزنا وأكل
الربا، وشرب الخمر وكل مسكر، وعقوق الوالدين والتوئي من ميدان القتال ... وأشباه
ذلك من الكبائر، فإن الصغائر تكفرها الصلاة، وهذا فضل الله علينا وعلى أمة رسول
الله ﷺ.

خصوصية مغفرة الذنوب

ولم يجعل الله تكفير الذنوب في الصلاة فقط، ولكن الجمعة أيضاً، قال ﷺ:

{ **الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا
بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ** }^{٣٩٩}

^{٣٩٧} البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

^{٣٩٨} البخاري ومسلم

^{٣٩٩} صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

يعني من الجمعة إلى الجمعة مغفرة أيضاً من عند الله ﷻ، ومن صام شهر رمضان أيضاً، فقد قال ﷺ

{ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }^{٤٠٠}

وكذلك من يصلي صلاة القيام في شهر رمضان، فقد قال ﷺ:

{ مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }^{٤٠١}

وكذلك من يحج، فقد قال ﷺ:

{ مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتِ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ }^{٤٠٢}

وكذلك الذي يحي ليلة القدر، فقد قال ﷺ:

{ مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }^{٤٠٣}

وكذلك الوضوء، فكلما توضأ المسلم يغسل الله له خطايا بعد انتهائه من الوضوء مباشرة، فقد قال ﷺ:

{ مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ }^{٤٠٤}

فما أكثر الكفارات للخطايا التي جعلها الله لهذه الأمة وأعظمها وأكرمها الصلاة.

خصوصية الأذان والإقامة

خصنا الله ﷻ في صلاتنا جماعة المسلمين بخصوصيات لم يخص بها أي أمة سابقة من أمم الأنبياء، فقد خصنا بالأذان، لأن الذين كانوا قبلنا كانوا يدعون الناس بالناقوس، وجماعة أخرى كانوا يدعون بالجرس!. ولذلك لما أراد النبي أن يسن لأصحابه

٤٠٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٤٠١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٤٠٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٤٠٣ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٤٠٤ صحيح مسلم والبيهقي عن عثمان بن عفان ﷺ

أمراً يجمعهم للصلاة، استشارهم، وكانوا أهل صفاء ونقاء، فباتوا معظمهم في ملكوت الله، فقابلوا الملائكة وسألوهم: نريد شيئاً ننادي به الناس ليجتمعوا للصلاة، فلقتهم الملائكة الأذان الذي نؤذن به الآن، وهي خصوصية لأمة النبي العدنان ﷺ.

وليس الأذان وحده، بل الأذان والإقامة، وإقامة الصلاة أيضاً خصوصية لأمة رسول الله، وإقامة الصلاة اسمها في اللغة أذان، والأذان يعني الإعلان أننا سنُصلي. والإقامة تكون قبل صلاة الفريضة فقط، لكن إذا صليت سنة فليس لها إقامة، أو أصلي صلاة جنازة فليس لها إقامة، أو أصلي صلاة العيد وهي سنة فليس قبلها إقامة، فالإقامة قبل الفريضة فقط.

إذا كنا في جماعة فأحدنا يُقيم الصلاة، وإذا كنت بمفردك لا بد أن تُقيم الصلاة، وتُعلم من معك في المنزل إن كانت زوجتك أو بناتك أو أولادك هذه السنة الحميدة.

خصوصية التكبير

وأيضاً من الخصوصيات التي خصنا بها الله تعالى في الصلاة التكبير، فنحن نقول في أول الصلاة: (الله أكبر) وهي خصوصية للأمة المحمدية، والتكبير جعل الله له خاصية حتى حسية، قال فيها ﷺ:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الْحَرِيقَ فَكَبِّرُوا، فَإِنَّ التَّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ }^{٤٠٥}

يعني إذا شبت حريق وأردنا أن نطفئها فنستعين بالتكبير مع وسائل الإطفاء، فإن التكبير يساعد بمعونة الله على إطفاء ذلك.

ونحن نعرف أن التكبير ساعدنا على النصر في عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعون، فقد ذهب الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وقتها، فوجد الجنود عندما يهجمون يصرخون ويقولون: (عا)!. فقال لهم: قولوا: الله أكبر.

فعندما قالوا: (الله أكبر) حدث ما حدث لليهود !!

فكانوا عندما يسمعون كلمة التكبير ... ترتجف قلوبهم، ويدخل الرعب

قلوبهم فيسلموا ويهربوا.

ولهذا خصنا الله ﷻ بالتكبير في بداية كل صلاة.

فمفتاحها التكبير ونهايتها التسليم.

خصوصية التأمين

وخصنا الله في الصلاة أيضاً لأننا نُؤمِّن خلف الإمام، إن كان في قراءة الفاتحة أو الدعاء فنقول: (آمين)، وكلمة آمين في اللغة يعني: اللهم استجب، يعني نقول: يا رب استجب، فالفاتحة كلها دعاء، وعندما نُؤمِّن يعني نقول: يا رب استجب لنا هذا الدعاء.

وعندما نُؤمِّن على الدعاء إن كان على المنبر أو في صلاة الفجر أو في أي وقت فمعناه: يا رب استجب لنا هذا الدعاء، والرسول ﷺ يقول في هذا الأمر:

{ مَا حَسَدْتُمْ عَلَى الْيَهُودِ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدْتُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ }^{٤٠٦}

عندما نقول خلف الإمام (آمين) فإن اليهود يحزنوا ويغتاظوا، لماذا؟ لأنها خصوصية لنا خصنا بها الله ﷻ من أجل حبيبه ومصطفاه ﷺ.

- قبل الإسلام كان الناس يكلمون بعضهم في الصلاة، ولا يوجد مانع من الكلام.

- وفي بداية الدعوة الإسلامية كان كذلك أيضاً، فالصحابة كانوا يقولون: كنا نكلم رسول الله ﷺ وهو في الصلاة.

- وبعدها منعهم الله ﷻ من الكلام في الصلاة، وهي أيضاً خصوصية للأمة المحمدية، أننا لا نتكلم في الصلاة إلا بذكر الله أو بتلاوة كتاب الله، وهذا هو الكلام المسموح به في الصلاة.

حتى لو أن الإمام وقع في خطأ فنقول له: (سبحان الله) تنبيهاً له، وهو أيضاً ذكر لله، لكن لا أنطق وأقول له: لقد أخطأت!، فأكون بذلك قد خرجت من الصلاة، لأننا لا يجوز لنا الكلام أثناء الصلاة إلا بذكر الله، أو بتلاوة كتاب الله ﷻ.

٤٠٦ سنن ابن ماجة والتاريخ الكبير للبخاري عن عائشة رضي الله عنها

خصوصية الاتجاه للكعبة في الصلاة

هدانا الله للقبلة التي اختارها لصفوة أنبيائه، قبله إبراهيم وقبله رسول الله، ونحن نعرف أن سيدنا رسول الله عانى عندما سافر إلى المدينة ولم يستطع أن يستقبل القبلة، ففي مكة كانت الكعبة وبيت المقدس على خط واحد، فكان يستقبل الكعبة ووراءها في نفس الاتجاه بيت المقدس.

وعندما وصل إلى المدينة وجد أن مكة في اتجاه، وبيت المقدس في اتجاه آخر، فإما أن يستقبل الكعبة، وإما أن يستقبل بيت المقدس، ولكنه كان مؤدباً مع ربه، فاتَّجِه نحو بيت المقدس، ولكن بقلبه يناجي ربه، ولا يتحرك لسانه، ولذلك استجاب له ربه ﷻ ووجهه اتجاه القبلة المرضية وقال له: ﴿ فَلَوْلَيْتَكَ قِبَلَةً تَرْضَاهَا ﴾ (البقرة ١٤٤) وانتبه للآية: فلم يقل نرضاها، ولكن قال: (تَرْضَاهَا) يعني القبلة التي تريدها، لماذا؟ لأن الله وعده أن يعطيه كل ما يريد به إلى أن يرضى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (الصحى) ما تريده ننفذه لك، بدون أن تطلب، لأنه كان حبيب الله، وصفى الله ﷻ.

فنحن الأمة الوحيدة التي اختصها الله بالإتجاه إلى الكعبة المباركة، التي هي أول بيت وضع لله في الأرض: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران) وبقنا الله للإهداء لهذا البيت، وهم لم يوقفوا لهذا، لأنها خيرية لنا أمة رسول الله ﷺ.

صفوفنا كصفوف الملائكة

سيدنا رسول الله عندما جاءوا ليقفوا في الصلاة قال لهم:

{ أَلَا تَصْفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: يُتَمَوْنَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُونَ فِي الصَّفِّ }^{٤٠٧}

يعني لا يبدأون في الصف الثاني إلا إذا اكتمل الصف الأول، ولا يبدأون بالثالث إلا إذا اكتمل الثاني، فهذه صفوف الملائكة.

٤٠٧ صحيح مسلم وأبي نعيم عن جابر بن سمرة ﷺ

ومن فضل الله علينا أن الملائكة تحضر الصلاة مع المؤمنين في كل موقعٍ يُصلي فيه المؤمن لله، قال ﷺ:

{ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا }^{٤٠٨}

يعني كلهم جاءوا مُبَكِّرِينَ ويريدون الصف الأول، فمن الذي يقف فيه؟ فيقترعون!، لماذا؟ لأن الملائكة التي تنزل يُصلون مع الصف الأول، وليس ذلك فقط، ولكن الملائكة تُؤمِّن معنا، وقال ﷺ:

{ فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }^{٤٠٩}

فهم يصلون معنا، وعندما نقول: آمين، يقولون أيضاً: آمين، وهذا دليل الإجابة من رب العالمين ﷺ.

خصوصية يوم الجمعة وساعة الإجابة فيه

اختصنا الله بخصوصية دون الأمم السابقة ولم يُوفق لها أحد إلا هذه الأمة، وهو يوم الجمعة، فقد أمر الله ﷻ اليهود أن يختاروا يوم الجمعة للصلاة والدعاء، فقالوا: لسيدنا موسى: لا - وكانوا قوم بُهت - لماذا؟ قالوا: اليوم الذي استراح الله فيه بعد الخلق في ستة أيام كان يوم السبت، فنختار يوم السبت، ولذلك يوم السبت هو يوم راحتهم، ويُمنع فيه العمل!.

والنصارى قالوا: أول يوم بدأ الله فيه الخلق كان يوم الأحد، فأخذوا راحتهم يوم الأحد.

فلم يهد الله ليوم الجمعة إلا هذه الأمة، وهو اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ:

{ خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ أُدْخِلَ

٤٠٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

٤٠٩ صحيح البخاري والنسائي عن أبي هريرة ؓ

الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ { ٤١٠

فيوم الجمعة فيه كل الفضل الإلهي، ولم يختصنا بيوم الجمعة فقط، بل اختصنا في يوم الجمعة بساعة إجابة، فقد ذكر رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال:

{ فِيهِ سَاعَةٌ ، لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ } ٤١١

ففي يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يدعو فيها عبدٌ إلا استجاب الله ﷻ له.

هذه الساعة فيها كلام كثير للسادة العلماء، لكن يكاد يكون الإجماع على أنها الساعة التي بعد أن يصعد الإمام على المنبر إلى أن تنتهي خطبته، ولذلك الإمام يدعو فيها ونحن نوّمن عليه اقتداءً بالحبيب ﷺ لأنها ساعة الإجابة، ولذلك الإنسان لا ينشغل فيها إلا بسماع الوعظ، أو بالدعاء.

لأنني أرى البعض يجلسون في المساجد ويمسكون بالمصحف أثناء خطبة الجمعة، وهذا لا يجوز، وبعضهم يمسك بالمسبحة أثناء الخطبة!، مع أن الله قال في القرآن في الآية الصريحة: ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (١٩ الجمعة) أنت ذاهب للذكر، والذكر هنا يعني الخطبة.

فصلاة الجمعة ركعتين وصلاة الظهر أربعة، فما الأكثر في العدد؟ صلاة الظهر، فلم جعل الله صلاة الجمعة ركعتين؟

قيل: للذكر: ﴿ إِذَا تَوَدَّكَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (١٩ الجمعة) لم يقل: فاسعوا إلى الصلاة، ولكن: ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾.

لذلك الذي يأتي عند إقامة الصلاة!، فهذا قد حرم نفسه من الفضل الإلهي، لأن الجمعة لها علاوات لا تُعد ولا تُحَد، وشرطها أن يدخل المسجد قبل صعود الإمام إلى المنبر، فالملائكة يجلسون على أبواب المساجد ويسجلون الداخلين الأول فالأول لِيُسَجَّلُوا كَشُوفِ الْعَلَاوَاتِ، وعندما يصعد الإمام المنبر يطوون الصحف ويجلسون ليستمعوا مع المصلين.

ما العلاوات التي تُسَجَّلُ للمسلم في هذا اليوم؟ قال ﷺ:

٤١٠ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ؓ

٤١١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

{ مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فَكَانَ قَرَبَ بَدَنَةٍ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَانَ قَرَبَ بَقْرَةٍ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَانَ قَرَبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَانَ قَرَبَ دَجَاجَةٍ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَانَ قَرَبَ بَيْضَةٍ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ }^{٤١٢}

إذا دخل المسلم قبل الصلاة بقليل أي ساعة قراءة القرآن الكريم، فكأنه ذبح جملًا ووزعه على الفقراء والمساكين في الأجر والثواب، ومن يأتي بعد ذلك كأنه ذبح بقرة ووزعها على الفقراء والمساكين في الأجر والثواب، ومن يأتي بعده كأنما ذبح كبشًا، ومن يأتي بعده كأنه ذبح دجاجة، ومن يأتي آخرًا كأنه تصدق ببيضة ...

فكل واحدٍ على حسب جهاده.

فأنت لم تأت للقاريء أو للإمام، ولكن لنفسك!، لأن البعض يقول: الإمام أو الخطيب لا يعجبني!، لكن ما شأنك بالإمام أو بالخطيب؟! أنت جئت لتأخذ حصيلتك، ولا يهم أي خطيب، أو أي قارئ، المهم حصيلتك أنت قبل الصلاة.

وماذا بعد ذلك؟ قال ﷺ:

{ مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ }^{٤١٣}

الجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهما وزيادة ثلاثة أيام، يعني تكفير عشرة أيام، وهذا الأجر لمن دخل قبل صعود الإمام المنبر، لكن الذي دخل بعد صعود الإمام المنبر، كل ما في الأمر أنه لن يتحرر ضده محضراً!، لأن الذي لا يُصَلِّي الجمعة يُحرر له محضراً، ويُحوَّل على المحكمة الفورية، ويأخذ حكماً فورياً يقول فيه المشرع الأعظم ﷺ:

{ مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ }^{٤١٤}

وكما ورد ببعض الأثر: (من ترك جمعة تهاوؤاً بها اسودَّ ثلث قلبه، ومن ترك جمعيتين

٤١٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

٤١٣ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ؓ

٤١٤ جامع الترمذي وأبي داود عن أذرع الضمري ؓ

تھاونا بھما اسودُّ ثلثي قلبه، ومن ترك ثلاث جمع تھاونا بھم اسودُّ قلبه كله).

وتھاونا یعنی من غير عذر، والعذر لا بد أن يكون عذراً شرعياً، فكثير من الناس الآن یقدّمون لأنفسهم أعذاراً، لكن لا بد أن يكون العذر من لائحة الأعذار التي بینها النبي المختار ﷺ، لأنها الأعذار التي ارتضاها الله، كإنسان مسافر سافراً طويلاً ولمصلحة ضرورية، ولكن سافر يوم الجمعة ليشاهد مباراة، هل هذا عذر؟! لا، فهذا عليه صلاة الجماعة، أو يكون مسافراً للتصيف، فهذا ليس عذر شرعي، ولكن يسافر في وقت آخر غير الجمعة.

فالعذر للضرورات التي لا يستطيع الإنسان أن يؤجلها عن هذا اليوم، كحالة وفاة، أو سفر لزيارة ذوي رحماه كأبيه وأمه وهم قد طلبوه لأمرٍ ضروري، وغير ذلك من الأمور الضرورية التي لا غنى عنها للإنسان في هذا اليوم.

خصوصية التحية بالسلام

ومن فضل الله تبارك وتعالى علينا أنه خصنا أمة النبي المختار بتحية الله، وتحية أهل الجنة: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ (٤٤ الأحزاب) وتحيتنا على الأقل السلام عليكم، أو السلام عليكم ورحمة الله، أو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإذا حييت بغير هذه التحية أكون قد دخلت في قول الله: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ (٨ المجادلة).

كانوا يدخلون على حضرة النبي ويقولون له: نعمت صباحاً، ونعمت مساءً، يعني كصباح الخير ومساء الخير عندنا، فقال له الله: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ (٨ المجادلة).

لكن المسلم يقول أولاً: السلام عليكم، وبعد ذلك لو أردت أن أقول: صباح الخير أو صباح النور فلا مانع، ولكن أبدأ أولاً بالسلام.

ذهب رجل ليتحدث مع رجل آخر في أمر، فلم يقل له: السلام عليكم، فقال له: هلاً قلت: السلام عليكم فيكون لك عشرين حسنة، وأنا أقول: وعليكم السلام، فيكون لي عشرين حسنة، ويكون لنا معاً أربعون حسنة، فننتظر أن تنزل رحمة الله علينا، ثم نتحدث بعد ذلك!! جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:

{ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَشْرٌ، ثُمَّ جَاءَ آخِرُ
فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: عِشْرُونَ،
ثُمَّ جَاءَ آخِرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ،
فَجَلَسَ، فَقَالَ: ثَلَاثُونَ }^{٤١٥}

فكلما قلتها أخذت حسنات، فلماذا أتركها وأخذ غيرها من الكلمات؟! لذلك لا بد أن نبدأ بها أولاً... وإذا دخل الإنسان المسجد لا بد وأن يلقي السلام، وإذا لم أجد أحداً موجوداً أمامي، فأقول: السلام من الله عليّ وعلى عباد الله الصالحين، لأن هناك ملائكة يريدون أن يسمعوا السلام.

لأننا نحن نقول (السلام عليكم) وليس (عليك) لماذا؟ لأنك تقول السلام عليكم، أي على الرجل والذين من معه من الملائكة، فإذا لم يرد فإن من معه يردون من الملائكة الكرام الكاتبين.

فإذا دخلتُ بيتي فلا بد عند فتح الباب أن أقول: السلام عليكم، ونفرض أن معي المفتاح وفتحت، أيضاً أبدأهم بالسلام عليكم، فيعرفون أنني جئت فيتجهزوا ويستعدوا، وأعوّدهم على ذلك.

فإذا خرجتُ من البيت للعمل أو لأي مكان أقول لمن في البيت: السلام عليكم، دخل رجل على حضرة النبي وقال: السلام عليكم، وجلس، ثم قام ولم يُسلم، فقل ﷺ: { إِذَا أَنْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ؛ فَلَيْسَتْ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ }^{٤١٦}

فإذا دخلت البيت فلا بد أن تُسلم، وإذا خرجت كذلك، لنُعَلِّم نساءنا، ونُعَلِّم أولادنا، ونُعَلِّم بناتنا أن يؤدوا تحية الإسلام، لأنها تحية أهل الجنة، وتحية الله ﷻ. هذه التحية خصوصية للأمة المحمدية خصّنا بها الله ﷻ: ﴿ فَضَلًّا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٨ الحجرات).

٤١٥ جامع الترمذي وأبي داود عن عمران بن الحصين ﷺ

٤١٦ سنن أبي داود والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

خصوصية صلاة التهجد

اختصنا الله أيضاً في الصلاة بصلاة التهجد:

﴿ وَمَنْ أَلَيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (الإسراء ١٧٩)

فلم تكن هذه الصلاة موجودة عند الأمم السابقة، وقال لنا في (٢٠ المزمّل):

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي أَلَيْلٍ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾

الذي يريد أن يكون معك هناك يشاركك في هذه الصلاة.

نفرض أي متعب ولا أستطيع أن أقوم الليل ، فحضرة النبي ﷺ كانت وظيفته

التيسير، قال ﷺ:

{ مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيَّظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كَتَبَا مِنْ

الدَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالدَّاكِرَاتِ {^{٤١٧}

ينالاً أعظم درجة في آية سورة الأحزاب:

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب ١٣٥)

هاتان الركعتان هل فيهما صعوبة؟! ...؟ صعبة على النفس إذا أطعناها، لكن

إذا جاهدناها فستجد هذه الصلاة فيها لذة، وفيها حلاوة، وفيها طلاوة، وفيها مناجاة،

ركعتان اثنتان فقط لتكون مع رسول الله، ومن الذي يكون معه؟

﴿ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ (المزمّل ٢٠)

وهم الذين يصلون معك صلاة التهجد.

خصوصية صلاة العيد

وجعل الله لنا خصوصية دون جميع الأمم وهي صلاة العيدين، عيد الفطر وعيد

الأضحى، وصلاة العيد سنة وليست فريضة، لكنها خصوصية للأمة المحمدية.

وللتيسير أباح لنا سيدنا رسول الله ﷺ لو حدثت عند الإنسان ظروف ولم يلحق بالجماعة أن يُصلي وحده ركعتين سنة العيد، ووقتها حتى قبل الظهر بثلاث ساعة.

وكل ما في الأمر أنك في الركعة الأولى بعد تكبيرة الإحرام تقول: الله أكبر سبع مرات، وفي الركعة الثانية قبل الفاتحة تقولها: خمس مرات، ومعك زوجتك وأولادك بنفس الكيفية، فنفرض أن زوجتك لم تستطع الذهاب إلى المسجد، فتُصلي العيد وحدها ومعها الوقت حتى قبل صلاة الظهر بثلاث ساعة، لماذا؟
لأنها خصوصية خصنا بها رسول الله ﷺ.

خصوصية صلاة الكسوف والخسوف

وخصنا الله ﷻ بصلاة الكسوف والخسوف، إذا حدث كسوف للشمس أو خسوف للقمر، وهذا أمر من أوامر الله العظيم في الكون، ما الذي يدفعه؟ لا شيء غير صلاة المسلمين، فهي التي تجعل أكرم الأكرمين يتدخل ويحول هذه الحالة إلى حالة خير للناس أجمعين، ببركة صلاة المسلمين صلاة الخسوف وصلاة الكسوف.

وصلاة الخسوف وصلاة الكسوف ركعتين، إما أن نُصليهما جماعة، أو يُصلي كل واحد بمفرده، ونُصلي ركعتين ثم ركعتين حتى ينجلي هذا الخسوف أو هذا الكسوف، ولكن كل ركعة فيها ركوعين بدلاً من ركوع واحد، وإذا كنا نُصلي جماعة فالإمام يخطب خطبة طيبة يعظ فيها الناس ويدعو الله، وهذه الصلاة خصوصية للأمة الحمديّة ببركة رسول الله ﷺ.

خصوصية صلاة الوتر

خصّ الله هذه الأمة أيضاً بصلاة الوتر، فلا توجد أمة أبداً أوجد لهم الله صلاة الوتر إلا نحن، ولذلك قال ﷺ:

{ أَوْتِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ وَتَرَّ يُحِبُّ الْوَتْرَ }^{٤١٨}

والوتر يكون ولو بركعة واحدة، فإياكم أن يترك أحد صلاة الوتر، لأني أرى أن

كثير من المسلمين الآن يُصلي صلاة العشاء، وأحياناً يُصلي ركعتين سنة بعدها، و فقط، لكن سيدنا أبو هريرة قال:

{ أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: صِيَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرُكْعَتَيْ الضُّحَى،
وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ }^{٤١٩}

سيدنا أبو بكر كان يوتر قبل النوم، وسيدنا عمر كان يؤجل الوتر إلى قبل الفجر، لماذا؟ لأن النبي ﷺ قال:

{ اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَتَرًا }^{٤٢٠}

نفرض أنني صليت الوتر بعد العشاء، واستيقظت في الليل وأريد أن أصلي لله، فماذا أفعل؟ أصلي ركعة واحدة، وهذه الركعة مع الوتر أصبحتا شفع، ثم أصلي كما أشاء ركعتين ركعتين، ثم أصلي ركعة وتر، حتى يكون آخر صلاة الليل الوتر، مع قول النبي ﷺ:

{ لَا وَتْرَانَ فِي لَيْلَةٍ }^{٤٢١}

يعني لا يصح أن أصلي الوتر في البداية ثم أصلي قيام الليل ركعتين ركعتين، ثم أصلي الوتر مرة أخرى، لكن وتر واحد فقط.

خصوصية القصر والجمع في الصلاة

نحن الأمة الوحيدة الذين أعطانا الله ﷻ قصر الصلاة، والجمع بين الصلاتين، فإذا كنت في سفر، ومسافة السفر تزيد عن ثمانين كيلو متر يجوز لي أن أقصر الصلاة، ولكن بعد الخروج من بيتي، فلا يصح أن أقصر من بيتي.

كيف أقصر الصلاة؟ أصلي الظهر ركعتين ووراءه على الفور أقيم الصلاة وأصلي العصر ركعتين، فإذا خرجت في وقت الظهر أصلي جمع تقديم، وإذا خرجت قبل الظهر، أؤخر الظهر حتى يؤذن العصر وأصلي جمع تأخير.

٤١٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٤٢٠ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

٤٢١ جامع الترمذي وأبي داود عن طلق بن علي ﷺ

وصلاة المغرب ليس فيها قصر، لكن أجمع معها صلاة العشاء وأصلها ركعتين، وأيضاً جمع تقديم أو جمع تأخير، وهذه خصوصية لهذه الأمة المحمدية.

ومدة القصر كم يوم؟ إذا كنت مسافراً لأي مكان، ومسافته لا تقل عن ٨٠ كيلو، وأنا أعلم أن مهمتي في هذا السفر تحتاج إلى أقل من خمسة عشر يوماً، يجوز أن أقصر الصلاة في هذه المدة.

لكن لو كنت أعلم أن هذه المصلحة تحتاج إلى شهر، فقد أصبحت مقيماً، وأصلي صلاة المقيم على الدوام.

وإن كنت متزوجاً من امرأتين ولكن في بلدين مختلفتين، فلا يصح القصر لي في أي بلد منهما، لأن هذه بلدي وهذه بلدي، وهذه فيها أهلي وهذه فيها أهلي.

والقصر رخصة، وقال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصُهُ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ }^{٤٢٢}

وشرط القصر أن لا تفصل بين الصلاتين بكلام، فلو تكلمت بينهما مع أحد فلا يجوز لك قصر الصلاة الأخرى، لكن شرط القصر أنه بعد الصلاة الأولى أقيم الصلاة التالية على الفور.

لو كنت مقيم في بلدي، ولكني مريض وظروفي الصحية تجعلني لا أستطيع أن أصلي كل صلاة في وقتها، فيجوز لي الجمع، أو جئت من سفر طويل وكنت متعباً وغير قادر، فيباح لي أن أجمع فأصلي الظهر مع العصر، أو المغرب مع العشاء، والجمع غير القصر، فالجمع يعني أن أصلي الظهر أربع ركعات، وبعده العصر مباشرة أربع ركعات.

وهذا في حالة الضرورة، إذا كان في حالة مرض، أو في حالة الإرهاق والتعب الشديد الذي يجعل الإنسان لا يستطيع القيام، أو في حالة المطر الشديد، الذي يمنع الإنسان من الخروج من البيت ليذهب للمسجد، أو في حالة الخوف، كأن يكون هناك عدو متربص بي ولو خرجت سيضربني، فهذه الحالات التي يُباح لي فيها الجمع، فالجمع والقصر خصوصية للأمة المحمدية.

٤٢٢ مسند أحمد وابن حبان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

خصوصية صلاة الخوف

وهناك صلاة خصَّ بها الله المجاهدين المقاتلين اسمها صلاة الخوف.

وصلاة الخوف يُصلِّيها المجاهد وهو في ميدان القتال.

ولها حوالي سبعون صورة جمعها السادة الفقهاء، ومن ضمنها ومن جملتها أنه يُصلي بكامل ملابسه، وهو جالس على المدفع أو غيره، ... ولكن يُجْرِك لسانه بأركان الصلاة، وقراءة القرآن وتسيبحات الصلاة، حتى لا يترك الصلاة ولو كان في ميدان القتال

خصوصية الأضحية

كذلك خصَّ الله هذه الأمة بصلاة عيد الأضحى، والذي عنده أضحية يُضحى، أما الذي ليس عنده أضحية فيمكنه أن يجلس ما بين صلاة الفجر إلى شروق الشمس في يوم العيد أو في أي يوم يذكر الله، قال رحمته الله:

{ مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ، تَامَّةٍ }^{٤٣}

وفي رواية أخرى:

{ لَأَنَّ أَقْعَدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلِ }^{٤٤}

من صلى الصبح في جماعة ثم قعد في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس، كُتِبَ له ثواب حجة مقبولة، وعمرة مقبولة، وكان كأنما أعتق أربعة رقاب من أولاد إسماعيل عليه السلام!!

وكذلك يستطيع كل واحد منا أن يضحِّي كل جمعة - كما ذكرنا - ففي كل جمعة يمكنني أن أذبح جملاً، أو أذبح بقرة، وذلك إذا ذهبت مبكراً إلى المسجد قبل الجمعة.

٤٣ جامع الترمذي عن أنس بن مالك رحمته الله

٤٤ سنن أبي داود والطبراني عن أنس بن مالك رحمته الله

قال ﷺ:

{ مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فَكَانَتْ قَرَبَ بَدَنَةٍ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَانَتْ قَرَبَ بَقْرَةٍ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فَكَانَتْ قَرَبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَانَتْ قَرَبَ دَجَاجَةٍ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَانَتْ قَرَبَ بَيْضَةٍ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ }^{٤٢٥}

من خصائص الأمة المحمدية في شهر رمضان^{٤٢٦}

ما زلنا نواصل الحديث عن الخصائص التي خصَّ بها الله ﷻ هذه الأمة ونبينا في حياتهم الدنيا، لأن المزايا التي خصنا بها الله في الأولى شرحناها، والمزايا التي خصنا الله ﷻ بها في الدار الآخرة ستأتي فيما بعد إن شاء الله، لأننا نمشي بالتسلسل الزمني.

الخصائص للسيوطي

ولمن يُريد زيادة المعرفة لهذه الخصائص فقد جمعها إمامٌ من أئمة المحدثين هو الإمام السيوطي ﷻ وأرضاه.

والإمام السيوطي كان متشعباً في كل نواحي العلوم، وإن كان بزَّ بصفة خاصة في أحاديث النبي ﷺ، فقد جمع كما زُوي عنه مائة ألف حديث عن رسول الله ﷺ، وقال: ولا أظنُّ أني جمعت حديث رسول الله ﷺ كله! لأن حديثه ﷺ انتشر مع أصحابه في البلاد، فكل رجلٍ منهم ذهب إلى بلد من البلاد التي فتحها الله للمسلمين، ومعه ما استمع إليه من أحاديث سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وقد أكرمه الله ﷻ وجمع كل كتب الحديث السابقة التي فيها روايات صحيحة عن سيد الأولين والآخرين، كالبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم، أكثر من مائة مرجع من كتب الحديث، جمعها كلها في كتاب واحد يُعتبر أكبر مرجع في الحديث

^{٤٢٥} البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷻ

^{٤٢٦} القاهرة - المقطم - مسجد مجمع الفائزين الخيري ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

النبي، وفيه حوالي ثنتان وأربعون ألف حديث، لأن للبخاري خمسة آلاف حديث، ومسلم يزيد عنه قليلاً، لكن أحاديث السيوطي اثنان وأربعون ألف حديث، وسماه (جمع الجوامع) لأنه جمع فيه كل الجوامع التي جمعت أحاديث رسول الله ﷺ.

وكان هذا الرجل ذو صلاح وتقى، ولذا زُوي أنه حسب عمره الذي عاشه، وكُتبه التي أَلَّفها، وكان قد ترك حوالي ستمائة كتاب في كل نواحي المعرفة، فجمعت حياته التي عاشها، وكُتبه التي أَلَّفها، وحُسبت فوجدوا أنه لكي يكتب هذه الكتب بخط يده يحتاج إلى أن يكتب كل يوم حوالي خمسة عشر صفحة من مولده إلى وفاته، فكيف جاءه هذا الوقت ليطلع ويسجّل ويكتب!!؟

إنها بركة الوقت التي تحدث للصالحين والمتقين في كل وقت وحين.

وأكبر شيء اعتزَّ به في حياته وكان يفاخر به؛ أنه جاءه النبي ﷺ ذات مرة في المنام، وقال له: (اقرأ عليَّ يا شيخ الحديث) فكان مُعجباً غاية الإعجاب لأن الذي سماه شيخ الحديث هو رسول الله ﷺ.

هذا الرجل المبارك جمع هذه الخصائص للنبي ﷺ ولأُمَّته في البدء، وفي التشريعات، وفي الحياة الدنيوية، وفي الحياة الأخروية وجمعه في حوالي أربعة أجزاء، والكتاب مطبوع لمن أراد أن يطلعه وينظر ما فيه.

ونحن بحمد الله ﷻ نقنيس منه ما يُلائم عصرنا، وما يُلائم زماننا، لأن لكل زمان علمٌ خاص خصَّ به النبي ﷺ أهل هذا الزمان.

وقد تكلمنا في الدرس السابق عن خصوصية النبي ﷺ وأُمَّته في الصلاة، والخصوصية يعني الأشياء التي أختصُّوا بها دون الأمم السابقة مزبَّةً لهذه الأمة، وتشريفاً لنبي هذه الأمة صلوات ربي وتسليماته عليه.

خصوصية صيام شهر رمضان

ونتكلم في هذا الدرس عن خصوصية النبي ﷺ وأُمَّته في شهر رمضان، وصوم شهر رمضان أمرٌ فريدٌ اختصَّ الله به هذه الأمة، وما في شهر رمضان من الفوائد والمزايا لا يعد ولا يحُد، ولكننا نكتفي منها بالنذر اليسير.

فالأمة الوحيدة التي فُرض عليها صيام شهر رمضان بعينه هي أمة رسول الله ﷺ، واختصها الله تعالى بصيام هذا الشهر المبارك، وقال معبراً ﷺ عن ذلك:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ (البقرة ١٨٥)

لأنه الشهر الذي ابتدأ نزول القرآن فيه.

والقرآن خصوصية للنبي وأُمَّته لأنه الكتاب الجامع لكل ما في كتب الأنبياء والمرسلين السابقين، وزيادات خاصة بسيد الأولين والآخرين وأُمَّته صلوات ربي وتسليماته عليه.

فكان في الأصل صيام شهر رمضان شُكراً لله الذي اختصنا بإنزال القرآن، وجعلنا أهلاً لهذا الشرف الكبير وهذا الفضل العظيم، وهذه واحدة.

تلاوة القرآن في شهر رمضان

ولأن الصيام يُرقق القلب، ويُعَلِّي شأن الروح، ويكون في ذلك فتوح لمن يقرأ كتاب الله بتأنٍ وتدبر، فإذا كنا صائمين أخذنا في تلاوة كلام رب العالمين بتأنٍ وتدبر، ولا نعد، فعامّة المسلمين يعدُّون ختمات ويقول: أنا ختمت هذا الشهر خمس ختمات، أو عشر ختمات!! فهل نعد على الله الذي لا يعد علينا آلاءه ونعماه؟! هل يعد علينا النعم لنعد الأعمال التي عملناها؟!، في حين أن هذه الأعمال التي نعملها لا نقوم بها إلا بتوفيق الله، ومعونة الله، وحول الله، وطول الله جل في علاه.

فإذا قرأ الإنسان القرآن في شهر رمضان وهو صائم، في نهار الصيام أو ليله مع التدبر، كان أهلاً لنزول الأنوار القرآنية، والإشراقات الإلهية، والأسرار العلمية الربانية التي بثها الله تبارك وتعالى في حنايا وثنايا كتاب الله ﷺ.

ولذلك كان شأن أصحاب النبي كشأن النبي، فقد كان النبي ﷺ أحياناً يمضي الليلة كلها في ترديد آية واحدة لا يجاوزها إلى غيرها!، آية واحدة يُكرر فيها، ويُعيد فيها من بعد صلاة العشاء إلى مطلع الفجر!، لماذا؟ لتكرار المشاهد التي يشهدها فيها، والأسرار التي يبثها الله في فؤاده فيها، والخفايا التي لا نحيط بها والتي يراها فيها، لأن الله ﷻ قال له ﷺ: ﴿ أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ (٣الملك) والواو واو المعية، يعني أنت تقرأ القرآن

وجعل الله ﷻ صيام شهر رمضان ككل عبادات المؤمنين، فأبي عبادة فرضها الله علينا أدنى ما يحصل للمؤمن فيها عند عملها أن يغفر الله له ما تقدم من ذنبه. فقال ﷻ:

{ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }^{٤٢٧}

وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد ﷻ في مسنده:

{ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ }^{٤٢٨}

وهذا من فضل الله:

{ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } (٢١ الحديد).

خصوصية خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك

وجعل للصائمين عند الله ﷻ علامة في الدنيا، وعلامة لهم في الآخرة، فالصائم في العادة تكون رائحة فمه غير مقبولة لأن الطعام يخرج من الجوف إلى الفم مباشرة، ولكنه حرصاً على أن لا يتأذى مسلم من صيام مسلم جعل خلوف - يعني رائحة - فم الصائم عند الله أطيب من رائحة المسك:

{ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ }^{٤٢٩}

وإذا كان يوم القيامة يُعرف الصائمون في أهل الموقف برائحة المسك التي تخرج من أفواههم!، ثمرة للصيام الذي صاموه لربهم ﷻ ابتغاء وجه الله في هذه الحياة الدنيا، وليس معنى ذلك أن الصائم يترك غسل أسنانه، بل إنه مُطالب بالهدى النبوي في ذلك، فبعد أن يتسحر يغسل أسنانه بمعجون الأسنان، أو السواك، أو هما معاً، فيجمع الحُسنيين... وله أن يغسل أسنانه، أو يستاك في النهار إلى صلاة الظهر، حتى لا يكون له عُذرٌ في ترك هذا العمل الذي يُزكّيه النبي ﷻ.

٤٢٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷻ

٤٢٨ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷻ

٤٢٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷻ

ونحن في هذه الأيام الحديثة ظهر في الصيدليات عبوة تُخرج رزازاً في الفم تُطيب به رائحة الفم، وأنا أنصح دائماً الأحباب باستخدامها هو وزوجته قبل النوم، وإذا كان خارجاً للصلاة، أو خارجاً لاجتماع، أو خارجاً لصلاة الجمعة.

واللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية أباحت استخدام هذا الرزاز في شهر رمضان، وقالت: هو لا يُفطر ولا يؤثر في صيام الصائم، وضغطة واحدة منه تطيب رائحة الفم، فلماذا نحن كمسلمين لا نكون كالغاية العظمى التي ينشدها الله ورسوله ﷺ في كل أمورنا؟! وماذا تكلفنا؟! هل ستشتري واحدة كل أسبوع؟! لا مانع!! ولكن المهم ألا يتأذى أحدٌ مني، ولا يُدير وجهه للجهة الأخرى بسبب الرائحة التي تخرج من فمي، أو أصلي فأجد من يُصلي بجواري يتأذى مني!!

فهذه حلول عملية، وأبحاثها الشريعة الإسلامية، ولا تُبطل أجر الصائم ولا تُفسد صيامه كما أفق السادة العلماء الأجلاء في المملكة العربية السعودية، وإفتاؤهم بعد أن بحثوها علمياً، وقالوا: إن رزازها لا يدخل إلى الجوف، ولكنه يتطاير في الفم، وما دام لا يدخل إلى الجوف فلا يُفطر.

وجعل الله ﷻ ملائكة السماوات بأجمعهم تمسك إلى الأرض وتستغفر للمسلم الصائمين طوال صومهم، منذ بدء الصيام مع مطلع الفجر إلى وقت الفطور ملائكة يستغفرون الله لك، ويكتب هذا في صحيفة حسناتك: ﴿وَالْمَلَكُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (الشورى).

خصوصية صلاة القيام

وإذا صليت صلاة القيام فإن هناك ملائكة مخصوصين ومُعظمين يقول فيهم ﷻ:

{ إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى حَوْلَ الْعَرْشِ مَوْضِعًا يُسَمَّى حَظِيرَةَ الْقُدْسِ، وَهُوَ مِنَ النُّورِ فِيهَا مَلَائِكَةٌ لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى يَعْبُدُونَ اللَّهَ ﷻ عِبَادَةً لَا يَفْتُرُونَ سَاعَةً، فَإِذَا كَانَ لَيْلِي شَهْرِ رَمَضَانَ اسْتَأْذَنُوا رَبَّهُمْ أَنْ يَنْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ، فَيَصَلُّونَ مَعَ بَنِي آدَمَ، فَيَنْزِلُونَ كُلَّ لَيْلَةٍ الْأَرْضَ فَكُلُّ مَنْ مَسَّهُمْ أَوْ مَسُّهُ سَعِدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا }^{٤٣٠}

٤٣٠ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي عن علي بن أبي طالب ﷺ

لا يفترون ساعة يعني لا يملون لحظة، فيحضرون معنا صلاة القيام، وما النتيجة؟
من مسَّهم أو مسَّوه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً!!، ويُصبح من:
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ (١٠٨هـ) لا شقاء له في الدنيا ولا في الآخرة.

خصوصية تعجيل الفطر وتأخير السحور

وجعل الله ﷻ لهذه الأمة خصوصيات في الصيام، فسنَّ لنا النبي ﷺ تعجيل الفطر وتأخير السحور، ونهانا عن صيام الوصال، فقد كانت الأمم قبلنا يُفطرون ساعة الغروب، ثم ينوون الصيام ولا يأكلون ولا يشربون إلى اليوم التالي، لكن الله خَفَّفَ عن هذه الأمة وقال ﷻ:

{ لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْإِفْطَارَ، وَأَخَّرُوا السُّحُورَ }^{٤٣١}

لكن في هذا الزمن أصبح الكثير يُعَجِّلُ السحور، وخاصة الشباب، وهذا مخالف للسنة، لكن السنة تأخير السحور، لماذا؟
كما ورد في الأثر: (سيروا على قدر ضِعْفائِكُمْ).

فأنا لا أصوم بمفردي، ولكن أعلم أولادي وبناتي، والأولاد والبنات الصغار يحتاجون وخاصة في الأيام شديدة الحرارة التي يكون فيها رمضان أن تُؤخَّرَ لهم وجبة السحور حتى يمكث الطعام في بطنهم مدة طويلة.

ولا بد أيضاً للأطفال أن نستوصي بهم في السحور، فلا بد أن يكون في الطعام مادة بروتينية ولو حتى بيضة، لأن هذا يبني جسمه، فإذا نفذ الطعام فإن المعدة تُكسِّرُ من خلايا الجسم لتغذي بقية الأعضاء، وهذا فيه خطورة على الولد، فلا بد أن تُؤخَّرَ السحور، وحتى لو لم يكن لي شهية للطعام، لكن كما قال ﷻ:

{ تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَتَةً }^{٤٣٢}

خذ بركة السحور، ولو كنت غير قادر على الطعام فكما قال ﷻ:

٤٣١ مسند أحمد عن أبي ذر الغفاري ﷻ

٤٣٢ البخاري ومسلم عن أنس ﷻ

{ تَسَحَّرُوا وَلَوْ بِجَرَعَةٍ مِنْ مَاءٍ }^{٤٣٣}

يعني ولو بكوب ماء تشربه، المهم أن تُنفذ سُنَّة النبي ﷺ ففيها الغذاء، وفيها الشفاء من كل داء بأمر الله تبارك وتعالى.

وتعجيل الفطر أمرنا به النبي ﷺ ومشى عليه، لكن البعض وخاصة في القرى - ولا أعرف من أين أتوا بهذه العادة - يقولون: لا نفطر إلا إذا تشهَّد المؤذن، ... فمن أين أتوا بهذا!!؟

لكن بمجرد غروب الشمس ووجوب وقت الأذان لا بد أن نفطر على الفور.

ويُستحسن - لمن استطاع - أن يقتدي بهدي النبي، فقد كان ﷺ يفطر على رُطْب، وهو البلح الطازج إذا كان موجوداً، أو على تمر مبلول في لبن أو في ماء، فالجسم يحتاجه في هذه اللحظات، ثم يقوم لصلاة المغرب، وبعد صلاة المغرب يُكمل الفطور.

وهذا الكلام لي أنا، لكن إذا كان عندي صببية صغار ولا يستطيعون الإنتظار، فأفطر معهم وأُوجَل صلاة المغرب لحين الانتهاء من الإفطار، لماذا؟ سيروا على قدر ضعفاءكم.

لكن هل أقول لهؤلاء الأولاد انتظروا ولا تأكلوا حتى أنتهي من صلاة المغرب!!؟، لا يصح ذلك، ولو تركتهم يأكلوا وذهبت للصلاة ربما يستحووا وينتظروني، لذلك أفطر معهم وأطعمهم، ثم أصلي المغرب ووقتها ممتد للعشاء.

المهم أنني بعد الإفطار لا أنشغل عن صلاة المغرب حتى أذان العشاء، وهذه هي الكارثة الكبيرة، ولكن بعد الإفطار مباشرة أقوم إلى الصلاة.

كذلك إذا جاءني ضيوف فهل أقول لهم: هيا نصلي المغرب أولاً وبعدها نفطر!!؟ إذا كانوا يحبون ذلك، وهم جاهزون لذلك فلا مانع، لكن ربما يريدون الإفطار أولاً، فماذا أفعل؟ أفطر معهم أولاً، وبعد ذلك نُصلي المغرب.

فتعجيل الفطر سُنَّة عن النبي ﷺ، وخير الهدي هدي سيدنا رسول الله ﷺ، وأثبت ذلك الطب الحديث بفضل الله وبإكرام الله تبارك وتعالى، فإن الإنسان في آخر اليوم يكون في حالة إرهاق في كل أعضاء الجسم.

٤٣٣ صحيح ابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما

فإذا أكل الإنسان في بداية طعامه أي بروتين مثل اللحم أو الدجاج أو غيره، فإن الجسم يحتاج إلى ساعتين حتى يصل هذا الغذاء إلى الأعضاء وينشطها، وإذا أكل دهون كسمن أو زبدة أو قشدة وغير ذلك فإن الجسم يحتاج إلى أربع ساعات حتى تهضم وتصل إلى الأعضاء لتنشطها من الحمول التي هي فيه.

لكن ما الذي ينشط الأعضاء فوراً في دقائق؟

أي شيء سُكَّرِي، أو أي عصير سُكَّرِي، وأفضلهم وأحسنهم الذي كان عليه حضرة النبي وهو التمر المبلول في الماء أو في اللبن، لماذا؟ لأنه فوراً يصل إلى الأعضاء وينشطها، بالإضافة إلى أن التمر فيه ألياف، وهذه الألياف مفيدة لمعدة الإنسان فلا يُصاب بالإمساك، أو عُسر هضم، وهذا كان هدي النبي ﷺ.

خصوصية الصيام من الفجر إلى غروب الشمس

ومن فضل الله تبارك وتعالى على هذه الأمة :

- أنهم في بداية فرض الصيام كانوا يصومون على نهج السابقين، فكان الواحد منهم يفطر عند أذان المغرب، وطالما هو مستيقظ يجوز له الطعام والشراب ..
- لكن إذا نام في أي وقت يكون قد بدأ الصيام لليوم التالي، ولا يُباح له إتيان زوجته إذا نام لأن هذا ممنوع في الصيام.

أصحاب رسول الله كانوا مباركين:

فأحدهم عاد من عمله وكان متعباً، ودخل البيت عند أذان المغرب، فمن شدة التعب نام ولم يفطر، فلما استيقظ وجد أنه لا يجوز له الطعام، وعليه أن يكمل الصيام إلى اليوم التالي، فذهبت زوجته تشكو لرسول الله ﷺ، وسيدنا عمر ؓ بعد أن صلى المغرب وأفطر أراد أن ينام مع زوجته فقالت له: أنا نمتُ ولا يجوز لي ذلك، لكنه لم يستطع أن يغلب نفسه، فجامعها، ثم جاء للرسول ﷺ يشكو له، فأنزل الله ﷻ آياته في كتاب الله تُخَفِّف عن المسلمين، وتجعل بداية الصيام من الفجر، ونهايته إلى غروب الشمس، وما بين غروب الشمس إلى الفجر سواء كان قائماً أو نائماً يُباح له الشراب، ويُباح له الطعام، ويُباح له النساء:

﴿ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾

عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْعَنَ
بَشِيرُوهُنَّ وَأَتَّبَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴿١٨٧ البقرة﴾.

وتختانون يعني لا تستطيعون التغلب على أنفسكم وتقعوا في المحذور، فخفف الله علينا عن الأمم السابقة، وأصبح الصيام مبسطاً وسهلاً للمؤمنين.

خصوصية النهي عن صيام الوصال

كانت بعض الأمم السابقة عندهم أيام يصومون فيها صيام الوصال، وصيام الوصال يعني يمكث عدة أيام بدون إفطار ولا سحور، فأراد أصحاب النبي ﷺ الأقوياء والأشداء في العبادة أن يصنعوا ذلك، ويصومون صيام الوصال، فهاهم النبي ﷺ، وقال:

{ إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تَوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِيَّيْ لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ،
إِيَّيْ أَبِيْتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي }^{٤٣٤}

وفي رواية أخرى:

{ إِيَّيْ أَبِيْتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، }^{٤٣٥}

وطبعاً هذه فيها أسرار وأنوار تحتاج قلوب الأطهار والأبرار، ليفقهوا سر النبي المختار مع الله تبارك وتعالى في هذا الأمر.

يعني بمعنى: ما الذي يحتاجه الجسم ليأكل؟ الطعام الذي يخرج من الأرض: ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ (البقرة ٢٦٧) ..

وما الذي يحتاجه ليرتوي؟ الماء، لكنه ﷺ عندما يبيت عند ربه، هل يبيت بجسمه أم بروحه؟ بروحه، فإذا كان بروحه هل يأكل لحمًا أو ما شابه ذلك؟! لا ..

بل شيء خاص برسول الله ﷺ، أطعمة نورانية جنانية، من الجنة العالية، فكان ﷺ وهو في حياته الدنيا يتمتع بنعيم الجنة زيادة إكرام له بين رسل الله وأنبياء الله صلوات الله عليهم أجمعين، ولذلك لم يكن ﷺ يشعر بجوع ولا عطش.

٤٣٤ سنن البيهقي ومستخرج أبي عوانة عن أبي هريرة ؓ

٤٣٥ بحر الفوائد للكلايذي عن أبي هريرة ؓ

تصحيح حديث وضع النبي للحجر على بطنه

وأريد أن أوضح في هذا الباب رواية يحكيها البعض، وصححها السادة العارفون والحكماء، يقولون: أن النبي ﷺ كان من شدة الجوع يضع حجراً على بطنه، ويربطه من الجوع، لكن كيف يقول: (أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني)!! وكيف يضع حجراً من شدة الجوع!!؟.

لكن العلماء المحققون حققوا في النصوص الحديثية فوجدوا أن النص الصحيح: ((كان يضع حُجْراً على بطنه)) وحُجْز يعني حزام كان يربطه على بطنه، وهو الحزام الموجود في الملابس النبوي، والذي يليسه العلماء الكبار والسادة القراء وغيرهم، تشبيهاً بالحزام الذي كان يضعه رسول الله على بطنه.

وهو حزام من القماش، وكان يلفه على بطنه، وليس لهذا شأن بالجوع ولا بالعطش، لأن الله يُطعمه ويسقيه على الدوام صلوات ربي وتسليماته عليه.

خصوصية ليلة القدر

وأكبر خصائص هذه الأمة في شهر رمضان ليلة القدر، سيدنا رسول الله ﷺ أطلع ذات مرة في ملفات الأمم السابقة، وملفات الأعمال موجودة كلها في ديوان تحت عرش الرحمن، ونحن من ضمنهم، فكل واحد منا له ملفٌ هناك.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

{ ذُكِرَ لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك وتمنى ذلك لأُمَّته، فقال: ((يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً؟ فأعطاه الله ليلة القدر، فقال: (ليلة القدر خير من ألف شهر) التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله، لك ولأمتك إلى يوم القيامة) }^{٤٣٦}

قدّم رسول الله تظلم للحكم العدل اللطيف الخبير ﷺ، فأُنزل الله:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (القدر) وألف شهر تعادل ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر تقريباً، وهي ليست كألف شهر، ولكنها أفضل من ألف شهر في الجهاد في سبيل الله، وفي طاعة الله ﷻ.

متى تكون ليلة القدر؟ ... سيدنا رسول الله خرج ليخبر أصحابه بالليلة، فحدث بين بعضهم مُشادة فقال لهم:

{ إِيَّيَّ حَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَإِنَّهُ تَلَاخِي فَلَانٌ وَفَلَانٌ، فَرَفَعْتُ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَّكُمْ }^{٤٣٧}

وسيدنا رسول كله رحمة مهداة، ودعوته كلها تيسير على عباد الله، فماذا قال لنا الله كلنا؟ ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١٧٨ الحج) قال ﷺ:

{ مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }^{٤٣٨}

وهذا غير الأجر، فيُغفر له ما تقدم من ذنبه، ويأخذ أجراً أكثر من عمل ألف شهر، وأين هي يا رسول الله؟ قال:

{ تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ }^{٤٣٩}

يعني الليالي الفردية، ليلة احدى وعشرون، وليلة ثلاث وعشرون، وليلة خمس وعشرون، وليلة سبع وعشرون، وليلة تسع وعشرون،

البعض يتفلسف ويقول: إن رمضان في بلدنا يختلف عن بلاد أخرى، والليالي الفردية عندنا غير الليالي الفردية في بلاد أخرى، وفتاوى الناس كثيرة في هذه الأيام!!

لكن يا أخي أنت تتبع بلدك والكريم يكرمك لأنك نفذت أمر الله، والله يُعطيك على قدر نيتك لأنك تنفذ أمر الله وتقتدي بسيدنا رسول الله ﷺ.

من يستطيع احياء هذه الأيام العشرة كلها، أو الأيام الفردية كلها؟

النبي ﷺ يسر علينا وقال لنا:

٤٣٧ صحيح البخاري وابن حبان عن عبادة بن الصامت ﷺ

٤٣٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٤٣٩ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

{ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ
وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ }^{٤٤٠}

فلو حافظت في العشر الأواخر من رمضان على صلاة العشاء في جماعة والفجر في جماعة، فأنا لأجر قيام ليلة القدر، ويُغفر لي ما تقدم من ذنبي، وأكون قد أخذت حظي من الأجر، لأنني نفذت ما أشار به الرؤوف الرحيم ﷺ في هذا الفضل الإلهي.

فما بال من يُحييها!!؟

هذا له مزيد من الأجر، ومزيد من الثواب، ومزيد من التكرم.

فعندما يوفق الموفق واحداً منا ويُحيي ليلة القدر، يعني يُصلي في العشرة أيام العشاء والفجر في جماعة، يخرج له شيكاً آخر الشهر بأنه عبد الله عبادة مقبولة تامة أفضل من عمل ألف شهر.

ومن الذي يكتب هذا الأجر؟ ... رب العالمين ﷻ.

لأن كل أعمال الصيام حتى الملائكة الذين معنا ليس لهم شأنٌ بها ..

فالملائكة الذين معنا معهم بيان بالعمل الصالح ليسجلوه ويقيموه ..

لكن ليس لهم شأنٌ بأجر الصيام، قال ﷺ:

{ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ
اللَّهُ ﷻ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ }^{٤٤١}

هذا أمر خاص برب العزة تبارك وتعالى ... وهو الذي يضع المكافآت، وليس للملائكة شأنٌ بهذا.

ويغفر الله له ما تقدم من ذنبه، فلو عاش مثلاً أربعين سنة يحافظ على قيام ليلة القدر، فعندما يلقي الله، تخرج له شهادة الوفاة من مكتب الصحة بأن عنده ثمانين سنة مثلاً، ولكن مكتب الصحة عند رب العالمين يقول: عُمره أربعة آلاف سنة، كيف!؟

هذا من فضل الله على هذه الأمة بفضل ليلة القدر.

٤٤٠ مسند أحمد وصحيح ابن حبان عن عثمان بن عفان ﷺ

٤٤١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

صيام الأيام الفاضلة

وجعل لنا الله ﷻ مع ليلة القدر أيام مباركة:

كيوم عرفة:

فلو صمناه غُفِرَ لنا سنة قبله وسنة بعده، ويوم عاشوراء لو صمناه يغفر الله لنا ذنوب سنة ماضية، فكلها أيام فاضلة، قال ﷺ:

{ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ }^{٤٤٢}

ولو صمت ست أيام في شهر شوال متتالين أو متفرقين:

أُكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ طَوَالَ الْعَامِ صَائِمٌ رَغِمَ أَنْيَ أَكَلَ وَأَشْرَبَ، قَالَ ﷺ:

{ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِسِتِّ مِنْ شَوَّالٍ فَكَانَتْ صَامَ الدَّهْرِ }^{٤٤٣}

والدهر يعني السنة، فإذا كانت عندي ظروف في أيام شوال ولم أستطع الصيام، قال ﷺ:

{ صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، صَوْمُ الدَّهْرِ }^{٤٤٤}

يعني من صام شهر رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر:

كان كمن صام السنة كلها.

وليس شرطاً أن أصوم الثلاثة أيام البيض: بل أي ثلاثة أيام من كل شهر!

فأُكْتُبَ طَوَالَ السَّنَةِ صَائِمًا لِلَّهِ ﷻ، مَعَ أَنْيَ مُفْطِرٌ، وَأَكَلَ وَأَشْرَبَ، وَأَعْمَلَ مَا أُرِيدُ! ... وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

٤٤٢ صحيح مسلم والنسائي عن أبي قتادة ﷺ

٤٤٣ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي أيوب ﷺ

٤٤٤ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

الفصل الثالث عشر

خصائص النبي رحمته الله في الآخرة^{٤٤٥}

تحدثنا عن خصائص النبي التي انفرد بها على الخلق أجمعين، حتى النبيين والمرسلين والملائكة وكل أهل عالين، فتحدثنا عن فضائله رحمته الله في بداية الكون، وعن خصائصه رحمته الله عند ولادته، وعن خصائصه رحمته الله في رسالته، وعن خصائصه التي حباه بها الله في حياته الدنيا... والآل لنا وقفة قصيرة مع الخصائص التي حبا الله بها نبينا رحمته الله... في الدار الآخرة.

ونحن عندما نتكلم عن خصائص خصَّ بها الله نبينا؛ لنعلم علم اليقين أن كل ما خصَّ الله تعالى به نبينا من فضل ومن إكرام فهو لنا أجمعين؛ بالاتباع لحضرتة عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

النفخ في الصور

إذا قدرَ القدير تبارك وتعالى نهاية الدنيا، فنهايتها تكون بالنفخ في الصور، والنفخ في الصور يكون ثلاث مرات ذكرها كتاب الله رحمته الله، والصور هو العالم المحيط بكل عوالم السماوات والأرض وما بينهما، واسمه الصور المحيط.

فإذا نفخ الملك الموكل بالنفخ وهو إسرافيل بأمر الله رحمته الله، فإن الله رحمته الله يُجري هذه النفخة لكل من في عوالم الله العلوية والسفلية، إلا من يستثنيه الله كما أخبر في الآيات القرآنية.

أول نفخة تُسمى نفخة الصعق:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (٦٨ الزمر)

هذه النفخة تُصعق فيها كل الأرواح الحية في وقتها، والصعق يعني فقدان الوعي والغيبية عن الحس، وهو بدايات الموت الإلهي والقهري، قال رحمته الله:

{ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ }^{٤٤٦}

أول من يُصعق في عالم السماوات والأرض هو رسول الله ﷺ، وفي هذا إشارة جليلة لأهل القلوب النقية النقية، فإن الصعق لا يكون إلا للأحياء في وقتها، وإذا فقها الإشارة علمنا أن النبي ﷺ حيٌّ عند ربه حياةً أكملية.

وإذا كان الشهداء أحياءً عند ربهم يُرزقون، فهو سيد الشهداء وإمام الشهداء صلوات ربي وتسليماته عليه، فقد قال ﷺ:

{ مَا زَالَتْ أَكْلَةٌ حَايِرٌ تُعَاوِدُنِي فِي كُلِّ عَامٍ، فَهَذَا أَوَانُ انْقِطَعَتْ أَبْهَرِي }^{٤٤٧}

إحدى النساء من اليهود عند فتح خيبر أرسلت إلى النبي ﷺ ومن معه شاةً مشوية، ووضعت فيها السم، وجلس النبي ﷺ ومن معه، وكان يُحب الذراع، يعني الكتف، فأمسك بالذراع وقال:

{ اِرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ؛ فَإِنَّهَا أَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ }^{٤٤٨}

بعض أصحابه أكل فمات في الوقت والحال لأنه كان سُمَّ سريع النفاذ، ومع ذلك حتى يُبرر لنا النبي شهادته ذكر أن هذه الأكلة تعاوده حتى قطعت أبهره، والأبهر هو الأورطي وهو الشريان الرئيسي لنا أجمعين في القلب والذي إذا قُطع مات الإنسان فوراً، فبهذا النص يكون قد مات شهيداً، بل هو أعلى الشهداء منزلةً عند الله ﷻ.

وبعد ذلك النفخة الثانية:

{ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } (٦٨ الزمر) قال ﷺ:

{ النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ }^{٤٤٩}

موسى صُعق على جبل الطور: { وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا } (٤٣ الأعراف) فهل أفاق قبل حضرة النبي؟ ولا يكون ذلك أبداً!! ... أم جوزي بنفخة الصعق فكان مما استثناه الله

٤٤٦ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري

٤٤٧ صحيح الجامع عن عائشة رضي الله عنها

٤٤٨ سنن أبي داود والحاكم في المستدرک عن أبي هريرة

٤٤٩ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري

ﷺ، ولأن هذا الأمر لا تدركه عقولنا ولا قلوبنا ولا أرواحنا ... فقد سكت عنه رسول الله ﷺ، لأنه كان يقول لنا أجمعين:

{ إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنِ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا }^{٤٥٠}

الأمور التي سكت الله عنها لا نسأل عنها لأنها لا تدركها العقول ولا القلوب ولا الأرواح.

والله ﷻ بين ما بين النفختين: قال ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة ؓ:

{ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ }^{٤٥١}

فالحاضرون قالوا له:

{ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا، قَالَ: أَبَيْتُ }^{٤٥٢}

يعني ليس لي شأن بهذا الأمر، فكما سمعته من النبي هكذا ولم أسأل ولا يصح أن أجيب من عندي، ولا أفسر كلام النبوة بعقلي ولا بفكري، ولكن أرويه كما سمعتم، أربعون يوماً، أو أربعون ليلة، أو أربعون ساعة، فهي أمور لا يدريها إلا رب العزة ﷻ، والحبيب ﷺ أخفاها عنا لعلوها عن مداركنا أجمعين.

النشأة الأخرى

فيما بين النفختين تتجهز الأرض لإخراج بني الإنسان للعرض والحساب على حضرة الديان، فالناس ماتوا، ومنهم من دُفن في التراب، ومنهم من أكلته الأسماك في البحار، ومنهم الذي دخل في بطون السباع، ومنهم من مات بالحرق ولم يتبق من ظاهره شيء، لكن كل هذا سيجمعه الله ﷻ بين النفختين.

٤٥٠ سنن البيهقي والدارقطني عن أبي ثعلبة الخشني ؓ

٤٥١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

٤٥٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

فِيرْسِلُ اللَّهُ ﷻ هَوَاءً عَلَى الْأَرْضِ مِنْ جِهَاتِهَا الْأَرْبَعِ، وَتَشْتَدُّ صَدَمَاتُ هَذَا الْهَوَاءِ حَتَّى يَصِيرَ رِيحًا، وَتَشْتَدُّ صَدَمَاتُ الرِّيحِ حَتَّى تُحَوِّلَ الْجِبَالَ إِلَى كُتْبَانٍ رَمَلِيَّةٍ، يَعْنِي أَكْوَامٍ مِنَ الرَّمْلِ: ﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً﴾ (١٤ المزل) ومهياً يعني رمل متهايل.

وَقَدَّرَ اللَّهُ ﷻ أَنْ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ جِزْءٌ وَضَعَهُ الدِّيانَ لَا يَبْلَى، وَلَا يَفْنَى، وَلَا تَهْتَمُّهُ بَطُونَ السَّبَاعِ، وَلَا يَحْدُثُ لَهُ شَيْءٌ، بَلْ يُحْفَظُ بِأَمْرِ الْحَفِيزِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ ﷺ:

{ كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ }^{٤٥٣}

وعجب الذنب وهو الجزء الأخير في العمود الفقري في الإنسان والذي يُسَمَّى في اللغة العامية العَصْعَصُ، فلا يبلى ولا يفنى ولا يهضم، لماذا؟ لأنه المغناطيس الذي ستجتمع حوله عناصر الإنسان يوم تقدير القدير ﷻ لعودة الأبدان.

كل حقائق الإنسان تُجمع على عجب الذنب الخاص به، وبعد الجمع يأمر الله الهواء أن يتوقف، ثم يأمر السماء أن تمطر، ماذا تمطر؟ قال ﷺ:

{ ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مَاءً مِنَ السَّمَاءِ كَمَيِّ الرَّجَالِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ }^{٤٥٤}

النطفة التي خلق منها الإنسان يُقَدِّرُ اللَّهُ ﷻ لَهَا مَلَكًا يَقْسِمُهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، قَسَمٌ يَنْزِلُ فِي بَطْنِ الْأُمِّ يَتَكُونُ مِنْهُ الْإِنْسَانُ، وَقَسَمٌ يُوضَعُ فِي الْحَفْرَةِ الَّتِي سَيُدفَنُ فِيهَا، وَسَيَدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمْشِي فِي الْبَقِيعِ وَمَرَّ بِجِنَازَةٍ عِنْدَ قَبْرِ فَقَالَ:

{ قَبْرُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: فُلَانُ الْحَبَشِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، سَيِّقَ مَنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى تَرْبَتِهِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ }^{٤٥٥}

الذي أنشئ منها لا بد أن يرجع إليها، ويذهب هنا وهناك، ويُقَدَّرُ مسبب الأسباب لِيُوضَعَ فِي تَرْبَتِهِ الَّتِي تَكُونُ مِنْهَا مِنَ التُّرَابِ، قَالَ ﷺ فِي حَدِيثٍ آخَرَ:

{ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَقَدْ ذُرَّ عَلَيْهِ مِنْ تُّرَابِ حُفْرَتِهِ }^{٤٥٦}

٤٥٣ صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ

٤٥٤ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي عن أبي هريرة ﷺ

٤٥٥ الحاكم في المستدرک عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٤٥٦ حلية الأولياء لأبي نعيم، وتاريخ دمشق لابن عساکر عن أبي هريرة ﷺ

كل آدمي ذرٌّ عليه من تراب حفرته التي سيدفن فيها، والقسم الثالث يصعد إلى عالم الملك، لينزل عندما تُمطر السماء، ليعيد الله الإنسان مرةً أخرى كما كان، وهذه اسمها النشأة الأخرى.

بعد أن تُمطر السماء يتكون الإنسان.

وبعد أن يتكون الإنسان: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (الزمر: ٦٨) فتنزل الأرواح من مستقرها إلى الأجسام التي كانت تسكن فيها في حياتها الدنيا، ولا توجد روح تنوء عن جسمها الذي كانت تسكن فيه، هذه الأرواح عندما تخرج تكون كما وصفها الله: ﴿ كَانَهُمْ جُرَادٌ مُنْتَشِرُونَ ﴾ (القمر: ٧) تخرج الأرواح دفعةً واحدة كأسراب الجراد وتذهب للأجسام لتحتي بأمر الذي لا يغفل ولا ينام ...

من أول من يفيق من الصعق، ويحتيي الحياة الأبدية الأزلية؟ سيدنا رسول الله ﷺ قال ﷺ:

{ أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا }^{٤٥٧}

فهذه خصائص خصَّ بها الله ﷻ حبيبه ومصطفاه ﷺ.

حشره ﷺ

سيدنا رسول الله ﷺ كما حكى كعب الأحبار ﷺ:

{ فَقَدْ دَخَلَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ عَلَىٰ عَائِشَةَ فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ كَعْبُ: مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إِلَّا وَيُنْزَلُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، حَتَّىٰ يَحْفُوا بِقَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ، يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّىٰ إِذَا أَمْسَوْا عَرَجُوا، وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفًا حَتَّىٰ يَحْفُوا بِالْقَبْرِ، يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ فَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، سَبْعُونَ أَلْفًا بِاللَّيْلِ وَسَبْعُونَ أَلْفًا بِالنَّهَارِ، حَتَّىٰ إِذَا انْشَقَّتِ الْأَرْضُ خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَزْفُونَهُ }^{٤٥٨}

٤٥٧ جامع الترمذي والدارمي عن أنس ﷺ

٤٥٨ سنن الدارمي، وشعب البيهقي، ولبتذكرة للقرطبي عن كعب الأحبار ﷺ

هل يذهب راكباً أو ماشياً؟ قال ﷺ:

{ أَحْسَرُ أَنَا عَلَى الْبُرَاقِ فَأَخْتَصُّ بِهَا دُونَ الْأَنْبِيَاءِ }^{٤٥٩}

البراق الذي ركبته في الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى:

وهي دابة ملكوتية، وكلمة ملكوتية إذا ذقت الإشارة يعني أنها ليست من عوالم الأرض، ولذلك قال فيه ﷺ واصفاً له:

{ أُتَيْتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ، طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَعْلِ، يَصْعُقُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ }^{٤٦٠}

آخر ما يصل البصر إليه يضع خطواته، فهو ليس كائن أرضي، بل أنه كان كائناً يفقه ويعقل، فعندما وصل إلى رسول الله ﷺ ومعه الأمين جبريل، أخذ يرقص من شدة الفرح، فقال له الأمين جبريل كما ورد: مه يا براق، والله ما ركبك أحدٌ أفضل عند الله منه!!، يعني لك الحق أن ترقص، فانفض عرفاً وسكن، فركبه رسول الله ﷺ.

وكان من عجائب البراق: ... أنه إذا كان صاعداً لجبال يطوي القدمين الأماميتين، والخلفيتين كما هما، حتى يظل الحبيب ﷺ مستوياً على ظهره، فإذا نزل من على جبل يطوي القدمين الخلفيتين وتبقى الأماميتين كما هما ليظل ظهره مستوياً حتى لا يؤذي النبي ﷺ.

هذا البراق هو الركوبة التي سيركبها رسول الله ﷺ يوم القيامة ...

وهو ذاهبٌ إلى المقام المحمود:

{ وَمَنْ أَلِيلٍ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } (١٧٩ الإسراء).

المقام المحمود الكلام فيه واسعٌ جداً لا نستطيع أن نوفيه ...

لكن غاية الاختصار فيه ... أن هناك :

- مقاماً محموداً في الدنيا.

٤٥٩ ذكره الطبري وعزاه لتخريج الحافظ السلفي عن أبي هريرة ؓ

٤٦٠ البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن أنس بن مالك ؓ

مقام الرسالة

المقام المحمود في الدنيا :

هو مقام الرسالة عندما كلفه الله برسالته، وكان الله ﷻ يستجيب له دعوته في كل وقت وحين، فكان أي واحد من أصحاب حضرة النبي يتمنى شيئاً على الله يذهب إلى حبيب الله ومصطفاه يظفر منه بدعوة فيحقق الله له مناه.

المقام المحمود

أما المقام المحمود في الآخرة :

هو الذي سيحمده عليه كل الخلائق وكل الأنبياء والمرسلين وأممهم، حتى أهل الكفر والشرك وأهل العذاب، لأن الله عندما يجمع الخلائق في أرض الحساب، وتبدأ تظهر لهم تلويحات من جهنم ومن صنوف العذاب، فالكل سيسْتَغِيثُ، ويتمنى أن يبدأ الله الحساب، حتى قال ﷺ:

{ إِنَّ الْكَافِرَ لَيُلْجِمُهُ الْعَرَقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: أَرِحْنِي، وَلَوْ إِلَى النَّارِ }^{٤٦١}

- يتمنى أهل الموقف أن يبدأ الحساب ولو كانوا سيدخلون جهنم!!، لما يرونه من الشدات والآلام وأنواع العذاب التي لا أريد أن أذكرها حتى لا أعكر عليكم صفاءكم.
- تبحث كل أمة عمن يُنقذها من هذا الغم والهَم، فيذهبون إلى آدم فيقول: لست لها، فيذهبون إلى نوح، فيقول: لست لها، فيذهبون إلى إبراهيم، وموسى وعيسى وكلهم يقول: لست لها، فيذهبون إلى سيدنا مُحَمَّد ﷺ، فيقول:

{ أَنَا لَهَا }^{٤٦٢}

○ فيذهب إلى العرش ... ويسجد تحت العرش ... ويمجد الله بحامد
يُلهمه الله تعالى بها في تلك الساعة .. فيقال له:

{ يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَى، وَأَشْفَعُ تُشْفَعُ }^{٤٦٣}

الشفاعة العظمى

فتكون شفاعته ﷺ العظمى لأهل الموقف أجمعين في بدء الحساب:

وهي للكلي، فكل من كان حاضراً في الموقف من الكافرين والمشركين والنبيين
وأهمهم، كلهم سيُنَجِّيهم الله من هذه المضايق بالشفاعة العظمى لرسول الله ﷺ للنجاة
من أهوال الموقف !!!! ... لماذا ذكر لنا سيدنا رسول الله ذلك؟

○ حتى لا تتوه مع من يتوه، ونذهب لهذا، ونبحث عن ذاك، ..
فنحن نعرف السر، وحتى نطمئن أن إمامنا ونبينا وحبينا وشفيعنا هو
الذي سيُنقذنا وسيُنقذ العوالم كلها من هذه العُمة الكبرى بالشفاعة
العظمى في بدء الحساب.

○ ورسول الله ﷺ له غير هذه الشفاعة؛ شفاعات لا تُعد ولا تُحَدُّ،
لكننا سنذكر أهمها:

✓ فرسول الله سيشفع في أقوام تعرضوا للحساب ليُخفف الله ﷻ عنهم
الحساب، وعلى سبيل المثال قال ﷺ:

{ مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلَّا شَفَعْتُ لَهُ }^{٤٦٤}

✓ هذه شفاعة في تخفيف الحساب، فهناك أناس يحاسبون حساباً
يسيراً، وأناس يحاسبون حساباً عسيراً، فيشفع لنا ليكون من كان
حسابه عسيراً يصبح يسيراً.

✓ وشفاعته ﷺ في أقوام أخذوا من الجبار تعالى أحكاماً بأن يدخلوا
جهنم نتيجة أعمالهم، ويقضون مُدداً في جهنم، فيشفع لهم

٤٦٢ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

٤٦٣ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

٤٦٤ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

ليُخَفَّفَ عَنْهُمْ مُدَدَهُمْ، وَيَسْتَجَلِبَ مِنَ اللَّهِ الْعَفْوَ لَهُمْ، قَالَ ﷺ:

{ فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا، وَأَخْرِ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخْرِ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْزُقْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخْرِ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْزُقْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ }^{٤٦٥}، ثم يقول:

{ مَا زِلْتُ أَشْفَعُ إِلَى رَبِّي ﷻ وَيُشَفِّعُنِي وَأَشْفَعُ وَيُشَفِّعُنِي حَتَّى أَقُولَ: أَيُّ رَبِّ شَفِّعُنِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: هَذِهِ لَيْسَتْ لَكَ يَا مُحَمَّدُ وَلَا لِأَحَدٍ، هَذِهِ لِي، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَرَحْمَتِي لَا أَدْعُ فِي النَّارِ أَحَدًا يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ }^{٤٦٦}

✓ فيُخْرِجُ اللَّهُ أَقْوَامًا قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِمْ بَعْدَابُ فِي جَهَنَّمَ، بِشَفَاعَتِهِ صَلَوَاتِ رَبِّي وَتَسْلِيمَاتِهِ عَلَيْهِ.

✓ وَيُشْفَعُ لِأَقْوَامٍ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ قَالَ لِلْأُمَّةِ كُلِّهَا مِنْ بَدْنِهَا إِلَى خَتَامِهَا:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

٤٦٥ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

٤٦٦ صحيح ابن خزيمة والسنة لابن أبي عاصم عن أنس بن مالك ﷺ

قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ ٤٦٧

✓ ولكن سندخل بشفاعته الحبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعد دخول الجنة يود أقوام في الجنة أن ترتفع درجاتهم، وأن يجمعهم الله على أحبائهم الذين كانوا معهم في الدنيا، فتأتي الشفاعة الخامسة لرسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رفعة أقوام درجات في الجنة لم ينالوها بأعمالهم، ولكن بشفاعة النبي صلوات ربي وتسليماته عليه لهم.

✓ شفاعات كثيرة ... حتى أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطلب من الله تعالى أن يجعل بعض المؤمنين يشفع في بعض:

✓ فيُعطي الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أناساً من الأمة الشفاعة يشفعون لغيرهم، منهم الشهداء، ومنهم حفظة القرآن، وكذلك الملائكة، ومنهم العلماء، ومنهم الصالحون وغيرهم، كل هؤلاء يشفعون بإذن، لأن الشفاعة لا تنبغي إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولاً.

ومن الذي يأتيه بهذا الإذن؟

الحبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأتيه بإذن الشفاعة، ليشفع في قوم آخرين، ولذلك قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ مَا فَعَلَ صَدِيقِي فَلَانُ؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: " فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ " { قَالَ الْحَسَنُ: اسْتَكْثَرُوا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ لَهُمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٤٦٨

الأعمال التي توجب الشفاعة

ويبين النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن هناك أصنافاً من أمتة عملوا أعمالاً في الحياة الدنيا استوجبوا بها شفاعته، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لنا وللمسلمين أجمعين:

٤٦٧ مسند أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٤٦٨ معالم التنزيل تفسير البغوي عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

{ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ }^{٤٦٩}، وفي رواية: { مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ، اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٤٧٠}

○ شفاعة مؤكدة، فمن يواظب على ذلك يُوضع في أول كشوف الشفاعة عند حضرة النبي ﷺ.

○ وبين النبي ﷺ أن من حافظ على الصلاة عليه عشر مرات بعد الفجر، وعشر مرات بعد المغرب وجبت له الشفاعة، قال ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا، وَحِينَ يُمَسِّي عَشْرًا؛
أَدْرَكْتُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٤٧١}

وبين ﷺ بمن يبدأ بهم الشفاعة فقال ﷺ:

{ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتَى أَهْلَ الْبَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ مَعِيَ، ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى أَحْشَرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ }^{٤٧٢}

فهؤلاء في البداية يدخلون مع رسول الله ﷺ في شفاعته صلوات ربي وتسليماته عليه.

مقام التجلي والشهود

والمقام الحمد أيضاً:

٤٦٩ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

٤٧٠ صحيح البخاري والترمذي عن جابر بن عبد الله ﷺ

٤٧١ معجم الطبراني والصلاة على النبي لابن أبي عاصم عن أبي الرداء ﷺ

٤٧٢ جامع الترمذي والحاكم في المستدرک عن ابن عمر رضي الله عنهما

مقام التجلي والشهود لمن أكرمهم الله بدخول دار الخلود، وتجلّى لهم الله ﷻ بأنواره، وجعل الحبيب المصطفى ﷺ مشكاة أنواره ومصدر أسرارهِ، فهذا تجلّي شهودي يشهدون فيه وجه الحبيب، ويشهدون وجه الله بلاكم ولا كيفٍ ولكن بأنوارٍ تعالت معنوية.

أما المقام المحمود الخاص بحضرته، والذي لا يشاركه فيه أحدٌ من البرية:

- مقام قاب قوسين أو أدنى، عندما أخذه الله ﷻ فوق عالين، وتجاوز سدرة المنتهى، وتجاوز كل العوالم العلوية، حتى صار كما قال رب البرية:

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۗ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۗ ﴾ (النجم).

- وهذا مقام خاص لم يفز به أحدٌ من النبيين، ولا الملائكة المقربين، ولا أحدٌ من الناس والخلق أجمعين، ولكنه مقامٌ خاصٌ بإمام الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ.

أعطانا النبي ﷺ علامة نعرفه بها يوم القيامة، فقال ﷺ:

{ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ،

وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي }^{٤٧٣}

واللواء يعني العلم.

فبحث هناك عن صاحب العلم لنعرفه، فبيده لواء الحمد .. وكل النبيين والمرسلين تحت لوائهِ ﷺ، وهو إمامهم لأن الله ﷻ أمرهم جميعاً أن يؤمنوا بحضرته، وأن يُصلوا خلفه عندما كان في المسجد الأقصى، فأخذه جبريل بيمينه وقال: يا مُحمَّد تقدّم فصلٍ بهم فأنت إمامهم، وأيضاً يوم القيامة يؤذن للناس بالسجود فقال ﷺ:

{ أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤذَنُ لَهُ بِالسُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٤٧٤}

والسجود هناك يكشف المخلصين من المنافقين:

فالأعضاء في الدنيا تطيعنا حيث شئنا، لأن الله سخرها لنا، لكن في الآخرة

لا تُطيع الأعضاء إلا ربَّ الأرض والسماء ﷻ.

٤٧٣ جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن أبي سعيد الخدري

٤٧٤ مسنَد أحمد والحاكم في المستدرَك عن أبي الدرداء

فالمناقفون يدعون أنهم كانوا يصلون ويسجدون ويعبدون الله معنا في الدنيا، لكن عندما يُنادى يوم القيامة: الصلاة جامعة، ويتقدم رسول الله ليُصلي بالخلق أجمعين، فإن الذي كان يُصلي في الدنيا مخلصاً طائعاً لله تُطيعه الأعضاء بأمر الله، فيركع ويسجد. أما الآخر: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢ القلم)، يحاول أن يسجد فالأعضاء لا تطاوعه، فيظهر أنه كان منافقاً، لأن كل شيء سيظهر هناك: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (٤٠ النبا).

فأول من يسجد بين يدي الله - كما قلنا - سيدنا رسول الله، لأنه سيسجد تحت العرش أولاً ليشفع الشفاعة العظمى لبدء الحساب، ثم في الشفاعات المتتاليات، وهو كذلك سيؤم الخلق أجمعين للصلاة لرب العالمين ﷺ.

ولذلك نقول أن شفاعة سيدنا رسول الله عامة لكل الخلق، لكن شفاعة الأنبياء الآخرين كل واحد لأمته، وكل واحد لقومه، أما شفاعة رسول الله فلكل الأنام، فهو وحده الشفيع العام لجميع الأنام صلوات ربي وتسليماته عليه.

مواطن تواجده في الآخرة

من جملة شفقة الحبيب ﷺ وورثته التي تبين الغاية العظمى من عظمته، أن الأنبياء والمرسلين يُنصب لهم منابر من نور قدام عرش الرحمن يوم القيامة، وكل واحد منهم يجلس على منبره، والمنبر الوحيد الذي يكون خالياً هو منبر سيدنا رسول الله، لماذا؟ .. لأنه يبحث عنا في كل فجاج الآخرة، ... سيدنا أنس بن مالك ﷺ قال:

{ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: أَنَا فَاعِلٌ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ أَظْلُبُكَ؟، قَالَ: أَظْلُبُنِي أَوَّلَ مَا تَظْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: فَأَظْلُبُنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: فَأَظْلُبُنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُحْطِي هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ }^{٤٧٥}

يعني يكون عند الميزان، أو الصراط، أو الحوض، لماذا؟ يريد أن يطمئن علينا، حتى نستريح، وهو من البداية لم يسترح حتى أخذ تصريح من رب العالمين أن يبدأ بنا

٤٧٥ جامع الترمذي ومسنده أحمد عن أنس بن مالك ﷺ

الحساب أولاً، مع أننا آخر الأمم في الدنيا، والمفترض أن يكون حسابنا في دورنا، .. لكنه لا يريدنا أن ننتظر فبدأ الحساب بنا أولاً.

وحسابنا سيكون بالفضل، أما حساب الأمم الأخرى فسيكون بالعدل، لذلك حسابهم شديد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ (١١٦ الاحقاف) يأخذ الأمور الحسنة، والأخرى يتجاوز عنها، ببركة سيد الأولين والآخرين ﷺ، ولذلك يقول ﷺ:

{ يُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ }^{٤٧٦}

والصراط لتقريب حقيقته ولكي تعرفوه:

هو سبعة جسور على جهنم، وكل جسر ألف عام صعود، وألف عام استواء، وألف عام هبوط، فيستغرق المرور عليه واحد وعشرون ألف عام!!، وهذا الصراط يكون للكافر أرق من الشعرة، وأحد من السيف، لكن الذي يمشي عليه من أمة رسول الله وهم قلة قليلة يكون كما أخبر حضرة النبي ﷺ:

{ يَتَّبِعُ الصِّرَاطُ لِأُمَّتِي حَتَّى يَكُونَ عَرْضُهُ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ }^{٤٧٧}

العرض قدره مسيرة ثلاثة أيام، وهذا لمن يمشي عليه ..

ولكننا نريد أن لا نمشي عليه !!!

بل نريد أن نمر عليه كالبرق الخاطف، أو حتى كالريح المسرعة، أو حتى كالذين

يحملهم سيدنا جبريل على جناحه ...

لأن سيدنا جبريل في ليلة المعراج عندما وصل عند سدرة المنتهى ووقف، فقال له كما ورد ببعض الأثر: أهاهنا يترك الخليل خليله يا أخي يا جبريل؟ فقال له: وما منا إلا وله مقام معلوم فأنا لو تقدمت قدر أملة لا احترقت، وأنت لو تقدمت لا احترقت، فقال له ﷺ: ألك حاجة؟ قال: أنا منذ خلقتني الله تعالى وأنا خائف من مقام عظمته - يعني أريد الأمان - فنزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ (١٩٣ الشعراء).

٤٧٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

٤٧٧ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندي

أعطاه الله الأمان، فقال له: إني أكافئك بهذا، فأضع جناحي على الصراط لتعبر عليه أمتك.

حتى يردُّ الجميل يضع جناحه على الصراط ويحملنا للجهة الأخرى على الفور إن شاء الله رب العالمين.

مفتاح الجنة

والجنة مجهزة ! لكن من الذي يفتتحها؟ لا أحد يدخلها أبداً قبل رسول الله ﷺ، ولذلك يقول:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاسْتَفْتَحْ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ }^{٤٧٨}

وانتبه للعبارات النبوية الدقيقة والرقيقة، فلم يقل الخازن: لك أمرت أن أفتح، ولكن قال: (بك) يعني هو المفتاح الذي يفتح الجنة، لأنه لو كان له فيكون المفتاح شيء آخر، ولكنه قال: بك أمرت أن أفتح، فالمفتاح هو رسول الله ﷺ، البوابات الالكترونية في الدنيا لا تميز، فأى إنسان يظهر أمامها تفتح له، لكن الجنة أبوابها فوق الالكتروني، فلا تفتح لأي إنسان، إلا عندما ترى رسول الله ﷺ .. وبعد ذلك قال:

{ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ }^{٤٧٩}

- فهم لهم بابٌ مخصوص يدخلون منه .. ويدخلون أيضاً من الأبواب الأخرى إن أرادوا ذلك.

- فأول من يُحاسب أمته ... وأول من يمر على الصراط هو أمته ...

- وأول من يدخل الجنة هو أمته.

٤٧٨ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أنس ؓ

٤٧٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

حوض الكوثر

ناهيك أن يوم القيامة سيكون يوماً عصيباً ومقداره كما قال الله:

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج) وكلنا نقف فيه من البداية إلى النهاية، وليس هناك ماء، ولا أماكن يُشرب منها الماء، والعرق شديد من شدة الحرارة، فماذا نفعل؟ سيدنا رسول الله أكرمته الله بحوض كبير اسمه حوض الكوثر، ما حجم هذا الحوض يا رسول الله؟ قال ﷺ:

{ حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَأْوُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْرَانُهُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا }^{٤٨٠}

طوله مسيرة شهر، وطوله وعرضه سواء، يأتيه ماؤه من نهر في الجنة اسمه نهر الكوثر، فيصّب في حوض النبي وهو حوض الكوثر، وعليه كيزان بعدد نجوم السماء كما أخبر حضرة النبي، والكوز يعني الكوب الذي له يد، ومكتوب عليه اسم من يشرب منه، يشرب منه شربة فيمر عليه يوم القيامة كله ولا يشعر بعطش ولا ظمأً ولا جوع لما شربه من يد رسول الله، أو صحبه المباركين، أو الملائكة المقربين.

منزلة الوسيلة

أما في الجنة، فأعلى درجة في الجنة اسمها الوسيلة: والوسيلة يعني الدرجة القريبة جداً من فضل الله، وإكرام الله، وعطاءات الله، وتنزل منها خيرات الله وعطاءات الله لعباد الله، وهي التي قال لنا فيها رسول الله ﷺ:

{ ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ }^{٤٨١}

فهو صاحب الوسيلة، وصاحب الفضيلة، وصاحب المقام المحمود، وصاحب الحوض المورود، وصاحب الشفاعة العظمى يوم لا ينفع الإنسان إلا شفاعة النبي

٤٨٠ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

٤٨١ صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

الفصل الرابع عشر

خصائص أمة النبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة

- ❖ أول أمة تنشق عنها الأرض يوم القيامة
- ❖ الشهادة على الأنبياء وأممهم
- ❖ منزلة الشفاعة
- ❖ لهم نوران
- ❖ إخوة الأنبياء
- ❖ الأولون يوم القيامة
- ❖ لهم منابر من نور
- ❖ أول من يدخل الجنة
- ❖ جزاء الصابرين
- ❖ عذابها في الدنيا
- ❖ أنواع الابتلاءات

الفصل الرابع عشر

خصائص أمة النبي ﷺ في الآخرة ٤٨٢

إن الله ﷻ من فضله على هذه الأمة المباركة جعل خصوصياته التي أعطاها لحضرة النبي ﷺ خصوصيةً لهذه الأمة، إكراماً لحضرتة، ورفعاً لقدره، وتعظيماً لبعثته ودعوته وسيرته صلوات ربي وتسليماته عليه.

وأذكر في هذا المجال أنه قيل لرجل من الصالحين:

يقال أنه تُكرم من أجل عين ألف عين، فهل نجد ذلك في كتاب الله ﷻ؟

قال نعم: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ (الأنفال ١٣٣) ما الذي رفع عنهم العذاب؟ رسول الله الذي كان فيهم، فلأجل عين تُكرم ليس ألف فقط بل مليارات الأعين، من أجل حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

لذلك لو لاحظتم ستجدوا أننا في حديثنا عن خصائص النبي ﷺ منذ خصائصه الأولية تُتبعها بخصائص أمتة، وفي الدرس السابق تحدثنا عن خصائص النبي ﷺ في الآخرة، وفي هذا الدرس سنبين خصائص أمة النبي ﷺ التي تفضل الله بها عليها في الآخرة.

فإن الله ﷻ قد منَّ علينا بمننٍ نعجز عن حصرها وعدّها، ناهيك بشكرها، فكيف نشكر الله ﷻ على هذه النعم العظمى!!؟

أول أمة تنشق عنها الأرض يوم القيامة

أول هذه الخصائص، أن هذه الأمة هي أول أمة تنشق عنها الأرض يوم القيامة بعد النبيين والمرسلين، وهذا إكرامٌ من الله ما بعده إكرام، لأن التقديم له سرٌّ عظيم من حضرة الكريم، لا يعلمه إلا نبيُّ كريم، أو من خصّه الله ﷻ ببيان أسرار تنزيل قرآنه الحكيم، قال ﷺ مبيناً ذلك:

{ أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنَشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتِي أَهْلَ الْبَيْعِ
فِيحْشَرُونَ مَعِيَ، ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى أُحْشَرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ }^{٤٨٣}

وكما ورد ببعض الأثر: (أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة أمتي).

ولكن بعد النبيين والمرسلين، لأن هؤلاء لهم الدرجة الكبرى والعظمى من الحظوة
عند رب العالمين رحمته الله.

الشهادة على الأنبياء وأممهم

وهذه الأمة تفضل الله عليها ببركة سيد الأمة رحمته الله فجعل الله لهم كمالات توازي
كمالات النبيين، فالنبيون شهداء على أممهم: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ
وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (٤١ النساء) فهو شهيد على الأنبياء وأممهم، هذه المرتبة
يقول الله تبارك وتعالى فيها لنا أجمعين وإن كانت لأهل الخاصة من أكابر المقربين من أمة
سييد المرسلين، وليست للعوام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٤٣ البقرة).

هل هي نفس المرتبة أم لا؟! بل أعظم، لأن الأنبياء سيشهدون على أممهم، ونحن
سنشهد على الأنبياء وأممهم، قال رحمته الله:

{ يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ
النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ قَوْمَكَ؟
فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالُ: مَنْ
يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَغَ هَٰذَا؟
فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عَلِمْتُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ، أَنَّ
الرُّسُلَ قَدْ بَلَغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " }^{٤٨٤}

٤٨٣ جامع الترمذي والحاكم في المستدرک عن ابن عمر رضي الله عنهما

٤٨٤ سنن ابن ماجه ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رحمته الله

والذين يشهدون هم العدول من أمة رسول الله ﷺ، والعدول هم الذين وصلوا إلى مقام العدالة التامة في أنفسهم، وفي أهلهم، وفي ذويهم، وفي أقاربهم، وفي كل من حولهم، لا أهواء عندهم، ولا أغراض تُسيطر على أحكامهم، وإنما يحكمون في كل أمر بما يُرضي الله تبارك وتعالى.

فيسألهم الله تبارك وتعالى: هل بئع رسولي؟ فيقولون: نعم، فيقول الله تعالى: وأين ذلك؟ فيذكرون الآيات المباركات من كتاب الله القرآن الكريم التي يتحدث فيها الله عن نبوة هذا النبي ورسالته لأُمَّته، فهذه منزلة من المنازل العظيمة لهذه الأمة.

منزلة الشفاعة

كل نبي يشفع لأُمَّته، والرسول ﷺ يشفع للخلق أجمعين، ومن أُمَّته شُفعاء أعطاهم الله لواء الشفاعة ليشفعوا في أحبابهم، والصادقين في اتباع الحق، والناهجين على نوح حبيبه معهم، قال ﷺ:

{ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللَّهُ لِلْعَابِدِ ادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّمَا كَانَتْ مَنفَعَتُكَ لِنَفْسِكَ، وَيُقَالُ لِلْعَالِمِ اشْفَعْ تَشْفَعُ فَإِنَّمَا كَانَتْ مَنفَعَتُكَ لِلنَّاسِ }^{٤٨٥}

فيكون للعالم شفاعة عند الله بإذن من الله، لأنه لا ينبغي لأحد الشفاعة إلا بإذنه، ولا ينبغي لأحد أن يشفع إلا فيما علم أن هذه الشفاعة ترضي ربه، ولا تخالف ما جاء في كتابه، أو على لسان نبيه ﷺ، والشهداء لهم شفاعة، قال ﷺ:

{ الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ }^{٤٨٦}

وقارئ القرآن العامل به له شفاعة، قال ﷺ:

{ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَحَفِظَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَشَفَعَهُ فِي عَشْرَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ }^{٤٨٧}

بل إن النبي ﷺ جعل لكل مؤمن شفاعة، فقال ﷺ:

٤٨٥ أورده الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه عن أنس ﷺ، وورد في الإحياء

٤٨٦ سنن أبي داود وابن حبان عن أبي الدرداء ﷺ

٤٨٧ سنن ابن ماجه وأحمد عن علي بن أبي طالب ﷺ

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ مَا فَعَلَ صَدِيقِي فَلَانُ؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ،
فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: ﴿ فَمَا لَنَا
مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ { قَالَ الْحَسَنُ: اسْتَكَثَرُوا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ
الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ لَهُمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٤٨٨

يعني كل واحد منا له شفاعاة على قدره، أما الآخرون فيقولون:
﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (الشعراء) ليس لهم شفاعاة،
لأن الشفاعاة خصوصية لهذه الأمة المحمدية.

لهم نوران

جعل الله ﷻ لكل نبي نور واحد خاص به، وجعل لكل رجل من أمة رسول الله
نوران: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ (الحديد)
نور يسعى بين أيديهم، ونور بأيامهم، خصوصية وأفضلية ومزية لهذه الأمة المحمدية.
وهذا غير كفلين من رحمته: ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ
يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ (١٢٨ الحديد).

النور الذي يسعى بين أيديهم هو نور رسول الله ﷺ، وهذا الرأي الأصوب،
أو نور العمل الصالح كما قال البعض، والنور الذي بأيديهم هو نور الكتاب الذي
يتلقونه من حضرة الوهاب باليمين: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ (١١٩ الحاقة).

إخوة الأنبياء

النبي ﷺ رفع أفاضل هذه الأمة وخاصة أهل الزمن الأخير الذي نحن فيه الآن،
وجعلهم في درجة الأخوة لحضرته، فكان يقول عن الأنبياء: إخواني من الأنبياء.
كان يقوم الليل حتى تتورم منه الأقدام، فيقال له: يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تأخر؟ وهذا الكلام كُثر في أكثر من حديث، ولكل حديث إجابة،
حسب حال الحاضرين والسائلين، فمرة يقول:

٤٨٨ معالم التنزيل تفسير البغوي عن جابر بن عبد الله ﷺ

الفصل الرابع عشر: خصائص أمة النبي ﷺ في الآخرة (٣٦٤)

{ أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا }^{٤٨٩}

ومرة يقول ... كما ورد ببعض الأثر: (إخواني من الأنبياء لا أريد أن يسبقوني بالعمل).

ويقول في الأمر الجامع:

{ الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَالَتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ }^{٤٩٠}

عالات يعني أبناء عمومة، فالأنبياء إخوة، ثم يقول لنا وهذا الذي نستبشر به على الدوام:

{ وَوَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوْلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانُكَ؟

قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرُونِي }^{٤٩١}

النبي يشناق لرؤيتنا، لفرط رحمته وشفقته وحنانته ﷺ!!

من هم إخوانه؟ الأنبياء، فعندما يقول عنا: إخواني، فقد وضعنا في نفس الدرجة ونفس المنزلة، وقال ﷺ:

{ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ

أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ

مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا

وَلَا يَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا }^{٤٩٢}

وطبعاً نحفظ الأدب ولو رفقنا إلى أعلى الرتب، إياكم أن أحداً تضحك عليه نفسه ويقول: أن الحديث يقول كذا، فنحن أحسن من الصحابة، لا، ارجع!، فلم يقل الواحد منكم بخمسين منهم، ولكن أجر الواحد منكم بخمسين منهم، والسبب أنهم كانوا يجدون على الحق أعواناً وأنتم لا تجدون، فالعمل مضاعف في الأجر، ومضاعف في

٤٨٩ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

٤٩٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٤٩١ مسند أحمد عن أنس ﷺ

٤٩٢ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ

الثواب، لما نحن فيه من الفتن والإحن التي انتشرت في هذا الزمان، ولم تكن في الزمن
الفاضل أيام النبي العدنان ﷺ.

فجعلنا النبي ﷺ في منزلة الأنبياء في الأُخوة في هذا اللفظ المبارك الكريم الذي
جاء في هذا الحديث العظيم الذي بشرنا به سيدنا رسول الله الرؤوف الرحيم ﷺ،
ولذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ في هذا المقام:

بشرى لنا اشتاق الحبيب لذاتنا وتمنى يرآنا بقولٍ صُراح
إخوانه والناصرون لدينه والمرشدون بحضرة الفتح
ويقول أيضاً:

من مثلكم والشوق أوصلكم إلى سر الأُخوة مطلب الأصحاب
من نكون نحن حتى أن رسول الله بذاته يتمنى أن يرانا؟

﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤٥٠ المائدة) فضل من الله ﷻ علينا جماعة
المؤمنين ببركة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

الأولون يوم القيامة

فإذا كان يوم القيامة قال ﷺ:

{ نَحْنُ الْآخِرُونَ، الْأَوْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةَ }^{٤٩٣}

نحن الآخرون في الدنيا، الأولون في كل مواقف القيامة، فأول الناس في البعث
الأمة الإسلامية المنسوبة للحضرة المحمدية، وأول الناس في تطاير الصحف الأمة
المحمدية، وأول الناس في المرور على الصراط الأمة المحمدية، وأول الناس في الحساب
الأمة المحمدية، وأول الناس في دخول الجنة الأمة المحمدية، حتى أننا سيكون لنا الأغلبية
في هذا اليوم الكريم، قال ﷺ:

{ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِشْرُونَ وَمِائَةٌ صَفٌّ أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا }^{٤٩٤}

٤٩٣ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

﴿ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفَا ﴾ (٤٨ الكهف) كم مقدار هذا الصف؟ لا أحد

منا يستطيع أن يُفتي، ولا يتحدث، ولا يُبين، لأن هذه أمورٌ غيبية ما دامت لم تتعرض لها ولم تشرحها الذات المحمدية، فنحن جميعاً نقول: ﴿ ءَأَمْنَا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ (آل عمران) فلا أُحْمَن، وأكون كما مشى الصحابة على هذا المنهاج، قال سيدنا أبو هريرة ؓ وأرضاه موضحاً لنا المنهج الأمثل في ذلك:

{ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا، قَالَ: أَبَيْتُ }^{٤٩٥}

وأبيتُ يعني لا أعرف، فأنا سمعتُ النبي يقول ذلك ولم يُفصّل، فلا يصح أن أفضّل، لأن الذي أُذن بالتفصيل لم يُبين، فيكون هناك حكمة في عدم البيان، لذلك يجب أن يلتزم الإنسان بما كان عليه النبي العدنان في أدبه مع حضرة الرحمن ﷺ.

فكم مقدار الصف؟ لا نعرف، وكمثال لذلك صفوف الأنبياء في بيت المقدس، فالأنبياء عددهم مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ورسول، وتذكر الأحاديث أنهم صُفوا سبعة صفوف خلف النبي ﷺ في بيت المقدس، عندما أمسك الأمين جبريل بيده وقال له: تقدم وصلّ بهم فأنت الإمام لهم.

كم كان عدد الصف؟ لا يصح أن أقول نقسم مائة وأربعة وعشرين ألف على سبعة!، لكن هم كانوا سبع صفوف، قد يكون صفٌ فيه نبي واحد، وصفٌ فيه مائة ألف، فليس لي شأنٌ بهذا الأمر، لأنها أمورٌ غيبية، ولا ينبغي أن نترك العقل للعقول الإنسانية أن تتحدث في هذه الأمور الغيبية، لأن العقل عقول لا يستطيع أن يلج هذا المجال، لأنه مجال عالي عن العقول.

فنحن الآخرون الأولون في كل مواقف القيامة إن شاء الله تبارك وتعالى.

خصّنا الله ﷻ دون سائر الأمم في هذا اليوم الكريم، بأننا الأمة الوحيدة التي يُؤذن لها بالسجود، فالآخرين: ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (٤٢ القلم) لكن نحن الأمة الوحيدة التي سيؤذن لها بالسجود في هذا اليوم لحضرة الله تبارك وتعالى اكراماً لرسول الله وحبیب الله ﷺ.

٤٩٤ مسند أحمد والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن مسعود ؓ

٤٩٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

لهم منابر من نور

والأنبياء سيكون لهم منابر من نور قدام عرش الرحمن يوم القيامة لينظروا إلى أمهم في الموقف ويشفعون لهم، ونحن كذلك سيكون لنا منابر من نور قدام عرش الرحمن يوم القيامة، من هؤلاء الذين سيجلسون على منابر من النور قدام عرش الرحمن يوم القيامة؟ قال ﷺ:

{ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهُهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " { ٤٩٦، وفي رواية أخرى: { يَتَحَابُّونَ بِرُوحِ اللَّهِ ﷻ يَجْعَلُ اللَّهُ وُجُوهُهُمْ نُورًا، وَيَجْعَلُ لَهُمْ مَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ قُدَّامَ الرَّحْمَنِ، يَفْرَعُ النَّاسُ وَلَا يَفْرَعُونَ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ } ٤٩٧

هم أناس من أمة رسول الله ﷺ من قبائل شتى وبلدان شتى، توادوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها فيما بينهم، يعني ليس بينهم شركة في مال ولا في تجارة ولا في حسب ولا في نسب، وإنما أحباب في الله لوجه الله، هؤلاء وجوههم نور، وهم على منابر من نور قدام عرش الرحمن يوم القيامة، يفرح الناس ولا يفرعون، ويخاف الناس وهم الآمنون:

{ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (يونس).

٤٩٦ سنن أبي داود والبيهقي عن عمر بن الخطاب ﷺ

٤٩٧ الأسماء والصفات للبيهقي عن أبي مالك الأشعري ﷺ

أول من يدخل الجنة

هؤلاء سيشفعون في بعضهم، فيذهبون لحضرة الله في وفد: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدًّا﴾ (٨٥م) يعني جماعة مع بعضهم، والناجي يأخذ بيد أخيه.
أما الآخرين فكل واحد منهم بمفرده: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا نُورَ دَاوُدَ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (١٩٤ الأنعام).

لكننا نأخذ بأيدي بعضنا، والناجي يأخذ بيد أخيه، ويدخلون الجنة مع بعضهم، فوج خلف فوج، قال ﷺ:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاسْتَفْتَحْ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ }^{٤٩٨}
ويقال لرسول الله ﷺ:

{ يَا مُحَمَّدُ أَذْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ }^{٤٩٩}

يعني لنا بابٌ مخصوص وهو الباب الأيمن، ويحق لنا أن ندخل مع الأمم الأخرى في سائر الأبواب، ولذلك قال ﷺ عندما سأله سيدنا أبو بكر:

{ هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ }^{٥٠٠}

هذه الأبواب يقول فيها ﷺ:

{ إِنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعِي الْجَنَّةِ مَقْدَارُ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ يُزَاحَمُ عَلَيْهِ كَأَزْدِ حَامِ الْإِبِلِ وَرَدَّتْ بِخَمْسِ ظِمَاءٍ }^{٥٠١}

٤٩٨ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ﷺ

٤٩٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٥٠٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٥٠١ معجم الطبراني عن عبد الله بن سلام ﷺ

سعة الباب قدر سفر أربعين سنة، ومع ذلك فإن الأكتاف لتتخلع من شدة الزحام عليه، وهذا للأمم الأخرى، لكننا لنا خصوصية ومزية، فندخل أولاً، وبعد أن نسكن ونجلس في الشرفات ونتنعم بنعيم الجنة، يأتي الباقي خلفنا أمة وراء أمة.

ووعده الله ﷻ النبي ﷺ فقال:

{ إِنَّ رَبِّيْ أَعْطَانِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِيْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلَّا اسْتَرَدْتَهُ؟، قَالَ: قَدْ اسْتَرَدْتُهُ، فَأَعْطَانِي مَعَ كُلِّ رَجُلٍ سَبْعِينَ أَلْفًا، قَالَ عُمَرُ: فَهَلَّا اسْتَرَدْتَهُ؟ قَالَ: قَدْ اسْتَرَدْتُهُ، فَأَعْطَانِي هَكَذَا }^{٥٠٢}

وقال بعض السادة العارفين الأجلاء: العدد هذا لا يعني الحصر، ولكنه يعني الكثرة التي يعجز الحصر عن عدّها!، فالعرب لم تكن تعرف السبعين ألفاً، فكلمهم على قدرهم، ولكنه سيدخل من غير حساب نفعاً كثيراً من أمة البشر النذير ﷺ، ... نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

جزاء الصابرين

ولو نظرنا إلى كتاب الله لوجدنا سبباً يدخل منه عامة أهل هذا الزمان ما داموا عاملين بالسنة والقرآن، ومحافظين على طاعات الله، ومنتهين عما نهى الله، يقول الله: ﴿ إِنَّمَا يُؤْتِي الْأَصْبِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠ الزمر).

وهذا الجزء اللطيف الإلهي الذي يرد على سفاسف الناس في هذا الزمان، يتكلم أحدهم ويقول: كيف نكون مسلمين ومؤمنين ونطيع الله ونصلي ونصوم ونحج، ويجعل الله الكافرين أحسن منا في المعيشة، ونحن عندنا الأمراض والفقر وغير ذلك؟! هل تريد أن تأخذ الإثنين معاً؟! إما هنا أو هناك.

سيدنا عمر بن الخطاب ﷻ دخل يوماً على سيدنا رسول الله: { فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ

رَاقِدًا تَحْتَ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوَّةٌ لَيْفًا، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ إِلَّا الْحَصِيرُ، وَأَثَرُ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَمَرَ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ

٥٠٢ مسند أحمد والبخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷻ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا يُبْكِيكَ يَا عَمْرُ؟، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كِسْرَى وَقَيْصِرُ عَدْوًا
اللَّهُ يَفْتَرِشَانَ الدِّيبَاجِ وَالْحَرِيرِ وَأَنْتَ نَبِيُّهُ وَصَفِيُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَرْضِ
إِلَّا الْحَصِيرُ وَوَسَادَةٌ مَحْشُورَةٌ لِيَفَا! وَعِنْدَ رَأْسِهِ أُهْبَةٌ فِيهَا رِيحٌ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ: أَوْلَيْتَكَ عَجَّلْتَ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا {^{٥٠٣}

يعني ما لهم عند الله أخذوه، حتى إذا خرج أحدهم من الدنيا يكون رصيده صفرًا،
وليس له حسنة يطالب بها.

أما نحن أجل الله عز جل لنا الخير والبر والفضل إلى يوم القيامة، فقه ذلك سيدنا
أبو بكر من النبي ﷺ ما لم يفقهه سواه سر قوله ﷺ:

{ مَا صَبَّ اللَّهُ فِي صَدْرِي شَيْءٌ إِلَّا وَصَبَّتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ }^{٥٠٤}

لما تولى سيدنا أبو بكر ﷺ الخلافة بعد رسول الله ﷺ، كان يستبعد المهاجرين
الأوليين أهل بدر، وأهل أحد من الولايات والرياسات والأعمال التي فيها مظاهر دنيوية
ومكاسب فانية، فقالوا له: لم يا خليفة رسول الله منعت أهل بدر من الولايات
والإمارات في الدنيا؟! فقال ﷺ: ما أعطى الله عبدًا حظًا من الدنيا إلا وانتقص مثله من
حظه في الآخرة، فأردت أن يخرجوا من الدنيا وحظهم موفور عند الله.

أنا أحبهم، ولو جعلت أحدهم أميراً فسينتقص من حظه ما تمتع به في الإمارة من
حظه يوم الدين عند رب العالمين ﷻ.

ولذلك الله - وهو قادرٌ على كل شيء - قادر أن يجعل المسلمين في الدنيا كأهم
في الجنة، لكن قال في حديثه القدسي:

{ وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، إِذَا أَمَّنِي فِي الدُّنْيَا
أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٥٠٥}

فلا يمكن أبداً أن يجمع الإثنين: ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾

٥٠٣ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها

٥٠٤ الفوائد المجموعة للشوكاني

٥٠٥ صحيح ابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

الفصل الرابع عشر: خصائص أمة النبي ﷺ في الآخرة

ولكن بشرط: ﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ (٢٠ الشورى) هل نوافق على هذا الشرط؟! لا، لأننا نريد أن يكون الحظ الأوفى والكرم الأكبر يوم لقاء الله ﷻ في الملاء الأعلى إن شاء الله.

لكن - كما قلت - جعل الله في هذا العصر فتق كثيرة، وأحمال ثقيلة يتحملها المسلمون والمؤمنون، فإذا صبروا لأمر الله ولم يشكوا الله إلى خلق الله، ولم يتبرموا لقضاء الله، ورضوا بما قضى الله وقدر، مع الأخذ بالأسباب، كانوا من الذين يدخلون الجنة بغير سابقة سؤال ولا حساب.

من الذي أمر الله حضرة النبي أن يُشره بالجنة وهو في الدنيا؟ الجنة المفترض أن لا يعرفها أحد إلا الذي سافر من الدنيا، لكن هناك جماعة أمر حضرة النبي أن يُشرهم بالنجاح وهم لا يزالون في الدنيا: ﴿ وَكَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٧﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (البقرة) يشرهم في الدنيا، بماذا؟ عُدُوا معي: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (١٥٧ البقرة) هذا غير أنهم يدخلون الجنة أيضاً بغير سابقة سؤال ولا حساب اكراماً من الله ﷻ لهذه الأمة.

أما الإكرام الأعظم لأمة الحبيب الأكرم فسيكون في المتعة العلية في جنة الشهود بعد دخول الجنة للأنوار الإلهية، وللحضرة القدسية، بما يقويهم به رب البرية ﷻ.

معظم الأمم السابقة كانوا يريدون فقط الجنة: ﴿ فَمَنْ رُحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١٨٥ آل عمران) لكننا لا نريد ذلك، رجل من الأمة اسمه الشيخ عمر بن الفارض ﷻ وأرضاه، وهو في اللحظات الأخيرة من وداع الدنيا والإقبال على الآخرة، رأى قصوره في الجنة فقال ﷻ:

فإن تك منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمناً واليوم أراءها أضغاث أحلام

إذا كانت منزلتي هذه القصور التي أراها، فقد ضيعت عمري هباءً، لأنه يريد أن يدخل في: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿١١٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة) ولذلك سيدنا رسول الله يحكي عن هؤلاء فيقول:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تَبَيِّضْ وَجُوهَنَا، أَلَمْ تَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ:

الفصل الرابع عشر: خصائص أمة النبي ﷺ في الآخرة (٣٧٢)

ما رأوا نعيماً أزهى ولا أجهى ولا أجلى ولا ألدُّ ولا أحلى من لذة النظر إلى وجه الله ﷻ، وهذه خصوصية لأمة رسول الله ... وهذه الخصوصية ستكون في جنة عدن، وجنة عدن فيها كُثبان من المسك الأخضر، يعني أكوام، وهي لمن يحظى برؤية الله ﷻ.

فمن الناس من يحظى برؤية الله كمثل كل جمعة مرة ..، ومنهم من يراه كمثل كل سنة من أيام الدنيا مرة، ومنهم من يراه كمثل عمره في الدنيا مرة، ومنهم من لا يغيب عن حضرته بالمرّة، فيتمتع بالنظر إلى وجه الله، ويتلذذ برؤية جمالات وكمالات حضرة الله ﷻ، وهي أعظم خصوصية للأمة المحمدية، وللثلة المباركة الذين قال الله فيهم لحبيبه ﷺ:

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٢٨ الكهف)

يريدون من هذا كله وجه الله ﷻ.

عذابها في الدنيا

قد يتساءل البعض: ... لماذا فضّل الله هذه الأمة في الآخرة؟! وجعلهم أول الناس خروجاً إذا بُعثوا؟! وأول الناس في تلقي الصحف باليمين؟! وأول الناس في عبور الصراط؟! بل إنهم يمرون على الصراط كالبرق الخاطف، وأنهم أول الناس حساباً؟! وأول الناس دخولاً للجنة؟! ... لأن الله ﷻ من حَيَّه لهذه الأمة ونبىها ﷻ، ... أزاح ما عليها من الأثقال في الحياة الدنيا، قال ﷻ:

{ أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا
الْفِتْنُ وَالزَّلَازِلُ وَالْقَتْلُ }^{٥٠٧}

هذه الأمور التي تحدث في الدنيا، لماذا؟ ... حتى تُمحي أولاً بأول الذنوب والعيوب التي علينا ويجاسنا عليها علام الغيوب ﷻ، فإذا مرض الإنسان مثلاً، وصبر، ولم يضر، ولم يشك الله إلى خلقه، قال ﷻ:

{ مَرَضُ يَوْمٍ يُكْفَرُ ذُنُوبَ ثَلَاثِينَ سَنَةً }^{٥٠٨}

٥٠٦ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷻ

٥٠٧ سنن أبي داود والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن قيس ﷻ

٥٠٨ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن عائشة رضي الله عنها

ومن منا لا يأتيه كل سنة ثلاثة أو أربعة أيام زكام ورشح وبرد؟! فكل يوم يكفر ذنوب ثلاثين سنة!، والله تبارك وتعالى يقول في الحديث القدسي:

{ إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ، وَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ أَسَارِي، ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، ثُمَّ يُسْتَأْنَفُ الْعَمَلُ { ٥٠٩، يُطَهِّرُنَا اللَّهُ أَوْلًا بِأَوْلٍ وَلَا نَدْرِي!، قَالَ ﷺ: { يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: إِيَّيَّ إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مُؤْمِنًا مِنْ عِبَادِي فَحَمَدَنِي عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ؛ فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ مِنَ الْخَطَايَا كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي وَابْتَلَيْتُهُ؛ فَأَجْرُوا لَهُ كَمَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ وَهُوَ صَحِيحٌ } ٥١٠

يعني كل ما كان يعملهُ وهو صحيح يكتبون له أجرهُ وهو مريض، مثلاً كان يُصلي في المسجد، ومرض فلم يستطع أن يُصلي في المسجد، فيقول لهم: اكتبوا له الأجر كأنهُ يُصلي في المسجد. أو كان يصوم شهر رمضان، لكنه مرض والطبيب أمرهُ بالفطر، فإن الله يأمر الملائكة أن يكتبوه صائماً، لأن الله هو الذي منعه، ولو كان صحيحاً سيصوم، ولذلك هناك حديث قدسي عجيب وغريب عن رب العزة ﷻ يقول فيه ﷻ:

{ وَعَزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَخْرَجُ عَبْدًا مِنَ الدُّنْيَا وَأُرِيدُ أَنْ أَرْحَمَهُ حَتَّى أَوْفِيَهُ بِكُلِّ خَطِيئَةٍ كَانَ عَمَلُهَا سَقَمًا فِي جَسَدِهِ أَوْ مَصِيبَةً فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ أَوْ ضَيْقًا فِي مَعِيشَتِهِ وَإِقْتَارًا فِي رِزْقِهِ حَتَّى أُبَلِّغَ مِنْهُ مِثْقَالَ الذَّرِّ فَإِنْ بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ شَدَدْتُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ حَتَّى يَلْقَانِي كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ { وفي المقابل يقول الله ﷻ: { وَعَزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَخْرَجُ عَبْدًا مِنَ الدُّنْيَا أُرِيدُ أَنْ أَعْذِبَهُ حَتَّى أَوْفِيَهُ بِكُلِّ حَسَنَةٍ كَانَ عَمَلُهَا صِحَّةً فِي جَسَدِهِ وَسَعَةً فِي رِزْقِهِ وَرَعْدًا فِي عَيْشِهِ وَأَمْنًا فِي سِرْبِهِ حَتَّى أُبَلِّغَ مِنْهُ مِثْقَالَ الذَّرِّ فَإِنْ بَقِيَ شَيْءٌ؛ هَوَّنْتُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ حَتَّى يَقْبِضَ إِلَى وَليِّهِ لَهُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ يَتَّقِي بِهَا النَّارَ } ٥١١ .

لنعرف فضل الله ﷻ علينا.

٥٠٩ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

٥١٠ مسند أحمد والطبراني عن شداد بن أوس ﷺ

٥١١ الحديثان أخرجهما المنذرى في الترغيب والترهيب، وأوردهما أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعرائي عنه في مختصر تذكرة القرطبي المسماة (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة).

أنواع الابتلاءات

﴿ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَنَشِّرَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٥ البقرة) هذه مواد امتحاننا، ولا بد من الامتحان: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۗ وَقَدْ فُتِنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴾ (العنكبوت).

وما مواد الامتحان؟ خمس مواد، الخوف، والجوع، ونقص من الأموال، ونقص من الأنفس، ونقص من الثمرات، فإذا خرج من الدنيا وبقي عليه شيء، قال ﷺ:

{ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، مُتَابٌ عَلَيْهَا، تَدْخُلُ قُبُورَهَا بِذُنُوبِهَا، وَتَخْرُجُ مِنْ قُبُورِهَا لَا ذُنُوبَ عَلَيْهَا، تُمَحَّصُ عَنْهَا ذُنُوبُهَا بِاسْتِغْفَارِ الْمُؤْمِنِينَ لَهَا }^{٥١٢}

يدخل القبر وعليه أكوام من الذنوب، فهذا يستغفر له، وهذا يدعو له، وهذا يقرأ له ما تيسر من القرآن، وهذا يتصدق عنه، وهذا يحج عنه، حتى يأتي يوم القيامة فلا يكون عليه شيء أبداً.... فمن سيحاسب من هذه الأمة؟ قال ﷺ:

{ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ }^{٥١٣}

لن يحاسب من هذه الأمة إلا الذي يجاهر بالمعاصي ليتباهى بها، ويفتخر بها، ويظل لا يتوب حتى يلقي الله ولم يتب منها... لكن من رحمة الله بنا جعل لنا تخفيف الذنوب والخروج من أوضاعها، بما يحدثه لنا في الدنيا، وبما يأتينا من فضل إخواننا المؤمنين ونحن في عالم البرزخ،... لذلك سنكون أول الناس يوم القيامة طاهرين، ليس علينا ذنوب، ولا لنا عيوب، ليس لنا إلا حسنات مضاعفات، ثَمَّاهَا اللهُ ﷻ وباركها حتى أنك لو تصدقتَ بتمرّة تجدها يوم القيامة كجبل أحد، قال ﷺ:

{ إِنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِبَيْمِينِهِ فَيُرِيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يَرِي أَحَدَكُمْ فَلَوْهَ حَتَّى اللَّقْمَةَ لِتَصِيرَ مِثْلَ جَبَلِ أَحَدٍ }^{٥١٤}

فهذا فضل الله علينا ببركة رسول الله ﷺ.

٥١٢ معجم الطبراني وابن عساکر عن أنس ﷺ

٥١٣ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٥١٤ أخرجه الترمذی عن أبي هريرة، وأخرج البخاری ومسلم مثله باختلاف ألفظ ومعنى واحد.

بقي لنا بعد ذلك شفاعة رسول الله، والشفاعة لمن؟

قال ﷺ:

{ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي }^{٥١٥}

الذين أخذوا أحكام وذهبوا لينفذوها في السجون الإلهية في جهنم وما يتبعها وما يليها، فيترافع عند الله، ويشفع لهم عند الله ليخفف عنهم الأحكام، ويخرجون إلى الجنة بأمر الله، ولذلك قال ﷺ:

{ مَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا بَعْضُهَا فِي الْجَنَّةِ وَبَعْضُهَا فِي النَّارِ، إِلَّا أُمَّتِي فَإِنَّهَا فِي الْجَنَّةِ }^{٥١٦}

لن تكون أمة كلها في الجنة إلا أمة رسول الله ﷺ، لماذا؟ لأنه حتى من يدخل النار سيخرج بالشفاعة، وبذلك لن يكون أحد من أمتة في النار فضلاً من الله واکراماً من الله لحبيبه ومصطفاه ﷺ لكن الآخرون يكون جزء منهم في الجنة وجزء في النار حتى قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ الْمُوَحِّدُونَ النَّارَ أَمَاتَهُمْ فِيهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْهَا أَمَسَهُمْ
أَلَمَ الْعَذَابِ تِلْكَ السَّاعَةَ }^{٥١٧}

يعني عندما يدخلون النار يُميتهم حتى لا يشعرون بشيء، إلا عندما يخرج يُشعره بوقع العذاب، وهذا اكراماً للحبيب الأعظم والنبي الأكرم ﷺ.

نسأل الله ﷻ:

أن يُحسِّنَ أخلاقنا، وأن يُعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرزقنا التوبة النصوحة على الدوام، وأن يحفظنا بحفظه من جميع الذنوب والمعاصي والآثام، وأن يرزقنا شفاعة النبي ﷺ وآل بيته الكرام، والصالحين أجمعين إلى يوم الزحام، وأن يجعلنا من الذين إذا أساءوا استغفروا، وإذا أحسنوا استبشروا، وأن يجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ..

وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه.

***** تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَسَنِ تَوْفِيقِهِ *****

٥١٥ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس ﷺ

٥١٦ معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

٥١٧ بحر الفوائد للكلاّباضي عن أبي هريرة رضي الله عنه

نبذة عن المؤلف: فضيلة الشيخ فوزى مجد أبوزيد

نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر ١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ



بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

النشاط: يعمل رئيساً للجمعية العامة للدعوة إلى الله

بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية، كما

يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على الشبكة www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية في بابهِ وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم افتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية وجارى إضافة المواضيع بالإنجليزية وكذا الكتب المترجمة والمواضيع.

دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامي، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبني على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

هدفه: إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وترسيخ المبادئ القرآنية.

مساهمات الشيخ الدعوية للإذاعة والتلفزيون:

ومساهمات فضيلته أكثر من أن تحصى بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصرى المتعددة مع العلم بأن الشيخ يرفض البرامج الخاصة أو برامج التوك شو التى تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأى واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، وهو يرحب ببرامج وبقنوات التلفزيون المصرى أو غيرها من التى تعمل جادة على نشر الدعوة الوسطية والعصرية وتهدف إلى رآب الصدع وجمع الشمل وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقى.

ونذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر:

١- خطبة وصلاة الجمعة :

بعض الخطب على الهواء مباشرة منها: *جمع من مسجد النور بحدائق المعادى بالقاهرة^{١٨}، جمع على من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة، والمسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد، ومسجد الأنوار القدسية بالمهندسين وغيرها.

٢- البرنامج العام: *دعاء الصباح. * المجلة الدينية.

٣- إذاعة القرآن الكريم: أمسيات دينية كثيرة متعددة. خطبة وصلاة الجمعة على الهواء. من مساجد متعددة. خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التلفزيون عدة مرات.

٤- إذاعة وسط الدلتا: * حديث الصباح * الأمسية الدينية.

٥- إذاعة الشباب والرياضة: * برنامج: عصفير الجنة.

٦- القناة الأولى بالتلفزيون: * برنامج من بيوت الله. * برنامج في زمرة النبي ﷺ.

٧- القناة السادسة: حلقات من برنامج "السيرة العطرة". وبرنامج

"آيات محكمات".

٨- القناة الثامنة: سلسلة حلقات من برنامج "لقاءات إيمانية".

٩- القناة الثقافية: برنامج "فتاوى على الهواء"

١٠- إذاعة القاهرة الكبرى: "أمسيات دينية" من مساجد مختلفة.

١١- القناة التعليمية: * حلقات برنامج أولياء الله الصالحون.

١٢- قناة القاهرة بالتلفزيون: حلقات من برنامج فقه المرأة وبرنامج جدد حياتك

ولا يزال مستمران إلى تاريخه، وفي شهر رمضان ٢٠١٨ برنامج "من آيات القرآن"، وكذلك "الدعاء" بعد آذان المغرب طوال الشهر الكريم.

١٣- قناة الدلتا التلفزيونية: برنامج "جدد حياتك" وما زال مستمرا.

✽ المساهمات الإعلامية والدعوية بكلية ومعاهد الجامعات ومراكز الشباب و

الأندية الثقافية والجمعيات الدينية والثقافية والعلمية :

أحيى الشيخ عديد المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا بالنوادي الرياضية والجمعيات والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى.

كما شارك الشيخ وأحيى العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة ومختلف المحافظات ودعى إلى عدد من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدارالسنين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٥١٨ الشيخ يخطب أول جمعة من كل شهر ميلادى بمسجد النور بالمعادى منذ أكثر من عشرين عاماً، كما يخطب آخر جمعة بالشهر الميلادى بمركز الفائزين الخيري بالمقطم .

قائمة مؤلفات الشيخ المطبوعة

حتى ١٥ يونيو ٢٠١٩م، خمس عشرة سلسلة تحتوى على ١١٤ كتاب

م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت	م	الكتاب (ط: طبعة، ت: ترجمة)	ط	ت	م
				٤	السلسلة رقم ١: في تفسير القرآن الكريم: ١٢			
١٤	نفحات من نور القرآن ٢	١		٤٨	أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام	٣		
٩١	الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ	١		٩٣	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام	١		
٩٦	تفسير آيات المقربين: ج ١	١		١٠٢	تفسير آيات المقربين: ج ٢	١		
١٠٣	حكمة لقمان وبر الوالدين	١		١٠٥	تفسير آيات المقربين: ج ٣	١		
١٠٨	تفسير آيات المقربين: ج ٤	١		١٠٩	تفسير آيات المناسبات	١		
١١٢	تفسير آيات المقربين: ج ٥							
				٢	السلسلة رقم ٢: الفقه: ٩			
٥	مائدة المسلم بين الدين والعلم	٢		٥٢	كيف تكون داعياً على بصيرة	١		
٥٤	مختصر زاد الحاج والمعتمر	٢		٧١	الصيام شريعة وحقيقة	١		
٧٢	إكرام الله للأموات	١		٩٥	صيام الأتقياء	١		
١٠٠	دلائل الفرح بالرحمة المهداة	١		١٠٤	سنن الهدى	١		
				٧	السلسلة رقم ٣: الحقيقة المحمدية: ١٢			
١٣	إشراقات الإسراء ج ١	٢		٢٢	الكلمات المحمدية	٢		
٢٣	الرحمة المهداة	٢		٣٣	واجب المسلمين المعاصرين نحوه ﷺ	٢		
٣٥	إشراقات الإسراء ج ٢	١		٦١	السراج المنير	١		
٧٠	ثاني اثنين	١		٨٥	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	١		
٨٧	تجليات المعراج	١		٩٠	شرف شهر شعبان	١		
١١٤	خصائص النبي الخاتم ﷺ	١						
				١	السلسلة رقم ٤: من أعلام الصوفية: ٧			
٣	الشيخ مجد على سلامه سيرة وسريرة	١		٤١	المرابي الرباني السيد أحمد البدوي	١		
٤٥	شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقي	٢		٥٩	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلي	١		
٩٧	الإمام أبو العزائم، سيرة حياة	١		١٠٧	الشيخ عبد الرحيم القناني ومدارسته الروحية	١		
				٢٦	السلسلة رقم ٥: الدين والحياة: ٧			
٣٤	كيف يحبك الله	٤		٣٩	كونوا قرآناً يمشى بين الناس	٢		
٥٠	قضايا الشباب المعاصر	١		٦٧	بنو إسرائيل ووعده الآخرة	١		
٧٥	أمراض الأمة وبصيرة النبوة	١		٩٢	فقه الجواب (الإجابة على أسئلة الموقع)	١		
				١٦	السلسلة رقم ٦: الخطب الإلهامية للمناسبات: ٧			
١٧	خطب شهر رجب والإسراء والمعراج	١		١٨	خطب شهر شعبان و ليلة الغفران	١		
١٩	خطب شهر رمضان و عيد الفطر	١		٢٠	الحج و عيد الأضحى	١		
٢١	خطب الهجرة ويوم عاشوراء	١		٥٥	الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية: ١	٢		

١	الأشقية النبوية للعصر	٧٨	السلسلة رقم ٧: الخطب الإلهامية العصرية: ١	
١	تربية القرآن لجيل الإيمان	٩	السلسلة رقم ٨: المرأة المسلمة: ٥	
٢	فتاوى جامعة للنساء	٤٤	٢	المؤمنات القانتات
١	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهي	١٠٦	١	٧٤ الحب والجنس في الإسلام.
٢	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	٦	السلسلة رقم ٩: الطريق إلى الله: ١٢	
٢	المجاهدة للصفاء والمشاهدة	٢٨	١	٢٥ طريق المحبوبين وأذواقهم
١	رسالة الصالحين	٣١	١	٣٠ علامات التوفيق لأهل التحقيق
١	تحفة المحبين في عاشوراء للقاوحي (تحقيق)	٥٧	٢	٣٢ مراقب الصالحين
١	أحسن القول	٦٤	١	٦٠ نوافل المقربين
١	مجالس تزكية النفوس ج ١	٨٨	١	٧٩ دعوة الشباب العصرية للإسلام
			١	٨٩ مجالس تزكية النفوس ٢
٦	مفتاح الفرج	٨	السلسلة رقم ١٠: الأذكار والأوراد: ٨	
٥	مختصر مفاتيح الفرج	٣٧	١	١٥ أذكار الأبرار
٢	أوراد الأخيار تخريج وشرح	٤٠	٣	٣٨ أذكار الأبرار صغير
٢	جامع الأذكار والأوراد	٧٣	١	٥٦ نيل التهاني بالورد القرآني
			١	١١٣ ورد الإسئفجار اليومي للحسن (تحقيق)
١	الصوفية و الحياة المعاصرة	١٠	السلسلة ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٦	
١	أبواب القرب ومنازل التقريب	١٢	١	١١ الصفاء والأصفياء
١	المنهج الصوفي والحياة العصرية	٣٦	٣	٢٩ الصوفية في القرآن والسنة
١	موازين الصادقين	٤٩	١	٤٢ الولاية والأولياء
١	النفوس وصفها وتزكيتها	٥٣	١	٥١ الفتح العرفاني
١	منهاج الواصلين	٦٣	١	٥٨ سياحة العارفين
١	العطايا الصمدانية للأصفياء	٦٨	١	٦٥ نسمات القرب
١	مقامات المقربين	٨٣	١	٧٧ شراب أهل الوصل
			١	٩٨ آداب المحبين لله
١	فتاوى جامعة للشباب	٢٤	السلسلة رقم ١٢: الفتاوى: ٦	
١	فتاوى فورية ج ٢	٨٠	١	٧٦ فتاوى فورية ج ١
١	فتاوى فورية ج ٤	٨٦	١	٨٤ فتاوى فورية ج ٣
			١	١٠١ يسألونك
٢	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢٧	السلسلة رقم ١٣: أسئلة صوفية: ٤	
١	إشارات العارفين	٩٩	١	٦٩ الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية
				١١١ بينات الصدور
١	سؤالات غير المسلمين	٨١	السلسلة رقم ١٤: حوارات مع الآخر: ٣	
١	أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين	٩٤	١	٨٢ حوارات الإنسان المعاصر
٢	علاج الرزاق لعلل الأرزاق	٤٦	السلسلة رقم ١٥: شفاء الصدور: ٥	
١	بشريات المؤمن في الآخرة	٦٢	٣	٤٧ بشائر المؤمن عند الموت
١	الدعاء المستجاب	١١٠	١	٦٦ بشائر الفضل الإلهي

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى مجد أبو زيد

القاهرة	رقم الهاتف	إسم المكتبة
١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر	٢٥٩١٢٥٢٤	مكتبة المجلد العربي
سوق أم الغلام ميدان الحسين	٢٥٩٠١٥١٨	مكتبة الجندي
٥٢ شارع الشيخ ريحان، عابدين	٢٧٩٥٨٢١٥	دار المقطم
١٧ الشيخ صالح الجعفري الدراسة	٢٥٨٩٨٠٢٩	مكتبة جوامع الكلم
١ عمارة الأوقاف بالحسين	٢٥٩٠٤١٧٥	مكتبة التوفيقية
٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	بازار أنوار الحسين
١١ ميدان حسن العدوى بالحسين	٢٥٩١٥٢٢٤	مكتبة العزيزية
١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة	٢٥٩٠٠٧٨٦	الفنون الجميلة
٢٢ شارع المشهد الحسيني بالحسين	٢٥٩٠٢٥٤١	مكتبة الحسينية
١ شارع مجد عبه خلف الأزهر	٢٥١٠٨١٠٩	مكتبة القلعة
٩ ميدان السيدة نفيسة .	٢٥١٠٤٤٤١	مكتبة نفيسة العلم
عمارة اللواء ٢ شارع شريف	٢٣٩٣٤١٢٧	المكتب المصري الحديث
٢٨ شارع البستان بباب اللوق	٢٣٩٦١٤٥٩	الأديب كامل كيلاني
١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي	٣٣٣٥٠٠٣٣	مكتبة دار الإنسان
٦ ميدان طلعت حرب	٢٥٧٥٦٤٢١	مكتبة مدبولي
طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	مدبولي مدينة نصر
٩ شارع عدلى جوار السنترال	٢٣٩١٠٩٩٤	النهضة المصرية
٦ ش د. حجازي، خلف نادي الترسانة	٣٣٤٤٩١٣٩	هلا للنشر والتوزيع
درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	المكتبة الأزهرية للتراث
١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر	٢٥٨٩٨٢٥٣	مكتبة أم القرى
٩ شارع الصنادقية بالأزهر	٢٥٩٣٤٨٨٢	المكتبة الأدبية الحديثة
٢١ شارع د. أحمد أمين، مصر الجديدة	٢٦٤٤٤٦٩٩	مكتبة الروضة الشريفة
الإسكندرية		
محطة الرمل، أمام مطعم جاد	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	كشك سونا
محطة الرمل، صفية زغلول	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	الكتاب الإسلامي الثقافي
٦٦ شارع النبي دانيال، محطة مصر	٠١١١٤١١٤٣٠٠	كشك مجد سعيد موسى
٤ ش النبي دانيال، محطة مصر	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	مكتبة الصياد
٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدى جابر	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	مكتبة سيويه
محطة الرمل- أ/ أحمد الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	الكشك الأبيض

الأقاليم		
الزقازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على	مجد -----	كشك عبد الحافظ
الزقازيق - شارع نور الدين	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	مكتبة عبادة
طنطا- أمام مسجد السيد البدوي	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	مكتبة تاج
طنطا- ٩ش سعيد والمعتمد أمام كلية	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	مكتبة قرية
كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/سامي أحمد عبد السلام	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كشك التحرير
المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارئ أ/عماد سليمان	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	مكتبة صحافة الجامعة
المنصورة، عزبة عقل، ش الهادي، أ/عاطف وفدي	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	مكتبة الرحمة المهداة
المنصورة- شارع الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	مكتبة صحافة الثانوية
طلخا - المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبري طلخا	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	صحافة أخبار اليوم
فايد- أحماده غزالي بربري	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	مكتبة الإيمان
السويس، ش الشهداء، ح حسن مجد	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	كشك الصحافة
سوهاج- شارع احمد عرابي أمام التكوين المهني	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	أولاد عبدالفتاح السمان
قنا- أمام مسجد سيدي عبد الرحيم	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	كشك أبو الحسن
القرايا- إسنا - ش السيدة زينب- الحاج مجد الريس وأ/ مجد رمضان مجد النوبى	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	كشك القرايا- إسنا
كشك حسنى مجد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمدا إسنا - الأقصر	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى بإسنا

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بجميع أنحاء الجمهورية، ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل النسخ المطبوعة مجاناً من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com ، أوعلى موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربي. أو الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة، ت: ٠٢-٢٥٢٥٢١٤٠، ف: ٠٢-٢٥٢٦١٦١٨

٥٤	مولد النبي النوراني في قلوب الرجال	٣	مقدمة
٥٨	حكم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف	٥	الفصل الأول خصائصه ﷺ في عالم الأولية
٥٨	نعمة الله	٦	خصائص النبي ﷺ
٥٩	الاحتفال بميلاد النبي ﷺ	٧	خصائصه في عالم الأولية
٦٣	شق صدره الشريف	٩	أولية نبوته
٦٤	حكمة شق صدره الشريف	١١	ميثاق النبيين
٦٧	العبرة من شق الصدر	١٦	تجديد البيعة
٦٩	الفصل الرابع الرحمة العظمى لجميع العالم	١٩	جمعه ﷺ لمقامات الأنبياء والمرسلين
٧٠	رحمة رسول الله بالمؤمنين في الدنيا والآخرة	٢١	ظهور نوره للملائكة في آدم
٧١	الرحمة العظمى للعالمين	٢٥	نور الله في الإنسان المستخلف عن الله
٧٢	مظاهر رحمته بنا في الدنيا	٢٧	آدم والخلافة في الأرض
٧٥	التيسير على أمة النبي	٢٩	الفصل الثاني خصائص النبي ﷺ في الكتب السماوية
٧٦	تراحم المؤمنين	٣٢	وصية تبّع
٧٧	مظاهر رحمة الله بالمؤمنين في الآخرة	٣٣	استفتاح اليهود به
٨٣	الرحمة طريق الهبة والعطاء	٣٤	إسلام عبد الله بن سلام
٨٤	وراثة النبوة	٣٤	إسلام زيد بن سعدة
٨٦	تقوى أم سليم	٣٦	مخيريق اليهودي
٨٧	الأمة المرحومة	٣٧	صفة النبي في التوراة
٨٩	نور رسول الله ﷺ	٣٩	جهاد المحبوبين
٩١	ميثاق الأنبياء	٤٠	صفة النبي في الإنجيل
٩٣	تجديد العهد للأنبياء	٤١	قصة سلمان الفارسي
٩٣	بيعة الله للمؤمنين	٤٣	منع الجن من استراق السمع
٩٤	بلوغ منازل الأنبياء	٤٤	اندحار الكهان
٩٦	متابعة الحبيب ﷺ	٤٥	الفصل الثالث ميلاد النبي ﷺ مع شق صدره
٩٦	المتابعة الظاهرية	٤٦	ذكرى ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ
٩٧	المتابعة القلبية	٤٦	ميلاده النوراني
٩٩	متابعة السر	٤٨	بين البيعة والميثاق
١٠٣	المتابعة الروحية	٤٩	يوم ألتست
١٠٤	الفصل الخامس خصائص النبي ﷺ الخلقية	٥٠	احتفال الملأ الأعلى بظهور نور النبي
١٠٥	خصوصياته الخلقية	٥٢	إشراق النور المحمدي في الأكوان
١٠٧	خصوصية رؤية النبي	٥٤	تنويه عن الأحاديث الموضوعة
١٠٧	بشريته ﷺ		

١٥٧	طور بطن الأم	١٠٨	بصره وبصيرته
١٥٨	عصره	١١١	ريقه غذاء وشفاء
١٥٨	حياة البرزخ	١١٤	جمال وجهه
١٦٠	حقيقة سؤال الملكين	١١٤	صفة أهل الجنة
١٦٥	حياة أكمل الأنبياء ﷺ	١١٦	حفظه من العوارض البشرية
١٦٨	رؤية رسول الله في المنام وفي اليقظة	١١٦	سمعه المبارك
١٦٨	رؤية رسول الله	١١٧	نزول الوحي
١٧٠	توجيه النبي للعارفين	١١٨	صوته الندي
١٧١	بشريات النبي بالنصر	١١٩	كمال عقله
١٧٣	بداية السلوك للمريد	١٢١	عزق أهل الجنة
١٧٤	تربية رسول الله للأفراد	١٢٤	كمال هيئته
١٧٤	الإذن بالدعوة	١٢٥	شعره الشريف
١٧٧	كشف الكروب	١٢٦	أذكار الأبرار
١٧٩	التأهل لرؤيته ﷺ	الفصل السادس	
١٨٠	قربات الصالحين	١٢٧	خصائص النبي ﷺ الخلقية
١٨٣	وراثه الأحوال	١٢٨	التشبه الأكمل بالنبي ﷺ
١٨٤	الفصل الثامن خصائص النبي ﷺ في الدنيا	١٢٩	سر مدحه بالخلق العظيم
١٨٦	مواقع النجوم	١٣٠	وصف النبي ﷺ في سابق الكتب السماوية
١٨٩	القرآن الكريم	١٣١	أوصاف طلاب المزيد
١٨٩	السبع المثاني والقرآن العظيم	١٣٣	كمال عقله ﷺ
١٩٢	مقامات تلاوة القرآن	١٣٣	الرؤية والأناة
١٩٣	أحوال الصادقين	١٣٦	جهاد المقربين
١٩٤	الحياة الحقيقية	١٣٨	صفة غضبه ﷺ
١٩٥	صور من خصائص النبي ﷺ في الدنيا	١٣٩	عفوه ﷺ
١٩٦	بين موسى ونبينا	١٤٠	صبره ﷺ
٢٠٢	الجمال اليوسفي والجمال المحمدي	١٤٢	تواضعه الجَمِّ ﷺ
٢٠٤	رؤيته لجبريل	١٤٦	تواضع الصالحين
٢٠٦	معجزة القرآن الكريم	١٤٧	حسن عشرته لأهله ﷺ
٢٠٨	تلاوة القرآن	١٥١	الافتداء بالنبي في حسن معاشرته لأهله
٢١٠	التعريف بحضرة النبي ﷺ	الفصل السابع	
٢١٠	نورانية النبي	١٥٢	خصائص النبي ﷺ النورانية
٢١٤	الأخلاق المحمدية	١٥٤	مقام الربوبية
٢١٦	رسول الله ميزان قبول الأعمال	١٥٥	حضرة (ألسْتُ بربكم)

٢٦١	الفصل الحادى عشر خصائص النبي في القرآن والحديث	٢٢١	الفصل التاسع خصائص النبي ﷺ الذاتية
٢٦٣	سلاح الرعب	٢٢٢	خُصَّ بالإسراء والمعراج ورؤية الباري
٢٦٥	الهيبة	٢٢٣	سر الخلافة
٢٦٥	جوامع الكلم	٢٢٤	بصيرة في الإنسان
٢٦٧	أعطي مفاتيح خزائن الأرض	٢٢٦	لا حول ولا قوة إلا بالله
٢٦٨	الإيمان والتقوى مفتاحا الخزائن الإلهية	٢٢٧	جمال حضرة الله
٢٦٩	الوحي وأنواعه	٢٢٨	من إشارات المعراج
٢٧٠	الرؤيا الصالحة	٢٢٩	بين معجزاته ﷺ ومعجزات الأنبياء
٢٧٠	الوحي عن طريق الملك	٢٣٠	خاتم النبيين
٢٧١	صلصلة الجرس	٢٣١	كثرة أتباعه
٢٧١	الروح الأمين	٢٣١	رسول الإنس والجن والملائكة
٢٧٢	الوحي الإلهي المباشر	٢٣٤	حكمه بالباطن والظاهر
٢٧٤	مغفرة الله له وهو يمشي حياً صحيحاً	٢٣٦	الفصل العاشر وظائف النبي ﷺ في كتاب الله
٢٧٥	رفع الله ذكره في الدارين	٢٣٦	أولاً: الوظائف العامة
٢٧٦	إكرامه برؤية القبل والبعد	٢٣٨	لجميع الخلق
٢٧٨	أكرم الخلق على الله	٢٣٨	تكليف الله للنبي
٢٧٩	مقام السيادة	٢٣٩	وظائف النبي
٢٨١	حوض الكوثر	٢٤٠	مقام الشاهد
٢٨٤	المقام المحمود	٢٤٣	شاهد على أمته
٢٨٧	تواضعه ﷺ	٢٤٣	شهوده وجه الله
٢٨٩	أسلم قرينه من الجن	٢٤٥	شهوده خصائص الأشياء
٢٩٠	زوجاته وبناته أفضل نساء العالمين	٢٤٥	مقام التبشير والانذار
٢٩١	أصحابه خير الأصحاب	٢٤٦	مقام الدعوة إلى الله
٢٩٢	خصوصية مدينته ومسجده	٢٤٧	مقام السراج المنير
٢٩٤	صلاة الله على نبيه	٢٤٧	مقام التبشير للمؤمنين
٢٩٨	الفصل الثانى عشر خصائص النبي ﷺ المشتركة مع أمته	٢٥٠	ثانياً: الوظائف الخاصة لأمته
٣٠١	مقام الشهادة	٢٥٢	مقام تلاوة الآيات
٣٠٣	مقام رفع الحرج	٢٥٣	عبادة التفكير
٣٠٣	مقام اليسر	٢٥٨	مقام تزكية النفس
٣٠٤	أحلت لنا الغنائم	٢٥٩	مقام علوم القرآن
٣٠٦	جُعلت لنا الأرض مسجداً وتربيتها طهوراً	٢٥٩	مقام الحكمة
٣٠٧	خُصصنا بالوضوء الأكمل	٢٦٠	العلم الوهبي

٣٤٢	النفخ في الصور	٣٠٨	الماء الصالح للطهارة
٣٤٤	النشأة الأخرى	٣١٠	خصوصية التيمم
٣٤٦	حشره ﷺ	٣١١	خصوصية المسح على الخف والخمار
٣٤٨	مقام الرسالة	٣١٢	خصوصية إزالة النجاسة بالماء
٣٤٨	المقام المحمود	٣١٢	خصوصية الصلاة
٣٤٩	الشفاعة العظمى	٣١٣	خصوصية مغفرة الذنوب
٣٥١	الأعمال التي توجب الشفاعة	٣١٤	خصوصية الأذان والإقامة
٣٥٢	مقام التجلي والشهود	٣١٥	خصوصية التكبير
٣٥٤	مواطن تواجده في الآخرة	٣١٦	خصوصية التأمين
٣٥٦	مفتاح الجنة	٣١٧	خصوصية الاتجاه للكعبة في الصلاة
٣٥٦	حوض الكوثر	٣١٧	صفوفنا كصفوف الملائكة
٣٥٧	منزلة الوسيلة	٣١٨	خصوصية يوم الجمعة وساعة الإجابة
٣٥٨	الفصل الرابع عشر خصائص أمة النبي ﷺ في الآخرة	٣٢١	خصوصية التحية بالسلام
٣٥٩	أول أمة تنشق عنها الأرض يوم القيامة	٣٢٣	خصوصية صلاة التهجد
٣٦٠	الشهادة على الأنبياء وأمهم	٣٢٣	خصوصية صلاة العيد
٣٦١	منزلة الشفاعة	٣٢٤	خصوصية صلاة الكسوف والخسوف
٣٦٢	لهم نوران	٣٢٤	خصوصية صلاة الوتر
٣٦٢	إخوة الأنبياء	٣٢٥	خصوصية القصر والجمع في الصلاة
٣٦٤	الأولون يوم القيامة	٣٢٧	خصوصية صلاة الخوف
٣٦٦	لهم منابر من نور	٣٢٧	خصوصية الأضحية
٣٦٧	أول من يدخل الجنة	٣٢٨	من خصائص الأمة المحمدية في رمضان
٣٦٨	جزاء الصابرين	٣٢٨	الخصائص للسيوطي
٣٧١	عذابها في الدنيا	٣٢٩	خصوصية صيام شهر رمضان
٣٧٣	أنواع الابتلاءات	٣٣٠	تلاوة القرآن في شهر رمضان
٣٧٥	نبذة عن المؤلف الشيخ فوزى مجد أبو زيد	٣٣١	خصوصية خلوف فم الصائم
٣٧٧	قائمة مؤلفات الشيخ المطبوعة لليوم	٣٣٢	خصوصية صلاة القيام
٣٧٩	أين تجد مؤلفات الشيخ	٣٣٣	تعجيل الفطر وتأخير السحور
٣٨١	الفهرست	٣٣٥	الصوم من الفجر لغروب الشمس
		٣٣٦	خصوصية النهي عن صيام الوصال
		٣٣٧	تصحيح حديث وضع النبي للحجر على بطنه
		٣٣٧	خصوصية ليلة القدر
		٣٤٠	صيام الأيام الفاضلة
		٣٤١	الفصل الثالث عشر خصائص النبي ﷺ في الدار الآخرة

تحت الطبع للمرة الأولى

١- دروس التراويح.

٢- عبر من حياة الصالحين ﷺ

٣- أوصاف المرید الصادق

٤- تفسير آيات النور

الفهرست